٢٦٣

تاريخ المصريين

مذكرات أحمد حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين



تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مذكرات أحمد حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

حسين ، أحمد ، ١٩١١ ـ ١٩٨٢
مذكرات أحمد حسين رئيس مصر الفتاة/ أحمد
حسين. ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠٠٦.
٢٩٧ ص ؛ ٢٠ سم. ــ (تاريخ المصريين)
تدمك ٩٧٧ ٤١٩ ٤٥٤ ٣
١ ـ حسين ، أحمد ، ١٩١١ ــ ١٩٨٢ ـ المذكرات
٢ ـ السياسيون المصريون
(أ) العنوان :
٩٢٠

تقـــديم

يسرنى أن أقـدم للقـارىء العزيز هـذا الكتـاب ، الذى يتضمن مذكرات أحمـد حسـين ، رئيس جماعـة مصر الفتـاة .

ويعد أحمـد حسـين زعيم الحركة الفاشـية فى مصر ، وقد لعب دورا مهمـا انطـلاقا من هـذا الاتجـاه فى تاريخ الحـركة الوطنيـة المصريـة . ومن ثم فان الحـكم عليـه يجب أن ينطـلق من هذا المفهوم .

وهـذه المذكرات ليسـت هى المذكرات الأولى التى كتبهـا أحمـد حسـين ، فقـد سـبق له أن كتب عـددا من الكتب التى تتضـمن أطرافـا من حيـاته ، وقد اسـتندت اليها فى اعـداد رسـالتى للمـاجستير والدكتوراه حول « تطور الحـركة الوطنيـة فى مصر » (أربعـة أجزاء) فى كتابـة دوره الوطنى فى تـاريخ مصـر .

وكان أهم ما كتب أحمـد حسـين فى هـذا الصـدد كتابـه « ايمـانى » ، و « من وراء القضـبان » ، وقصـصـه الثـلاث « الزهـار » ، و « احترقت القـاهرة » ، و « الدكتور خالد » .

ثم الكتـاب الذى بين أيدينـا .

وقد رحبت بنشره حين عرضه على لجنة السيد مجدى أحمد حسين ، أملا فى أن يضىء بعض جوانب الحركة الوطنية !

وعلى الرغم من أنى عشت معارضا لاتجاه أحمد حسين الفاشى ، إلا أنى رحبت بنشره تمشيا مع الاتجاه الليبرالى الذى اعتنقه ، ولأنى آليت منذ توليت رئاسة تحرير سلسلة تاريخ المصريين ، ألا أخضع هذه السلسلة لاتجاهاتى السياسية ! وإيمانا منى أن تاريخ مصر هو من حق الشعب المصرى ، وليس حكرا على أى اتجاه !

والله الموفق ؟

أ. د. عبد العظيم رمضان

ذكريـات الطفـولة

حيـاة مواطـن

يخطىء الناس عندما يتصورون ان العظمـاء وحدهم الذين يجب عليهم أن يكتبوا مذكراتهم ، ويخطىء الأفراد العاديون أنفسهم عندما يتصـورون أن حيـاتهم ليسـت جديرة بالتسجيل ، أجل ان في كتابة حيـاة العظماء قدوة للناس وحافزا لهم .. ولكن في كتابة حيـاة الأفراد العاديين سـلوى لملايين النـاس ، الذين يظنون انهم ليسـوا شيئا مذكورا في هـذه الحياة وهم منهـا كل شيء ، انهم الحروف التي بدونها لا يتم طبع كتـاب ، انهم اللبنـة التي بغيرها لا يمكن أن يقوم بناء ، انهم الحياة بكل جلالها وروعتا .

فعندما يكتب مواطن عادي تاريخ حياتـه .. فانه يكتب عن ملايين المواطنين ، وسـيرى كل انسان نفسـه في هذا الذي كتب فيشعر بالسـعادة والطمأنينـة ، لأنه يرى صورته في المرآة ، ويدرك أنه جزء من هذا الكون له خطره وله قيمته .

وعلى هذا الأسـاس رأيت أن امضى في كتابة هذه المذكرات .. مذكرات مواطن حريصـا على أن يرى الناس فيهـا أنفسهم .. وأن أكتبها في صـدق وفي غير تكلف .. واذا كان هذا هو طابعي وأسـلوبي في كل ما أكتب فانى سـأكون حريصا على التزام ذلك

آكثر وأكثر فى هـذه المذكرات .. فرب خاطر يبدو لى سخيفـا فاذا كتب فاذا به يريح اعصـاب مواطن آخر يعن له مثل هـذا الخاطر فيقسو على نفسـه جاهلا انه خاطر يعن لكل الناس .

ورب تجربة قد يحجم الانسـان عن ذكرها قد تحل مشكلة عند آخر .

ورب امر يبدو لى تافها ولكنه يفسر مغلقا عند مواطن آخر .

واذن فلأكتب .. لأكتب كل شىء .. يتوارد على خاطـرى من تاريخ حيـاتى البعيد .. فلأكتب ولأسترسـل منطلقا من كل القيود ليـكون فى ذلك حـافز لكل مواطـن آخـر ان يكتب دون خوف .. ودون خشية فان حيـاة كل انسـان عندما تعرض على الناس فانها الانسانية كلهـا التى تعرض .

الفائـدة التاريخيـة

على ان هنـاك فائدة محققة من كتابة مثل هذه المذكرات عن حيـاة مواطن عاش حتى كتابـة هذه السـطور آكثر من اربعين سنة .. ذلك انها ستحمل حتمـا بعض وقـائع التاريخ وستنقل الى جيل جديد وكل الأجيـال المقبلة صـورة من عصر مضى وانقضى ولا سـبيل لتصـوره وادراكه الا من خـلال امثال هذه السـيرة أحد المواطنين .

ان علمـاء التاريخ قد يتصـورون العصور بصـورة علميـة بعد تحليـل ودراسـة واستجماع لكل الحوادث والظروف .. ولكن هذه ستبقى فى النهـاية دراسة موضـوعية علمية ليس فيها روح الفن .. الفن الذى لا تسـتطيع ان تتذوقـه الا من خـلال

المذكرات الشخصية

انسان يحدثك عما يحسه هو وعما يتصوره هو وعما تنبض به مشاعره الخاصة بقطع النظر عن أى عنصر آخر .

فانت فى مثل هذه المذكرات ستعرف بعض الحقائق التاريخية كما استقرت فى ذهن مواطن عاش فى هذا العصر لا كما تصورها الكتب او المقالات أو الدراسات .

ذكريات من الطفولة

فى ذهنى صور صاحبتنى منذ الطفولة المبكرة ولا تزال راسية فى نفسى حتى الآن أستطيع ان أذكرها فى جلاء ووضوح رغم تقادم السنين .

والحوادث المادية تحدد السن التى انطبعت فيها هذه الصور ، لقد ولدت فى ٨ مارس سنة ١٩١١ وقامت الحرب العالمية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩١٤ ، فكان عمرى عند قيام الحرب حوالى أربع سنوات ، وهذه الصورة العجيبة التى مازالت تختزنها ذاكرتى تتصل بموضوع الحرب ويبدو من تصرفى فيها اننى كنت ممعنا فى الطفولة فلابد انها كانت فى السنة الأولى من الحرب أو الثانية عندما كان عمرى يتراوح ما بين الرابعة والخامسة .

استيقظت ذات صباح من نومى وقد علمت فيما بعد أن يقظتى كانت قبيل الفجر . فسمعت ما ملأنى رعبا .. صوت قنابل تدوى ويعقبها صياح من نوع ما ، وغطيت راسى باللحاف من الفزع ورحت أنصت فاذا صوت القنابل يدوى بصورة رهيبة يلاحقها هذا الصياح .. وبدا الأمر يأخذ صورة موسيقية بالنسبة لأذنى وان كان ذلك لم يقلل من فزعى .

« طب .... إيه .... » كان صوت القنبلة يدوى مكتوما محدثا هذا الصوت « طب » ثم يعقبه الصياح ... إيه .... » .

وبدا يحتشني تشابه الصياح وانه يسير على وتيرة واحدة ، ورحت أسال نفسى كيف ساصيح هذه الصيحة عندما يأتى دورنا وتنزل القنبلة على بيتنا ؟ وبعد قليل كنت أتمرن على احداث هذا الصوت الذى يعقب نزول القنابل .. ووجدتنى ارفع عقيرتى تحت اللحاف مقلدا الصياح الذى اسمعه « إيه .... » ويظهر أنى نمت بعد ذلك واستيقظت لأرى الشمس مشرقة والبيت لم يهدم والحياة كما هى .. ولقد عرفت فيما بعد .. ولست أعرف متى عرفت فهى صور فى راسى كما قلت لا ترتبط ببداية معينة ولا تتصل بنهاية ... عرفت فيما بعد أن هذا الذى كنت أسمعه لم يكن صوت قنابل ، وانما كانت امرأة تعجن وهذا الصوت « طب » لم يكن سوى صوت عملية العجن عندما تغترف العاجنة بيديها غرفة من مخلوط الدقيق والماء وترفعها فى الهواء ثم تهوى بها على بقية المخلوط ليحدث هذه الفرقعة التى تراءت لأذنى كأنها صوت قنبلة « طب » . أما الصياح الذى كان يعقب هذا الصوت فلم يكن الا ترجيع آذان الديكة عند الفجر . وهكذا عانى الطفل من ويلات الحرب فى صورة كابوس ابتعثه عجين امرأة وصياح ديك .. وانى أتصور الآن أن هذا الحادث لا يمكن أن يكون قد وقع لى الا بعد أن اغارت مناطيد « سبلن » على « مصر » وقذفت بعض القنابل فاهلكت عددا كبيرا من سكان القاهرة .. لابد أن يكون الرعب والفزع قد عم البلاد .. ولابد أنهم تحدثوا أمامى بما وقع .. وهذه هى الصورة التى عانى منها الطفل أهوال ما سمع .

فى حى طولون

وهذه الواقعة تجرنا الى السؤال عن المكان الذى جرت فيه هذه الواقعة او بالأحرى اين كنا نسكن ونقيم ولعلك قد أدركت من التعليق على الحادثة السابقة اننا كنا نقيم فى القاهرة . ولعلك أدركت إيضا من عنوان هذه الفقرة اننا كنا نقيم فى حى طولون فوق قمة أحد تلال العاصمة بالغرب ، مما يسمى قلعة الكبش . اما الحارة التى كنا نقيم فيها فاسمها حارة الجمالة فى منطقة يطلق عليها « العمرى » نسبة الى سيدى العمرى احد الأولياء فى هذه المنطقة .. وسأتكلم كثيرا عن طولون بطبيعة الحال وعن حارة الجمالة ولكن اسجل هنا اقدم الصور فى ذاكرتى تلك التى احملها من طفولتى المبكرة .

تمساح

مازلت اذكر نفسى وأنا ارتجف بشدة اذ اجتاز هذا القسم من الحارة حيث يوجد منزل الشيخ ضيف ، والذى يوجد فوق بابه تمساح كبير . لقد كبرت بعد ذلك وادركت ان هذا التمساح ميت ولا ينبغى ان يخشاه الانسان ومع ذلك فلازالت صورة قوية فى نفسى صورة الاضطراب والفزع ، وأنا اجتاز هذا القسم من الحارة ، ولا أستطيع أبدا اجتيازه الا عدوا أو وأنا مغمض العينين ولا افتحهما الا بعد ان اكون متاكدا اننى خلفت البيت ورائى .

أكان حلما .

صورة ثالثة لم تستطع الأيام ان تنزعها من ذاكرتى ولم أستطع ان أجزم فى الماضى . ولا استطيع ان اجزم الآن أوقعت هذه الصورة فى الواقع ام انها كانت حلما ؟ غنى عن البيان

التي في طفولتي كنت على ثقة انها وقعت ولكن كلما كبرت في السن راجعت نفسي وتصورت انها كانت حلما وليس عندي تاريخ استطيع ان احدد به عمري وقتذاك .. أليس من العجب ان يحمل انسان حلما معه منذ سنواته الأولى في الحياة ليذكره وهو في سن الأربعين بكل هذا الوضوح والنصاعة ؟

- كان في بيتنا حجرة مما يسمونها (مسروقة) وكنا نضع فيها المخلفات (والكراكيب) ، وفي ذات ليلة ساد البيت هرج ومرج في الليل وتجمعنا كلنا ونزلنا الى هذه المسروقة ومازلت اذكر المصباح الكبير الذي كان يحمله أحد افراد العائلة ، وفتح باب المسروقة لنرى جالسا خلفه عفريت في صور انسان وكان يرتدي « طرطورا » عاليا وملابسه ذات ألوان مبهجة وكان يجلس دون حراك وينظر الينا في هدوء ونحن ننظر اليه ولم اكن في حالة رعب او فزع . وهذه هي الصورة التي لا تزال ذاكرتي تختزنها . أكان ذلك حلما رايته .. ام كان حقا واقعا بمعنى ان أخا لي وقد كان يحب المزاح قد لعب هذا الدور ليفزعنا او ليفزعني انا بصفة خاصة . لست اعرف ما هي حقيقة الأمر . بطبيعة الحال عندما كبرت قليلا كنت أستوضح هذه النقطة فلم يكن أحد يوضحها لي بأكثر من ان هذا لم يحدث .. على اية حال فقد كانت هذه المسروقة كالتمساح المعلق على باب الشيخ ضيف ، كلاهما منطقة يصيبني بالخوف والهلع كلما مررت بهما ، فكنت اذا صعدت السلم أو هبطت منه لا استطيع الا أن أعدو اذا ما اقتربت من المسروقة .. أما في الليل فقد كان من المستحيل على ما أذكر أن اجسر على النزول منفردا لأمر امام هذه المسروقة .. فهل كان هذا الشعور نتيجة لهذا الحادث الذي حدثتك عنه من رؤية عفريت في صورة انسان في هذه المسروقة ؟ .. أم أن رؤية العفريت الآدمي في الحلم جاءت نتيجة الخوف المستمر من هذه المسروقة تلك مسألة لا أستطيع الفصل فيها .

أخـــى الأكبـــر

ومازالت ذاكرتى تختزن صـــورا لا يمكن الا أن تكون من طفولتى المبكرة ذلك أن الحوادث المـادية تضعها فى فترة قبل انقضاء الحرب العالميـة الأولى لأنها ترتبط بأخ كبير لى مات قبل نهايـة الحرب العالميـة الأولى أى فى ســنة ١٩١٧ ، ولمـا كنت مولودا فى سنة ١٩١١ ، كما قدمت فلابد أن هذه الصـــور فى خلال السنوات الست من حياتى الأولى .

كان أخى هذا شـابا يافعا جميل الطلعـة ، أنيق الملبس ، ذكى الفؤاد ولست أذكر شيئا من جمـال صـورته ولا من أناقـة ملبســه ولكن بعد ان كبرت فى الســن كنت ارى هذه الملابس وقد احتفظت والدتى بهـا فى « دولاب » خـاص تستعرضهـا كل يوم وتبكى ابنـ ـا الحبيب ، وكانت أمى هى التى تحدثنى عن جمـال أخى الأكبر الراحل واسـمه « محمد » والذى كان موظفـا فى وزارة الأوقـاف ، وكانت تعرض على ملابســه وتعرضها على النـاس أجمعين لتريهم مقدار أناقـة اخى وتعرض عليهم صـورته لتريهم مقدار بهاء طلعتــه .. وحقـا كانت الملابس فى مثل هذا التـاريخ المبكر آية على اناقة لابسها ، فقد تألفت من بنطلونات من الصوف الأبيض وجاكتـات من الصـوف الكحـلى او البنى ، وبدل من « الجبردين » ، وبدل أخرى من الحرير ، وفى مثل هذا الوقت المبكر أى منذ اربعين ســنة تقريبـا فان ارتداء شـاب من عائلة صغيرة لمثل هذه الملابس يحمل فى طياته من غير شـك دلالة كبيرة . وكل معلوماتى عن هذا الأخ الكبير انما تلقيتها عن والدتى التى كانت تندب حظهـا العاثر كلمـا وقع نظرها على ، ولم يكن لها من قول ترددە الا أنها كانت على استعداد ان تضحى بى وبعشرة مثلى ويبقى لها ابنهـا الحبيب « محمد » كانت تنظر لى والشقيق

الآخرين مصطفى وعبد الفتـاح ، وتبدى دهشتها فى أن ثلاثتنا تعيش وتحيا ويذهب هو .. مع أنها كانت تؤثر لو ذهبنـا نحن الثلاثة وبقى هو .. ولم يكن ذلك مظهر قسـوة من والدتى يرحمها الله ، ولكنـه كان يظهر احساسـا عميقا بهول مصيبتها فى ابنهـا الذى كانت تعتز به وتفخر على العالمين كان يأخذ بلبها بطبيعـة الحـال أن ترى حارة الجمـالة كلها وقلوب عذاراها تخفق لرؤية محمد افندى وهو يخرج وهو يدخل .. كانت أمى تجد السـعادة كلها عندما ترى الهمس من خلف (شيش) الشبابيك ! يتزايد حتى ينقلب الى ضجيج كلما دخل ابنها أو خرج .

كانت كل فتيـات الحـارة يحلمن بأن يصبحن عروسـا لمحمد أفندى ابن الأفندى .. ولكن هيهات .. فلم يكن فى حـارة الجمالة من يليق بسيد العرسـان ، ان أمه (الست أم الأفندى) لا ترضى بعروس لابنهـا الا من أولاد الذوات .. لابد من ابنـة « بك » على الأقل فهى وحدها التى تليق بمحمد ، ولقد خطبت له بالفعل ابنة بك لا أعرف اذا كان « بك » حقيقيا ام لا ولكن فى ذلك الوقت البعيد لم تكن كلمـة « بك »تستعمل كاستعمالها فى الوقت الحـاضر .. فلابد أنه كان « بك » بالفعل ، ومازلت احفظ حتى الآن أن اسـمه كان صـادق بك ولقد كانت سـعادة امى عظيمـة عندما وافقوا على الزواج رغم أن والد العـريس « افنـدى » .

وكتب الكتـاب بالفعل وقدمت الشبكة ودفع المهر وحدد الوقت لحفـلة الزفـاف .. وفيم تنتظر والدتى حفلة الزفاف بفارغ الصبر لتفرح بابنهـا الجميل اذا بالموت يختطفه من بين يديهـا ليمرض بالتيفود ، ثم يموت فى صيف أحد الأعوام السابقة على نهاية الحرب فى مدينـة الاسكندرية ، حيث كان والدى يذهب اليها

كل عام باعتباره موظفا فى ديوان السلطان فى معية السلطان..
مات اخى فى هذه الظروف التى سقتها اليك . ونستطيع أن تقدر فجيعة امى فيه .. لقد كان يمكن أن تجن المسكينة من الحزن لولا ايمان عميق بالله ، رايت مظاهره بعد ان كبرت من خلال احاديثها التى كانت تعتز فيها بهذا الايمان .. فهى لم (تصوت عليه) ولم تلطم خدودها ولم تقطع ثيابها ، ولم تصطبغ « بالنيلة » ولكنها كانت تبكى وتهتف « صبرنى يارب » « صبرنى يارب » كانت تقول لى امى وكلما وجدت النار توشك أن تشتعل فى صدرى رحت اضرب على ركبتى حتى لا الطم على خدودى .. ولقد عاشت امى بعد وفاة اخى عشر سنوات لا أظن أنه راقت لها فيها دمعة ، أو انقطعت عن ذكره طوال هذه العشر سنوات .
كانت تبكى كلما صلت وكانت تصلى كثيرا جدا ، وتقول : انها تسدد ما عليها من حساب ، فهى لم تبدأ الصلاة الا فى سن الخامسة عشر .. اذن فقد فاتتها الصلاة ثمانى سنوات اذ كانت يجب أن تصلى منذ السابعة (هكذا قالوا لها) ، فعليها اذن أن تعيد هذه الصلوات كلها مضافة الى السنن والنوافل ولذلك كانت تستغرق كل يوم ساعات فى الصلاة .. وما رايتها الا دامعة العينين باكية .. وان كان ذلك قد خف كثيرا فى السنوات الأخيرة من حياتها ولكنه لم ينقطع ابدا . ولم تكف حتى بعد أن كبرت عن ان تقارن بينى وبين هذا الأخ الراحل ، وكيف اننى لا اساوى « بصلة » بالنسبة اليه ، وتروح تعدد محاسنه التى لا تنتهى وتعدد مظاهر طاعته لابيه التى لم تكن تظهر مثلها .. كانت تحدثنى كيف أن اباه يلطمه على وجهه ، وهو موظف فى الحكومة فلا يزيد على أن يقبل يد ابيه مستغفرا .. فأين هذا مما نظهره نحن من تمرد على ارادة والدى .. كان يشترى لها روايات (اللص الشريف سنكلر) ويطالعها لها كلها فقد كان يقضى كل سهراته معها يطالع لها فى هذه الروايات ويطالع لها فى مناسبات

اخرى فى كتب الدين ويفقهها فى الصـلاة ، وقد حفزنى ذلك يوما ما على ان اشـترى كتابا فى وصف الجنـة والنار لأتلوه عليهـا محاولا استرضاءها .. ومازالت مذكرتى تحمل صـورتى وأنـا جالس على الحصيرة أتلو على والدتى وصف النار فيقشعر بدنها .. واتلو لها وصف الجنـة فيتهلل وجهها بشرا !

قـــــدر

على أن الحـادث الذى كانت والدتى تقصـه على فى معرض التفجع على أخى الراحل أكثر من غيره .. وكلما امتد العمر بنـا سويا كانت تكثر من ذكره : هو اننى كنت مريضـا ابان مرض اخى الأكبر بنفس الحمى .. وفى رأسى صـورتى وأنـا راقد فى حجرة خالية من الأثاث .. ثم يأتى اقوام فيأخذوننى من الحجرة وعند هذا القدر تنتهى الصورة .

تقول أمى انه طلب أن يراك محمد وقد استفاق من غيبوبته فقد كان يحبك .. وتنهمر الدموع من عينيهـا وتسترسل قائلة كان يرانى دائمـا الى جوارك فيقول : وأين أحمد فاقول له فى الحجرة الثانيـة فيقول اذهبى واجلسى معه واعتنى به فان احمد خسـارة .. فكانت ترد عليه (يروح يا اخويا أحمد فى ستين داهية وانت تخف) ، فيقول لها حرام يا نينة تقولى كده أحمد خسـارة قومى اقعدى جنبـه . وتجهش أمى بالبكاء وتقول .. « ثم مات النافع .. مات الصـالح .. وبقى الشقى يا ليتكم متم جميعا وبقى هو » ..

هـذا هو الشقيق الأكبر الذى احتل الجـانب الأكبر من تكييف طفولتى على ما يظهر فانى مازلت احفظ حتى الآن صـورا

مضيئة فى ذاكرتى وبالبحث عن ملابسات هذه الصور اراها كلها ترتبط به .. فاذا ارى نفسى فى مكان بعيد عن مصر ، عرفت بعد ان كبرت انه كان مدينة بنها التى نقل اخى ليعمل موظفا بها . وقد اصطحبنى معه لاقيم معه بضعة أيام .

فقد كان لا يحتمل فراقى .. وارى نفسى محل رعاية بعض الناس او بالأحرى بعض السيدات والفتيات ، ويظهر لى انه كان يتركنى فى بيوت بعض زملائه الموظفين ولهم أخوات او بنات وكلهن يطمعن فى زواج « محمد افندى » فكن يدللن اخاه الصغير ويغمرنه بالعطف والحنان والحلوى والشيكولاته عساه يكون سفير خير عند أخيه .

يا فتى العصر

وفى صورة أخرى أرى نفسى مرتديا بدلة بحار ، وانسانا ما يحملنى ليوقفنى على كرسى ويطلب منى أن أخطب ، واغلب ظنى أن هذا الانسان كان أخى الذى كان يصحبنى معه فى كل مكان .. ومازالت صورة البيت الذى كنت اتردد عليه أكثر من مرة فى مخيلتى .. ولقد اعتقدت أن أمر عليه بعد ان كبرت .. انه بيت فى « الصليبة » له باب حديدى .. وقد حدث ان قابلنى بعد أن كبرت بعض سكان هذا البيت وحاول ان يذكرونى بايام الطفولة .. ايام ان كان أخى الكبير يأخذنى معه الى هناك ويطلب منى أن أقول الخطبة التى علمنى اياها .. ولقد قالوا لى انها خطبة كان عنوانها « يا فتى العصر » وكانت تدور حول التنديد بفتى العصر الذى فقد معالم الرجولة ، واصبح يميل الى

التخنث وترجيج الحاجب ، والبطالة والكسل ، وليس فى ذاكرتي شيء من هذه الخطبة .. ولكن الصورة لاتزال ناصعة .. صورتي وأنا أحمل فوق الكرسى أو المائدة لأقول شيئا والناس من حولى مرددة معجبة .

ريالات كثيرة

على ان الصورة المحفورة فى نفسى من هذا العهد البعيد .. صورة والدى يوم جنازة أخي .. وكنا فى الاسكندرية وكان والدى يبدو كاسف البال ، ولكنه متمالك الأعصاب .. ويحمل فى يده عديدا من الريالات الفضية ينفق منها على مصاريف الجنازة .. وقد استوقفنى منظر هذه الريالات اللامعة ، ولاتزال عالقة فى ذاكرتي .. ولقد علمت بعد أن كبرت اننى كنت دائم الاشارة الى هذا المنظر ، فحدثتني والدتي انه استدان فى هذا اليوم نقودا من موظف كبير كان يبره ويوده وهو المرحوم محمود بك من رجال المعية ، فاسعفه فى ذلك اليوم بما كان لديه من المال وكان على صورة هذه الريالات الفضية .

صور من الاسكندرية

ولا يزال للاسكندرية ورحلاتي اليها مع والدى أيام الطفولة بعض صور لاتزال عالقة برأسي حتى الآن ، لأنها لم تبارحها أبدا .. صورتي وقد أرسلت على ما أذكر لأشترى قطعة من الجبن « الرومى » من أحد البقالين .. وأثناء عودتي الى المنزل وقفت فى منعطف من الطريق وفتحت ورقة الجبنة الرومى وأخذت قطعة فأكلتها .. وهاأنذا بعد حوالى اربعين سنة من هذا التاريخ لا أزال أحس طعم هذه الجبنة على لسانى ولست أذكر انني تذوقت طول حياتي جبنة رومية تصل الى طعم هذه المرة .

من فوق سراى راس التين

وصورة اخرى ارى نفسى فيها على سطوح سراى راس التين ، حيث كان يعمل والدى وقد راحوا يروننى المناظير المكبرة الموجودة فوق السطوح ورحت انظر فيها الى المراكب الداخلة الى الميناء من عرض البحر .

حول الترسة

والصورة الأخيرة التى لاتزال عالقة برأسى هى صورة تجمع الناس بالقرب من شاطىء البحر حول ترسة اصطادوها . وقد فاتنى أن اقول لك اننا كنا نسكن دائما فى حى الأنفوشى ليكون والدى قريبا من محل عمله فى السراى .

هذه هى الصورة التى مازلت أحملها من طفولتى المبكرة عن الاسكندرية . ويجب ان تكون كل هذه الصور فى حديث عن الأعوام السابقة على تولى السلطان أحمد السلطنة ، لأنه بمجرد ان مات السلطان حسين وعين بدله السلطان فؤاد كف عن ان يأخذ أبى فى معيته الى الاسكندرية ، بل انهم نقلوه بعد ذلك الى وزارة المالية ، وتوقفنا عن الذهاب الى الاسكندرية فهى كلها من الطفولة المبكرة ، وقبل أن أبلغ السابعة بل السادسة على الأرجح .

والى هنا تنتهى الصورة المعلقة فى ذهنى والتى لا أستطيع أن اربطها بحوادث متسقة . وهناك صورة معاصرة لها لاتزال فى ذهنى ولكنها أكثر اتساقا واتصالا بعضها ببعض ، فانها ترتبط بالحوادث والأشخاص والأماكن التى درجت فيها ، ولذلك فاننى

استطيع ان اذكرها شيء من التسلسل والمنطق أكثر من هذه الصور المتقطعة .

الكتـــاب

فلا يزال فى ذاكرتى منظر الكتاب الذى كنت اذهب اليه وانا طفل صغير جدا من غير شك أى قبل الخامسة ، فلابد ان يكون ذهابى الى الكتاب فى وقت مبكر جدا فلازلت أذكر المدرسة الأولية التى انتقلت اليها بعد الكتاب .. وكيف انتقلت بعد ذلك الى مدرسة البهية البرهانية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية بسنة تحضيرى ، وكان عمرى يقل عن ست سنوات فلابد ان كان ذهابى الى الكتاب ما بين الرابعة والخامسة . ولاتزال من ذكريات الكتاب فى راسى روائحه .. ورائحة الحبر فى المحابر . وهى مليئة بقطع من القماش ونحن نغط القلم ونضغط على القماش المبلل بالحبر لنستطيع أن نكتب .. لاتزال هذه الرائحة فى ذاكرتى .. وكان فى مدخل الكتاب رجل او امراة لا اذكر يبيعان الطعام للأولاد ، ماء اللفت فى طبق صغير فنغمس هذا الماء بالخبز او بالأحرى نفتت فيه الخبز فيصبح له طعم جميل جدا لايزال عالقا بذاكرتى ومازال منظر الفلقة واحد الأولاد يمدونه ليضربه سيدنا .. لايزال هذا المنظر مرسوما فى الذاكرة . ولكنى لا اذكر أن هذه الفلقة استعملت معى أبدا .. ولعل ذلك انما كان يرجع لأننى ابن الأفندى .. الأفندى الكبير الموظف فى ديوان السلطان .. وبعد ذلك فى الحكومة ومازالت صورة اللوح الصفيح حيث كنا نكتب عليه بالقلم البسط آيات من القرآن لنحفظها عالقة بذاكرتى .. ولاتزال ذكرى غامضة عالقة بذاكرتى . ان هناك بعض الاشكالات كانت تدور حول خطى وانه ليس حسنا .. واننى لم أكن من صبيان الكتاب الممتازين ، ولم أكن من الخائبين كذلك .

وكنت احمل كل اسبوع قرشا صاغا للعريف ، وهذا هو كل ما اذكره عن أيام الكتاب .

فى حارة الجمالة

ولنتحدث الآن عن حارة الجمالة حيث ولدت ودرجت ونشأت وترعرعت وحيث لايزال كل ما يتصل بها عالقا بذهنى واضحا كل الوضوح ، ذلك انه ظل متسلسلا مستمرا على الزمن بعد ان كبرت . لاتزال الحارة هناك فى حى طولون .. فى منطقة منه تسمى منطقة « العمرى » ولاتزال حارة الجمالة تحمل هذا الاسم على لوحة مصلحة التنظيم الزرقاء . التى كانت موجودة هناك منذ ذلك الأمد البعيد ، ولعل هذا يصور لك أهمية الحارة . والحارة مسدودة فى نهايتها بحوش « الجمالة » . ولكن فتحة تتفرع منها قبيل بيتنا كانت تقودنا الى الجبل .. الى جبل طولون وقلعة الكبش ومنذ طفولتنا وفى هذه الحارة ثلاثة أماكن بارزة بيت الشيخ ضيف الذى سبقت الاشارة اليه والذى يحمل فوق شراعة بابه تمساحا محنطا .. والبيت الثانى هو بيت الأفندى ، والمؤسسة الثالثة فى هذه الحارة التى يشار اليها بالبنان هى حوش الجمالة في نهاية الحارة .

الشيخ ضيف

فاما بيت الشيخ ضيف فبيت كبير متسع كان يفوق بيتنا من حيث الاتساع والضخامة ، ومن حيث الأهمية والشهرة .. فقد كان الشيخ ضيف شيخ طريقة كما قدمت .. وكانت الحارة أو بالأحرى سكانها يراقبون فى حسد وشعور مستمر بالحرمان

مسيل الهدايا الذى كان لا ينقطع عن هذا البيت .. وليس لهذه الهدايا والعربات المحملة صورة فى راسى ولكن احاديث والدتى عنها لاتزال ترن فى اذنى ، فقد كانت كل الأسرة تتحدث عنها فيمدون اقفصة الفراخ التى وصلت او الديوك الرومى او الخراف أو القمح أو الزبد أو أنواع الفواكه .. كل ذلك يتقاطر من أنحاء القطر لشيخ الطريقة .. ولم اشهد شيخ الطريقة الكبير ولكننى مازلت أحفظ صورة شيخ الطريقة الصغير الشيخ صيف الصغير .

والصورة التى تحفظها ذاكرتى هى صورة شيخ (مقلوظ) واعنى (بالمقلوظ) انه من هؤلاء الذين يسبكون عمامتهم ويهتمون بقيافتهم .. ويحبون الحرير والألوان المبهجة . وكان بيت الشيخ صيف فى ثلث الحارة الأول حيث يتصل بشارع العمرى .. وكان بيتنا ياتى فى الثلث الأخير من الحارة .. وكان مشهورا بانه بيت الأفندى ، واحسب أن الساعة قد حانت لنتحدث قليلا عن هذا الأفندى الذى هو والدى .

الأفنــــدى

ولد الأفندى فى بلدة كفر البطيخ من أعمال مركز دمياط .. وسمى « محمودا » وكان اسم أبيه حسينا واسم جده محمدا واسم جده الأكبر دهب ، ولقد قص على والدى فيما بعد ان مسقط راس الأسرة كان فى الصعيد ، وفرض عليهم أن ياخذوا ارضا فهربوا من الصعيد واتجهوا نحو الشمال لينجوا بانفسهم من ان تكون لهم ارض وما يتبعها من تكاليف والتزامات .. واستقر بهم الحال فى كفر البطيخ ، وكانوا يشتغلون بتجارة المواشى . وكان حسين والد أبى هو اول من اشتغل كاتبا فى بعض التفاتيش وليس يحضرنى اسم التفتيش .

وولد له أبي ، ومن حديث أبي عن تاريخ حياته مسائل تستوقف النظر من حيث نضجه المبكر .. فعندما بلغ الثامنة من حياته لم يكن يعرف القراءة والكتابة فحسب ، بل انه أنشأ كتابا كان يعلم فيه الناس ممن هم أكبر منه سنا ، وكان يتقاضى ـ كأى عريف ـ أجرا على تعليمه .

وكان الكبر قد أصاب اباه فى عينيه فلم يعد يحسن الاضطلاع بعمله ، فكان أبى الذى لم يزل صبيا يقوم بعمله خير قيام ورضى رؤساء أبيه عن عمله . فابقوا الشيخ فى منصبه مادام ابنه يؤدى عمله .. وفى يوم من الأيام جاء مفتش يزور التفتيش فطلب مقابلة كاتب الحسابات فجاءوه بأبى الذى كان لا يتجاوز العشر سنوات على ما أذكر .. وذهل المفتش ان يكون ذلك كاتب الحسابات وبان الغضب على وجهه فافهموه القصة .. ونصها : مرض الكاتب الأصلى بعينيه وأن ابنه يقوم بعمله .. فقال لهم وكيف يستطيع ذلك الصغير أن يقوم بالعمل ؟ ! .. فاجابوه سترى انه يحذق عمله .. وبدأ المفتش يسأل الصبى عن حسابات التفتيش والصبى يرد بوجه يثير الدهشة .. وبدأ الاطلاع على الدفاتر فكانت لا تقل احكاما عن الاجابات الشفوية .. ورضى المفتش وابتهج بهذا الصبى الصغير ..

ابن الحادية عشرة يزيد دخل الأسرة

وكان هذا الحادث العارض بدء انقلاب فى حياة الأسرة . فقد ازداد الصبى ثقة بنفسه وشعورا بكيانه ، وتطلعت نفسه لاستغلال شخصيته فانتهز فرصة خلو وظيفة كاتب حسابات فى أحد فروع هذا التفتيش الأخرى وذهب بنفسه ليقابل المفتش الذى سبق له أن امتحنه واعجب به ، وطلب أن يشغل هذه الوظيفة

الخالية .. قال له المفتش : وماذا تفعل بأبيك الذى لن يستطيع العمل ؟ فأجاب محمود : ان أبى يستطيع ان يزاول العمل بنفسه ، فاذا لم يستطع فان من حقه أن يستريح وسأحمل له المرتب الذى احصل عليه ، وأجرى امتحان للصبى الذى لا أظن انه كان يزيد على أحد عشر عاما فى ذلك الوقت، ونجح فى الامتحان وتلقى الوظيفة ذات المرتب الضخم ، فقد كان لا يقل عن « مائتى قرش » ومائتا قرش فى ذلك الوقت اى من ستين عاما كانت شيئا مذكورا « ستون عاما وقت كتابة المذكرات عام ١٩٥١ اى اكثر من مائة سنة اليوم » .

وقد غضب ابوه بطبيعة الحال لهذا التصرف .. فقد بدأ يشقى فى عمله وينكشف عجز بصره بالتدريج ، ولكن ابنه عالج الموقف بان عين لأبيه صبيا مساعدا بخمسين قرشا فى الشهر ليؤدى له مطالعة الأرقام واثباتها تحت اشرافه ، وفى نفس الوقت ساق لأبيه المرتب الذى حصل عليه فى أول الشهر ، وهكذا لم يستطع والده الا أن يسكت عن تصرفات ابنه الكبير والتى انتهت بزيادة دخل الأسرة .

ولعل هذا الحادث يكشف عن شعور والدى العميق بشخصيته وحرصه الشديد على الاستقلال بهذه الشخصية وهو بعض ما اورثنى اياه فى مقدمة ما أورث .

وبدأت قصة الأفندى من ذلك التاريخ : شاب ممتاز فى حسابات الدوائر يتميز بالنشاط والحيوية والحزم ، وبهذه الصفات راح ينتقل من عمل الى عمل فى التماس الترقى والنضوج .

واستقر به النوى فى مدينة سمنود كاتبا للحسابات فى دائرة السيد عبد العال ، وفى سمنود تعرف بأسرة والدتى وكان يرى

اياما ولعله كان موظفا معه فى الدائرة أو فى عمل مشابه .. ويقول ابى انه أعجب بصورة ابيها الذى كان أبيض الوجه جميل الطلعة ، فتصور ابى ان لو كان لهذا الرجل بنت فلابد ان تكون جميلة خاصة وان أخا لها يبدو بدوره حسن الصورة .. ولقد كان للرجل بالفعل ابنة تدعى هانم ولم يكن تصوره بعيدا عن الحقيقة ، فقد كانت على جانب كبير من الجمال فى مقياس أهل الريف وكانت بيضاء اللون .. ممشوقة القد وكان هذا يكفى لجعلها تحفة فى هذا الوسط ، غير أن الذى لاشك فيه « أنها كانت تحفة بالفعل من حيث اخلاصها لزوجها وتفانيها فى خدمته وفى الصبر معه على شظف الحياة وفى تدبيرها شئون بيته وأولادهما كاحسن ما تفعل سيدة ممن يطلق عليهم ستات البيوت » .

كان الراتب فى ذلك الوقت قد وصل الى ثلاثمائة قرش أو لعله كان اكثر من ذلك قليلا .. وكان هذا الراتب قمينا أن يجعل الزوجين وما شرعا يرزقانه من أولاد يعيشون حياة معقولة .. ولكن محمودا كان يعتبر نفسه مسئولا فى ذات الوقت عن الأسرة الكبيرة التى خلفها فى الريف .. أسرة ابيه وأمه واخواته البنات اللائى لم يكن لهن عائل غيره ، بعد ان انتهى أبوه الى التقاعد نهائيا لاشتداد العجز عليه ، ولقد حدثتنى والدتى عن صنوف الحرمان التى عانتها مع ابى فى هذه الحياة الأولى ، حيث كان يرسل كل شىء الى عائلته ويعيشون هم على الكفاف .. وكانت تقص فى حسرة شديدة كيف أنه كان يحدث فى بعض الأوقات أن تأتيهم هدية من هنا وهناك ولتكن عنبا مثلا فتمنى والدتى نفسها بانها ستأكل العنب الذى حرمت منه طويلا ويتلمظ اخوتى الصغار فى ذلك الوقت لهذا العنب ، فاذا بقرار والدى يصدر بأن سلة العنب سيعاد شحنها للسفر الى كفر البطيخ لأمه وأبيه واخوته .. وتحتج والدتى فينتهرها فتبكى .. فيقول لها « يا مجنونة هؤلاء أناس محرومون من كل شىء .. اما نحن

فباستطاعتنا ونحن نعيش فى المدينة أن نحصل غدا على قفة عنب..
ولكن قفة العنب هذه لم تكن تأتى ابدا .. أو هكذا كانت تقص
على والدتى ..

وكانت الامور تسير على هذه الوتيرة فكل شىء يصل الى
يده يسرع به الى البلد .. ثم بدت عليه ظاهرة جديدة وهى
رغبته فى اقامة المآدب لزملائه ومعارفه اذا وقع فى يده ما يمكن
ان يصلح لاقامة مادبة .. تقول امى أهداهم بعض الناس فى
مناسبة من المناسبات ديكا روميا ولم تصدر الأوامر بترحيله
الى البلد ففرحت بذلك وابتهجت وهى ترى الديك يملأ عليها
الحياة بهجة وأمانى حلوة .. ولكنها فوجئت فى يوم من الأيام
أن الباشكاتب وفلانا وفلانا مدعوون لتناول الغداء عندهم فى يوم
معين وأن الديك الرومى سيكون هو محور المادبة .

وقنعت والدتى هى واولادها بالمرق وبعض حواشى الديك
كحناح وما أشبه .. وربما تخلف عن الضيوف بعض البقايا
التى لم يمتد اليها كرم كاتب الحسابات الحاتمى .

هذه هى الصورة التى عاشت عليها والدتى طول حياتها
الأولى فى الريف قبل أن تنتقل الأسرة الى القاهرة وهى فترة
استغرقت عشرين سنة على الأقل .. ويضاف اليها الانتقال
من بلد الى بلد التماسا لرزق أوسع وراتب اكبر .. فقد كبر
كاتب الحسابات وزادت مطامحه فكان كلما سمع عن وظيفة
أكثر قدرا أو أكثر راتبا تقدم لها ، ويظهر أن كتبة الحسابات
فى ذلك الوقت البعيد كانوا نادرين جدا ، أو أن والدى كان ممتازا
جدا فى عمله بحيث انه لم يشك فى يوم من الأيام من عدم وجود
العمل ، كما أنه لم يكن يتردد فى أن يترك العمل اذا لم يعجبه ..
ولقد كان يستقيل من عمله لأتفه الأسباب اذا تصور أن كبرياءه

مست أو أنه ليس محل الثقة الكاملة .. ولقد كنت وأنا صغير في السن أتميز غيظا وهو يقص علينا كيف خرج من هذا العمل أو ذاك لأن صاحب العمل راجعه في قوله .. أو لأنه قابله بغير الوجه الذي اعتاد أن يقابله به .

في دائرة عزيز باشا عزت

عمل والدي في كثير من التفاتيش الحكومية والأهلية .. ومن الأسماء التي لاتزال عالقة في ذهني بلدة « بشبيش » وكثيرا ما جاء ذكرها في أحاديث والدي ووالدتي .. ولكن القصة المستفيضة التي ظللت أسمعها منذ طفولتي المبكرة حتى آخر أيام حياة والدي هي قصة عمله كاتبا للحسابات في دائرة عزيز باشا عزت وما بلغه من المكانة في هذه الدائرة ومن الحظوة عند عزيز عزت .

ولقد بدأ والدي كاتبا عاديا أو ممتازا للحسابات ولعل راتبه كان قد وصل في ذلك الوقت الى ستة أو سبعة جنيهات .. ثم اكتشف أن هناك في الدائرة قطعة كبيرة من الأرض البور فاقترح أن تستصلح هذه الأرض فقال الفنيون بعدم امكان استصلاحها ، فتطوع والدي بأن يقوم بالعمل اذا أعطى السلطة الكافية فمنحه عزيز عزت السلطة اللازمة فكتب الى التفاتيش المختلفة التي تتبع الدائرة يطلب أن ترسل لهذه المنطقة بعض المواشي ، فتجمع له اربعون زوجا من الثيران وفحول الجاموس والأدوات والرجال اللازمون للعمل ثم راح يعمل بهمة لا تعرف الكلل ، فان هو الا شهران حتى استطاع أن يستصلح مائتي فدان على ما أذكر تقدم الفلاحون لاستئجارها بأربعة جنيهات للفدان .. ونجحت المحاولة بذلك نجاحا منقطع النظير .. فرأى

عزيز عزت ان يكافىء والدى على هذا النجاح ففرض عليه ان يزيد فى راتبه بضعة جنيهات أو أن يستصحبه معه الى استنبول عاصمة السلطنة لمشاهدتها .. فاختار والدى السفر الى استنبول وقد كان السفر اليها فى ذلك الوقت بمثابة السفر الى امريكا هذه الايام حلما يخالج الكثيرين فى أحلامهم .

وسافر والدى الى استنبول فى ركاب عزيز عزت .. وقد ملأت هذه السفرة ما بقى من حياته التى استمرت اربعين سنة بعد ذلك التاريخ .. ولقد شببنا جميعا نسمع أقاصيص والدى فى خلال رحلته الى استنبول .. ولم يكن هناك سبيل لادخال السعادة على نفسه أكثر من ان نطلب منه ان يحدثنا عن رحلته الى استنبول .. ولقد كنت وانا فى اول شبابى استهجن هذه الحكايات التى سمعتها أكثر من مرة .. ولكنى بعد أن كبرت لم يكن هناك ما يسعدنى أكثر من ان اجلس اليه ثم ادير الحديث حتى اصل الى بعض ما يؤدى الى استذكار حوادث استنبول ، ثم أطلب منه ان يقص علينا القصة . فتلمع عيناه وتشيع فى نفسه الغبطة والرضى ، ثم يشرع يقص وكأنه يقص للمرة الأولى فى حياته حوادث لم تطرق اسماعنا من قبل .

ولا عجب فى ذلك فقد كانت هذه الرحلة بالنسبة اليه فى شبابه المبكر قمة ما وصل اليه من النجاح .. فهذا الفلاح الصغير الذى خرج من كفر البطيخ ليعمل بمائتى قرش لاطعام أسرته الخاصة وأسرة والده .. قد وصل الى حد ان يسافر فى ركاب أحد الكبراء الى دار السعادة ويشاهد متاحفها وقصورها .. ويجالس الأتراك ويلمس مظاهر عظمتهم التى كان يتطلع المصريون فى ذلك الوقت لسماعها . والتقط والدى بضع كلمات تركية خلال رحلته فكانت مما يترنم به من حين لآخر .

وعندما يقص قصصه يتوبلها بهذه الكلمات التركية فتجعل لقصته رونقا .

استقالة لها دوى المدافع

وعاد أخيرا من استنبول فى ركاب الباشا الكبير فوجد موظفى الدائرة جميعا وقد قلبوا له ظهر المجن ، فقد اشفقوا على أنفسهم ، من الحظوة التى نالها والنجاح الذى حققه باصلاح المائتى فدان مع انه ليس الا كاتب حسابات ، وقد كان اولى بهذا العمل نظار الزراعة ومأموروها من الفنيين .. كان أولى به المفتشون ووكيل الدائرة الكبيرة ، ولذلك فقد اتحد الجميع على النيل من والدى والدس له عند عزيز عزت .. كان مما فعلوه أن كتبوا تقريرا يظهرون به أخطاء عملية الاصلاح وانه ترتب عليها هلاك عشرة أزواج من المواشى وهزل باقى مواشى الدائرة ، وأن عملية الاصلاح قد انتهت الى اصلاح مائتى فدان فقط لا الف فدان .. وصوروا العملية على أنها كانت عملية فاشلة نتيجة تصدى رجل غير مختص . واسرفوا فى اظهار ما أصاب المواشى بعد كارثة موت عشرة أزواج وهزال الباقى وتشرافه على الموت ..

ويقول والدى انه دعى ذات يوم ليقابل الباشا فدخل عليه فالفاه متجهما ، وبادره بالقول بأنه قد ظهر له (أى الباشا) أنه تسرع فى مكافأته على ما قام به من عمل ، فقد ماتت المواشى ، والحى منها فى طريقه الى الموت ، وأن هذا العمل كان تدخلا من كاتب الحسابات فيما لا يعنيه .. وانه وضع نفسه فى غير محلها وكان والدى يذكر حتى آخر لحظة من حياته كيف رد على عزيز عزت .. وكان يذكر حتى الاشارة والايماءة ويحس بذات الانفعال الذى احس به ساعتئذ وكيف عزت عليه نفسه الى درجة انه كاد ان يسب هذا الباشا الذى اظهر كل هذا الغباء ..

ولكنه تمالك نفسه ، وقال لسعادته فى هدوء .. ان هذه العشرة أزواج من المواشى التى قيل انها هلكت انما ذبحتها بنفسى وبعت للفلاحين بنصف سعرها الأصلى ، وعلى ذلك لايمكن أن تعتبر هالكة .. أما القول بان باقى المواشى قد ذبل بعد عملية الاصلاح .. فاصلاحه سهل ميسور وموسم واحد تأكل فيه المواشى جيدا يزول اثر المجهود الذى بذلته .. وفى مقابل ذلك اصلحت مائتى فدان دفع الفلاحون ايجارها أى ثمانمائة جنيه وستظل الدائرة تتقاضى هذا المبلغ الى ما شاء الله .. اى أن الباشا يحاسبنى على أننى أضعت على الدائرة مائة جنيه ، فى ثمن المواشى فى مقابل ثمانمائة جنيه ثابتة كل عام ، ولست اتصور كيف يكون ذلك محل اتهام او محل غضب »

واسرع عزيز عزت وقد تجلت له هذه الحقائق يصلح من مركزه فيقول انا لست غاضبا ، وانما أردت أن ألفت نظرك الى ان يكون عملك برفق وهوادة وفى حدود المعقول .. فقال والدى هذا ما سأحاول ان أعمله ان شاء الله ولكن فى مكان آخر غير هذا المكان ، لأنى ارجو أن تعتبرنى يا باشا مستقيلا .. وصدق عزيز عزت ان يتجرأ هذا الكاتب الصغير على أن يتحداه بهذا الأسلوب ويتحدث عن الاستقالة فانفجر غاضبا ساخطا ، وطلب من والدى أن يسحب هذه الكلمة وأن يعتذر عنها ، ولكن الكاتب الصغير أصر على موقفه .. وقال للباشا انى مقدر لسعادتك كل عطفك وجميلك وأياديك على ، ولكننى كنت اعمل حتى الآن منطلقا فى ظل الاعتقاد أننى حائز على ثقة الباشا .. أما وقد تبين لى اننى قد أفقد هذه الثقة فى أى لحظة لدس دساس او خديعة حاسد موتور فاننى لن أستطيع أن أبقى فى هذا الجو والمحيط .. قال ذلك وحيا الباشا وانصرف .

وعبثا حاول بعض الوسطاء أن يؤثروا عليه ليعدل عن استقالته التى اصر عليها اصرارا عجيبا كنت كما قدمت الومه عليه .. ولكنه كان يظهر اعتزازه بهذا الموقف .

ولست أستطيع أن اتتبع وظائفه التى انتقل اليها بعد ذلك .. ولكن قصة اخرى لا أستطيع أن أغفلها لكثرة ما قيلت أمامى ولأنها تحدد تماما صورة والدى .

فى دائرة كمال الدين حسين بنجع حمادى

ولقد وقعت هذه القصة أثناء هذه الفتنة التى نجح الأعداء فى اشعالها بين المسلمين والأقباط ليتمكنوا من توطيد استعمارهم فى البلاد .. فعقدت هذه المؤتمرات التى الف الأقباط فيها جبهة .. وعقد المسلمون مؤتمرا معارضا مؤلفين جبهة ثانية .

وفى ذلك الوقت اختير والدى باعتباره مسلما ليكون باشكاتبا فى تفتيش الأمير كمال الدين حسين فى نجع حمادى ، وقد كانت هذه أول مرة يرقى فيها الى مرتبة الباشكاتب واول مرة يذهب فيها باشكاتب مسلم . ولقد ذهب والدى مستصحبا أسرته وفى نفسه آمال عريضة وعزم وطيد على أن يبنى مستقبله الذى يتناسب مع مواهبه ونشاطه واقتداره ، ولقد اشترط قبل سفره أن يعطى سلطة مطلقة فمنحه اياها مفتش الدائرة التركى ، ولكن الخلافات الطائفية كانت على أشدها فى هذه الفترة كما قدمنا ، ولذلك فقد فوجىء والدى بمجرد ذهابه الى مقر عمله بمقاطعة كل موظفى التفتيش له وقد كانت جمهرتهم الكبرى من الأقباط .

يقول والدى لم ينهض أحد للسلام عليه أو استقباله ، وعندما وصل الى مقر التفتيش فى اليوم التالى لاستلام العمل

وجده قاعا صفصفا الا من بعض الفراشين والخدم ، سأل عن الموظفين .. عن شعبة الحسابات .. وعن المخزنجى فقيل له انهم مشغولون بسوق البلدة وان عادتهم يوم السوق أن يحضروا متأخرين أو لا يحضروا على الاطلاق .. فى هذا اليوم .

وتكرر الحادث فى اليوم التالى ، وهنا راى الباشكاتب الجديد ان الأمر يحتاج الى حزم شديد ، فكتب اعلانا يحتم فيه على جميع الموظفين ان يكونوا موجودين فى مكاتبهم الساعة الثامنة صباحا ، ومن يتأخر عن الموعد يخصم منه مرتب اليوم ، فاذا تكرر غيابه يخصم أسبوع من مرتبه .. فاذا غاب بعد ذلك يفصل من العمل فورا .

ودهش الموظفون لهذه اللهجة التى يخاطبهم بها الباشكاتب فلم يسبق لهم أن سمعوا من قبل مثل هذا الخطاب الصارم وبدأوا يتراجعون عن موقفهم بعض الشىء ، فانتظم بعضهم فى العمل ولكن البعض الآخر رأى أن يمضى فى التحدى حتى النهاية ، والمسألة عندهم لم تزد على حرب الأعصاب فى تصورهم .

وطبق الباشكاتب الجزاء على من تأخروا اول مرة فكتب قرارا بخصم يوم من راتبهم وعهد به الى كاتب الحسابات للعمل به عند صرف المرتبات .. حاول الكاتب ان يلتمس العذر للمتأخرين ويطلب السماح عنهم ، ولكن الباشكاتب أصر .. ومضى المتخلفون فى مناوراتهم فعادوا للتأخر فكتب قرار خصم الأسبوع من مرتباتهم .. وجاء كاتب الحسابات ومعه بعض زملائه يبينون للباشكاتب خطورة هذه السياسة المنطوية فى نظرهم على التحدى .. والمسألة يجب أن تكون مسألة تعاون .. فرد عليهم الباشكاتب بأنهم يجب ان يقولوا ذلك لزملائهم ، فهو لا يعرف لماذا يخاصمونه ولماذا لا يرغبون فى التعاون معه ؟ .. وسألهم

فى اى عمـل يجوز للموظفـين أن ينصبوا للعمل وقتمـا يشاءون ويخرجوا منه عندما يريدون .. فقالوا له عشنا على ذلك طول السنين .. فقال لهم لا أظن ذلك .. وحتى لو كانت هذه طريقة من سبقونى فانهـا ليست طريقتى .. قد يسمح رئيس العمـل غير الشريف لموظفيه بالتهاون فى عملهم أما الموظف المستقيم الذى يعرف واجبه فلا يسمح بهذا العبث .. ولم يقتنع القوم بهذا الذى قيل ، ولمـا كان موعد تنفيذ عقوبة الخصـم من الراتب لم يحن بعد .. فقد مضى النفر الذى أخذ على عاتقه ازعـاج هذا الباشكاتب المسلم الجديد فى الاخـلال بالأوامر فتخلف واحد منهم عن الحضور فى المواعيد المقررة عمدا .. فما كان من الباشكاتب الا أن أرسـل الى مقر الدائرة فى القـاهرة يطلب فصـل هذا الموظف وأن يجاب طلبه فورا ليستطيع مزاولة عمله واقرار النظـام فى التفتيش .. وفوجىء الموظفون بقرار الفصـل يأتى من القـاهرة لهذا الموظف المخالف .. وكان ذلك آخر ما يتصـوره القوم ، فالمسألة اذن جد لا هزل .. وهذا الباشكاتب لم يلق بالا لهذا الجو الذى بدأ يحيط به ، وفى خـلال هذه الفترة كان قد بدأ يطلع على الدفـاتر وعلى الحسابات ويكتشف اختلاسـات وأموالا ضائعـة .. واهمـالا شديدا عـاد على الدائرة بأكبر الخسـائر .. ومرة اخرى دعـا الباشكاتب الموظفين .. وأراهم هذا الذى اكتشفه فى الدفـاتر وأنه لن يسمـح باستمرار هذا العبث .. وانه اذا كان سيتغاضى عن الأشياء المـاضية التى سبقت حضـوره ، فهو لن يتسامح مع أى أحد كان ابتداء من السـاعة التى أصبح فيهـا مسـئولا عن العمل ، لا تهاون ولا اختلاسـات ولا استغلالا للنفوذ .. ومرة أخرى شعر الجميع بأن الجو أصبح خانقا وأن هـذا الباشكاتب لا يحتمل ويجب التخلص منه بأى شكل من الأشكال .

شرك الجنيهات الذهبية

وفى يوم جمعة وكان الباشكاتب فى بيته طلب أحد الناس أن يقابله فاستقبله ، وكان القادم يريد الالتحاق بوظيفة راتبها مائة وخمسون قرشا فى الشهر وتعجب والدى أن يجيئه الشخص فى البيت يوم الجمعة وأحس أن فى الأمر شيئا .. وفى هذه الأثناء كان أخى محمد ـ وكان لايزال صغيرا فى ذلك الوقت ـ قد دخل الى الحجرة يلعب .. فاذا بالرجل يعطيه فى يده قرطاسا من الورق فأخذه والدى من يده فوجده ثقيلا بعض الشىء ولما فتحه اذا به يكتشف ان هذا القرطاس لا يحوى أقل من ١٢ جنيها ذهبيا فسأل الرجل عن معنى هذا فقال له هذه هدية صغيرة للمحروس وبنا يعمر بيتك ما أنت حتعمر بيتنا ، قال له ولكن الوظيفة التى تطلبها بمائة وخمسين قرشا أى ان هذا المبلغ هو راتب تسع شهور تقريبا ، فأجاب الرجل هذا كله فضلة خيرك ، وسكت والدى قليلا واطرق مفكرا ثم سأل الرجل الك اقارب يعملون فى التفتيش ؟ قال نعم أنا ابن عم فلان ، فقال والدى خذ نقودك اولا وان شاء الله يكون خيرا ، وخرج الرجل مسرورا ومغتبطا .

وفى اليوم التالى جمع والدى الموظفين واخبرهم بانه قد ارسل الى مصر يطلب فصل (فلان) بالتلغراف وقص عليهم ما حدث بالأمس وان امثال هذه الالاعيب لا تجوز عليه وهو لايمكن أن يرتشى .. وعبثا يحاول الموظف المفصول ان يتنصل من الموضوع وأن يقسم بأن لا علم له به ولا دخل له فيه .. وتحولت المسألة عند هذا القدر الى مسألة حياة أو موت بين الموظفين وكانت اغلبيتهم من الأقباط .. فارسلوا الشكاوى تترى عن هذا الباشكاتب ، وفى هذه الأثناء كان المفتش التركى الذى عين والدى واعطاه السلطة المطلقة قد حل محله مفتش مسيحى

جديد .. وكانت زيارة واحدة من هذا المفتش للتفتيش كافية لأن تجعل والدى يدرك أنه لن يكون باستطاعته أن يواصل عمله فى الحدود التى رسمها لنفسه ، ولذلك فقد أسرع الى القاهرة وقدم استقالته ، ومرة أخرى حاولوا عبثا أن يثنوه عنها وأنه ما عليه الا الا يكون جامدا أو متزمتا -- وان يكون مرنا بعض الشيء ومجبوحا .. وقد كانت هذه آخر خلة يمكن أن يوجد فيها ذرة واحدة فى خلق الرجل ، ولذلك فقد طويت صفحة تجع حماتى عند هذا القدر .

فى المعية السنية

وتنقل والدى على ما أذكر فى بضعة أعمال أخرى كان من بينها مجلس مديرية الغربية . وفى هذه الأثناء كان قدتعرف على موظف كبير فى ديوان السلطان الذى كان يطلق عليه فى ذلك الوقت « المعية » وكان هذا الموظف الكبير يسمى محمود بك محمد وهو رئيس الادارة الغربية على ما أذكر ، وقد أحب فى والدى اخلاصه فى العمل ونشاطه وغيرته وخلقه القوى فرجاه والدى ان يوجد له عملا فى السراى ووعده الرجل خيرا .. وجاءت فرصته عندما احتاجوا الى كاتب حسابات فقال لهم محمود بك محمد عندى لكم القوى الأمين ، واصبح محمود أفندى حسين كاتب حسابات فى المعية ، وهكذا وصل هذا الريفى الذى خرج من كفر البطيخ الى أن يكون موظفا فى المعية اى فى ارقى بيئة فى مصر .. واصبح يتعامل مع الباشوات والكبراء الذين رضوا كل الرضا عن محمود أفندى .

وكان طبيعيا أن يصبح مقر محمود أفندى مدينة القاهرة وأن يسعى اول ما يسعى أن يكون له بيت يملكه ، وقد كانت البيوت وملكية البيوت هى اعظم ما ترنو اليه نفسه منذ غادر بلدته حتى

آخر يوم فى حياته ، ومع ذلك فقد قدر له أن يخرج من الدنيـا وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا .

اشترى محمود افندى هـذا البيت فى حـارة الجمالة بثمانين من الجنيهـات جمعها من كده وتعبه طوال سنوات .

ففى خـلال هذه المدة كان أبوه قد مات وكذلك أمه ولم يعد يرسل القسـم الأكبر من راتبـه الى أسرته فى البلد كمـا كان يفعل .. وارتفع راتبـه هى هذه الأثنـاء ولعله كان يتقاضى فى المدة خمسة عشر جنيها كل شهر على وجه التقريب .

ولذلك فقد اشترى البيت وهو مؤلف من ثلاثة ادوار الدور الأرضى وهو عبـارة عن حوش وبه حجرتان أو بالأحرى (مندرتان) ثم دور أول يتالف من (فسحة) وثلاث حجرات ، ثم دور أعلى على غرار الدور الأول وسطح ومازلت أذكر كيف كان سطوح هذا البيت متصـلا بسطوح البيت المجاور ولم يكن له دائر يحيط به وكيف أجرى والدى بمجرد شراء البيت عمـارة به فانتزع بلاط الحوش القديم (المصرانى) وجيء ببلاط جميل ملون من الأسمنت و « بلط » السـطوح وبنى له دائرا فاصبح مصيفا جميـلا ننـام فيه أيام الصيف فى الليـالى المقمرة وكان ذلك من أعظم المتع .

وطلى البيت بالزيت وادخل اليه المـاء وهكذا أصبح جميـلا نظيفا ولكنه لايزال فى حارة الجمالة ، على أن وجوده فى حـارة الجمالة فى الواقع ميزة من أكبر المزايـا فلو كان هذا البيت فى غير هذه الحـارة لمـا كانت له كل هـذه الشـهرة وهذا التفوق .. ولو كان محمود افندى حسين يسـكن فى غير حارة الجمالة لمـا كان له كل هذا الخطر فى روحته وجيئته ولمـا كان بيت الأفندى احد المعالم الثلاثة فى حارة الجمالة .

ونصل الآن الى المكان الأشهر فى الحارة ذلك الذى سميت باسمه نصل الى حوش الجمالة ولابد انه كان اقدم مكان فى هذه الحارة وأنها تأسست من بعده وحوله .

ان هذه المنطقة تقع كما قدمت فيما يسمى جبل طولون ولابد ان للجمالة والجمال كان لهم صولة وجولة فى الزمن القديم فكان هذا (الحوش) مركزا للالتقاء والسكنى والتخزين ، ولكن عندما يبدأ تاريخنا هنا لم يكن هذا الحوش مسكنا للجمالة ولكن كان مسكنا لعمال قطع الأحجار (الدباشة) وكانت العربات التى تخزن به هى عربات الدبش ، وكان سكان هذا الحوش الكبير هم من عمال الدبش والحجارة على عكس باقى سكان الحارة والذين كانوا من صغار الموظفين أو صغار التجار وكبار الأسطوات .. فكان هذا القسم والحالة هذه يعتبر منطقة حراما بالنسبة للأولاد الصغار لم يكن يسمح لنا أن نختلط بأولاد الحوش ولا ان نشاطرهم الألعاب .. ان فى باقى أولاد الحارة من يصح الاختلاط بهم (مع الاحتياط) واما الحوش والاقتراب من الحوش فقد كان مبعث رعب شديد مما يقال حوله من اشاعات وعن نوع سكانه .. وهو مبعث رعب من ناحية العقاب الذى يحل بنا من الأسرة اذا نحن اقتربنا منه فضلا عن الدخول اليه والامتزاج بسكانه .

ولكنى مع ذلك غامرت أكثر من مرة بالدخول الى ما وراء هذا الستار الحديدى ومازالت ذاكرتى تحفظ من هذه المغامرات صورتين واضحتين كل الوضوح . أما الصورة الأولى فلعب أطفال الحوش بعمل عربات صغيرة من الصفيح على صورة عربات الدبش الكبرى ، ثم يربطون بهذه العربات كلابا كأنها الخيول أو البغال التى تجر العربات بأنواع مختلفة من الدبش وقطع الفخار الأحمر على غرار أنواع الأحجار المختلفة التى يتعامل

فيها آباؤهم .. ومازلت اذكر حتى الآن الانفعال الشديد الذى احسست به وانا ارى الأولاد يلعبون بهذه الدمية الحية وشديد رغبتى فى ان تكون لى عربة من هذه العربات يجرها كلب .. ولكن لم اجرؤ على الوصول الى هذه الدرجة فاكتفيت بالمراقبة وبالعدو مع الأولاد من حول هذه العربات داخل الحوش العظيم .

اما الصورة الثانية عن مغامرتى داخل هذا الحوش والتى لاتزال محفورة فى ذهنى كذلك فصورة زار اقامه الأولاد والفتيات على غرار حفلات الزار الكبرى .

وفى هذه الحفلة تطورت فى الاجتراء ودخلت بيتا من البيوت حيث كانت تقام هذه الحفلة .. واقيم الكرسى واحضر الأولاد حمصا وفولا سودانيا وبعض الملبس (الأرواح) ووضعوه فوق الكرسى قياسا على كرسى الزار الذى يحمل كل انواع المكسرات والفواكه .. وبدأت الطبول تدق والصبيان والفتيات يرقصن رقصة الزار (يفأروا) وفى هذا الجو الصاخب احسست اننى تماديت فى الاجتراء على مخالفة القوانين فانسحبت من الحفلة خائفا مذعورا .. ولست أذكر الآن اذا كنت قد عوقبت على الاجتراء أم لا من والدتى .. ولكن الذى اذكره .. اننى لم اعد الى هذا الحوش بعد ذلك ولعل مرجع ذلك الى اننى كبرت فى السن ... او لأننى بدأت اتصل بالعالم الخارجى .. خارج حدود الحارة .. فقد كان التطور يقتضى أن انقل الى مدرسة اولية .. وتقع هذه المدرسة خارج نطاق الحارة والمنطقة التى تجاورها .. ولعلها تقع فى شارع طولون الأصلى .. على أية حال لاتزال هذه المدرسة هناك .. وباتصالى بهذه المدرسة انفصلت عن اولاد الكتاب وبيئة الكتاب واصبحت ارتدى بدلة بدلا من الجلباب فى الكتاب .. ولابد ان لذلك تاثيرا فى عدم ترددى على حوش الجمالة .

فى المدرسة الأولية

ليس هناك ما يتصل فى ذاكرتى من أيامى فى هذه المدرسة الا ما يتصل بالمأكولات الشهية والحلوى التى كنت أحصل عليها بمصروف اليومى أثناء ذهابى الى المدرسة أو بعد خروجى منها او فى وقت الفسحة فى الظهر .

كان مصروف اليومى مليما .. وقد كان هذا المليم له قوة شرائية عجيبة لا نتخيلها هذه الأيام .

كان هناك أمام المدرسة دكان يبيع (السجق المحمر والكبدة والفشة وكل متعلقات الخروف) .. وكنت أقف أمام دكان الرجل وهو يحمر قطعة السجق الخاصة بى والتى قد تكون أحيانا بنصف مليم .. وأحيانا بمليم كامل فتكون كبيرة الحجم . ومازال منظر صينية الكبدة والدهن سائل بها وهو يفرقع ويطشطش فوق النار .. لايزال منظر الرجل وهو يقذف بقطعة السجق فى هذا السائل الدهنى الحار فلا تكاد توضع به حتى تنبعث منها رائحة زكية مع تطاير رشاش الدهن .. لاتزال هذه الصورة منطبعة فى ذهنى كأحلى ما يوجد فى ذهن الانسان من ذكريات .

وكان هناك (الكسكسى) الذى يمكن الحصول على طبق منه بنصف مليم أو طبق بمليم كامل .. وهو بدوره طبق فاخر كان يخفق له الفؤاد . أو طبق من (الكشرى) ، هذا الأرز والعدس (ابو جبة) والذى لا يستكمل طعمه الجميل الا بعد أن نغرقه بماء الشطة (الدقة) ، وهناك سيدة الجميع « البسبوسة » وكانت السعادة الكبرى هى الحصول على قطعة منها .. ونقف مرة أخرى أمام صينية الرجل ، حيث يقطع

بسكينته قطعة صغيرة وفوقها .. (لوزة) ولكنهـا لا تأخذ أبهتها وجمالها الا بعد ان تحمر في السـمن وبعد أن يرجوه أن يغرقهـا بالسمـن .

وكانت هنـاك البليلة .. بليلة الذرة لا بليلة القمح .. وكان هنـاك دكان آخر يبيـع الحـلوى والملبس والأرواح وكان أجمـل ما يستهوينا .. نوع من الحـلوى في حجم الريال يلصـق على شريط من الورق ويسـمى « خد البنت » وحلوى براغيث الســت وكان هناك « العلى لوز ».

وكانت هنـاك الدندورمة المصنوعـة من اللبن الحليب .. وكانت لا تكاد العربة تظهر حتى نحيط بها ونصعد على عجلاتها في انتظار ما اشتريناه ، وكان هنـاك غزل البنـات وكان مشهد الآلة وهي تصنعه أمامنـا احـدى متع الطفولـة .. (ولايزال ممتعـا حتى الآن) .

وكان هنـاك صنفان من الحـلوى لايثيران الاهتمـام أمـام المدرسة لأنهما كانتا مألوفتين في داخل حارة الجمالة .. وتلك هي « حلاوة زمان يا عنبر » ، وهي هذه الحـلوى التي يلفها الرجل على عصـا طويلة وفي آخر العصـا (شخشيخة) فقد كان باعتها يرتادون أصـغر الأزقـة ، واما النوع الثـاني فهو ما يسـمونه (بسكويت بنيليا) وهو بسكويت رقيق يصنع على صـورة قرطاس الورق .. وهذا أيضـا كان باعته يتدفقون الى حارة الجمالة .

ولذلك فلم يكونا يقارنان بهذه الأصناف الفاخرة التي ذكرتها لك .. والتي كانت تجعل الذهاب الى المدرسـة متعة المتع لأنها السبيل الى تمكيني من الاتصـال بهذا العـالم الزاخر بكل هذه الحلوى والمـأكولات .

هذا هو كل ما تحفظه ذاكرتي عن أيامي في المدرسة الأولية مضافة الى هذا الحادث الآخر الذي اوشكت صورته أن تمحى من ذاكرتي .

ها نحن نقف في الطابور في حوش المدرسة .. وهذا واحد يخرجني من الصف .. وغمغمات عطف .. وحديث عن مرض في عيني .. وعدت الى البيت ولقد كنت فرحا لرجوعي الى البيت .. ويظهر انني كنت مصابا برمد صديدي في عيني .. فقد بقيت بعد ذلك في البيت أعالج من هذا المرض ولازلت اذكر (ماء البوريك) وصورة الزجاجة التي تحمله .. وتنتهي الصورة عند هذا القدر .. وعندما شفيت لم أرجع الى هذه المدرسة ولكنني أدخلت الى مدرسة أخرى هي مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وهي تقع في درب الجماميز .. وذهابي الى هذه المدرسة الأخيرة كان يخرج بي من الحارة ومن الحي ويلقي بي في أحضان القاهرة ، ولذلك فان التاريخ يوشك ان يتسق وتبدأ معالم ايام الدراسة في الظهور ، ولذلك فقبل أن نمضي في هذا القسم من ذكرياتنا المرتبة والمتسقة .. فلنرجع ثانية الى مرحلة الطفولة الأولى ولنحفر في أعماق الذكريات .. عن صور لاتزال باقية في الذاكرة .. فان كل صورة من هذه الصور تتصل بشيء يلقي الضوء على سرد الحوادث فيما بعد .

ابو شنب

من العبث ان نتحدث عن ذكريات حارة الجمالة وما يتصل بها دون أن أذكر أحد الأسماء الداوية الذي كان يتردد في كل يوم عشر مرات ، وذلك هو ابو شنب (الزيات) أو باللغة المصرية (البقال) كان دكانه في الشارع العمومي الذي تبدأ منه الحارة وكان يقع في مواجهة هذا المدخل .. ولما لم يكن

فى بيتنا خادم بطبيعة الحال فقد كنت أنا فى طفولتى الوسيلة الوحيدة للحصول على حاجيات البيت من هذا الدكان ، وخاصة الفول المدمس فى الصباح ، وكان الزحام يشتد ولكن ابن الأفندى كان يجد دائما رعاية خاصة ، ليحصل على نصيبه من الفول فى (السلطانية) ويعود .. حاملا السلطانية طوال حارة الجمالة .

وفى خلال النهار قد يتردد مرتين أو ثلاثا على أبى شنب ، وكانت هذه هى نهاية الدنيا بالنسبة له .

قد كان ابو شنب فى الطريق العام ولا ينبغى التجاوز يمينا او شمالا باى حال من الأحوال .. وكان ابن الافندى يسير فى الحارة وهى هادئة حتى اذا اقترب من دكان ابى شنب تجلت الحياة ، كما لو كانت بحرا متلاطم الأمواج فتدب القشعريرة الى نفس الطفل الصغير فلا يكاد يحصل على مطلوبه حتى يسرع الى الحارة الى دار الأمان .

حسن الطباخ

واذا كان اسم ابى شنب يدوى فى الحارة باعتباره زيات المنطقة المشهور ، فقد كان هناك اسم آخر لا يقل شهرة ويذكر من حين لآخر بشتى المناسبات وذلك هو اسم حسن الطباخ فتوة طولون .

كان اسمه يتردد باعتباره بطل طولون وحامى حماه .. ان مجرد ذكر اسمه يجعل الفرائص ترتعد ولكن لا على أبناء طولون أن يخافوا منه فهو فتوة طولون ولايمكن ان يعتدى على أحد من طولون .. لأن أحدا لا يفكر فى طولون ان يعتدى عليه .. لقد بايعه الحى على الزعامة والقيادة فاصبح مسموع الكلمة

مهيب الجانب .. وغنى عن البيان انني لم أر حسن الطباخ هذا إبدا وقد اكون رأيته مرة ، لكن اسمه كان يتردد كما تلمث على السنة الأطفال .. كما يذكر فى البيت أحيانا على سبيل الاستهجان ، ونموذج للأشرار الذى لا ينبغى على أن أتصف بصفاتهم .

ولكن حسن الطباخ بالرغم من ذلك كله كان له دوى فى هذه الفترة من حياتنا ..

ومازلت أذكر كيف عدت فى يوم من الأيام من المدرسة فاذا بى أرى الحى قائما على ساق وقدم .. ووقع نظرى على بعض الأشخاص فى طريقى يسيل الدم من رؤوسهم .. ووجدت بقعا من الدم على الأرض فى مكان آخر .. وعلى الوجوه اكفهرار وفى الجو سحاب وضباب ، وسألت الناس ماذا حدث واذا بى أعلم أن فتوات الحسينية أو المذبح لا أذكر الآن جيدا .. كانوا فى صراع مع فتوات طولون فوق الجبل وانهم تقاذفوا بالطوب بواسطة (المقاليع) واستطاع فتوات طولون أن يهزموا فتوات المذبح فهربوا من الجبل وفتوات طولون فى اقفيتهم فاعتدى فتوات المذبح فى أثناء هزيمتهم ومرورهم فى شوارع الحى على (السكان المدنيين) . وكان الجميع يبدون اشمئزازهم واستنكارهم لهذا الخروج على قواعد (الفتونة) فالمبارزة بين الفتوات فى الجبل فى مواجهة الفتوات المتبارزين ، أما أن يعتدى على المارة وعلى السكان الآمنين .. فليس هذا من الرجولة فى شىء ولا من الشهامة فى شىء .. وكانت الكلمة التى تجرى على الأفواه هى ضرورة الانتقام .. وكان السؤال الذى يسأله كل انسان فى الحى وماذا فعل حسن الطباخ .. وأين كان حسن الطباخ .

وعلى ذكر المبارزات في الجبل فانه يخيل الى أن طفولتى قد تأثرت الى حد كبير بهذه البيئة فى طولون ، فقد كان أعظم ما أصبو اليه بعد أن كبرت قليلا أى فى سن السابعه والثامنة ان أتسلل مع ابن عمى عبد الحميد حسنى لنصعد الى هذه التلال المحيطة بنا ٠٠ ولقد كانت رياضة من أجمل الرياضات أن نتسلق هذه القمم من تل الى تل ٠٠ ولقد كانت هذه التلال تبدو لنا فى ذلك الوقت أنها قمم مرتفعة شامخة الارتفاع ٠٠ كانت تبدو بالنسبة لطفولتنا كما لو كانت قمة أحد جبال الهملايا ٠٠ وكنا نقدم على تسلقها بنفس الروح التى سنتسلق بها أعظم القمم فى العالم ٠٠ فقد كانت مغامرة وكانت مخاطرة ٠٠ ولكننا كنا نقدم عليها شـاعرين لذلك بلذة لا تعدلها لذة ٠

وأذكر أننا ذهبنا مع صبيان الحارة فى مرة من المرات وكانوا سـيقلدون الفتوات الكبار فى المبـارزة فوق الجبـل بالتقـاذف بالأحجـار .. ومازلت أذكر كيف تتبعت هؤلاء الغلمـان عن بعد فقد كانوا جميعـا من أبنـاء حوش الحمالة وكنت مأخوذا ومعجبا بالطريقة التى كانوا يقذفون بها الأحجار وقطع (الشقافة) والتى كانت تطير فى السـماء حتى لا تكاد العين تراها ٠٠ وقد حاولت ان أتقدمهم واقذف الأحجار الى مدى بعيد فلم أوفق ٠

على أننى كنت أعود دائما من جولاتى فى هذا الجبل وأنـا شـديد الاعتزاز والثقة بالنفس لقدرتى على السير فى هذه الأماكن (المقطوعة) وتسلق الجبال والنزول منها بسرعة ٠٠ وكنت أرى بعد أن دخلت المدرسة الابتدائية ان هذه نقطـة امتياز لا تتوافر لهؤلاء الطلاب الصغار الذين كانوا لا يعرفون شيئا عن هذه الحياة التى نحياها فى طولون ٠

الله حى عباس جى

وهذه صورة أخرى حية من صور حارة الجمالة ولعلها الصورة الوحيدة التى كتبت عنها بعد أن كبرت وبدأت جهاد مصر الفتاة فى عام ١٩٣٥ كتبت فى مجلة الصرخة لسان حال مصر الفتاة مقالا تحدثت فيه عن هذه الصورة الحية من ذكريات الطفولة .. صورة الشيخ على وسيفه الخشبى .

والشيخ على رجل مجذوب على وجه التحقيق كما بدا لى بعد أن شاهدت الرجل وبعد أن كبرت فى السن وكان لايزال باقيا على قيد الحياة ..

ورأيت فى عينيه ما يدل على حالته العقلية غير الطبيعية .. ولعل هذه الحالة غير الطبيعية هى التى أنقذته من القبض والاعتقال والا فقد كان يقول أقوالا خطرة ويدربنا نحن الاطفال على تمرينات وطنيـة كبرى ..

من يدرى اذا كان كفاحى ضد الانجليز طول حياتى .. لم يكن نتيجة تعاليم هذا المجذوب .

كان يرتدى جلبـابا وعمامـة وفى رقبته بعض المسابح وفى يده سيف خشبى وفى اليد الثانية بوق ينفخ فيه اذا ما حل بالحارة فتتجمع حوله الاطفال والصبيان .. ولو دوى ببوقه فى نصف الليل لتركنا أسرتنا وهرعنا اليه .. ولو حال أباؤنا شدننا لملأنا البيت عويلا وبكاء .

كانت صيحة البوق « تو تو تو .. تو » نداء لا يمكن أن يقاوم .. ولا يكاد يدوى النفير حتى يلتف الصبيان ويرددوا على

صيحة البوق بقولهم : « صلوا على النبي » وتبدأ القصة بهذا الأسلوب الشيخ على يدوى بنفيره « تو تو .. تو تو » والصبيان يردون « صلوا على النبي » حتى اذا اجتمع الشمل وتكامل العدد . بدأ الشيخ على يجرى ونحن نجرى خلفه هاتفين مع هتافه « الله حى .. عباس جى » « الله حى .. عباس جى » ولم نكن نفهم من هو عباس هذا ، ولكن الصيحة كانت جميلة . الله حى عباس جى .. ومن الواضح الآن أن ذلك كان فى خلال فترة الحرب عندما حال الانجليز بين عباس وبين العودة الى مصر وعينوا السلطان حسين سلطانا على مصر .

ولقد حدث أن أرسلت تركيا حملة على مصر وكان معروفا ان الخديوى سيكون على رأسها عندما تدخل الى مصر .. ولابد ان صاحبنا الشيخ على كان يشير الى هذا المعنى وهو يحملنا على أن نردد معه « الله حى عباس جى » ولعلك تدرك الآن خطورة هذه الدعوة التى كان يدعو اليها الشيخ .. ولكنه كان مجذوبا وكان سيفه خشبيا .. وأتباعه من الأطفال .. ولذلك ترك وشأنه .. ترك يلقن الأطفال فى الحوارى والأزقة قصة الوطنية الخالصة ويغرس فى نفوسهم بذرة الحرب ضد الانجليز لتحرير البلاد .

كان هتافنا الثانى اذا فرغنا من أنشودة الله حى عباس جى .. « يا عزيز كبة تاخد الانجليز .. يا عزيز كبة تاخد الانجليز وعندما نصل الى هذا القدر نصيح جميعا بالشيخ على .. الحرب .. الحرب شيخ على عاوزين الحرب . وهنا تصل المظاهرة الى ذروتها .. وتصل الرواية الى عقدتها فنحن الصبية نمثل الانجليز فننقض على الشيخ على لنصرعه ، فاذا بالرجل ينفخ فى بوقه ويهجم علينا ملوحا بالسيف فى الهواء فنسقط جميعا على الأرض موتى . هكذا كانت بعض تعليمات الشيخ على .. يجب أن يقع الأولاد صرعى على الأرض

جميعا بمجرد أن ينفخ فى البوق ويلوح بالسيف لأن الانجليز يجب أن يموتوا عن بكرة أبيهم ..

وينهض الأولاد بعد ذلك فرحين بهذه الرواية ، ويسير خلف الشيخ على مرة أخرى مبتدئين بالبداية .. تو تو .. تو صلوا على النبى .. الله حى .. عباس جى . يا عزيز كبة تاخذ الانجليز ..

من هو الشيخ على هذا .. ما هو أصله .. ما هو مصيره .. لماذا أخذت هويته هذا اللون العجيب من قيادة الصبيان للهتاف لعباس الخديوى ولمحاربة الانجليز . كل هذه مسائل لم أشغل ذهنى فى ذلك الوقت بحلها لأنه لم يكن يقوى على مجرد التفكير فيها .. لقد تقبلت الظاهرة كما هى .. ولقد ظللت أرى الشيخ على بعد ان كبرت وحتى بعد أن غادرنا حارة الجمالة .. وانتقلنا الى الشوارع الخارجية .. اذكر أننى رأيته مرتين او ثلاثا يسير وحيدا فى بعض الطرقات العامة كدرب الجماميز أو شارع مراسينة، وكان بذات المنظر الجلباب والعمامة والسيف الخشبى والبوق النحاس .. فيستوقفنى لبعض لحظات ويهتف شىء فى أعماق قلبى « الشيخ على » ثم أنصرف عنه ساخرا بهذه الخزعبلات .. أما الآن وأنا فى سن الثانية والاربعين فانى أقف أمام هذه الشخصية ولا أستطيع الا ان اعترف لها بأنها غرست فى نفوسنا نحن الأطفال هذه الدعوة التى ما كان لآبائنا أو لمدارسنا أو للكتب أو الصحف أن تغرسها فى نفوسنا « يا عزيز كبة تاخذ الانجليز » .

حرامية وضباط

وثمة لعبة أخرى شغلت كثيرا من طفولتنا فى هذه الفترة هى لعبة « حرامية وضباط » واللعبة مشهورة وربما كان الأطفال يلعبونها حتى الآن .. ولكننا كنا نمارس هذه اللعبة بصورة عجيبة .. تبدو لى الآن فذة ومحيرة فلست أعرف كيف أتيح لنا ذلك ..

وميدان هذه اللعبة كان بعيدا عن حارة الجمالة ، كان خارج حارة الجمالة فى شارع العمرى وهى حارة صغيرة تتفرع منه تسمى « عطفة الريادة » وكان يقع على هذا الشارع بيت لعمى شقيق والدى وهو المرحوم اسماعيل حسين ٠٠ وكان يعمل فى وزارة الاشغال على ما اذكر ولكنه كان رجلا تقيا من المتمسكين باحكام الدين على طريقة أهل السنة (السكية) من أتباع الشيخ خطاب الكبير .. وكان الرجل بالرغم من وظيفته الصغيرة محترما وجادا فى الحياة حتى استطاع ان يبنى له بيتا خاصا به فى هذه المنطقة٠٠ وكان له ابن يسمى زكى فكنت أذهب لابن عمى لألعب معه وكانت منطقتهم تعتبر ارقى من منطقة حارة الجمالة وبها بيوت محترمة يسكنها بعض متوسطى الحال ٠٠ وكان ممن يسكنون فى هذه المنطقة الأستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وكان لا يزال شيخا فى ذلك الوقت يلبس العمامة وكان ممن يترددون عليه ويزورونه صاحبه الشيخ طه حسين ٠٠ وهذه معلومات لم اعرفها الا بعد ان كبرت بطبيعة الحال ٠٠ وكل الذى عرفته فى ذلك الوقت ان فى هذا البيت الكبير المواجه لبيت عمى سيدة تمت الى اسرتنا برابطة من نوع ما فتزورها والدتى من حين لآخر وازورها معها فكنت أرى بيتا جيدا وأثاثات فخمة تجعل قلبى يخفق ٠٠ وهذه هى السيدة التى تزوجها الشيخ أحمد حسن الزيات ولقد علمت بعد ان أصبحت رجلا أن طه حسين كان يتردد عليه ويجلس معه مع شلة من الأدباء فى صفرة هذا البيت وان أخا لى وهو التالى فى السن لى محمد الذى مات كان يتردد على هذا البيت ويحضر الندوات الأدبية التى كانت تعقد فى بيت الشيخ الزيات .. ويستمع لطه حسين ٠

هذا هو احد البيوت وهؤلاء سكانه ، حيث كنا نلعب لعبتنا التى اشرت اليها لعبة « الحرامية والضباط » ٠

نقطة العجب فى لعبة عسكر وحرامية ، أننا كنا نرتدى بعض الملابس العسكرية « جاكيتات » وكانت هذه الملابس محلاوة بالألوان الزاهيـة ، وعلى صـدرها أحيانا بعض النياشين .. وكنا نمسك سيوفا مصنوعة من الحديد على صورة صليبه ·· وكان أكثر اللعب بهذا الطراز من السيوف ولكن الامر وصل فى بعض الأحوال الى استعمال سيوف طبيعية او على الاقل (أجربة) السيوف الحقيقية ··

وكنا نقسم أنفسـنا الى فرق ودوريات والى رتب ، فهذا عسكرى ، وهذا ضابط وهذا قائد ·· ثم نرسـم خططا ، وانى لأتساءل الآن : من الذى كان ينفق على شراء هذه الملابس وهذه الأسلحة ؟ ملا أسـتطيع أن أعرف ·· ولم آكن اعرف فى ذلك الوقت ·· لقد كنا ندخل بيتا من البيوت فى هذه المنطقة ، وبعض من فيه من السكان يقسموننـا ويوزعون علينـا هذه الملابس ثم يجمعونها بعد انتهاء اللعب ·

ولقد فكرت على ما اذكر فى ذلك الوقت أن أعمل على الحصول على بعض هذه السـيوف وهذه الملابس ، فسـألت عن مصـدرها فقيل لى انها تبـاع فى سوق العصر ، ان الحصول عليها سـهل وميسور ·· وبالتأكيد لم يكن هناك مال ·· ولم أستطع الحصول على هـذه الأسلحة أو هذه الملابس فظللنا نقبل الأدوار الثانوية مع هؤلاء الكبار الذين يحرزون هذه الملابس ونسير فى ركابهم ونصدع بأوامرهم ·

وانى لأتساءل :-هل يوجد فى مصر الآن أطفال يلهون فى حارة من الحارات بمثل هذا الأسلوب ، ويصل بهم الأمر الى حد شراء ملابس ضباط وعساكر ؟

تستوقفنى الآن هذه السلسلة المستمرة من ألعاب الطفولة التى اتيحت لى ·· فمن صعود الى الجبل وممارسة للحرب بالمقلاع

وقذف الأحجار .. ومن الهتاف يا عزيز يا عزيز كبة تاخذ الانجليز والمحاربة مع الشيخ على المجذوب .. الى هذه اللعبة المنظمة فى صورة الحرامية والضباط ، ونحن نرتدى ملابس الجنود والضباط .. أتساءل : هل لذلك كله تاثير فى تكوين مزاجى وآرائى وعقيدتى التى تكونت لى على مر الحياة ؟

لا استطيع الآن وأنا أستعرض هذه البيئة الا ان أشعر أن تاثيرها لابد انه كان عميقا فى نفسى .. على أن الذى لا شك فيه ومما لا يحتمل الجدل أن الحوادث التالية .. حوادث ثورة سنة ١٩١٩ ، ونصيبى حتى طولون فيها كان هو العامل الحاسم الذى وضع بذرة حياتى المستقبلة ، وانها ستدور كلها حول الصراع من أجل الشعب وحرية الشعب وكرامة الشعب .

على أننى اريد ان انتهى أولا من هذه الصور المتناثرة التى لا تزال تناوش ذاكرتى عن طفولتى المبكرة ، لأنتهى منها جملة قبل أن أنتقل الى المرحلة الثانية مرحلة الدراسة الابتدائية واندلاع ثورة سنة ١٩١٩ ، حيث تاخذ ذكرياتى تسلسلا تاريخيا متسقا .

مصطفى فى السلطة العسكرية

ومصطفى هو شقيقى الذى يكبرنى فى العمر مباشرة ببضعة اعوام ، لقد كنا اربعة اشقاء محمد وعبد الفتاح ومصطفى وأنا وقد مات محمد على ما قدمت لك واحتل عبد الفتاح مكانه فى وزارة الأوقاف فلم يتم تعليمه ولم يحصل على البكالوريا التى رسب فيها، وكان يصغره فى السن مصطفى الذى حصل على شهادة الكفاءة من المدرسة الخديوية وانتقل الى السنة الثالثة ولكنه اختار أن يهجر المدرسة ، وأن يلتحق بالسلطة العسكرية الانجليزية . موظفا بها.. وكانت السلطة الانجليزية تستخدم المصريين فى ذلك الوقت بصورة

واسعة ، وكانت تغرى الشباب بالمرتبات التى تدفعها لهم - ومصطفى شاب طموح متحرر مغامر ، سوف نتحدث عنه طويلا فى مناسبات مقبلة ، لقد كان لى أستاذا — من غير شك — ولست أحسب أن فى تاريخ حياتى كلها من احدث أثرا عميقا فى حياتى بمقدار ما أحدث مصطفى مما سأستعرضه فيما بعد .. ولقد بدأ مصطفى فى طفولتى المبكرة يلفت نظرى اليه ويشغلنى ويحملنى على التطلع اليه فى شغف وفى حب .

فها هو يتمرد على والدى ويخرج عن طاعته بمبارحته المدرسة والالتحاق بالسلطة العسكرية .. لقد كان والدى وقد لاحظ عليه النجاح المستمر والتوفق الدائم فى الدراسة يعلق عليـه الآمال الكبار فى اتمام التعليم .. وعندما نجح فى الكفاءة ازدادت آمال والدى وضوحا .. فاذا به يفجعه بهذه (العملة) واذا به يهجر المدرسة بدون اذن والدى او علمه .. واذا به يخطره بخطاب انه التحق بالسلطة العسكرية كاتبا بها .. ونستطيع ان نتصور غضب والدى وحنقه عليه وكيف أعلن براءته منه .. ولكن ها هو مصطفى يأتى فى اجـــازة .. ان والدى ليس فى المنزل وانى لأراه الآن وهو يقدم لوالدتى الهدايا التى جاء يحملها لها من عمله فى السلطة .. ووالدتى مبهورة الأنفاس فى فرح شديد .. فهذا سكر ناعم بكمية كبيرة ، ويظهر أن السكر كان عزيزا فى ذلك الوقت .. وهذه علب لحم .. وهذه علب لبن مجفف وهذه كوبونات جاز وهذا ارز . وهذه نقود فوق ذلك كله فقد جاء يحمل نقودا كثيرة من مرتبه الكبير الذى يصرف له .

وقد تصالح والدى معه على ما يظهر ونزل عند الأمر الواقع خاصة ان الفتى فى نهاية الأمر جاء بكل الراتب الذى يتقاضاه ولعله كان خمسة عشر جنيها وهى بالنسبة لشاب صغير فى ذلك الوقت كانت شيئا كثيرا .

وهكذا يطير به والدى ويرى أن الفتى ليس سيئا الى الحد الذى تصوره ٠٠ كل الذى نعيبه أنه كان يريد أن يتم التعليم ويحصل على شهادة علمية قاما وقد ابى الا ان يقف عند هذا القدر مهذا شأنه ٠٠ أو لم يبدأ هو نفسه الحياة بغير شهادة على الاطلاق ٠٠ فلماذا لا يبدأ ابنه الحياة العملية بشهادة الكفاءة ٠٠ وها هو يتقاضى خمسة عشر جنيها وهو لا يزال فى السادسة عشرة من حياته ٠٠ لا بأس بالموقف ٠٠ ويتم الصلح ولا يبقى فى النفس الا الاشفاق عليه من الخطر ، وهذا الاشفاق يبدده مصطفى عن نفس والده ، فهو يعمل فى مكاتب مصر الجديدة ٠٠ أو فى العباسية ٠٠ ولن يذهب الى ميدان القتال ، وقد ينتقل الى الاسماعلية ولكنه يعمل فى القاهرة أكثر الوقت ٠٠

ومازلت اذكر كيف عاد مصطفى فى أحد الأيام وهو منزعج فلم يكد يرانى حتى صاح الحمد لله .. ويتابع الحديث لقد كنت شديد الخوف ان تلعب بالرصاصة التى جئت بها - لقد أحضر معه فيما احضر رصاصة من رصاص البنادق لتتفرج عليها ٠ وبعد أن خرج الى عمله تذكر أنه تركها فى (البوريه) وأن البوريه لا مفتاح يقفله ، واننى قد افتحه واعبث بالرصاصة وقد تنطلق فى وجهى أو يحدث لى منها اذى على أى صورة من الصور . هكذا تصور فترك عمله مسرعا وجاء الى البيت ليطمئن ، ولذلك فعندما دفع نظره على ورآنى سليما معافى هتف هتافه الذى قدمته وهو الحمد لله ٠٠ ثم أخذ الرصاصة ووضعها فى جيبه وانصرف الى عمله ثانية ٠

لاتزال هذه القصة واضحة فى رأسى بهذا التفصيل ، فقد كان منظر الرصاصة مثيرا بالفعل ولقد حفر منظرها فى رأسى وهو يرينا اياها لأول مرة .. وهو يخرجها من (البوريه) ويضعها فى جيبه خوفا من أن أعبث بها ٠

ولقد بدأ يخالجنى شعور بالأهمية بعد أن رأيت وسمعت من قصص أخى مصطفى عن حياتهم فى السلطة ما سمعت .. اننى أعرف ما لا يعرفه بقية الأولاد .. ولى أخ مغامر يختلف عن بقية الاخوان .

خيـــال الظـــل

ولكى أنتهى الآن من هذه الصور المتناثرة أشير الى خيال الظل وكثيرون من القراء الذين يطالعون الآن هذه السطور لا يعرفون ما هو المقصود بخيـــال الظـــل ، ولست اعرف كيف اقربـــه الى اذهانهم .. ان خيال الظل فى ذلك الوقت كان هو ما يقابل السينما فى الوقت الحاضر بطريقة بدائية بطبيعة الحال . فقد كان يصنع من الورق المقوى صور بعض الشخصيات والحيوانات ثم يؤتى فى الليل بشاشة بيضـــاء من القماش ويوضع خلفها مصـــباح مضىء وتحرك هذه الصور أمام المصباح فيبدو ظلها على الشاشة ، حيث يراها المتفرجون الذين يجلسون فى الناحية الأخرى من الشاشة ، ثم تحرك هذه الصور بواسطة شخص يحركها (عن بعد بحيث لا يظهر ظله على الشاشـــة) ، بواسطة عصى صغيرة تثبت فى أجزاء الصـــورة المتحركة اى فى أيديها وأرجلها ورأســـها ، بحيث يرى خيال الصورة وهو يحرك قدميه ويحرك يديه ويحرك رأسه .. ويتكلم الرجل الذى يحرك هذه الأشباح بمختلف الأصوات فيقلد صوت الرجل أو السيدة أو الطفل أو الحمار أو الحصان .

وعلى هذا الأساس كانت توضع روايات قصيرة يشترك فى تمثيلها ثلاثة أبطال أو اربعة .

وتستطيع أن تتصور تأثير هذه اللعبة فى نفس طفل صغير مصرى كيف تلهب خياله وتستولى على كل حواسه . وكان عهدى

بخيال الظل ما كان يصـــمه أخى مصطفى من هذه الألاعيب فى البيت . فكان يقص الورق على شـــكل صـــور مختلفة ثم ينصب الشاشـــة فى الليل ويروح يعرض على باعتبارى المتفرج الوحيد لألاعيبـــه وقصصـــه .

ولكن حدث فى ذات يوم أن أعلن عن وجود حفلة لخيال الظل فى بيت كبير فى منطقة بطولون تسمى الركبيـــة وسيشتهر هذا البيت فى التاريخ المقبل باسم بيت القباقيبى . وقد كان هذا البيت يقع فى منطقة تبعد كثيرا عن حارة الجمالة اى عن بيتنا .. وكانت الحفـــلة تقـــام فى المساء ومع ذلك فقد تســـللت من العصر من بيتنـــا وذهبت الى مكان هذه الحفـــلة .. وكان الدخول اليهـــا (بتكلة) أى مليمين .. وظللت أنتظر حتى جـــاء الليل واظلمت الدنيا وسمح لنا بالدخول . وكانت الشاشة المقامة فى حجم كبير وكانت مضاءة وعليها ظـــل الشخصيتين اللتين ســـتلعبان الدور الأكبر فى الرواية التى ستعرض . وقد خفق قلبى لرؤية هذا المنظر فهو يخالف هذه الصور الصغيرة التى كان يصنعها أخى مصطفى فى البيت .. هنا شىء رائع على أصله بكل جلاله وروعته .

ومضى الوقت وأوغلنا فى الليل دون أن يبدأ العرض المنتظر .. وبدأ يداخلنى الرعب والخوف لتأخرى عن البيت فلم يسبق لى أن تأخرت هكذا . ولم أفكر فى الانزعـــاج الذى سأحدثه لأهـــلى بطبيعة الحال . ولكننى بالرغم من طفولتى بدأت أحس بالحرج فى تأخر العرض الى هـــذا الوقت .. ومع ذلك فلم أستطع أن أبارح المكان قبل أن أشاهد التمثيلية .. وفى تلك الأثناء كان شقيقاى يبحثان عنى فى كل مكان باعتبارى قد ضللت الطريق أو فقدت .. ولست أعرف كيف اهتدوا فى نهاية الأمر الى مكانى فاذا بى أفاجأ بأخى مصطفى وهو يأتى ليسحبنى من هذا المكان ، ومازلت أذكر حتى الآن هذه البسمة التى ارتسمت على وجهه عندما وقع بصره

على .. بسمة اعجاب أن تصل بى المغامرة الى حد الوصول الى هذا المكان والدخول الى هذه الحفلة .. ويلوح لى الآن أنه لولاه لما اكتشف أحد مكانى فلابد أنهم فى بحثهم الطويل سمعوا بموضوع حفلة خيال الظل فتبادر الى ذهنه اننى قد أكون ذهبت اليها .. وكان تقديره صائبا فهو أكثر الناس فهما لعقليتى .

هل ضربت فى هذه الليلة أم لم أضرب لا أستطيع أن أذكر الآن ! .. وقد يكون وجود أخى مصطفى الى جوارى حاميا لى من الضرب .. وكثيرا ما كانت أمى تشير الى أنى مجدود الحظ وأننى لا أضرب كثيرا كما كان الشأن بالنسبة لأخى الكبير .. وأننا قد ولدنا فى عهد تطور فيه والدى فلم يعد يضرب كثيرا ..

حب القطط

ومما يتصل بطفولتى اتصالا وثيقا جدا هو تعلقى الشديد بالقطط والذى كان مصدر خلاف دائم بينى وبين والدتى التى كان فى قلبها من الرحمة مالا يجعلها تكره القطط أو تعتدى عليها ، ولكنها كانت دائمة تحذيرى منها .. ولا يزال فى ذاكرتى حتى الآن كيف كنت لا أنام الا وقطتى على صدرى .. وصوت والدتى فى أذنى مستنكرة ذلك ، وان أنفاس القطة ستضر بصحتى عندما تختلط بأنفاسى ، ولكننى لم أكن ألقى بالى الى تحذيراتها ، ولم تكن هى تصل الى حد انتزاع القطة من فوق صدرى أو من أحضانى . وقد ظل تعلقى بالقطط مدى طول حياتى يختفى تحت ضغط الظروف ثم يعاود الظهور ثانية ، وعندما أصبح لى بيت وأصبحت سيد البيت فكرت فى السماح المحال لقطة فى البيت ، ولكنى سرعان ما اكتشفت أنها قد تكون خطرا على أولادى الصغار فقد حدث أكثر من مرة أن (لطشت) القطة أحد أولادى فكنا نسرع بالتخلص منها .. وأنا أعيش الآن بغير قطة فى البيت .. مع أن طفولتى كانت تعنى أن القطط جزء لا يتجزأ من حياتى ..

أخى عبد الفتاح يتزوج

واقعة لاتزال بعض صور منها عالقة بذهنى وهى من حوادث الطفولة ..

لقد سبق أن أشرت الى أن أخى عبد الفتاح ـ والذى أصبح أخى الكبير بعد وفاة محمد ـ حل محله فى وظيفته فى وزارة الأوقاف فعين كاتبا بها . ولم يكد يوظف حتى طالب بحقه فى الزواج .. فشرعت والدتى تبحث له عن زوجة من أسرة كريمة .. ولقد حدثتك عن رحلة والدى الى اسطنبول وتعلقه بالاتراك ولذلك فقد كان من أقصى أمانيه هذه المرة أن يصاهر أسرة ذات أصل تركى .. ولقد كان وجوده فى ديوان السلطان سبيلا لتعرفه ممن يسمى حسين بك سكوتى أحد كبار موظفى القسم التركى بالديوان ، وربما كان رئيس هذا القسم بالذات .. وقد استطاعت شخصية والدى أن تنجح فى الحصول على موافقة الرجل على زواج أخى بابنته الكبرى وكانت تسمى عادل بلغتهم التركية .. وعديلة بلغتنا المصرية .. وقد كادت أمى تجن من الفرح وهى تصهر الى هذه الأسرة التركية الكريمة العريقة . وعندما توجهنا للمرة الأولى لزيارتهم فى البيت الذى كان يقع فى حارة تسمى باسم صهرنا الجديد الكبير « حارة سكوتى » وكانت تقع الى جوار جامع طولون.. عندما ذهبت مع والدتى الى هذا البيت القديم والمبنى على الطراز العربى القديم .. أبهاء ضخمة وأفنية من داخل البيت تفتح عليها النوافذ وأسقف تنفذ الضوء من خلال (مناور ـ أو شخاشيخ) ذات زجاج ملون .. عندما رحت كطفل صغير يتدحرج من مكان الى مكان مدخلت الى الحمام الرخامى .. وسقفه على شكل القبة وقد ركب بها الزجاج الملون .. كل ذلك جعلنى أشعر أننى قد انتقلت الى عالم ثان وأننا أصبحنا من العظماء . وكانت عروس أخى عادل وأخوتها ليلى وحافظ ومنيرة على جمال تركى لا نعرفه فى حارة

الجمالة ، ولا فى البيئة التى تحيط بنا .. فكنت اذا ذهبت الى هذا البيت نكأنى قد انتقلت الى عالم الأحلام .. وكانت السعادة الكبرى عندما يحجزوننى لتناول الغداء فكنت أجلس على المائدة فى جو شاهق من حيث الارتفاع بالنسبة للطبلية التى كنا نأكل عليها فى بيتنا .. فلم نكن نعرف المائدة وانما كان طعامنا على صينية وتوضع هذه الصينية فوق كرسى مرتفع بعض الشىء عن الأرض ثم نجلس حولها .. أما الموائد وتناول الأكل حول الموائد فهذه دنيا جديدة بالنسبة لى .. وكنت اذا رجعت الى بيتنا احتاطت بى أمى وأختى يسالوننى عن كل شىء من أحوال بيت نسايبنا الجدد فاقص عليها كل شىء .. وأشرح لها تفاصيل الطعام وماذا كانوا يقولون .. وماذا يفعلون .

ويظهر اننى نجحت فى هذه البيئة الجديدة نجاحا لا بأس به فكانوا يشجعوننى على كثرة الزيارة .. ومن ناحية أخرى كنت اشد حرصا منهم على الاستمتاع بهذا النعيم الجديد الذى صرت اليه .. فقد كنت أجلس متحيط بى هذه السيدات الراقيات .. وكنت أقص عليهن بعض النكات التى كنت أسمعها من أخوى فكان صدور هذه النكت من صبى صغير فى السابعة من عمره يقابل بابتهاج عجيب .

وقد وصلت سعادتى الى ذروتها عندما صنعت لى العروس الجديدة (طاقية) من الحرير عدت بها الى البيت وكأننى حصلت على كنز .. على أن سعادة أمى بهذه الطاقية التى صنعتها ابنتها المقبلة كان يفوق سعادتى .

والحق ان هذا الزواج كان مصدر سعادة فى هذه الفترة لا للعريس بل لكل أسرتنا .. وأنا فى الطليعة .. فقد أتاح لى هذا الزواج ان أتصل بهذا العالم العلوى السماوى وكان كل ما فيه

جديد بالنسبة لي ورائع .. وكنت فخورا كل الفخر بأنه أصهر الى حسين بك سكوتي التركي الأصيل أي أنه قد خطب لابنه بنت الأكابر .. وكانت أمي سعيدة بطبيعتها الخيرة بأن حلمها القديم في أن تزوج ابنا لها من أسرة كريمة قد تحقق .. وأنه ستصبح لها زوجة ابن أي بنتا .. وكانت أمي شديدة الشوق الى أن تكون لها بنت فلقد رزقت عددا كبيرا من الأولاد لم يكن فيهم الا بنت واحدة تسمى فهيمة . ولقد ماتت فهيمة ولم ترزق بعد ذلك ببنات .. ولم يبق لها الا ثلاثة أولاد بعد وفاة أخي الكبير .. ويبدو لي أنها كانت شديدة الشوق أن تكون لها بنت .. وكانت تهيىء نفسها لاستقبال زوجة ابنها كائنة من كانت أحسن استقبال. بل ان زوجة ابنها وقد أصبحت من أسرة تركية عريقة لم تعد تسمع من والدتي الا أنها ستكون خادمتها وأنها لن تحملها على مزاولة اى عمل بيدها وستوفر عليها مؤونة أي جهد .. ولقد برت والدتي بهذا العهد .. فلم يكن الزفاف يتم في حفلة متواضعة بسبب (حربنا) .. حتى أخلي الدور العلوي من بيتنا في حارة الجمالة للعروس الجديدة بعد أن أعد اعدادا جديدا .. يتناسب مع الأثاثات الفاخرة التي جاءت بها العروس . ولقد كانت الأثاثات فاخرة بل أكثر من فاخرة بالنسبة لنا ولحارة الجمالة .. ولكنها في طبيعتها لم تكن كالأثاثات التي دخلت بها شقيقتها من قبل .. وذلك بسبب ارتفاع الأسعار في ذلك الوقت بمناسبة الحرب .. ولكن هذا الذي جاء كان بالنسبة لنا كما قلت شيئا لا يخطر على الذهن .. ولم تكن العروس تفعل شيئا وكانت والدتي هي التي تقوم بعمل كل شيء في البيت رافضة أن تلوث العروس يدها بأي عمل من الأعمال ، وقد استمتع الزوجان بشهر عسلهما ، والذي كان شهر عسل بالنسبة لي كذلك .. فقد كان أخي يخرج للنزهة مع عروسه في بعض الجهات الخلوية .. كانا يركبان الترام حتى نهايته في شبرا أو في الهرم .. ويظهر أن أحد رجال البوليس أو أحد الأشخاص تعرض لهما في بعض الجولات ظنا منه أنهما

عاشقان وليسا زوجين ، فرأيا أن يصطحباني معهما في هذه الجولات ليكون مظهر الأسرة أكثر وضوحا ، على ذلك فقد بدأت آخذ نصيبي من شهر العسل وهكذا كان هذا الزواج ينبوع سعادة كاملة بالنسبة لى ، وعند هذا القدر ينتهى هذا القسم من خواطرى وذكرياتي لننتقل خطوة جديدة حيث تتسق الصورة وتترابط الحوادث وتتصل بحوادث الحياة العامة الجارية .

ذكريات الصبا

وأخيرا جاءت الساعة التى كان يتعين على أن أذهب فيها الى المدرسة الخديوية لأكشف فيها كشفا طبيا تمهيدا لقبولى فيها تلميذا . وكانت فكرة الكشف الطبى على محنة من أكبر المحن التى مرت على فى حياتى حتى ذلك الوقت والتى كانت تملأنى رعبا فقد كنت أنطوى طوال السنوات الماضية على سر يتصل بمرض يملأنى خجلا وكنت فى فزع أن يكتشف هذا السر أحد .

ان نشأتى فى هذا الحى الوطنى الذى لا تتوافر فيه الصحة قد أصابتنى فى رأسى بنوع من الأمراض الجلدية التى تصيب الرأس ولابد ان تكون العدوى قد جاءتنى عن طريق أحد هؤلاء الحلاقين من الذين يعملون فى الحى والذين تتداول أيديهم وامواسهم عشرات الرءوس التى تسيل بهذا المرض المخجل (القراع) . لم يكن هذا المرض كما قدمت مستفحلا ولم يصل الى مرتبة القراع ، فقد كانت رأسى كلها مكسوة بالشعر بحيث ان هذا المرض الجلدى لم يكن يرى الا اذا فحص جلد الرأس عن كثب وبعد ازالة الشعر . ولقد مضت على سنوات وأنا أعالجه .. ولقد كان العلاج فى بادىء الأمر على نطاق واسع ولكنه لم يجهز على المرض فظل يعاودنى . وكنت أعالجه بوضع مرهم الزئبق على رأسى فتختفى آثار المرض ولكنه لا يلبث أن يعود الى الظهور على صورة قشور نابتة فى رأسى ، ولكنها كما قدمت مغطاة بالشعر فهى لا ترى أو تلحظ . ولم يكن

هناك مجال لاكتشاف هذا المرض فى رأسى أيام مدرسة محمد على فلما جاءت اللحظة التى تقدمت فيها للكشف الطبى بالمدرسة الحديثة علمت أنه سيكون من بين عناصر الكشف الطبى فحص الرؤوس فامتلأت بالرعب والفزع وساورتنى الهواجس وانتابنى القلق وبدأت لا أعرف النوم بالليل كلما اقترب وقت هذا الكشف الطبى ، واقترب الدكتور .. لم يعد يفصله عنى سوى طالبين أو ثلاثة .. لم يفصله عنى الا طالب واحد « يارب رحماك يارب .. يارب انقذنى يارب .. يارب لا تخجلنى يارب » .

وكان الكشف على يومين : اليوم الأول كشف على قوة النظر وعلى سلامة الجسد وقد اجتزت هذا بنجاح بطبيعة الحال ..

وجاء اليوم الثانى اليوم المترقب .. حيث يكشف على رؤوسنا وعلى جلودنا خوفا من أن يكون بها جرب .

ووقفنا نحن المتقدمين للالتحاق بالمدرسة صفا واحدا وطلب منا أن نخلع الطرابيش وأن نمد أيدينا الى الأمام ، وبدأ الطبيب من بداية الصف يفحص رؤوس الطلاب وينظر الى أيديهم . وكان مكانى فى الثلث الأخير من الصف .

ويالها من محنة ويالها من تجربة قاسية .. هاأنذا أكتب هذه السطور بعد ما يقرب من ثلاثين سنة ، ومع ذلك فلا زلت أحس بالآلام التى عانيتها فى هذه اللحظة آلام الخجل الذى سيصيبنى أمام هذه الجموع عندما ينظر الطبيب الى رأسى ثم يخرجنى من الصف باعتبارى مريضا بالقراع .

وبدأت أستغيث بربى وأردد تعويذتى التى ظللت ألوذ بها طول عمرى كلما وقعت فى شدة .. « يارب .. يارب .. يارب » .

وكان الطبيب يفحص بدقة ويتوقف طويلا أما رؤوس الطلاب ومن حين لآخر يخرج واحدا من بين الصفوف فيخفق قلبى ويصفر وجهى ويفيض ماء الحياة من نفسى لأنى أتصور أن مصيرى سيكون كمصير هؤلاء البؤساء الذين أخرجهم ، وكان ما يرعبنى هو الخجل الذى سينالنى أمام هؤلاء الطلاب ٠

وكان الطبيب يقترب منى رويدا رويدا وكنت أنظر الى اقترابه برعب ، كما ينظر الانسان الى كارثة تقترب من الانسان لتدهسه أو قطار ليمزقه تحت عجلاته ٠

لقد وقعت الواقعة الدكتور يمسك براسى ينظر اليها فى لمحه خاطفة ثم يتركها وينصرف عنى الى من بجوارى .. الله اكبر هل نجوت ٠٠ هل انتهى الأمر ٠٠ نعم لقد نجوت ولم يكتشف الطبيب فى راسى شيئا فهو لم ينظر الى قمة راسى حيث توجد آثار المرض ولكنه نظر الى جانبى الرأس فلم يجد بهما شيئا ولعل الرجل كان قد تعب أو سئم ، فلم يعد يحقق أو يدقق ومادامت راسى موفورة الشعر فلا يمكن أن أكون مريضا ٠٠ بل لعل ما كنت أتصوره مرضا خطيرا هو فى حقيقته ليس شيئا .. او لعل الله قد صرفه ٠

كيفما كان الأمر فقد انتهى كل شىء وانا الآن طالب فى المدرسة الخديوية رائع الرأس موفور الكرامة ٠

وقد كان هذا الموقف هو آخر عهدى بهذا المرض الجلدى فى راسى وكثيرا ما كان يقال لى انه يزول من نفسه عندما اجتاز دور المراهقة وهذا هو ما حدث بالفعل فلم يزعجنى بعد ذلك ٠ ولقد شغلت عنه بالتدريج ثم لم اعد افكر فيه لأنه كان قد اختفى نهائيا ٠٠ وان كنت ظللت فترة طويلة اتوهم أنه لا يزال هناك ٠

انا الآن فى المدرسة الخديوية وياله من جو عبق بالخطورة والتطور الكبير الذى حدث فى حياتى . ان شارع درب الجماميز الذى تقع فيه المدرسة الخديوية ليس جديدا على فقد كانت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية التى دخلتها فى السنوات الأولى تجاور المدرسة الخديوية ، بل ان ضخامة قصر المدرسة الخديوية ليست شيئا جديدا على فان قصر مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية لم يكن يقل ضخامة او فخامة ، ولكن شتان ما بين الفترتين ، لقد كنت فى الأولى طفلا صغيرا لا أستطيع أن أحس وأقدر ما يحيط بى اما الآن فقد أصبحت شابا ذا خطر ، ولذلك فقد كان مبنى المدرسة الخديوية يؤثر فى كيانى تأثيرا عميقا ويشعرنى بأنى قد دخلت الى عالم جديد من الرجولة والخطورة · عندما كنا نقف فى فنائها الخلفى وبه هذه الاشجار الضخمة العتيقة كان ذلك يملؤنى نشوة ويهزنى هزا ·· عندما كنا نتجول فى حديقتها الخارجية ونصل الى ملعب كرة القدم أو نصعد على السلالم الرخامية فى طريقنا الى الفصول ثم نصعد الى هذه الصـالة الكبرى التى تحيط بهـا الفصول ·· عندما كنا نمر أمام أبواب معامل الطبيعة والكيمياء التى لم ندخلهـا بعد ·· كان كل ذلك يهز كيانى هزا ويشعرنى بالسعادة لأنه يشعرنى اننى قد دخلت عالما جديدا سيجعل منى انسانا ذا شان وخطر ، على أنه لا معامل الطبيعة والكيمياء ولا فخامة البناء ولا ملاعب التنس وكرة القدم أو حديقة المدرسة وما بها من أكشـاك ·· لم يكن كل ذلك هو الذى يملأ حل فراغ حيـاتى الجديدة ·· بقدر ما كنت أعد نفسى له من الالتحاق بفرقة تمثيل المدرسة ·

فقد كان للمدرسة الخديوية شهرة ذائعة فى عالم التمثيل ·· وكان فيها احد دعائم النهضة المسرحية فى مصر وهو المرحوم محمود مراد الذى كان مدرسا بالمدرسة ثم هام بفن التمثيل فأرسلته الحكومة فى بعثة لدراسة المسرح فى الخارج وعـاد من الخارج

ليجعل من فرقة التمثيل بالمدرسة الخديوية شيئا جليلا وذا خطر .
ولم أكد ادخل الى المدرسة حتى كنت شديد اللهفة فى أن أسمع كل شىء عن حركة التمثيل فى المدرسة وسرعان ما علمت أن فرقة تمثيل للمدرسة قد قدمت مسرحية غنائية أو بالأحرى « أوبرا » اسمها توت عنخ آمون ، وهى من تأليف « محمود مراد » وتلحين « سيد درويش » . ومن قبل قدمت فرقة المدرسة مسرحية مجد رمسيس و هى غنائية أخرى وقد بلغ من عظمة هذه الأخيرة أن مثلتها فرقة المدرسة على أكبر المسارح فى مصر ، وهو مسرح « الكورسال » ، وحضر الحفلة وزراء مصر وعلى رأسهم سعد زغلول زعيم البلاد .

كل ذلك وعيته وأحطت به بمجرد دخولى الى المدرسة . وعلمت فوق ذلك أن « محمود مراد » قد اختارته وزارة المعارف ليكون مفتشا للتمثيل فى المدارس كلها فلا يقف نشاطه عند المدرسة الخديوية وحدها .

وبدأت أتلهف على هذه الساعة التى يعلن فيها أن فرقة التمثيل قد بدأت نشاطها وأنها فى حاجة لمن ينضم اليها لكى أبادر الى هذا الانضمام .

وجاء اليوم الموعود وأعلن أن جمعية التمثيل قد فتحت أبوابها لمن يريد أن ينضم اليها .

وذهبت الى الحجرة التى أعلن أنه سيكون الاجتماع بها وقلبى يخفق بالاحتمالات التى تنتظرنى .

كنت قد شغلت طول الاجازة الصيفية بتمثيل بعض المقطوعات وشهدت حجرتى فى البيت و « حوش » منزلنا صراخى وزعيقى

وبكائى وتحيبى مقلدا بعض ما كنت ارى وأسمع عل مسرح حديقة الأزبكية من مآس وتمثيليات .

وكان سيد فتحى يشاركنى هذه المحاولات قبل أن يسافر الى اسيوط حيث نقل والده الى هناك .

وكانت هناك مقطوعة تمثل صبيا بائسا يتوسل الى شخص يضطهده ان يكف عن اضطهاده مسترحما اياه . وكنت أتصور نفسى واتا القى هذه المقطوعة التى قد بلغت فيها ذروة الاتقان . وكنت عل ثقة اننى سادهش سامعى فى جمعية التمثيل بالمدرسة الخديوية عندما القى امامهم هذه المقطوعة .

وسال رئيس جمعية التمثيل عما اذا كان هناك من يرغب فى الانضمام الى الجمعية فتقدمنا له نحن الراغبين فى الانضمام ، فطلب من كل منا ان يلقى مقطوعة أو قصيدة . وسبقنى أشخاص القوا بعض القصائد الشعرية .. أو طالعوا فى أحد الكتب فأحسست بمقدار تفوقى عل هؤلاء حيث سالقى مقطوعة تمثيلية وسوف أبكى واتضرع وأتوسل .

وجاءت اللحظة التى دعيت فيها لالقاء ما عندى .. وتقدمت فى لهفة الى وسط الحجرة والعيون تشخص الى من كل جانب ، وبدأت القى مقطوعتى محاولا التاثير عل السامعين بكل قوة وفوجىء القوم .. فرجئوا بصبى صغير يحاول أن يكون ممثلا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فيحاول أن يبكى وأن يتضرع وأن يركع عل قدميه ويتوسل ويختنق صوته ثم يسقط على الأرض اعياء .

ويبدو أن أدائى لم يلق استحسانا ، ولم يقل لى أحد شيئا ولم يعلق احد عل ما قلت .. ولكن كان من الواضح اننى لم الفت النظر عن صورة من الصور .

ولم يتطور الامر الى أبعد من ذلك فقد دعينا بعد بضعة أيام لمقابلة الاستاذ محمود مراد وسماع الرواية التى أعدها لتمثل هذا العـام ٠

وذهبت فى الموعد المضروب وكان هناك حشـــد كبير من الطـلاب .. ورأيت محمود مراد لأول مرة ، ثم بدأ يتلو علينـا الرواية ولعل اسمها (فى سبيل المبدأ) وهى على خلاف رواياته السابقة لم تكن غنائية ، وكان أشخاصها لا يزيدون على خمسة او ستة من الممثلين ٠٠٠ وقد اختاروا لهم أعضاء من القدامى المعروفين لهم وبدأوا فى عمل التجارب ، وسرعان ما وجدتنى غير راض عن الرواية لأنها كانت تافهة بالقياس الى المسرحيات الضخمة التى كنت أشهدها على المسارح العمومية ٠٠ ولما لم يكن لى دور فى الرواية فقد بدأت لا أحضر التجارب ولا أهتـــم بالتردد على الجمعية ٠٠ بل لقد انقطعت عنها انقطاعا تاما بعد ذلك ساخطا عليها مصابا بخيبة أمل فيها ٠

وهكذا مرت السنة الأولى من حيـاتى فى المدرسـة الخديوية دون ان اشق طريقى أو انجح فى ابراز شخصيتى فى بيئة التمثيل بها ، وان كانت هوايتى للتمثيل ومواظبتى على شهود التمثيل فى مسرح الحديقة وفى مسرح رمسيس قد ضاعف فى حماسى ونشاطى والمتثالى بالتمثيل ٠

العـــام الدراسى

ولیس هناك الكثير مما يروى عن ذكرياتى العامة عن هذا العام الدراسى لقد بدأنا نطالع كتاب كليلة ودمنة فى درس العربى وكأن شيئا يشعرنى بالأهمية وبضخامة التطور الذى تطورنا اليه ضـــمن كتاب « تهذيب البنين » الذى يحوى حكايات ومقطوعات

صغيرة أو كتاب القراءة الرشيدة الى كتاب كليلة ودمنة .. لقد كان تطورا كبيرا .. وكان يدرس لنا العربية شيخ يسمى الشيخ الكيلانى من اقدم مدرسى اللغة العربية .

وكان يدرس لنا اللغة الانجليزية مدرس مسيحى مهذب الى ابعد حدود التهذيب يسمى نجيب بك مقـــار ، وقد كان مناداة المدرسين برتبة (بك) هو احد مظاهر التطور والانتقال . فمدرسونا فى المدارس الابتدائية ينادون (بافندى) (اما مدرسونا الآن فينادون بكلمة (يا بك) . ولست أعرف هل الطلاب الذين اختاروا هذا النداء أم المدرسون هم الذين فرضوه على الطلاب . فالذى لا شك فيه اننا كنا نستمتع بهذا النداء نحن الطلاب لأنه كان يشعرنا أننا قد انتقلنا الى عالم ارقى من هذا الذى كنا فيه .

وكان من المتفق عليـه أن (لا ضرب) عصـا ولا ايذاء فقـد اصبحنا رجالا لا نضرب . وكان مدرس الانجليزية نجيب بك مقار يأبى الا ان يخاطبنـا نحن الطـلاب لاحقـا اسماءنا بكلمة افندى فيقول لى يا احمد افندى ويقول لزميلى يا عباس افندى . وكان ذلك يسعدنا كل السعادة . وكانت علوم الهندسة وما بها من نظريات تدور حول المثلثات المتساوية الأضلاع والمتساوية الساقين وكيف أن مجموع زوايا اى مثلث تساوى قائمتين ، كل ذلك مضافا الى علم الجبر يساعد على اشعارنا بأننا دخلنا فى مرحلة العلوم العالية واننا أصبحنا طلابا ذوى شان كبير .

أما علم الطبيعة فقد كان على أن اطرب له كل الطرب ، وخاصة فى ناحية تجاربه العملية التى كان يجريها أمامنا المدرس .. ولكنى كنت اكره من الطبيعة قسمها الرياضى وبقدر ما كنت مشغوفا بهذه الأسرار التى يكشفها لى علم الطبيعة . بقدر ما كنت امقت المعادلات التى تعتبر الجزء الاهم والأخطر فى الطبيعة .

وكان من الواضـــح أن درس الانجليزية بدوره تطور تطورا كبيرا فبعد ان كنا نطالع في هذه السلسلة من كتب المطالعات التى تقابل القراءة الرشيدة فى اللغة العربية أعطيت لنا كتب مجلدة النطالع فيها ، كما قدم لنا كتاب القواعد الانجليزية الشهيرة فى ذلك الوقت والمسمى (برانكبرى) أى نسبته الى اسم مؤلفه وهو مطبوع فى لندن ٠

ولعل ذلك هو كل ما لا يزال عالقا بذهنى عن تطور الدراسة فى هذه السنة ٠

أما زملاء الدراســة فقد كان هنــاك فراغ كبير وفجوة ضخمة نتيجة افتراقى عن سيد فتحى رضوان الذى ذهب الى أسيوط كما قدمت ٠٠ ولولا ان هذا الانتقال من التعليم الابتدائى الى الثانوى ومن محمد على الى الخديوية قد حمل فى طياته الكثير من المؤثرات لكان شعورى بهذا الفراغ عميقا ٠

ومع ذلك فقد أسرعت انا وسيد الى سد هذا الفراغ فأصبحنا نتراســل بطريقة منظمة فأبعث له كل أسبوع رسالة وأتلقى منه رسالة وكلتا الرسالتين مطولتان ، نتحدث فيهما عن كل صغيرة وكبيرة مما يدور حولنا ، بل مما يدور فى داخل نفوسنا . ولست أعرف أى نزوة حملتنــا على أن نوقع هذه الرسائل بامضاء هارون الرشــيد وجعفر فكنت أوقع له على هذه الخطابات بامضاء هارون الرشيد وكان يوقع خطاباته بامضاء جعفر أو لعل الأمر كان على العكس فكان توقيعى هو جعفر ولعل فتحى يذكر الآن هذا الواقعة ويحددها ٠

ثم كتب لى ســـيد فتحى بعــد فترة من الزمـــن يقتــرح استبدال هذين الاسمين هارون وجعفر باسمى أرسطو وسقراط ،

لتبتعد عن دائرة الاتهام (بالتحشيش) ، فليس سوى الحشاشين ومتعاطى المخدرات من يتخيلون أنفسـهم ملوكا ووزراء .. بل وهارون وجعفرا وابا نواس على وجه التحديد .

ولست اذكر أيضا أينا كان يوقع سقراط وأينا ارسـطو واظن انى كنت أنا الذى أوقع بتوقيع سقراط وسيد يوقع خطاباته بإمضاء أرسطو .

ولعل هذا الاقتراح من ناحية سيد فتحى يدل على نزعته الأدبية الفلسفية التى بدأت تتجلى فيه منذ هذه اللحظة والتى ظلت تتطور فيه حتى بلغت القمة .

وعلى هذه الوتيرة رحنا نتبادل الرسائل المطولة التى نتحدث فيها الى بعضنا ، كمـا كنا نتحدث عندما كنـا متلازمين فكانت هذه الخطابات مبعث سرور وبهجة سواء فى كتابتها او مطالعته الرد عليها .. وهكذا ظلت الصلة الروحيـة بيننا على أوثق ما تكون .. بل لقد زادها البعد وهذا الأسلوب من التراسل قوة وتمكينا .

ولم تستطع البيئة الجديدة أن تقدم لى فى هذا العام صديقا او زميلا من طراز فتحى .. وانما كان لى زميل ضمن من يمكن وصفهم بأنه زميل دراسة وهو عباس حلمى مصطفى ، واذا اردت الاسم بتمامه فهو عبـاس حلمى مصطفى حتحوت . وقد لازمنى ملازمة لطيفة فكان يصاحبنى ويذاكر معى ويأتـى الى ولكن نظرا لأن والده كان ضابطا فى البوليس أو الجيش لا أذكر بالضبط فقد كان يبدو ان عباس قد نشأ فى ظل الضغط العسكرى فكان بعيدا عن الانطلاق فى المجـالات التى كنت انطلق فيها ولذلك فقد ظلت زمالتنا فى حدود القسم المدرسى .

ولعل زميلي الآن أحد كبار ضباط البوليس وأنا أخط الآن هذه السطور لابد أنه « بكباشي » • وقد ورد ذكر اسمه أمامي بضع مرات في هذه العشرين سنة الأخيرة بمناسبة توليه البوليس في بعض المراكز واحتكاكه بأعضاء الحزب •

ولقد قيل لي دائما انه يذكر لهم علاقته بي •• ولقد رأيته مرة ورحنا نستعرض معا هذه الألفاظ والعبارات التي اعتدنا أن نرددها ونحن صغار •

ويصادفني في الحياة وبخاصة في عالم القضاء بعض من كانوا رفقاء لنا في هذه السنة الدراسية •

ومنهم القاضي محمود اسماعيل وكانت علاقتي بابن عمه أحمد اسماعيل أقرب وأوثق ••• ومازلت اذكر عندما دعانا في أحد الأيام الى زيارته في البيت وكان بيتهم في الزمالك ولأول مرة دخلت في بيت من هذه البيوت فوقفت مشدوها ومذهولا أن يكون أحد رفقائنا في الدراسة يعيش في مثل هذا القصر •

وكان أحمد اسماعيل يقول لي ان ابن عمه محمود اسماعيل أكثر ثراء منه وقصر أسرته يزيد فخامة فكان ذلك يدهشني فوق ادهاشي •• وبدأت أنظر لابن عمه محمود اسماعيل من طرف خفي وكان يؤلف مع بعض نظرائه شلة مازلت أذكر أبرز أعضاء هذه الشلة وكان يسمى فيظي .. وكان من الواضح أن هذه شلة الأغنياء ، فلم نندمج بها ، وليس سوى أحمد اسماعيل من أبناء هذه الطبقة من كان يخالطنا .. نحن أبناء الشعب .

ولا يزال عالقا في ذهني من أحداث هذه السنة والتي لابد أن تكون هي سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ الدراسية مصرع السردار

لى ستاك ، وما ترتب على مصرعه من سقوط وزارة سعد زغلول بعد توجيه انذار خطير لها ، وكان أبسط شروط هذا الانذار هو دفع نصف مليون جنيه لورثة السيرلى ستاك ، وأقسى شروط هذا الانذار ما جاء به من فصل السودان عن مصر وطرد فرقة الجيش المصرى التى كانت ترابط به واطلاق يد حكومة السودان فى أن تتصرف فى مياه النيل كما يحلو لها ٠

وكان من بين الشروط الأخرى أن يشرف الانجليز على تحقيق الحادث وأن يبطش بكل من له يد فيه مهما كانت مكانته او منزلته ٠

واحتل الانجليز جمارك الاسكندرية ريثما تنفذ طلباتهم ٠

وقد ذهب اللورد اللنبى الى مجلس الوزراء لتبليغ هذا الانذار فى مظاهرة عسكرية كبرى ، فركب حصانه على رأس فرقة من خيالة « خيال » مدججين بالسلاح وذلك لارهاب الحكومة والشعب ٠

ومن عجب أن سعد زغلول قد قبل بعض بنود هذا الانذار ، واعلن استعداد الحكومة لدفع التعويض المطلوب وقدره نصف مليون جنيه ، بل وكتب به شيكا بالفعل امضاه وزير المالية على الشمسى ، الذى كان قد اختير للمالية منذ أيام فكان ذلك هو العمل الوحيد الذى قام به ٠

كما قبل سعد زغلول القسم الخاص باتساع نطاق التحقيق ومعاقبة المسئولين ، ثم استقال بعد أن قبل هذه الطلبات بدعوى انه يرفض باقى ما جاء فى الانذار ، مع أن المنطق كان يقضى على سعد زغلول بأنه وقد اعتزم الاستقالة فكان عليه أن يبادر بها

لاظهار احتجاجه وألا يقبل من طلبات الانجليز قليلا او كثيرا ..
ولكن هكذا كان سعد زغلول ينطوى على كثير من التناقض فى اقواله وتصرفاته .

وقد أعقب سعد زغلول وزارة زيور باشا التى وصفت بانها وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه وقد قبلت طلبات الانجليز مائة فى المائة وسحب الجيش المصرى من السودان واطلقت يد حكومة السودان فى ماء النيل ، وبدأ التحقيق على نطاق واسع فى قضية السردار نقبض على كثير من اعضاء الوفد وعلى رأسهم مكرم وماهر والنقراشى وكل من اشتهر بالنشاط فضلا عن التطرف .

الدعوة الى مقاطعة الانجليز

وقد ردت مصر على هذا العدوان الانجليزى باعلان مقاطعة البضائع الانجليزية وتألفت اللجان فى كل مكان لتنفيذ هذه المقاطعة .

وكان اظهر اسلوب لهذه المقاطعة هو خلع اربطة الرقبة باعتبارها صناعة انجليزية وأن تصنع (كوفية) من المنسوجات الوطنية بدلا منها ، وقد كنت فى مقدمة من بادروا بشراء هذه (الكوفية) المصنوعة بأيد مصرية كما بدأنا نستعمل المناديل المحلاوى بدلا من مناديل الجيب العادية . ومازلت أحتفظ ببعض الصور التى اخذت لى فى ذلك الوقت وأنا بهذا الشعار .

ولكن هذه الحركة لم تستمر كما هى العادة بكل اسف فى مصر . فالمصريون يتحمسون حتى ليصلوا الى ذروة الحماسة فى لحظة ولا تلبث هذه الحماسة ان تختفى بنفس السرعة وبنفس القوة التى اشتعلت بها .

ايرجع ذلك الى طبيعة جونا ومناخنا .. أم ان هذه هى سمة الشعوب التى فقدت حريتها واستقلالها ورسفت فى اغلال العبودية.. أم ان هذه طبيعة خاصة بالشعب المصرى . لا أستطيع ان أعلل هذه الظاهرة فقد عشت بعد ذلك التاريخ الذى أتحدث عنه قرابة سبع وعشرين سنة أعانى من هذه الظاهرة ما أعانى وحتى الآن لا استطيع التفسير لأن الظروف السابقة لا تزال قائمة فلا يزال الانجليز فى بلادنا ولا يزال جونا ومناخنا وظروفنا هى ذات الظروف ولا يزال الشعب هو الشعب بجهله وفقره ومرضـــه وعناصره التى يتألف منهـا .

ولايزال الشـــعب فى مجموعه يتحمس حتى ليصـــل الى ذروة الحماسة ثم تفتر حماسته بنفس القوة وبنفس السرعة .

وكل أعمالنا لا تزال كما كانت تتصف دائما بالدفعة وبالنزوة والارتجال ولا تعرف الخطط المدروسة والارادة الثابتة والعـــزم الصــــادق الذى لا يكل ولا يمل ولا يلين ولا يتأثر بمرور الزمن او عواديه .

ولذلك فقد جـاء الوقت الذى فترت فيه حركة المقـــاطعة او بالأحرى ماتت .. بل جاء الوقت الذى أصبحت فيه محلا للسخرية والهزء وخلعنا هذه الشعائر المصرية المصنوعة باليد المصرية .

وفى هذه الأثناء كان قد قبض على المتهمين فى حادث السردار وشرعوا فى محاكمتهم وكنت كســـائر المصريين اتتبع المحاكمة باهتمام شـــديد وكان حزننا شديدا لاعتراف عبد الفتاح عنايت وشفيق منصور واغلبية المتهمين ، ولكن واحدا منهم وهو البطل محمود اسماعيل ظل صامتا لا يعترف بشىء .. وكانت الشهود

تنهال عليه من كل مكان ولكنه كان ثابتا كالطود فحاز اعجاب الشعب .

وترافع المحامون ومازلت أذكر أن مرافعة ابراهيم الهلباوى كانت مرافعة رائعة من الناحية السياسية تحدى فيها الانجليز وسياسة الانجليز ، واخيرا صدر الحكم باعدام الجميع شنقا وانى لأذكر اننى صعقت وأنا أطالع هذا الحكم ثم لم البث ان ذرفت الدموع بكاء على هؤلاء الأبطال المغاوير الذين كانت لهم اليد الطولى طوال سنوات الثورة على اقناع الانجليز بوجوب اعلان استقلال مصر والغاء الأحكام العرفية ، ولقد قيل ان ثروت باشا حصل لمصر على تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن استقلال مصر وبدء حكمها الدستورى ، ولكن هذه العصبة عصبة شفيق منصور وعنايت ومحمود اسماعيل وابراهيم موسى هى صاحبه الفضل فى هذا التصريح ويجب أن يأتى الوقت الذى تخلد فيه ذكرى هؤلاء الأبطال الأمجاد .

وقد قدر لى ان أرى عبد الفتاح عنايت بعد أن استبدلت عقوبة الاعدام بالنسبة له الى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك بعد أن أمضى مدة عقوبته .. وهو يعمل محاميا هذه الأيام .

كما أتيح لى أن أرى ابن محمود اسماعيل وان اعبر له عن تحيتى لوالده وذلك كله فى العام الماضى فقط .

وانهى عامنا الدراسى ٢٤ ـ ٢٥ بعد تادية الامتحان الذى نجحت فيه ونقلت الى السنة الثانية وبدأت أستقبل الاجازة الصيفية واستقبل أخى سعيد فتحى الذى حضر الى القاهرة لتمضية اجازته الصيفية بها .

صيف ١٩٢٥

لم تكد السنة الدراسية تنتهى كما قدمت حتى أسرع سيد فتحى الى القاهرة ونزل ضيفا على أخته الكبرى وصهره الأستاذ كامل أحمد المدرس وبذلك التام شملنا من جديد واستأنفنا حياتنا المشتركة الجميلة وجولاتنا الأدبية ونشاطنا الاجتماعى • ولكن كان من الواضح أن سيد فتحى قد طرأ عليه تطور جديد وهو تعمقه فى الأدبيات والاجتماعيات ، ولذلك فقد استهل نشاطه بأن ألقى محاضرة فى بيت أحد معارفنا من سكان البيت الذى كانت تقيم فيه أخته وكان يسمى الأستاذ محمد محيى الدين وهو طالب فى المدارس العليا وقد نسيت الآن أى المدارس ولعلها كانت مدرسة المعلمين العليا •

وكان يتردد على بيته باعتباره شخصا عزبا نفر من أصدقائه فى الدراسة أو جيران البيت فكانت شقته أشبه بالندوة نذهب اليها لنتحادث أو لنلعب أحيانا (الطاولة) ثم اقترح فتحى أن يلقى علينا محاضرة فى النشوء والارتقاء أو بالأحرى من نظرية « داروين » .

وقد اجتمعنا كلنا لسماع المحاضرة ولأول مرة سمعت عرضا مستفيضا لنظرية داروين وكان من الواضح أن هذا الطالب فى السنة الأولى من المدرسة الثانوية قد فهم من هذا الموضوع ما لا يفهمه بعض الأساتذة الكبار ، وأنه ألقى محاضرته بصـــورة تدعو الى الاعجاب ولقد ألقيت بدورى فى الأسبوع التالى محاضرة عن مأساة قناة السويس •

وهكذا بدأ التطور الذى نشأ من انتقالنا الى المدرسة الثانوية يظهر علينا •

وكان محيى الدين يحدثنا عن شخصية عجيبة راح يعرضها علينـا فى كثير من الهزء والسخرية ويقص علينـا من أقاصيصها العجب والمطرب .

حدثنا عن شاب يسكن فى البيت المجاور وهو بيت قديم متهدم وهذا الشاب قد ألف جمعية أدبية أطلق عليها أسم جمعية القلم الأدبية وكانت تسمية الجمعية بالقلم مبعث تعليقات ساخرة منا جميعا .

ويتلخص عمل هـذه الجمعية فى أن « حضرته » أى هـذا الشاب يلقى محـاضرات فى بيته المذكور فيذهب لسماعها ثلاثة أو أربعة على الأكثر بعضهم نجار وآخر تلميذ صغير لعله أخو هذا الشاب ورجل عجوز ، ثم يروح يلقى محاضرته كأنه يخطب وسط الألوف فيروح ويجىء فى أنحاء الحجرة ويطيل قامته ويقصرها .. ويرفع صوته الى آخر المدى وينخفض به وقد يضرب بيده على المائدة فيحطم المصباح الضئيل الذى ينير الحجرة والموضـوع على المـائدة أو قد تتهاوى المائدة نفسها لقدمها وما تنخره السوس فى عظامها . وعلى هذه الوتيرة راح زميلنا يحدثنا عن هذه الشخصية العجيبة شخصية رئيس جمعية القلم الأدبية . وكنا فى كل يوم نجتمع نسمع من حكايات وأقاصيص صاحبنا ما جعلنا فى شوق شديد لرؤية هذه التقليعة الغريبة ولما كان رئيس الجمعية يلقى محاضرته فى يوم معين من كل أسبوع فقد انتظرنا على أحر من الجمر حلول هذا اليوم للذهاب لسماعها .

وأخيرا جاء اليوم الموعود فذهبنا ثلاثتنا سـيد فتحى وأنا ومحيى الدين وقد وجدنا مسرح الحوادث يطابق الصــورة التى وصفت لنا تماما . فقد دخلنا فى بيت قديم خرب واجتزنا فناء

المترب الرطب ثم صعدنا درجات سلم مظلم يكاد يهوى بنا ودخلنا الى شقة صاحبنا فقادونا الى حجرة الكتب ولم تكن حجرة الكتب سوى حجرة فى بيت عتيق ارضها من البلاط الذى عفت عليه الأيام وبها اريكتان او بالأحرى (كنبتان بلدى) وترابيزة صغيرة تسمى مكتبا من باب التجوز وهى رقيقة تكاد تنوء من المصباح الذى كان جاثما فوقها ٠

واستقبلنا صاحب الدار رئيس الجمعية والأستاذ المحاضر فى بشاشة وترحاب وفرح وتور فلعلنا كنا من أحسن الزبائن الذين وفدوا عليــه فى ليلة من الليالى فقد كنا نرتدى جميعــا البدل .. ولعله قد سبقنا أو لحقنا شخص آخر أو شخصان فاصبحنا خمسة فى الحجرة فاكتظت بنا وكان النور الذى يبعثه المصباح خافتا وكان ذلك كله يملأ صدورنا برغبة شديدة فى الضحك على هذا الجو الغريب ، ولكننا كنا نحبس فى أنفسنا الضحك ، نختزنه ريثما ننتهى من الرواية كلهــا ونسمع محاضرة المحاضر وما سوف تنطوى عليه من مضحكات ٠

وجاءت اللحظة التى وقف فيها صاحبنا المحاضر ليبدأ خطابه وراح كل منا ينظر الى الآخر ليوصيه أن يمسك نفسه عن الضحك٠

وبدأت المحاضرة وكان فى القاء المحاضر غنة معينة وكان الموضوع يدور حول مدنية قدماء المصريين ٠

وانثالت الالفاظ من فم المحاضر جليلة رائعة يأخذ بعضها برقاب بعض فى عبارات فصيحة على درجة عالية من قوة البيان ٠ وسرعان ما اختفت ضحكات السخرية وماتت الابتسامة الشيطانية التى أعددناها لهذا الموقف وبدأنا ننصت فى انتباه ثم فى اعجاب ٠ وبدأت حرارة المحاضر وحماسته ترتفع وترتفع وبدأنا نرى ما حضرنا

عنه من أنه يرتفع بقامته وينخفض ويتحرك خلف المكتب احيانا ذهابا وجيئة ، ولكننـا لم نر فى ذلك كله ما يدعو الى الضحك .

حقا لقد كان شيئا جديدا وكان شيئا غير مألوف وغريبا ، ولكنه كان ينطوى على جوهر رائع فالالقاء قد سحرنا وأخذ بتلابيبنا اما الموضوع فقد أذكى نيران الوطنية فى نفوسنا • وكان صاحبنا يخاطبنا كما لو كان يخاطب الوفا من جماهير الشعب • وقد نسى الجو الذى يتحدث فيه نسى انه يحاضر فى حجرته الصغيرة فى البيت المتهدم المتواضع ، نسى أن مصباح حجرته ضئيل لا يكاد يكفى لاضاءة الحجرة •• نسى ان كل الذين يسمعونه لا يزيدون على خمسة ، واندمج فى محاضرته او بالأحرى خطبته واندمجنا معه ونسينا هذا المحيط الذى يحيط بنا وعندما انتهى من خطابه وسط عبارات مدوية داعيا فيها الشباب الى النهوض والعمل والتكاتف لاستعادة مجد بلاده القديم ، صفقنا له فى حرارة ، صفقنا له من اعماق قلبنا واقبلنا عليه معجبين ، بينما اضطر زميلنا الثالث الذى جاء بنا لنشاطره سخريته أن ينضم الينا فى اظهار الاعجاب • ومنذ هذه الليلة بدأت علاقة جديدة متينة بيننا نحن الثـلاثة سيد فتحى واحمد حسين ورئيس جمعية القلم الادبية والتى لم يكن سـوى الأستاذ » حافظ محمود « وكيل نقابة الصحافة وأنا اكتب هذه السطور بكل احترام وتوقير لكل زملائه الصحفيين على اختلاف مذاهبهم السياسية واتجاهاتهم والوانهم ، وبادرنا بالانضمام الى جمعية القلم التى كانت تتألف من ثلاثة أشخاص أو اربعة وبانضمامنا اليها ضاعفت نشاطها وحيويتها وقد عهد الى برئاسـة قسم التمثيل فى الجمعية والى أخى سيد فتحى برئاسة القسم الادبى فى الجمعية •

وان هو الا شهر من الزمان حتى أقامت الجمعية حفلة عامة فى فناء بيت الرئيس •• هذا الفناء الذى وصفته لك من قبل متربا رطبا ولكن عندما كسيت جدران البيت بالاقمشـة التى

استوردت من (الفراشة) واضىء المساء بالليل (بالكلوبات) وصفت فيه الكراسى الصفراء وأقيم في ركن منه منصة للخطابة والتمثيل ، تبدل الموقف رأسا على عقب - وعند افتتاح الحفلة كان المكان مكتظا بالحاضرين والقيت الخطب الأدبية والمقطوعات التمثيلية وبعض الأناشيد والقطع الغنائية .. فكان اعجاب الحاضرين شديدا .. وكان ذلك نصرا وفتحا مبينا وهكذا بدأنا نواجه بنشاطنا الأدبى والفنى الجماهير لأول مرة .

وقد يهمني أن تعرف ان الاستاذ حافظ محمود في ذلك الوقت كان يتردد على الجامعة المصرية قبل أن تصبح جامعة فؤاد والتى لم تكن قد أنشئت بعد وكان من المعجبين بتوفيق دياب الذى جاء من لندن بطريقته الفذة في الالقاء التى كان حافظ محمود يحاكيها وكان يتلقى دروسه على يد طه حسين ومنصور فهمي وبقية هذا الرعيل الأول من أساتذة الجيل ، وبهذا وجدنا أنفسنا فى مصاحبتنا لحافظ محمود فى بؤرة النهضة الأدبية التى خلقتها الجامعة فى نشاطها الأول .

على أن هوايتى للتمثيل كانت هى المسيطرة على نشاطي وكان ترددى على مسرح حديقة الأزبكية ومسرح رمسيس مستمرا بالصورة التى شرحتها من قبل .

وعلى هذه الوتيرة من حضور الحفلات التمثيلية والمساهمة فى النشاط الأدبى والاجتماعى لجمعية القلم الأدبية وتمضية الوقت فى المطالعة أو المناقشة او خروجنا لبعض التنزه والرحلات أنا وسعيد لتحى يوميا ومعنا حافظ محمود فى بعض الأحيان .. على هذه الصورة امضينا العطلة السنوية فى صيف ١٩٢٥ .

وباقتراب السنة الدراسية الجديدة بدأ يلفت نظرنا بشدة الحياة الجديدة التي يشيعها وزير المعارف على ماهر في المدارس . فهذا الرجل الذي تقلدوه وزارة المعارف لأول مرة في وزارة جاءت لمصانعة الانجليز ومداهنتهم وانقاذ ما يمكن انقاذه من براثنهم باحناء الراس والخضوع لرغباتهم ، قد احدث في التعليم المصرى ما يشبه أن يكون ثورة ضد الانجليز ، وقد كان هذا من أعجب العجب . فقد ادخل اللغة الفرنسية الى التعليم لتزاحم اللغة الانجليزية واستورد عشرات من مدرسي اللغة الفرنسية من فرنسا مباشرة ، بل فعل ما هو أكثر من ذلك اذ أدخل مادة التربية الوطنية الى البرنامج ، وما تتضمنه هذه المادة من التعريف بالوطن والدستور والقوانين والجهاد في سبيل الحرية . وطلب من مدرسي التاريخ أن يتداركوا أخطاء الماضي التي كانت تصور مصر أمة مستضعفة خلال القرون والأجيال ..

فالحق أن مصر كانت لها مدنيات وحضارات أضاءت فيها على العالمين . وأدخل فروعا جديدة من المعرفة لم تكن في برامج التعليم من قبل كالجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات وأدخل التعليم بالسينما في المدارس وحتم أن يكون في كل مدرسة جهاز للسينما ووضع برنامجا ضخما للنشاط المدرسي . وشغل أوقات الفراغ للطلاب .. بل نظم رحلات للطلاب على نطاق واسع في طول مصر وعرضها لرؤية آثار مصر وأمجادها ومناطق نشاطها بل تخطى برحلاته الحدود المصرية ، ونظم رحلات لتجوب شواطىء البحر الأبيض ولتزور بلدان أوربا .. وشفع ذلك كله بانشاء الجامعة المصرية التي كانت حلما من الأحلام .

ولقد أشرت من قبل الى الجامعة المصرية وانها كانت موجودة وقائمة ولكن الحقيقة ان الجامعة المصرية الى ذلك التاريخ كانت تؤلف من كلية واحدة من كليات الآداب ولم تكن تتبع الحكومة المصرية ، فجاء على ماهر وضم المدارس العليا كلها الى هذه الجامعة فاصبحت تشمل كليات الآداب والعلوم والحقوق والهندسة والزراعه والطب ، وأطلق عليها جامعة فؤاد ، واستجلب لها نفرا كبيرا من الأساتذة العالميين من جامعات باريس ولندن .

وهكذا أحدث على ماهر ـ كما قدمت ـ ثورة كاملة فى الناحية العلمية وقد زودني ذلك الذى فعله على ماهر بحجة كنت أقذفها فى وجه السياسيين المصريين طوال السنوات التالية ، عندما كانوا يحتجون بالانجليز لتقاعسهم عن اصلاح حال البلاد فقد كنت أذكرهم دائما بعمل على ماهر فى وزارة المعارف ، وانه عندما وجد الرجل صاحب العزيمة والقدرة على التنفيذ مضى الى هدفه بقدم ثابتة ولم يستطع الانجليز أن يعترضوا سبيله .

لقد أدخل على ماهر اللغة الفرنسية لتطرد اللغة الانجليزية من المدارس ، وهى التى كان يحرص الانجليز بجدع الأنف على سيادتها ، وأدخل التربية الوطنية لتحارب تعاليم الاستعمار الفاسدة .. فعل ذلك كله فى ظل وزارة كان يجثم عليها شبح الانجليز ونفوذ الانجليز ، وأنها تألفت لتصانع الانجليز .

ولقد كانت هذه النهضة أحد الأسباب التى جعلتنا نتعجل فى شغف بدء الدراسة فى العام الجديد لنستمتع بهذه الحياة الجديدة والعالم الجديد .. وجاء العام الدراسى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ ، وسافر أخى سيد فتحى الى أسيوط ليلحق بأسرته ومدرسته وأخذت طريقى يوم الافتتاح الى شارع درب الجماميز لأدلف منه الى مدرستى الحبيبة مدرسة الخديوية .

لست الآن طالبا مستجدا كما كنت فى العام الماضى ، بل انا طالب قديم وفى السنة الثانية وانى لأعرف كل ركن من أركان المدرسة واعرف الكثير من وجوه مدرسيها وفراشيها وطلابها ، ولى فيهم معارف واصدقاء على الأقل هؤلاء الذين زاملونى فى العام الماضى ٠٠ ولذلك فقد كان يغمرنى هذا الاحساس الجميل الذى يملأ الطلاب الناجحين والذين يستقبلون عامهم الجديد فى نشاط وثقة بالنفس وآمال كبار .

عندما دخلت الفصل الذى خصص لنا لأول مرة ، وقد كان فصلا ضخما كامل التهوية والاضاءة لم أشعر بالرهبة التى ملأتنى وأنا أدخل الفصل فى السنة الماضية ، نحن الآن فى بيتنا وفى وسط عائلتنا ٠

وكان فى فصلى الجديد عدد كبير من زملاء العام الماضى ، وكان عباس حلمى ومصطفى حتحوت الى جوارى ولست اذكر كثيرا من رفقاء هذه السنة الا شابا من اسرة راتب ، وكان يسمى فيما اذكر عبد الله راتب وهو من الأسر الأرستقراطية ولكنه لم يكن شابا طبيعيا ٠

ولست أذكر احدا من مدرسى هذه السنة الا أن يكون مدرس الرياضة وهو الأستاذ امين ابراهيم الذى قابلته اخيرا ، وهو ناظر للمدرسة السعيدية ، والى جوار الرياضة كان يعطينا هذه العلوم الجديدة علم النبات والحيوان .

وفى ذاكرتى مدرس اللغة الفرنسية فقد كان حدثا جديدا فى حياتنا ٠ كان رجلا مسنا يسمى « مسيو ديتوى » وكان كغيره من مدرسى اللغة الفرنسية قد استجلب من فرنسا مباشرة والقى به وسلط

المدارس المصرية فهو يتكلم الفرنسية وسط صبيان لا يعرفون حرفا واحدا من الفرنسية ، وكان ذلك مثار صعوبة كبرى .. كان الرجل يخاطبنا بالاشارة ، وكان كيفية الفرنسيين سريع الغضب والتهيج وكان الطلاب الأشقياء يتخذونه أداة للتسلية ، وكانت حصته تتحول الى فوضى وتهريج ، وكان الرجل يعانى آلام شديدة وكنت أشفق عليه لما يناله من اذى الطلاب ، وقد لحظ الرجل اشفاقى عليه فقربنى اليه ، واعتبرنى تلميذا طيبا على الرغم من اننى لم اكن افهم حرفا واحدا مما يقول . ودعانا الى زيارة بيته انا وعباس حلمى وراتب وقسم لنا الشاى بواسطة زوجته ، وقد كان هذا شيئا جديدا بالنسبة لنا ولكن هذه الصداقة بينى وبين مدرس اللغة الفرنسية لم تزد شيئا فى معلوماتى فى اللغة الفرنسية ، ولذلك فقد كنت فى مؤخرة الطلاب فى اللغة الفرنسية باستثناء هؤلاء الذين لا يريدون ان يتعلموا شيئا على الاطلاق . ويخيل الى ان الأستاذ كامل أحمد صهر سيد فتحى كان يدرس لنا التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية .. وربما كان ذلك فى السنة الماضية . والمهم انه واحد من الأساتذة الذين مازالوا فى ذاكرتى . ولابد ان اللغة الانجليزية بدأ يدرسها لنا أحد المدرسين الانجليز ، ولكنى لا أذكره .. وهذا هو كل ما اذكره من حياتى الدراسية فى هذا العام مما يدلك على انها سارت حياة عادية ليس فيها ما يميزها .

« نهضـــة الطلبـــة »

على اننى قبل ان أدع هذا الجانب لأنتقل الى الجانب الآخر الأكثر حيوية من ذكرياتى ، واعنى به نشاطى فى فرقة التمثيل لا يسعنى الا ان اذكر ان ميلى للصحافة يعبر عن نفسه فى هذه السنة بصورة فذة . لقد اتفقت مع بعض زملائى على اصدار مجلة خاصة بفصلنا ، وجمعت بعض الاشتراكات من الطلاب ، واصدرت مجلة أطلقت عليها اسم « نهضة الطلبة » فيما أذكر ، وقد طبعتها

فى احدى المطابع التى طبعت لى من قبل منذ بضع سنوات منشورات جمعية نصر الدين الاسلامى · وخرج المشروع الى حيز التنفيذ فقد جاءت الساعة التى رحت أوزع فيها على الطلاب العدد الأول من هذه المجلة فكان ذلك مبعث دهشة وتعجب · وانى انكر أن العدد الثانى من هذه المجلة قد صدر أيضا ولكنى بعد ذلك شغلت فى فرقة التمثيل فتوقفت المجلة عن الصدور · والحق أن التمثيل منذ هذه الفترة بدأ يزحف على ويستغرق تفكيرى ونشاطى ·· حتى كنت أفنى فيه تماما ـ كما سأذكر فى الوقت المناسب ـ وطغى التمثيل على كل هواياتى الأخرى فى الكتابة أو الأدب أو النشاط الاجتماعى ، بحيث لم يدع مجالا لسواه ·· حتى الدراسة نفسها جاءت الساعة التى كنت أضحى بها من أجل التمثيل ·

كنت مصمما فى هذا العام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ ، الا يتكـــرر ما حدث فى العام الماضى حيث انسحبت من فرقة التمثيل وسمحت للأعضـاء القدامى ان يتجاهلونى ·· فقد كنت ـ يومئذ ـ عريقا فى صلتى بالمدرسة ، وأكثر عراقة فى هواية التمثيل بعد ان مضى لى اكثر من عام وانا اشتغل به ، بل بعد ان أصبحت رئيس قســـم التمثيل بجمعية القلم الأدبية ، وبعد أن أصبحت عارفا بكل مايجرى فى الوسط المسرحى وكل ما يتصل بالنشاط التمثيلى ، ففى ذلـك الوقت كانت قد صدرت مجلة تتحدث عن المسرح وكان اســـمها « المسرح » لصاحبها « عبد المجيد حلمى » ، وكانت هذه المجلة رمزا لما وصلت اليه النهضة المسرحية فى البلاد ، فقد انتشـــرت على نطاق واسع ونفذت الى مختلف الأوساط ولا سيما اوساط الطلاب والشباب بصفة عامة ، وكانت هذه المجلة هى المعهد الذى تخرج منه هذا الرعيل الأول من الصحفيين والكتاب المحدثين الذيـــن يعتبر « محمد التابعى » عميدهم وصاحب مدرستهم · وكانت المجلة أسبوعية تستعرض النشاط المسرحى وتنتقد الروايات التى يخرجها

« يوسف وهبى » . فقد كان يخرج فى كل أسبوع رواية جديدة ٠٠ وعلى صفحاتها عرفنا الممثلين فردا فردا رجالا ونســـاء ، ماذا يأكلون وماهى هواياتهم وماهى مشاعرهم ٠

وعلى صفحاتها بدانا نطالع كل مايربطنا بالحياة المسرحية ويجعلها جزءا من حياة المسرح ٠ وكالعادة لم اكتف عند مطـالعة المجلة ، بل لقد اتخذت طريقى الى ادارتها وتعرفت الى صاحبهـا « عبد المجيد حلمى » ٠

على ان العنصر الذى زادنى ثقة وعزيمة على اقتحام جمعية التمثيل هو وفـاة المرحوم محمود مراد ، فقد كان عميد الجمعيـة ورب نهضتها ، ولذلك فقد أصبح لا يعرف سوى الطلاب القدماء الذين اعدهم من قبل وعملوا معه ، ولذلك فليس هنـاك مجـــال لناشيء جديد أن ينفذ بينهم أو ان يطمع فى الحصـول على دور فى احدى الروايات الجديدة أو القديمة ٠

وعمل رؤساء الجمعية من الطلاب على أن يسدوا فــراغ المرحوم محمود مراد فجاءوا بالأستاذ عزيز عيد عميد المخرجين واستاذ التمثيل الأكبر فى مصر ليتولى الاشراف على الجمعية .

وجاء عزيز عيد وهو كأستاذ عريق وكشخص غــريب عن الوسط الجديد ، لم يكن يميز بين طالب وطالب ، فالكل عنده سواء والكل بالنسبة اليه مستجدون يتفاضلون امامه بنشاطهم واجتهادهم واستعدادهم الطبيعى ، وبذلك تساوينا جميعا فى الفرصة وهذا ما حفزنى وضـاعف فى تصميمى على أن اشق طريقى ٠ وكان يجب لكى يتعرف علينا عزيز عيد أن يلقى كل منا امامه مقطوعه ٠

والقيت امامه مقطوعة شعر معها الطلاب أننى أمثل وأجيد التمثيل ، ولكن لم يبد على عزيز عيد أنه ألقى بالا الى ما ألقيته امامه بصفة خاصة .

وكان من الواضح أن عزيز عيد لم يلق بالا الى شيء على الاطلاق فقد كان معتزما كأستاذ ان يبدأ معنا من البداية وان يعلمنا فن الالقاء على طريقته وبالاسلوب الذى رسمه .

وبدأنا بالدرس الاول وهو مقطوعة « الأنفيات » من رواية « سيرانودى برجراك » عندما أراد أحد الاشراف ان يتهكم على سيرانو ، وأن يجرح كبرياءه بأن يشير الى أنفــه الكبير ، وكان سيرانو يقتل كل من يتهكم عليه ولكنه اراد قبـل أن يقتــل هذا « الدوق » أن يعبث به فراح سيرانو يلقى عليه درسا فى كيف يكون التهكم على ضخامة انف سيرانو ثم يروح يصف هذا الأنف مئات الأوصاف المضحكة .

وبدأ عزيز عيد يعلمنا وبدأنا نتعلم واستغرق عــديدا من الدروس لنتعلم ، كيف تلقى هذه المقطوعة حتى كدنا نمل الموضوع واخيرا قرر ان يمتحننا وأن يعطينا درجات .

ولست أعرف حتى الآن كم درجة اعطانى الرجـل فى هذا الامتحان ، ولكن كان من الواضح انها اكبر من الدرجة التى اعطيت لرؤساء الجمعية من الطلاب .. الذين ضاقوا ذرعا بهذا الاسلوب الذى حولهم تلاميذ صغارا من جديد وهم الذين اعتادوا أن يمثلوا ادوار البطولة فى روايات « محمود مراد » ، ولذلك فقد أعلنوا فجأة استغناءهم عن عزيز عيد ، واعراضهم عن هذا الأسلوب فى تعليم التمثيل ، كمـا أعلنوا عزمهم على اعـادة تمثيل احدى روايات

محمود مراد على أن يخصصوا ايرادها لورثته ومن غير شك انني رحبت بهذا الاتجاه ، لانني كنت لا أقل شغفا عن أى واحد فيهم عن الاشتراك في تمثيل رواية والاضطلاع بأحد الأدوار .

ورواية « مجد رمسيس » كما سبق ان اشرت هي رواية غنائية « تعد نوعا من الأوبرا » تعتمد على مجموعة من الاناشيد وادوارها الرئيسية تؤدى عن طريق الغناء فيما خلا شخصيتين او ثلاثا على وجه التحديد .

وكان دورها التمثيلي الأول هو للكاهن الاكبر وكان مقرر ان يقوم به رئيس الجمعية الأستاذ « عبد اللطيف شاش » وهو تلميذ كبير في السنة الرابعة ومن أقدم اعضاء الفرقة فلا محل لمنازعته في هذا الدور . وكان الدور الذى يليه دور مصرى يسمى « مانشو » وهو جاسوس خائن ولهذا الدور رنوت ببصرى وتقدمت في الامتحان للحصول عليه .

ولكن رؤساء الفرقة كانوا قد اعتزموا اعطاء هذا الدور لأحد اصدقائهم القدماء وهو الأستاذ « جلال الدين العروسى » الذى يحتل منصبا كبيرا الآن في وزارة الداخلية في قسم الجوازات والجنسية . ولكنهم كانوا محرجين ازاء تفوقي في أداء الدور ، فخرجوا من هذا المأزق بأن اعطونى الدور الثالث في الرواية بدون امتحان وهو دور للقائد يسمى (أونا) .

وقضى الأمر واصبحت واحدا من ممثلى الرواية الذين يشار اليهم بالبنان والذين يخرجون كل يوم من الفصل للتمرين والتدريب وكان ذلك يملؤنى زهوا .

ورواية مجد رمسيس شيء رائع من غير شك وقد كان لهـا ابعد الأثر في غرس بذور الوطنية في نفسى باناشيدها الحماسية

التى تتحدث عن مجد مصر وعظمتها وقد ظلت هذه الأناشيد تصاحبنى حيثما رحت وانى جئت · حتى جاءت الساعة التى تفجرت فى نفسى وطنية متدفقة على صورة جهاد ضد الانجليز من أجل الحرية ومجد البلاد .

وتتلخص الرواية فى ان كاهن مصر الأعظم على أيام رمسيس الثالث لم يكن فى حقيقته الا دخيلا أجنبيا وقع فى أسر مصر ، ولكنه استطاع بدهائه ان يبدو كأنه مصرى وأن يتدرج حتى يحصل على منصب الكاهن الأعظم ، ثم يعمد لاستغلال هذا المنصب الخطير لايقاع الدسائس والفتن لخراب البلاد ودمارها ، وانتهز فرصة انتصار قائدين لرمسيس الثالث فى فتحهما لبلاد الشام فنسب اليهما منشورا كاذبا يعلنان فيه عصيانهما وتمردهما على رمسيس ، واستقلالهما بملك الشام فيقبض عليهما رمسيس الثالث ويحكم عليهما بالاعدام · وفى ساعة التنفيذ تفتضح الدسيسة وينكشف الستار عن حقيقة الكاهن الأعظم ودسائسه فيطلق سراح القائدين البريئين ويقبض على هذا الدخيل الأجنبى ، ويقدم بدلا من القائدين .

ويسدل الستار على هذه الصيحة الغالية التى يهتف بها الشعب فى صورة نشيد رائع :

ايها المصرى يا ابن النيل
يا نبيل القصد
انت اولى الناس بالتبجيل
يا سليل المجد
اطلب العليا وحاذر
خدعة الدخلاء

كلهم خصب وفنار

مصر للفداء

اننا قوم كرام

نكرم الغرباء

والحر يأبى ان يضام

ان مبدانا الابد

ثم تنتقل المجموعة الى نشيد آخر اكثر دويا يسدل على آثاره الستار وهو من تلحين سيد درويش ويبدأ بهذا المطلع :

سودي على رغم الزمن

يا مصر يا نعم الوطن

دوسوا العدا يوم الردى

لبوا الندا كونوا فدا

وطنيتي هي نعمتي

وعقيدتي هي امتي

والحر يبعث كالهرم

لتمحص دانت أمم

تفنى وان طال الزمن

والمجد باق للوطن

الى آخر هذا النشيد وغيره من عشرات الأناشيد التى ما فتئت اترنم بها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، وعندما نجتمع فى كل عام عند سفح الهرم لنحتفل بالعيد ، لا أحد ما يشوقنى أكثر من ان انشد لأبناء مصر الفتاة هذه الأناشيد الأولى التى ايقظت روحى وغرست فى نفسى مجد مصر ٠

ومن هذه الأناشيد ذلك النشيد الداوى الذى اتخذته بعد عشر سنوات من هذا التاريخ نشيدا رسميا لمصر الفتاة وهو نشيد : اسلمى يا مصر اننى الفدا ٠

والحق أن « مجد رمسيس » باناشيدها وموسيقاها هى خالقة مصر الفتاة ونهضتها وستظهر الصلة المباشرة بينها وبين فكرة مصر الفتاة بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ ، عندما ذهبت الى رحلة الأقصر وأسوان ، كما سأشرح ذلك بالتفصيل فى حينه ٠ سارت تجارب الرواية فى طريقها تحت اشراف عبد اللطيف شاش الى ان اقترب اليوم المحدد للتمثيل ، فاستأجرت الجمعية مسرح حديقة الأزبكية ، وكان من حقنا أن نجرى عليه تجربة قبل ليلـــة التمثيل ٠ ولست استطيع ان اتحدث عن مقدار سعادتى عندما وجدت نفسى فوق مسرح حديقة الأزبكية الذى طالما هفت نفسى للوقوف عليه منذ عرفت طريقى لمشاهدة رواياته ٠ لم اكن اصدق نفسى انى فوق خشبة المسرح ، وأن حلمى قد تحقق اخيرا وهاأنذا أسير فوقـــه ٠

ولم يكن هناك حد لفيض السعادة الذى أصبح يغمرنى لدى كل خطوة جديدة نخطوها فى هذه اللحظات الأخيرة ٠

لقد جاء دور توزيع الملابس علينا وباعتبارى احد القائدين اللذين تدور عليهما حوادث الرواية فقد أعطيت لى بدلة فرعونيـــة

فالخزة جعلتنى اشعر بالعزة والبأس بالنسبة لكل من يحيط بى من الجنود وأفراد الشعب ٠

واجرينا التجربة الأخيرة ، كما ستمثل فى اليوم التالـــى وصاحبتنا فرقة موسيقى المدرسة برئاسة زين العابدين الذى كان يجيد قيادة الفرقة لعزف اناشيد الرواية وموسيقاها الصامتة ٠

وانصرفت الى بيتى وأنا أكاد أطير من فرط السعادة ولم استطع النوم فى هذه الليلة من شدة اللهفة على شروق شمس اليوم التالـى ٠

واشرقت الشمس وتوجهت الى المدرسة ومن المدرسة اخذنا طريقنا الى مسرح حديقة الأزبكية حيـــث فوجئت بمـا زاد فى سعادتى اذ وجدت غرفة من غرف الممثلين قد خصصت لى ولزميلى القائد لخلع ملابسنا وكان ذلك آيه الأهمية التى وصلنا اليها .

وبعد ان غيرنا ملابسنا وارتدينا ملابس التمثيل جاء المختص فى عمل « المكياج » وبدأ فى صبغ وجهى بمختلف الأصباغ والأدهان ليخفى صورة الشاب الصغير ويرسم صورة القائد المغوار ، وهكذا كانت احلامى كلها تتحقق خطوة فخطوة ٠٠ فانا الآن ممثل خطير وان هى الا بضـع ساعات حتى تمتلىء هذه الصـالة بالمتفرجين ليشاهدوا تمثيلى وكأنهم لم يجتمعوا الا ليشاهدوا تمثيلى انا ٠

ووصلنا الى ذروة الموقف ٠٠ وكان قلبى يخفق فالصـالة الآن مليئة بطلاب المدرسة ورجال الصحافة وموظفى وزارة المعـارف واقاربنا وكل من يلوذ بنا وقد اطفئت الانوار وعزفت الموسـيقى نشيد الافتتاح ورفع الستار وبدأ التمثيل ٠٠ وصـــاح بنا مدير المسرح أن اســتعدوا ، وجاءت الاشـارة الموعـودة « ادخـلوا »

ودخلنا وعمرتنا الأضواء واستقبلتنا الموسيقى التى كانت تعزف (مارشا) فقد كان دخولنا على المسرح على رأس فرقتنا حيث نسير فى موكب عسكرى وتعزف الموسيقى مارشا يشبه المارش الشهير فى رواية عايدة ، حتى اذا وقفنا فى حضرة رمسيس اسرع الشعب الى ترتيل نشيد يمجد فيه آمون العظيم على ما أولى مصر من نصر على أيدينا ·

ثم يشرع رمسيس يهنئنا على ما احرزنا من نصر ويسألنا أن نقص عليه تفاصيل المعركة ·· وكان زميلى القائد يصف المعركة غناء . اما انا فاصفها تمثيلا وكانت كلماتى تلقى بقوة كأنها قذائف ·

وكان عبد اللطيف شاش رئيس الفرقة يأبى الا أن يجعلنى ابالغ فى تضخيم الألفاظ والعبارات وان أبالغ فى اظهار صرامتها وفى تقوية صوتى ·· ولست أعرف ماذا فعلت فى هذه الليلة وانا تحت الأضواء وامام الجمهور ·· والتعليق الوحيد الذى انتظرته بفارغ الصبر جاء على لسان « الأحنف » محرر مجلة المسرح حيث وصفنى فى حديثه عن الرواية الذى استغرق صفحتين كاملتين من مجلة المسرح بأننى كنت القائد (الشخطى) ، وقد سرنى هذا النقد وأحزننى فى ذات الوقت ، سرنى أننى استطعت على كل حال أن ألفت نظر الناقد الكبير وأن يرى نفسه مضطرا للتنويه بى كبطل من ابطال الرواية ، وأن يظهر اسمى على مجلة المسرح ، وأحزننى بطبيعة الحال أنه لم يستطع أن يصفنى الا بهذه الكلمة كلمة (الشخطى) ، ويظهر أننا دائما نتصور أنفسنا شيئا مذكورا والحقيقة تخالف تلك الى حد بعيد ·

كيفما كان الأمر فقد انتهت الحفلة بنجاح فى مجموعها ، وقد اصبحت فى النهاية ممثلا يقف تحت الأضواء ويمثل أمام الجماهير ويلقى التصفيق والتهنئة · واصبحت نجما من نجوم فرقة التمثيل

بالمدرسة الخديوية ولم تعد هذه المسألة محل شك أو منازعة • حتى ان عبد اللطيف شاش عندما أراد قبيل آخر السنة أن يأخذ صورة تذكارية لأبطال الفرقة دعاني للاشتراك في الصورة وقد كانت هذه مفاجأة لي ، فقد كان رؤساء الفرقة لا يحبونني لاستطاعتي ان افرض نفسي عليهم ، ولذلك فقد كانت مفاجأة لي دعوتي لصورة تؤخذ معهم ، واعتبرت ذلك قمة النصر ، وأن مركـــزى قد ثبت نهائيا في الفرقة كما قدمت .

وبدأت الأمور بعد ذلك تتطور من حسن الى أحسن فالأمر ما فكر رؤساء الفرقة في عقد مباراة تمثيلية في آخر العام لاختيار احسن ثلاثة في الفرقة كلها ، واعد كل منا متطوعة لالقائها ، وكنت قد ازددت بعد التطورت الســـابقة ثقة بنفسي واعتزازا بمكانتي وصميت ان اكون الأول في هذه المباراة ولكني لم اكن الأول ، واعتبر عبد اللطيف شاش هو الأول واعتبرت انا وجلال العروسي في الدرجة الثانية ، وعندما احتفلت المدرسة قبل اختتام الدراسة بتوزيع الجوائز على المتفوقين في مختلف نواحي النشاط المدرسي تناولت من يد الناظر وسط التصفيق جائزة التمثيل الثانية عن عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ الدراسي ولست اذكر الآن بالضبط ماهية هذه الجائزة هل كانت حقيبة كتب أم انها كانت ساعة •

لقد كانت هذه أول جائزة من نوعها احصل عليها في حياتي الدراسية كلها ، وهكذا بدا التمثيل وهواية التمثيـــل تبوئنـــي الصفوف الأولى في المدرسة فضاعف ذلك في حماسي ونشاطي واستغراقي في فن التمثيل .

انا والصديق ع٠ ا٠ ا٠

على إنني لا استطيع ان ادع موضوع هذه المباراة التمثيلية ينتهي دون ان اعرض لواقعة جرت بمناسبتها وكانت بدء صداقة

حادة عنيفة بيني وبين الصديق ع٠أ٠أ٠ ، والتي استمرت بضع سنوات كانت فيها صداقة كأجمل ما تكون الصداقة واستمتعت بإخلاص ووفاء أخ كريم . وكان من الممكن أن تقوى الروابط بيني وبينه الى نهاية العمر لو انني تزوجت أخته كما كان المنظور والمتوقع ، ولكن تصرفات القدر وحوادث الأيام أحبطت هذا المشروع الأخير بعد عشر سنوات كاملة وعفت على هذه الصداقة الجميلة بحيث تمر الأعوام الآن تلو الأعوام . فلا أكاد أسمع عن هذا الصديق فضلا عن رؤيته ٠٠ ولكن في هذه الأيام التى أتحدث عنها وفى تاريخ السنوات المقبلة فى هذه المذكرات سيحتل ع٠ا٠ا٠ وستحتل أسرته وستحتل اخته او بالأحرى اخوته جميعا من بنين وبنات جزءا كبيرا من هذه المذكرات ٠

وكان بدء هذه الصداقة الوطيدة التي استمرت عشر سنوات بمناسبة هذه المباراة التمثيلية التى تحدثت عنها ، فوجئت عندما أعلن عن هذه المباراة بطالب رقيق مؤدب يقترب مني ويقول لي انه يلتمس مني أن أعاونه على الاستعداد لهذه المباراة . فاختار له القطعة التي يمثلها وأساعده علي التمرن عليها ، وكان هذا الطلب مفاجأة شديدة الوقع على نفسي . لقد كان كل أعضاء جمعية التمثيل ينظرون الى شزرا ، فالأعضاء القدامي يضايقهم مني ما يعتبرونه غرورا ونجاحي في فرض نفسي عليهم وارغامهم على اعطائي دورا فى الرواية ٠٠ والأعضاء الجدد يغيظهم استطاعتي شق طريقي والوصول الى القمة ، ولذلك فقد كانوا يتحاشونني جميعا ، ولم يكن لي بين هؤلاء او هؤلاء صديق ولم أسمع في اى يوم من الأيام كلمة تشجيع من واحد منهم او كلمة طيبة على اى صورة من صوره٠٠

وكان ذلك يحز في نفسي ؛ فمنذ طفولتى المبكرة ، لم اكن احس انني أبغض احدا او انني إكره احدا وكنت على استعداد

دائما بان اكون نافعا وصديقا لكل من يحيط بى مكان يؤذينى هذا النفور منى ، ومع ذلك فقد كنت ماضيا فى طريقى اشقه بجهادى ·
فعندما جاء ع·ا·ا· يطلب منى أن أكون مدرسا له عندما قال لى انه اختارنى من بين جميع أعضاء فرقة التمثيل لأنه معجب بى كان ذلك حدثا فى تاريخ حياتى فى هذا الفترة ، كان نصرا وفوزا مبينا ، فهاأنذا فى النهاية اجد واحدا يعترف لى بالأستاذية ويتحدث عن الاعجاب بى ولا يجد غضاضة فى ان أعلمه مقطوعة ليتقدم بها فى الامتحان ·

وغنى من البيان ان تلقيت الدعوة بترحــــاب شديد ولهفة زائدة · وعندما طلب منى ان اصحبه بعد انتهاء الدراسة الى منزله لاشرع فى تعليمه المقطوعة التى يريد القاءها ، أسرعت الى تلبيـــة الدعوة ، وذهبت معه الى بيتهم وكان فى شارع يمقوب بالقرب من وزارة المالية فى احدى العمارات الحديثة البناء · وعندما دخلت الى الشقة التى يقيم بها كان يظللها سكون عميق اشعرنى بالرهبة ، وعندما دخلت حجرة الاستقبال التى كانت مفروشة فى مستوى أعلى من المستوى الذى أعيش فيه ازددت رهبة على رهبة · ولقد علمت فيما بعد ان هذا البيت ليس بيته الرئيسى ، وانما هو بيت أخته الكبرى التى كانت ناظرة فى احدى مدارس البنات الشهيرة ، وكانت متزوجة موظفا كبيرا من موظفى وزارة المعارف ، وهو بدوره ناظر احدى المدارس الثانوية وكان ع.ا.ا. يقيم عندهما كضيف ولذلك فلم ناخذ راحتنا الكاملة فى « الزعيق » والحركة وكنا نتمرن على القطعة التى اخترتها له فيما يشبه الهمس ، ولم تكن هذه القطعة سوى هذا المنولوج الذى يلقيه « تيمور » فى رواية لويس الحادى عشر عندما ذهب لينتقم من لويس الحادى عشر ، فاذا الطبيب لويس يحاول أن يثنى تيمور عن عزمه ويطلب منـــه أن يستغفر لويس الحادى عشر عما بدر منه فيشرع تيمور فى القـاء

مقطوعة من أروع المقطوعات التمثيلية ، وكنت أجيد هذه المقطوعة الى الحد الذى أثار اعجاب ع٠١٠٠٠ وطلب منى أن أدربه على القائها ، وقد تقدم بها الى الامتحان ولم يحصل كغيره على جائزة من الجوائز الثلاث ٠٠ ولكن هذا التلاقى بينى وبينه كان بدء هذه الصداقة الجميلة التى نشأت بينى وبينه ، والتى راحت تزداد تمكنا شهرا بعد شهرا أو يوما بعد يوم ٠٠ حتى جاء وقت كنا لا نستطيع فيه الا يرى أحدنا الآخر فى اى يوم من الأيام ٠

رحلة الى اسيوط

وعلى ذكر صداقتى الوليدة مع ع٠١٠٠٠ فقد كانت صداقتى الكبرى لسيد « فتحى رضوان » لا تزال هى محور حياتى العاطفية ، وكانت الرسائل المطولة تترى بينى وبينه حيث نتحدث عن كل شىء من السياسة الى الأدب الى التمثيل حيث يقص على أنباء ما طالع من الكتب أو الروايات ويلخصها لى ، وحيث يصف لى مدرسته وأصدقاءه والحوادث اليومية وكنت أبادله ذلك كله فى رسائلى ٠

وكان لابد أن أسعى اليه فى أسيوط لأرى هذه البيئة الجديدة التى يعيش فيها زميل طفولتى وصديقى الحميم ٠

ولقد انتهزت فرصة عطلة نصف السنة الدراسية وذهبت اليه فى أسيوط ، وحلت من سعادتنا باللقاء فقد راح يطوف بى فى أرجاء المدينة ويحدثنى عن كل شىء ورأيت لأول مرة قناطر اسيوط ومنطقة الحمراء ، وما بها من حدائق واستمتعت بصحبة سيد وضيافته مدة ثلاثة أيام على ما أذكر ، وقد فهمت فيما بعد أن ذهابى لسيد قد أثار أزمة فى المنزل فلم تكن هذه الزيارة مرغوبا فيها من والدته الحازمة ، فقد كانت لا تتصور كيف أن صبيا صغيرا يفد من مصر الى أسيوط ليزور ابنها الصغير ويقيم فى البيت ،

ولكن ارادة سيد واصراره على الدعوة واصراعى للتنفيذ وضعها امام الأمر الواقع ، وعندما ذهبت لم اشعر بأى شىء غير عادى فى الجو ، بل لقد عوملت بكل الاكرام الذى جعلنى أعود من رحلتى سعيدا مغتبطا بعد ان اصبحت صداقتى وسيد بعد هذه الرحلة شيئا مثاليا منعدم النظير . وبعد فلست اعرف اذا كانت الذاكرة قد خانتنى فجعلتنى اذكر هذه الرحلة فى هذا العام أم انها كانت فى العام السابق ولعل الفرصة متاحة لى ان اقف من فتحى على تصويب موعد هذه الزيارة الخالدة .

لم يبق الا ان أشير الى الأحداث السياسية فى هذه الحقبة لكى نتم حديثنا عن هذا العام الدراسى .. ولعلك قد لاحظت ايها القارىء أن شغفى بالتمثيل قد بدأ يطغى على كل شىء بحيث أن ما ذكرته عن حياتى الدراسية لم يعد كلمات قلائل بينما ذكرت نشاطى المسرحى فى تفصيل كامل .

وما يقال عن حياتى الدراسية يقال عن ذكرياتى السياسية فقد بدأت اتلقى انباء الأحداث السياسية كمتفرج منصرف النفس والفؤاد عن الاهتمام بما يشهد أو يسمع ، ولكن كانت الأحداث الجارية تضع بذورها فى نفسى من حيث لا أشعر حيث نامت هذه البذور وظلت فى حالة ركود وخمود ، حتى جاء الوقت الذى ازدهرت فيه ونمت فطبعت نشاطى السياسى أيام كفاحى فى مصر الفتاة .

لقد اجريت انتخابات لتشكيل برلمان بدلا من البرلمان الوفدى الذى حلته وزارة « زيور » واشرف اسماعيل صدقى وزير الداخلية على الانتخابات لمجلس النواب الجديد . ولأول مرة استخدم اسماعيل صدقى أساليبه الشهيرة فى الضغط على الناخبين وعمل المناورات من ارهاب وترغيب للوصول الى نتيجة معينة .. وتألف

في هذه الفترة مايسمى حزب الاتحاد وقيل وقتئذ انه حزب الملك وقدم حزب الاتحاد مرشحيه الى جوار حزب الأحرار الدستوريين الذين كانت تتألف منهم الوزارة .

وكانت الانتخابات على درجتين أى أن كل ثلاثين ناخبـا ينتخبون مندوبا وهؤلاء المندوبون هم الذين ينتخبون عضو مجلس النواب .

وتمت الانتخابات أخيرا كان اسماعيل صدقي هو وزير الداخلية الذى أجرى الانتخابات وقد ابتدأ تجاربه الرائدة فى التزوير والزيف فى الانتخابات وهى التجارب التى صقلها فيما بعد ، وعقد مجلس النواب وفى جلسته الأولى جرت الانتخابات لاختيار رئيس المجلس ، وكان المرشحان هنا سعد زغلول زعيم الأمة وعبد الخالق ثروت مرشح أحزاب الأقلية ، أحزاب الانقلاب ، وأسفرت نتيجة الانتخاب عن فوز سعد زغلول برئاسة المجلس باغلبية بضعة اصوات اذ احرز مائة صوت وخمسة او حوالى ذلك ، بينما احرز ثروت سبعة وتسعين صوتا اذا لم تخنى الذاكرة فصعقت الحكومة لهذه النتيجة التى خيبت آمالها بعد كل الجهود التى بذلتها وبعد كل صنوف المناورات والمؤامرات ، ولذلك فقد اسرعت الى حل مجلس النواب الجديد ، الذى لم يمض على انعقاده سوى بضع ساعات حلته لنفس السبب الذى حلت من اجله المجلس الماضى . فاذا علمت أن الدستور صريح فى أنه لايجوز حل مجلس النواب مرتين لسبب واحد أدركت أن هذا الاجراء كان أول عدوان سافر على نصوص الدستور ، ولم يلبث العدوان أن تواتر بعد ذلك واخذ عدة صور واشكال والوان حتى اصبح الدستور قصاصة الورق التى لا تساوى الحبر الذى كتبت به .

وقد حز فى نفسى رغم عدم اشتغالى بالسياسة هذا التصرف وتسللت الى نفسى أول بذرة من بذور الحنق على الأوضاع السياسية فى البلاد .

وجرت الامتحانات لاختتام العام فاديتها بنجاح ونقلت الى السنة الثالثة وفقا للنظام الجديد الذى جعل الدراسة الثانوية خمس سنوات لا اربعا ، وجعل امتحان الكفاءة ـ أو بالأحرى اتمام المرحلة الأولى ـ من التعليم الثانوى بعد السنة الثالثة لا الثانية كما كان الحال من قبل .

واستقبلت الاجازة الصيفية بنشاط مضاعف .

صيف عام ١٩٣٦م

بمجىء الاجازة الصيفية جاء سيد فتحى الى مصر ، وبدأنا نشاطنا المشترك فى الحياة الأدبية والاجتماعية مع زميلنا الكبير حافظ محمود فى جمعية القلم ، ولقد تطورنا بجمعيتنا وبحفلتها السنوية ، فبدلا من (حوش) بيت حافظ محمود استاجر لنا مسرحا أو بالأحرى صالة يطلق عليها اسم « كونكورديس » وهى ملحقة بالكنيسة التى تواجه بنك مصر فى شارع عماد الدين ، وكان البرنامج يتألف من خطاب أدبى اجتماعى يلقيه الرئيس حافظ محمود ومن بعض خطب أخرى ثم فصل تمثيلى قمت فيه بالدور الرئيسى .

ولم يلبث شهرا الصيف يوليو واغسطس أن انصرما وبحلول شهر سبتمبر دخلت حياتى فى دور جديد ففى هذا الشهر كان يوسف وهبى يبدأ تجارب التمثيل لموسمه التمثيلى المقبل وكنت قد اعتزمت الالتحاق بمسرحه « كهاو » وأصبحت هذه أمنية حياتى

الكبرى ، واريد بهذه المناسبة أن اذكر تاريخ علاقتى بمسرح رمسيس هذه العلاقة التى ظلت تتطور وتتطور حتى كانت تنتهى الى ان اقف فى هذا المسرح لو ان يوسف وهبى قبل فى لحظة من اللحظات التى سنعرض لها أن يلحقنى بفرقته ..

كان بدء اتصالى بالتمثيل كما ذكرت من قبل بالتفصيل عن طريق فرقة عكاشة تياترو حديقة الأزبكية فكنت متعصبا لهذه الفرقة متحمسا لها الهج دائما بتفوقها وبدأ يوسف وهبى موسمه التمثيلى الأول عام ١٩٢٤ م دون أن اشهد رواية من رواياته ، وكان من حظ سيد فتحى أن يشهد روايته الكبرى فى هذا الموسم واسمها رواية «المجنون» ، وهى من تاليف يوسف وهبى ، فكان يستطيل على برؤية هذه الرواية ، وكان يقصها على ويقلد يوسف وهبى فى القائه فاحس بلذة الحرمان ، ولكن لم يكن هناك سبيل لمعالجة هذا الأمر ، فقد كان لابد من مبلغ لا يقل عن عشرة قروش لامكان مشاهدة احدى رواياته ، ولم يكن باستطاعتى توفير هذا المبلغ .

صدمة قوية

واعلن فى موسم يوسف وهبى الثانى ان جورج ابيض سينضم اليه بفرقته وانه سيبدا بتمثيل رواية « سيرانو دى برجراك » للشاعر الفرنسى الكبير ادمون روستان . ورواية سيرانو كانت قد ترجمت الى العربية وصاغها فى أسلوب عربى مبين الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى واطلق عليها اسم الشاعر . وروايات مصطفى لطفى المنفلوطى كانت من الروايات التى كان مدرسونا فى الدروس ينصحون لنا بقراءتها لتحسين لغتنا ، وكان كل من يريد ان يتذوق الأدب او ان يتصف بالأدب لابد له من قراءة هذه الروايات . وكان اشهر هذه الروايات على الاطلاق

رواية « مجدولين » أو « تحت ظلال الزيزفون » ثم رواية الشاعر سيرانودى برجراك ورواية « العبرات » ثم رواية للفضيلة او بول وفرجيني ، ورواية أخرى اسمها في سبيل التاج وهي كلها من عيون الأدب الفرنسي ، فكان بعض المصريين يترجمونها ثم يعيد مصطفى لطفي المنفلوطي صياغتها في قالب عربي مبين ٠

والحق أن المكتبة العربية لم تعرف منذ هذه الروايات ما يدانيها في الجمال والروعة ، وقد كنت مفتونا برواية سيرانو هذه فلم أكد اطالع الاعلانات الضخمة على الجدران تنبيء أن جورج أبيض سوف يمثل هذه الرواية على مسرح رمسيس حتى قررت أن أحضرها بأى ثمن من الأثمان ٠

وشرعت اقتصد وادخر طوال العام الدراسي حتى اذا جاء العيد أعلن عن تمثيل الرواية ، وكان قد اجتمع لى عشرة قروش ثمن التذكرة ، وهكذا جاء اليوم الموعود لأدخل فيه الى مسرح رمسيس واشهد تمثيل هذه الفرقة التي ملأت الدنيا ضجيجا انها قمة التمثيل الحقيقية ٠

ومازلت اذكر بعد كل هذه السنين الطويلة كيف ارتديت ملابسي ونظفتها بقدر الامكان ثم ذهبت الى الدولاب الذى كنت اخفى به هذا « النصف ريال » فأخذته من مكانه ووضعته فى جيبي ثم يممت صوب مسرح رمسيس سيرا على الأقدام من منزلنا بالسيدة ، وكانت الحفلة نهارية تبدأ فى الساعة الخامسة والنصف فبدأت رحلتي نحو المسرح فى الساعة الثانية ظهرا بعد أن تناولت طعام الغذاء ، وصلت الى باب المسرح ولم يكن شباك التذاكر قد فتح بعد فرحت أتسكع حول المسرح وفى شارع

عماد الدين ساعة كاملة فتح بعدها شباك التذاكر ، فذهبت اليه وقلبى يخفق كما لو كنت مقبلا على مغامرة كبرى .. كيف لا وقد كان هذا حلم عامين كاملين ان تتاح لى فرصة دخول مسرح رمسيس وها هى قد جاءت !!

واقتربت من شباك التذاكر وقد ازداد خفقان قلبى وتصبب العرق من جبينى وكانت تجلس فى شباك التذاكر فتاة اجنبية ، وكان كل ذلك جديدا بالنسبة لى وتقدمت بشجاعة الى النافذة وابرزت النصف ريال الذى كان يلمع نظرا لجدته وقلت لبائعة التذاكر اريد تذكرة بنصف ريال .. فابتسمت فى وجهى وقالت لا توجد لدينا تذاكر بنصف ريال .. ان اقل تذكرة بخمسة عشر قرشا .

ياللهول .. يا لخيبة الأمل .. يا للخجل والعار .. يا للأحلام التى ضاعت والقصور التى انهارت .. لقد وقفت مبهوتا امام الفتاة لا استطيع ان اجد جوابا ، ثم انسحبت فى سكون اكاد انوء تحت وقع الصدمة .

لقد انتظرت بضعة اشهر كاملة احتملت فيها وحرمت نفسى من كل مباهج الحياة حتى اقتصد هذه العشرة قروش ، وفى نهاية الأمر لا يتحقق حلمى .

عدت الى البيت وانا حزين كئيب وظل سيد فتحى يتفوق على برؤيته رواية « المجنون » وبانه رأى يوسف وهبى ولم اره ، بل لعله فى ذلك الوقت كان قد شهد له رواية ثانية .

.. واحتاج الأمر الى بضعة اشهر أخرى قبل ان أيمم شطر مسرح يوسف وهبى ثانية ، وفى هذه المرة عندما قصدته كنت أكثر ثباتا واقداما فقد كانت معى الخمسة عشر قرشا ، بل ما هو اكثر منها ، فقد كان راتبى الشهرى قد زيد الى ثلاثين قرشا فى الشهر بعد أن اصبحت طالبا فى الثانوى ، وكانت الرواية التى ذهبت الى رؤيتها هى رواية « غادة الكاميليا » والتى طبقت شهرتها الخافقين .

وجاءت الساعة التى رأيت نفسى جالسا فى صالة مسرح رمسيس وقد اخذ بلبى الصمت العميق الذى كان يسود المتفرجين والذى كان من الواضح انهم من طبقة أرستقراطية اكثر من طبقة رواد تياترو حديقة الأزبكية .

واطفئت الأنوار ورفع الستار وبدأ التمثيل .. كانت روزاليوسف هى التى تمثل دور مرجريت جوتييه ويوسف وهبى يمثل دور أرمان ديفال ، وكان هذا اللون من التمثيل جديدا على ، فروايات تياترو حديقة الأزبكية فى اغلبها روايات شرقية أو مصرية او غنائية ولم اشهد من قبل رواية افرنجية عصرية كغادة الكاميليا ، ولذلك فقد كنت مأخوذا بهذا الجو الجديد وبهذا التمثيل الرائع الذى لا يقارن به كل الذى شهدته حتى ذلك الوقت وعندما وصلت القصة الى الفصل الثالث وعندما وصلنا الى هذا الموقف الخالد موقف الأب ديفال وهو يحاول أن يقنع مرجريت ان تتخلى عن ولده هنا كان التمثيل قد وصل الى درجة لم تكن تطوف لى فى خيال .. واخذ منى التأثر مبلغا عظيما فرحت اذرف الدمع فى صمت وبدون انقطاع ، واشهد ان ليس كل الروايات التمثيلية التى عرفتها المسارح فى القديم أو الحديث مشهد يفوق هذا المشهد من حيث الكمال الفنى والتمثيلى

ووصلت روز اليوسف الى ذروة المجد فى هذا المشهد ، ولم يكن يقل عنها مجدا عزيز عيد الذى كان يمثل دور الاب ديفال .

وعندما جاء الفصل الاخير ومرجريت جوتييه طريحة الفراش يوشك المرض ان يفترسها ويحمله موتها الى الابد كنت انتحب عذابا حتى خيل الى انه قد يغمى على من الألم والتأثر .

ونزل الستار فى النهاية وخرجت من المسرح وقد ولدت من جديد ...

لم يرعنى يوسف وهبى فى دور أرمان ديفال كما راعتنى روز اليوسف والحق ان رواية غادة الكاميليا هى رواية قد وضعت لابراز مواهب « سارة برنار » اى انها رواية بطلتها امرأة وليس رجلا ، ولذلك فلم يستطع يوسف وهبى ان يؤثر على كثيرا فى هذه الرواية وان كان الجو كله قد اثر فى نفسى أعمق تأثير .

توسكا

على أننى وقد دخلت مسرح رمسيس مرة فقد أصبح دخولى بعد ذلك سهلا ميسورا بعد أن عرفت الطريق ، فان هى الا بضعة أشهر أخرى حتى كنت اشهد رواية ثانية وهى رواية توسكا ، وفى ذلك الوقت كانت روز اليوسف قد تركت مسرح رمسيس وأصدرت لنفسها مجلة هى المجلة المسماة باسمها حتى الآن ، وبعد ان كانت مجلة المسرح هى المجلة الوحيدة التى تكتب عن المسرح أصبحت روزاليوسف إلى جوارها ، وعلى صفحاتها بدأ التابعى نقده لفرقة يوسف وهبى وتعليقه على الحوادث الجارية

بأسلوبه المعروف . وحلت فاطمة رشدى محل روزاليوسف واصبحت بطلة رمسيس الأولى واشتهرت رواية توسكا باعتبارها رواية الموسم الثالث لمسرح رمسيس فذهبت لرؤيتها .

ومرة أخرى رأيت عجبا وفنا رائعا .. وفى هذه الرواية تقوم فاطمة رشدى بدور ضخم يملأ الرواية كلها . ولكن يوسف وهبى فى نفس الوقت يقوم بدور من أدواره التى يظهر فيها امتيازه وهو دور « سكاربيا » هذا الطاغية . فنال اعجابى . بل ما هو أكثر من الاعجاب . لقد افتتنت به وأصبح منذ ذلك اليوم مثلى الأعلى الذى لا أتمنى من الحياة الا أن أصل فى يوم من الأيام الى بعض مكانتـه فى عالم التمثيل ..

وفى هذه الاجازة الصيفية التى أتحدث عنها صيف عام ١٩٢٦ م قررت أن أعمل المستحيل وألتحق بفرقة يوسف وهبى كتلميذ متمرن .

لست أذكر الآن على وجه التحديد ما الاجراء الأول الذى اتخذته لألتحق بالفرقة . لست أذكر اذا كنت قد كتبت ليوسف وهبى أم ان أحدا قدمنى اليه أم أنى ذهبت اليه مباشرة وطلبت مقابلته .. لقد ضاعت من ذاكرتى هذه الخطوة . ولكن الذى أذكره أنه فى صباح أحد الأيام اجتزت عتبة باب مسرح رمسيس الخلفى وصعدت هذه الدرجات القلائل التى تؤدى بنا الى خشبة المسرح . كما يقولون . وهناك لأول مرة وجدت الممثلين يحوطون باحدى الموائد وفى يد كل منهم (نوتة) يطالع فيها دوره التمثيلى .

وكان ذلك شيئا فوق احتمالى ، فهؤلاء هم نجوم المسرح الذين نتحدث عنهم البلاد ، هؤلاء هم الذين خفق قلبى وانا اشاهدهم بالليل يمثلون .. هؤلاء هم الذين تنشر مجلة المسرح وباقى المجلات والصحف صورهم يوما بعد آخر فى أوضاع مختلفة .. هذا هو حسين رياض الذى طالما هز نفسى هزا فى دوره فى رواية لويس الحادى عشر والذى كان أول ممثل قلدته فى تمثيله .. وهذا هو احمد علام وهذه فاطمة رشدى ، وهذا هو شيخ المخرجين وأستاذ الأساتذة عزيز عيد ، وهذا فتوح نشاطى ، وهذه زينب صدقى ، وهذه امينة رزق .. انهم جميعا .. النجوم والكواكب يجلسون على بعد خطوات منى وانى اراهم الآن واستطيع ان اراهم وأن المسهم باليد ، بل وأستطيع بشىء من الشجاعة ان اخاطبهم .

واخيرا .. هذا هو يوسف وهبى بشحمه ولحمه .. هذا هو يوسف وهبى فى صورته الطبيعية وليس فى صورة ، سكاربيا ، أو راسبوتين أو ارمان ديفال .. انه يوسف وهبى ..

وكم كان يوسف وهبى يملأ القلوب فى ذلك الوقت رهبة وروعة ، كان اذا حضر (البروفة) خفتت الأصوات وأرهفت الآذان وحبست الأنفاس ، فقد كان شديدا كان صارما على كل من يتكلم فى اثناء (البروفة) أو يتأخر عنها كان يطرد من المسرح نهائيا فى بعض الأحيان ، وكان يخصم من المرتبات بضعة أيام ، وهكذا كان يملأ القلوب خوفا ورعبا من صرامته .. مازلت اذكر فى مرة من المرات وكان يقوم بتمثيل احد الأدوار فسمع بعض الأصوات من باقى الممثلين يهمس هنا وهناك فما كان منه الا أن توقف عن التمثيل ووضع منظاره المفرد (المونوكل)

على عينه ثم راح يحدق في وجوه الممثلين واحدا بعد اخر في صمت فشحبت الوجوه وخفقت القلوب وحبست الأنفاس ، فقد كانت هذه الحركة تنذر الويل والثبور لكل من يوقعه سوء الطالع تحت نظره متحدثا او متحركا او مبتسما ·

وجال ببصره حول المسرح في تثاقل وصمت وكان ذلك كافيا كما السمت لكي يسكن الهواء نفسه ، فكأننا اصبحنا سكان عالم ثان ، وبعد أن اطمأن الى التأثير الذى احدثه استأنف التمثيل من جديد ، حيث ظـل الجميـع بعد ذلك ســاعتين كاملتين وكان على رؤوسهم الطير ·

انا في مسرح رمسيس اخيرا واذهب اليه كل يوم في انتظام لحضور التجارب في الصباح اى في الساعة العاشرة وثمة تجربة اخرى في المساء ، ولكن لأمر ما كان بوابه المسرح (اللعين) كثيرا ما يمنعنى من الدخول في المساء ·

وكم اشقاني هذا البواب الدكتاتور وكم سبب لى من الام عندما كنت اذهب فيمنعني من الدخول لغير سبب مفهوم عندى في ذلك الوقت وان كنت افهمه الآن تمام الفهم ، لقد كان الرجل يريدنى من غير شك أن ادفـــع له بعض النقود وقد كنت عاجزا عن ذلك بطبيعة الحال فكان يستخدم سلطاته ونفوذه في منعى من الدخول بالليل ، ففي هذه الفترة يكون اكـثر سلطـانا منه بالنهار ، لانني بالنهار استطيع ان اراقب يوسف وهبى عنـد حضوره او اى ممثل من الممثلين الكبار وادخل معـه او ان اشكو اليه اذا منعني ، اما فى الليل فالجو متغير والليل يخلق رهبة اكثر من النهار ، فكان يمنعنا من دخول المسرح ، ولكن مع مرور

الزمن ادرك الرجل انه لن يفلح فى حملى على ان ادفع له نقودا فمن ناحية لم يكن معى نقود ومن ناحية اخرى كانت الفكرة ابعد ما تكون عن ذهنى وكنت اعزو تصرف الرجل الى انه سخيف او أنه نظ وقاس وجلف الى آخر هذه النعوت ، والمهم اننى ما اقبلت على المسرح مرة الا وانا امتليء خوفا من هذا البواب وهل سيسمح لى بالدخول أم يمنعنى وما دخلت مرة الا وتنفست الصعداء وشعرت بالسعادة التى يشعر بها كل من ينجح فى اجتياز خط النار .

وبدات اتتبع نظام العمل فى اعداد الروايات للمسرح وبدات اغرق فى جو من السعادة وطوفان من النعيم وانا اشهد الروايات الخالدة التى ستعرض على الجمهور واحدة بعد اخرى وكان شانى شان هذا الشخص الذى يكدح للحصول على قرش صاغ وفجأة يرى نفسه أمام كنز من الوف الجنيهات فى متناول يده ، او كمن يشقى من اجل رغيف خبز ، وفجأة يرى (طابونة) خبز تحت تصرفه ..

لقد شقيت وكدحت لأدخر عشرة قروش أشهد بها احدى روايات رمسيس وصمدت وفشلت فى رؤية الرواية .. وماذا غارقا بين عشرات الروايات من كل الالوان والانواع .. ما بين مضحكة ومبكية وتاريخية وعصرية .. هانذا اسمع أسماء اعلام التأليف العالميين واعلام الممثلين والمخرجين .. هانذا فى بحر عجاج من رحيق الفن .

نظام العمل

ونظام العمل فى اعداد الروايات يسير على الوتيرة الآتية يجلس الممثلون حول مائدة وعلى راسهم المخرج عزيز عيد ومدير

المسرح ، وكان يسمى « ملقن » ثم يتلو عليهم مؤلف الرواية، أو مترجمها الرواية ، وكنت استمتع الى أبعد الحدود بسماع الرواية على هذا الأسلوب .

وبعد أن يفرغ من تلاوة الرواية توزع الأدوار على الممثلين بمعرفة عزيز عيد وتكتب الأدوار في كراسات صغيرة .

حتى اذا اخذ كل ممثل وقع عليه الاختيار كراسة دوره راح يطالعها فيما بينه وبين نفسه ، ثم يجتمع الممثلون بعد ذلك تحت اشراف المخرج ويشرعون وهم جلوس حول المائدة يطالعون ادوارهم وتسمى هذه المرحلة مرحلة (التكسير) ، ويقصدون بها أن يتفهم الممثل دوره وأن يضبط أواخر الكلمات وأن يعرف كيفية سير الحوار مع غيره من ابطال الرواية وذلك تمهيداً لحفظ دوره .

وتطالع الرواية بهذا الأسلوب مرة أو مرتين .. ثم تأتي في مرحلة الاخراج ، حيث توضع على المسرح الأقنعة والاثاثات التي سيدور حولها التمثيل ويشرع المخرج يحرك الممثلين على المسرح وهم يلقون ادوارهم .. وفي هذه المرحلة يتجلى ابداع المخرج وهو يعلم كل ممثل كيف يؤدي دوره .. وكيف يتحرك خطوتين بعد هذه العبارة أو يجلس على هذا الكرسي .. أو يندفع نحو زميله أو زميلته وهكذا ، وتستمر التجارب في هذه المرحلة مرتين أو ثلاثا ، بينما يقيد مدير المسرح كل ملاحظات المخرج التي يبديها في اثناء هذه التجارب ..

حتى اذا أخرجت فصول الرواية كلها بهذا الأسلوب جاءت المرحلة الاخيرة وهي ما تسمى (بروفة جنرال) او التجربة الكاملة.

او الشاملة ، حيث يرتدى الممثلون أرياءهم التى سيرتدونها امام الجمهور وتركب المناظر ويجرى تمثيل الرواية كما لو كانت تمثل امام الجمهور ٠

ولعلك قد رأيت من هذا العرض كيف أن الفرصة كانت متاحة لي لكى اشرب هذه الروايات شربا وأهضمها هضما ، فقد كانت تكرر امامي خمس مرات أو ستا ٠

كنت اتحسر واشعر بلذعة الحرمان كلما جاءت ساعة توزيع الأدوار فلا يكون لي نصيب فيهــا ولو دور خادم او شحات ، وقد كانت الأدوار الكبيرة تكتب فى كراســات مجــلدة بجلدة ســوداء (نوتة) ، اما الأدوار الصغيرة التى تتألف من بضع عبارات وجمل فتكتب في ورق أبيض صـــغير ، ولم يدر بخلدى ان اعطى دورا مما يكتب في الكراسات الصغيرة ذات الجلدة السوداء ، ولكن كنت احلم باليوم الذى أظهر فيه بدور من بعض جمل ٠٠ أو دور يتألف من جملة واحدة ، حتى ولو كانت « لا يا سيدى » أو « نعم يا سيدى » ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق قط على مسرح رمسيس ٠

وهكذا فرض على أن أقنع « بالفرجـــة » فقط طوال فترة التجارب في الصيف ، كما كان هناك الأمل عند بدء التمثيل أن أشترك في المجاميع (الكومبـارس) وهم هؤلاء الشخوص الذين يظهرون على المسرح يمثلون الشعب الرائح والغادى او يمثلون فرقة من الجند لا تتكلم ، ولذلك فقد كنت فى شــدة اللهفة على افتتاح الموسم التمثيلى لأرتدى الملابس التمثيلية ، واظهر بها على المسرح وسط الحشود التى كانت تظهر في بعض المناظر فى بعض الروايات ٠

وكانت هناك مجموعة من روائع روايات الغرب رواية اسمها « الشرق والغرب » تظهر عظمة اليابانيين ونهضتهم واحتفاظهم بكل مقوماتهم الشرقية وعاداتهم ،على الرغم من وجودهم في البيئات الغربية واستخدم العلوم الغربية كلها .

ورواية عن الثورة الفرنسية وثالثة من تأليف « هنرى برنشتين » من المؤلفين الفرنسيين اللامعين واسمها « شمشون الجبار » وقد كنت مفتونا بهذه الرواية الرائعة وبدور يوسف وهبى فيها ، ورواية رابعة مضحكة اسمها « استاذ اللطافة »، وخامسة اسمها « المركيز دى بريولا » ، وكانت هناك هذه الرواية التى قدر لها ان تكون أكثر روايات يوسف وهبى شهرة وهى « كرسى الاعتراف » ، ولكن أحدا لم يقدر لها فى ذلك الوقت هذا النجاح الضخم الذى أحرزته فيما بعد ، وكانت هناك الرواية الكبرى « رواية السر الصغير » أو « ابن نابليون » تأليف أدمون روستان وترجمة احمد رامى .

وأخيرا اقترب موعد الافتتاح وبدأت التجارب على رواية الافتتاح الكبرى ، وكانت من تأليف يوسف وهبى واسمها « الصحراء » وتدور وقائعها حول كفاح المغاربة فى منطقة الريف الاسلامى ، عندما قام عبد الكريم الخطابى يحاربه الأسبان فانتصروا عليه بعد ان أبدى من ضروب البسالة وأحرز من الانتصارات ما ملأ الدنيا اعجابا بالشعب المكافح .

وكان لنا نحن افراد (الكومبارس) نشاط كبير فى الفصل الأول ، فقد كنا نرتدى ملابس المغاربة ، ونعيش فى الخيام ونروح ونجىء لتمثيل حياة القبيلة ونجتمع فى حلقات لنسمع آخر اخبار الحرب ، ثم يدخل علينا يوسف وهبى ليقص علينا قصة استسلام عبد الكريم فنمتلىء بالفزع وفيما يقص علينا القصة ونحن نحيط

. بدءهما جنود الاسبان وطائراتهم تقذف القنابل وتنفجر على المدى القنابل ويدوى الرصاص وتشتعل النيران ويسدل الستار وسط هذا الضجيج .

وقد كان المتفرجون عندما عرضت الروايه عليهم يذهلون لهذه النهاية الرائعة لهذا الفصل فيقطعون أكفهم من التصفيق ..

واستحوذ يوسف وهبى على لبى وهو يؤلف هذه الرواية وهو يمثلها وهو يعاون عزيز عيد على اخراجها ..

واصبحت أقلد يوسف وهبى فى حركاته وصيحاته وإيماءاته . وكان يطربنى ان يقول لى القائلون : اننى صورة طبق الأصل منه ، ولم يهدأ لى بال حتى مثلت رواية فى المدرسة جعلت فيها دورا يحاكى دور يوسف وهبى فى رواية الصحراء ، وعندما جاء أوان تمثيل هذه الرواية حرصت على استئجار ملابس يوسف وهبى فى رواية الصحراء بالذات ورسمت صورة كان كل من يراها يظنها صورة يوسف وهبى ، مما سأقصه عليك بالتفصيل فى الصفحات القادمة .

وافتتح يوسف وهبى موسمه التمثيلى فى نفس الوقت الذى استؤنفت فيه الدراسة ، وعلى الرغم من الحرج الذى كان يجب أن أشعر به عندما أتغيب عن البيت كل ليلة حتى ساعة متأخرة فقد بدأت لا أقيم وزنا لما يقال عنى فى البيت ورحت أتردد على المسرح كل ليلة لأشترك فى تمثيل هذه المسرحية وارتدى ملابس أحد أفراد القبيلة الذين يروحون ويجيئون على المسرح طوال الفصل الأول .

العام الدراسي ٣٦ - ٣٧

قلت لك ان العام الدراسي كان قد استهل . فذهبت الى المدرسة بنشاط وعزم وثقة تملأ نفسي لا من ناحية الدراسه التي انا بسبيلها ، وقد كان هذا العام هو عام الكفاءة ، بل من ناحيه الدور الذي ساقوم به في فرقة التمثيل بعد أن أصبحت أستاذا كبيرا ، فان انضمامي الى يوسف وهبي وما شهدته من دروس الاخراج والتمثيل جعلني أتصور نفسي أستاذا لفرقة التمثيل بالمدرسه . ولذلك فقد كانت كل نفسي متجهة صوب التمثيل وفرقة التمثيل . ولم تكن للدراسة في نفسي اى ميل او اهتمام . ولذلك فلست أذكر من انباء هذا العام الدراسي شيئا مما يتصل بالدراسة أو المدرسين. فلست أذكر الآن اسم أى مدرس واحد ممن درسوا لنا في هذا العام . بل لست أذكر اسم أى طالبه ممن كانوا معي في هذه الفترة الا أن يكون اسم هشام محمد محمود ابن محمد باشا محمود الذي سيصبح رئيسا للوزارة بعد قليل ، وكان هشام يشتهر بدماثة الخلق والأدب والحياء ، وكان طالبا مجتهدا ، وكان مرموق النظر لصفاته الحميدة باكثر من نسبته الى ابيه الذي لم يكن قد أصبح وزيرا بعد في ذلك الوقت .

ولست أذكر من كان يدرس لنا اللغة العربية او الرياضة مع خطورة هذين العلمين . ولست أذكر اسم مدرس اللغة الانجليزية ، وقد كان رجلا انجليزيا .

وذلك كله يعكس ذكرياتي عن نشاطي التمثيلي وصلتي بمسرح رمسيس والتي مازالت منقوشة بأحرف ساطعة في ذاكرتي ، ولعل هنا ما يظهر مدى استيلاء التمثيل على كل حواسي في هذا العام ، وانقطاع صلتي بالدراسة والمدرسة في الناحية التعليمية .

الأحداث السياسية

وما يقال عن الذكريات المدرسية يقال مثله عن ذكرياتي السياسية ، فليس في ذهني الا صورة باهتة عن أحداث هذا العام .

لقد تركتك في العام الماضي وقد حل البرلمان بعد انعقاده ببضع ساعات فور انتخاب سعد زغلول .

ولقد اختلف حزب الأحرار الدستوريين بعد ذلك مع حزب الاتحاد وقد كان الحزبان هما دعامة الوزارة ، فاستقال وزراء الأحرار الدستوريين وعلى رأسهم عبد العزيز فهمي .

ثم لم يلبث أن حدث تقارب بين الدستوريين والوفديين والوطنيين وتعاهد الجميع على اعادة البرلمان وعقد مؤتمر وطني في بيت محمد محمود .

وكان قد جاء مندوب سام بريطاني جديد وهو اللورد « جورج لويد » ولم يعد هناك مناص من اجراء انتخابات جديدة ، فألف عدلي يكن وزارة محايدة لاجراء الانتخابات ، واتفقت الأحزاب المؤتلفة على توزيع مقاعد البرلمان فيما بينها على أن يكون للوفد الأغلبية بطبيعة الحال .

وقعت الانتخابات وأحرز الوفد الأغلبية ويليه حزب الأحرار الدستوريين وبعض الوطنيين والمستقلين ، ونحي سعد زغلول عن رئاسة الوزارة تحت ضغط الانجليز الذين لم يكونوا يرضون به رئيسا للوزارة ، ولكنه بدلا من أن يصارح بذلك قبل أن يشترك في مهزلة تهريجية ، فقد أقيم له حفل تكريم بمناسبة

نجاحه ، ثم تقدم منه طبيبه الخاص ورجاه وسط الجموع الا يؤلف الوزاره رحمة بصحته .. وصـــاح المجتمعون يؤيدون الطبيب المقترح ، وهنا أعلن سعد زغلول انه لايسعه الا أن ينزل عنـــد مشيئة طبيبه ، ولذلك فسوف يعتذر عن تأليف الوزارة .

ودعى عدلى يكن لتأليف وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب . بينما تربع سعد زغلول على كرسى رئاسة مجلس النواب . ولقد سعيت للحصول على تذكرة لشهود جلسة من مجالس النواب لأرى سعد زغلول وقد رأيته بالفعـــل ، وكانت هذه ثانى مرة رأيته فيها . وقد أشرت لرؤياى اياه فى المرة الأولى عندما سمعته خطيبا عقب عودته لثانى مرة من المنفى ، وكانت هذه هى المرة الثانية .

وقد استقال عدلى باشا لما تصوره مساسا بكرامته وضغطا عليه من نواب الوفد وتدخلا فى سلطته ، وألف ثروت وزارة أخرى ائتلافية اعقبت وزارة عدلى .

وهكذا كان سعد زغلول يختتم حياته مصححا هذه الأخطاء الشديدة التى ارتكبها فى السنوات الماضية ، وهو يحمل بشـــدة وعنف على كل معارضيه ، وخاصة عدلى وثروت ، بل ان سعد زغلول اثنى فى ذلك الوقت على اسماعيل صدقى الذى كان يرأس اللجنة المالية بوصفه بالكفاءة والاقتدار ..

وهكذا كان سعد زغلول فى هذا العام الأخير من حياته يلعب دور والد الشعب المصرى الذى لا يفرق بين حزب وحزب أو بين شخص وشخص ، بل يظلل الجميع بأبوته ، ولا جـدال إن هذه المرحلة بعد مرحلة الثورة الأولى فى عام ١٩١٩ من أحسن سنوات ومواقف سعد زغلول .

على ان هذه التطورات السياسية لم تكن تشغلني في قليل او كثير ، فقد كنت أشهدها بدون تحزب أو انحياز لهذا الجانب او ذاك ، أو لهذه الفكرة أو تلك ٠

نحو الزعامة في فرقة التمثيل

عندما اخذت طريقي الى أول اجتماع دعت اليه الفرقة كنت شخصا يختلف كل الاختلاف عن هذا الشاب المجهول المتهيب الذى ذهب منذ عامين الى مثل هذا الاجتماع ٠ أنا الآن أستهل عامي الثالث بالمدرسة ، فأنا اعرف فيها كل حجر وكل شبر من الأرض وكل فراش وكل مدرس ٠٠ بل وأعرف كل وجه وأعرف مقدار وزنه وثقله وكيف يعامل ويعالج هذا من الناحية العامة ٠ أما من الناحية الخاصة ناحية التمثيل فأنا الآن نجم من نجوم الفرقة لايمكن تجاهله ، بل وانا الآن عضو في فرقة مسرح رمسيس الامر الذي يعطيني التفوق والامتياز على سائر الطلاب ٠٠ وأخيرا وهو اهم ما في الموضوع فان الطلاب الكبار الذين كانوا يسيطرون على الفرقة وعلى رأسهم عبد اللطيف شاش في التمثيل وزين العابدين في الموسيقى قد تخرجوا في المدرسة ولم يعد في الفرقة أحد من الجنود القدماء ٠

لكل هذه العناصر مجتمعة كانت مكانتي في فرقة التمثيل قد تقررت على ضوء هذه الظروف ، بحيث بدأت تخالجني فكرة تولى رئاسة الجمعية بالذات وبالتأكيد كان صديقي الجديد ع٠ أ٠ ا٠ ممن قوى هذه الفكرة في نفسي واظهر استعدادا وحماسة للوقوف الى جوارى والجهاد في سبيل النجاح ٠ وعندما حضرنا الاجتماع الذى كان مقررا لانتخاب رئيس الفرقة حبطت آمالنا وخططنا فان الطلاب أسرعوا لانتخاب الزميل حسن جلال العروسى والذى

تنافست واياه فى العام السابق حول أحد الأدوار الرئيسية فى رواية « مجد رمسيس » وهو دور « ماشع » كما ذكرت · فاثره الأعضاء القدامى على ·· واليوم قدمه الاعضاء على فى الرئاسة وقد كان الجزاء فى هذا التفضيل انه كان أكبر منى سنا وكان فى السنة النهائية أى فى البكالوريا وعلى هذا فان هذا الاختيار بدا طبيعيا الى حد كبير · ولفرقة التمثيل دائما مدرس ينتخب للاشراف عليها وتولى امورها الى جوار الطلاب وقد كان المدرس الذى عهد اليه بهذه المهمة منذ العام السابق هو العدوى افندى أو بالأحرى احمد محمد العدوى والذى سأتحدث عنه فى حوادث العام المقبل بمناسبة دروس الجغرافيا والتاريخ ، فقد كان اثره فى نفسى من هذه الناحية كبيرا ·· اما فى فرقة التمثيل فقد كان دوره سطحيا او بالأحرى شكليا الى أبعد حد ولذلك فلم يكن له أى اثر محسوس ·

وبدانا نشاطنا الموسمى بان احضر العروسى الأستاذ أحمد علام ليكون مدرسا لنا يعلمنا الالقاء ، وعلى الرغم من أن هذه التجربة قد فشلت فى العام السابق عندما جىء بعزيز عيد فالطلاب جميعا فى شوق الى ان يمثلوا رواية وان يكون كل نشاطهم فى هذه الدائرة ولذلك فقد ابعد عزيز عيد بعد حين كما ذكرت وشرعنا فى تمثيل مجد رمسيس وقد جاءوا هذه المرة من جديد بأحمد علام وبدأنا نلقى امامه بعض المقطوعات ويحاول أن يعلمنا كيف نحسن أداءنا ·· وبعد قليل بدأ الملل والسأم يتجلى على جميع الطلاب والانتقاد ينهال من هنا وهناك ·· وبدأت الصيحة نريد رواية ·· نريد رواية وكانت هذه فرصتى الكبرى ومنتهى أحلامى فى ذلك الوقت ، فقد كانت لدى رواية وكنت أطمع فى أن تكون هى المختارة لكى تمثل ·

ابو مسلم الخراساني

كانت هذه الرواية تحمل اسم أبي مسلم الخراساني وقد جاءني بها في يوم من الأيام احد زملائي في مدرسة محمد علي وهو من يسمى محمد كامل عبد السلام ، وكان قد التحق معنا بالمدرسة الخديوية كذلك .. وكانت الرواية مكتوبة في كراس من كراريس المدرسة ولم يقل لي أنها من تأليفه وانما اكتفى بتقديمها لي في عبارة غامضة · واسرعت مي تلاوتها في لهفة فوجدتها رواية مدرسية من الدرجة الأولى تدور حول كارثة ابي مسلم الخراساني ، وكيف كان جزاؤه بعد بلائه في تدعيم وانشاء الدولة العباسية الذبح ، ذبح الشياه على يد أبي جعفر المنصور · وكانت الرواية مؤلفة من ثلاثة فصول ولا عيب فيها الا انني لم أجد فيها دورا يشبع صوابتي ورغبتي مي تمثيل دور كبير كأدوار يوسف وهبي الذي كنت أحلم بالليل والنهار في تمثيل دور من أدواره ·

نفكرت في ان ادخل على الرواية بعض تعديلات واضافات لأخلق دورا يصلح لتمثيلي ·· فرجعت الى كتب التاريخ الكبرى لاتقصى سيرة أبي مسلم الخراساني ، فكان من بين ما طالعت ، ابن الأثير ، فاذا بي اكتشف ان الرواية الموجودة تحت يدي مأخوذة بنصها تقريبا من ابن الأثير وان كثيرا من محاوراتها منقولة بالنص ·· ثم طالعت رواية ابي مسلم الخراساني من تأليف جورجي زيدان فاذا بها تعتمد على ابن الأثير اعتمادا كليا ، واذا بالرواية التي قدمت الى منقولة من رواية جورجي زيدان تقريبا ففسر لي ذلك موقف صديقي عندما لم يقل لي ان الرواية من تأليفه ·· وسرعان ما شجعني ذلك على أن أعيد كتابة الرواية معتمد على المصادر التاريخية الاساسية وأن أصوغها بالأسلوب الذي اريد والذي تتفق مع المسرحيات الكبرى التي يمثلها يوسف وهبي والتي تبهرني ·

واخذت لنفسي الدور الذى سأمثله وهو دور أحد الامراء الخوارج الذى لعب دورا فى الايقاع بين المنصور وبين ابى مسلم الخراساني وهو شبيب الخارجي ، فبدأت اكتب الرواية جاعلا من هذه الشخصية البطل الأكبر في القصة ٠

وبدأت أحشد كل المواقف التى راعتنى من يوسف وهبي في رواياته المختلفة فأجعل شبيبا هذا يقفها ٠٠ ورحت أضع على لسانه كل المقطوعات التى تمكننى من محاكاة يوسف وهبى فى مواقفه المشهورة وسرعان ما تكاملت لدى رواية من اربعة فصول لا تكاد تمت الى الرواية التى قصت الى بادىء الأمر بصلة الا صلة الحقائق التاريخية المثبتة فى كل المراجع ٠٠ وعلى ذلك فقد وجدت من حقى أن تحمل الرواية اسمى باعتبارى مؤلفها ، وان كان ضميرى ظل يؤنبنى الا اعترف لصاحب الرواية الأولى بفضله فى اختيار الموضوع وارشادى اليه ٠٠

لقد قابلته فى ذلك الوقت وقلت له اننى قد غيرت الرواية وامدت تاليفها وقد شاهد الرواية فيما بعد واقر الها قلبت رأسا على عقب ولم يعترض على نسبتها الى ٠٠ ولكننى على الرغم من ذلك كله ظللت بينى وبين نفسى أشعر اننى اغتصبت شيئا ليس من حقى وهو فكرة ذلك الزميل الأول من اقتبـــاس هذه الرواية من مصادرها الأولى والتى هيـأت لى ولحياتى الطريق لاعداد روايتى ٠٠ وهاأنذا بعد خمس وعشرين سنة أجد بعض الراحة فى تسجيل هذه الحقيقة وهذا الدين فى رقبتى ٠

كانت هذه هى الرواية التى عرضـــت على الفرقة أن تقوم بتمثيلها فأخذها الأستاذ حسن جلال العروسى ليطالعها باعتباره رئيس الفرقة ثم أعادها بعد قليل معلنا موافقته على أن تقوم بتمثيلها

باخطار الأستاذ أحمد علام بالرواية والقرار بتمثيلها وأحيط الشريف على الفرقة الأستاذ العدوى بهذا القرار .. وهكذا قضى الأمر وتحقق اول واضخم انتصار لى .. ان كانت أول رواية بعد روايات المرحوم محمود مراد تمثلها فرقة تمثيل المدرسة الخديوية من عملى وتاليفى .

نحو العمل

وبدىء فى توزيع الادوار وكانت هذه ثانى المشاكل التى يجب تذليلها كرئيس الفرقة يجب أن يأخذ أكبر الأدوار بطبيعة الحال .. وأكبر الأدوار هو دور شبيب الذى وضعته وفصلته على نفسى ليلائم مزاجى ولأتمكن من ابراز مواهبى وقدرتى التمثيلية من خلال حركاته وأقواله .. ويأتى بعد هذا الدور دوران آخران على قدم المساواة تقريبا هما دور ابى جعفر المنصور ودور أبى مسلم فاقترحت على رئيس الفرقة أن يأخذ دور أبى مسلم باعتباره بطل الرواية المسماة على اسمه .. وقد وجد لى ذلك بالفعل ما يرضى كرامته فقبل الدور . ولعبت الصداقة بينى وبين ع. أ. ف. دورها فى اختياره مديرا للمسرح وقد كانت ادارة المسرح تعتبر شيئا كبير الخطر فى مسرح رمسيس وبدأت التجارب لاعداد الرواية والتدريب على القاء أدوارها وحفظها .. وقد مضت هذه التدريبات فى طريقها تحت اشراف أحمد علام وقد كنت بطبيعة الحال لا أقيم وزنا لارشاداته فيما يختص بى فقد كنت آراه كل يوم فى مسرح رمسيس وكنت اعتبر نفسى قد وصلت الى درجة تفوق عليه .. كيف لا فانا اقلد يوسف وهبى .. ويوسف وهبى فى نظرى يتفوق على احمد علام بكثير .. ولم أكن أتصور فى ذلك الوقت أن التقليد فى حد ذاته شىء قبيح .. بل كان كل مبتغاى ان يكون تقليدى كاملا لأكون مستحقا بذلك أعظم الدرجات والمراتب .

ولقد شقى معى أحمد علام وهو يحاول أن يخفف من حدة تمليدى ليوسف وهبى .. ومازلت اذكر كيف انه لاحظ على أننى اقلد يوسف وهبى حتى فى حركات يده التى يقوم بها باعتباره (أعسر) .

كما كنت ارفع عقيرتى وأكيف صوتى ليكون كصوته ولم يكن لملاحظاته اى نتيجة ، فقد كنت كما قلت مقتنعا بضرورة هذا التقليد وحسبى ان اقلد أعظم من عرفته المسارح المصرية .

اقتربت النهاية بسرعة .. أو بالأحرى اقتربت القمة .. قمة النجاح وأعنى بها ليلة التمثيل . استأجرنا مسرح حديقـــة الأزبكية ومنح المسرح مخازنه بالملابس العربية القديمة لنا .. ولكن مطمحى كان فى مخزن آخر .. مخزن تياترو رمسيس حيث كنت قد اعتزمت أن استأجر ملابس يوسف وهبى فى رواية الصحراء .. هذه الملابس الخشنة التى يلبسها فى الفصل الثانى والثالث من فصول الرواية والتى تتألف من جلباب أبيض وفوقه عباءة من الصوف الخشن لا اكمام لها . كان هذا الملبس البسيط بالاضافة الى عمامة بيضاء على الراس هو كل مطمحى لكى أبدو كيوسف وهبى تماما .. وعندما سمحوا فى مسرح رمسيس بتأجير هذه الملابس لى شعرت بسعادة لم اشعر بمثلها فى يوم من الأيام .

ووزعت التذاكر على الطلاب .. ودعيت الصحافة وجميع النقاد المسرحيين .. وجاءت الليلة الموعودة ليلة فرحى وعرسى .

وكان طبيعيا أننى كنت أشرف على كل صغيرة وكبيرة ويرجع الى الجميع لأحل ما يعرض لهم من مشاكل .. فظللت مشغولا حتى آخر لحظة فلم أتمكن من اعداد المكياج الخاص بى وهو مكياج يحتاج الى مجهود وعمل كبير اذ تتألف من لحية بيضاء ضخمة وذقن

أن يرسم على وجهى تجاعيد الشيخوخة وما يعطى وجهى مظهر الدهاء والدس والقسوة .. ولم يكن شيء من ذلك كله قد تم اعداده عندما فوجئت بالأخ المحترم جدا .. ع. أ. أ. مدير المسرح وهو يعطى اشارة بدء التمثيل وذلك بالضبط ثلاث مرات والاذن برفع الستار ..

لقد وقع على ذلك وقع الصاعقة وكدت اجن .. فهذه الليلة التى رحت استعد لها الشهور الطوال تجيء اخيرا ثم أرى نفسى مضطرا أن ادخل المسرح بغير استعداد أو تهيؤ نفسى .. وبغير المكياج الذى يتطلبه الدور .. لقد كانت هذه الكارثة .

لم يكن ع. ا. أ. يتصور اننى لم افرغ من عملية المكياج وكان باعتباره مديرا للمسرح يريد أن يظهر مدى قدرته وروعته فى رفع الستار فى الوقت المحدد تماما بقطع النظر عن اى اعتبار آخر .. لقد كنا جميعا مفتونين بمسرح رمسيس وبالمثل الأعلى الذى رسمه مسرح رمسيس وقد كانت احدى مفاخر هذا المسرح ان ترفع الستارة فى الموعد المحدد لرفعها بالدقيقة والثانية .. واراد ع. أ. أ. ان يكون كمدير مسرح رمسيس تماما فيرفع الستار فى الموعد ضاربا عرض الحائط حتى ببطل الرواية الذى لم يستكمل استعداده بعد . وكان على أن ادخل الى المسرح بعد بضعة دقائق من رفع الستار.. وأسرع الفنيون يقومون لى بعملية (المكياج) على عجل وبأية طريقة وبأى أسلوب .. ونستطيع أن نتصور حالة الغضب التى كنت عليها . نستطيع أن نتصور مقدار الشعور بالغيظ والهزيمة وانهيار آمالى فى هذه اللحظات .. واحسب أن لو وقع نظرى فى هذه اللحظة على ع. أ. أ. (لشربت من دمه) على وجه التحقيق بمقدار ما حطم آمالى .. فقد طارت الفاظ الدور من رأسى عندما وجدت نفسى اعدو عدوا لأدخل المسرح وانا فى هذه الحالة العصبية ودخلت

المسرح وبدأت التمثيل ولم أكن أعرف ماذا كنت أقول ، فقد كانت رأسي تغلي وجسدي ينتفض وأنا متصور أن الناس تشعر بحالتي وتعرف بما دهاني ؟

وانطلق الحوار بيني وبين جعفر المنصور وأنا أحرضه على دهاء على أبي مسلم الخراساني وأظهر له خطره على ملكه وعرشه .. وسار الفصل والتمثيل في طريقه المرسوم .. ويتركني المنصور في آخر الفصل وحيدا فأسرع العصابة عن عيني التي أتظاهر عن طريقها بالعمى فأقوم بحركة من حركات يوسف وهبي وهو ينظر حواليه هنا وهناك في خبث ودهاء ثم أعلن انتصاري وغبطتي من أن المنصور قد وقع تحت تأثيري وان أبا مسلم لن يلبث أن يهلك على يد المنصور جزاء وفاقا لما ارتكب من جرائم وآثام ضد العرش والخوارج .. وعند هذا القدر أسدل الستار وانطلقت أكف المتفرجين بالتصفيق .. ولكنني كنت في شغل شاغل عن ذلك كله أريد أن يسدل الستار لأسرع لانزال جام غضبي على ع. ا. ا. ذلك الذي فجعني هذه الفجيعة في ليلة (عرسي) ولذلك فلم أهتم بتصفيق الجمهور على الرغم من أن الستار رفع مرتين فيما أذكر .

وكانت فجيعة ع. ا. ا. أشد من فجيعتي .. فالرجل يحبني ما في ذلك شك .. والرجل يريد لي النجاح والتفوق وهو يشاطرني سعادتي في النجاح ويبني الآمال الكثيرة على نجاحنا هذه الليلة .. ولذلك كان احساسه بخطئه أشد من احساسي به .. وقد كان يقدر كل التقدير حزني وآلامي وغضبي ولذلك فقد اختفى تماما عن ناظري فلم أعثر عليه بعد انتهاء تمثيل الفصل الأول .

وراح صاحبنا يستقدم أشخاصا من المتفرجين من أصدقائنا ويسألهم عن رأيهم فيما شاهدوه وعن تمثيل بصفة خاصة فيثنون ثناء طيبا فيوعز اليهم أن يقابلوني ويهنئوني على هذا النجاح ..

وراح يحشد على هذه الصورة المهنئين واحدا بعد آخر حتى اذا اطمأن الى أنه خلق جوا طيبا وأن هذه التهنئات قد خففت بعض ما في نفسي ٠٠ ظهر أمامي وقد كان مجرد ظهوره وصورة الحزن المرتسمة على وجهه كفيلة بأن يجعلني أنسى كل شيء ٠٠ فقد كان حزنه شديدا لما حدث ٠

وراح يعتذر ويصور أنه واعتبرت المسألة منتهية وبدأت استعد للفصول التالية وكنت لا أظهر في الفصل الثاني الذي يلعب فيه أبو مسلم الدور الرئيسي ٠ ثم يجيء الفصل الثالث والذي ألفته على غرار رواية الصحراء والذي أملاه تمثيلا والقاء وتقليدا ليوسف وهبي في دوره الخالد ٠

وأقبلت على التمثيل بكل روحي ، وذهل المتفرجون وهم يسمعون يوسف وهبي يمثل في فرقة المدرسة الخديوية .. وعندما أسدل الستار صفق المتفرجون اعجابا وتشجيعا ٠٠ وكان الفصل الأخير حيث تصل الرواية الى ذروتها المسرحية ويقتل أبو مسلم الخراساني ويكشف الستار عن شبيب الخارجي فيقتل بدوره ٠

وكان من الواضح أن الرواية قد نجحت نجاحا عظيما ٠٠ وأن الجميع قد ذهلوا لهذا المستوى العالي من التمثيل بالنسبة لطلاب مدرسة ٠

واذ حصلت على النجاح بالنسبة للنظارة فقد كنا في انتظار النجاح الأدبي على لسان النقاد المسرحيين ولقد أثنت الصحف بعبارات عامة على حفلة المدرسة ولكن الذي كنا نترقبه في شغف واهتمام هو مجلة المسرح التي كانت هي وحدها التي تقدر مقدار النجاح ٠

وجاءت مجلة المسرح ولم تخيب أملنا فقد كان فيها نقد طويل عريض من انشاء الأحنف ناقدها المسرحي ولم ينس ان يذكر قراءه بالوصف الذى خلعــه على فى العام السابق من انتى العائد الشقلى . ولكنه كعادته ساق مقدمة مرحة فكهة .. فذكر كيف انه كان يمر أمام تياترو حديقة الازبكيـــة فميل له ان بها حفلة تمثيلية فدخلها فاذا به يفاجا بيوسف وهبى يمثل على المسرح فظن لنفسه أنه قد أخطأ الطريق وانه فى مسرح رمسيس لا الأزبكية .. ولكنه تأكد ممن بجواره أنه فى تياترو حديقة الأزبكية لا رمسيس وان هذا الذى يمثل أمامه ليس يوسف وهبى وانمــا طالب كانه يوسف وهبى .. وقد اعتبر ذلك بطبيعة الحــال ماخذا على فقد كانوا يكرهون يوسف وهبى وينكرون عليه اقتداره ، اما أنا فقد اعتبرت مجرد قوله انه تصورنى يوسف وهبى أن هذا هو النجاح .

ولم يفتنى ان أخطر بعض المصورين ليأخذوا لنا صورا ونحن بملابس المسرح فى أثناء التمثيل .. وحملت احدى هذه الصور الى يوسف وهبى فقدمتها له هدية وكان الرجل قد سمع بهذا الطالب الذى يقلده باتقان عجيب .. فلما رأى الصورة وهى توشك ان تكون صورته بملابسه ومكياجه فى دوره فى رواية الصـــحراء لم يستطع الرجل ان يخفى ابتهاجه ولاول مرة منذ التحقت بمسرح رمسيس انفرجت شفتاه عن ابتسامة رضا وتشجيع . لا أظن ان أعظم الأوسمة أو النياشين أو الرتب او المكافات من أى نوع كان يمكن أن تصل الى مرتبة هذه البسمة التى ابتسمها يوسف وهبى فى وجهى والسعادة التى اشعرنى بها .

ان هذه البسمة وهذه النظرة المشجعة كادت تقلب حياتى رأسا على عقب .. كادت تحول مجرى حياتى عن الطريق المرسوم لها لتلقينى فى أحضــان التمثيل الى أبد الأبدين ممثلا محترفا أبعد

ما يكون عن حياة الجهاد من أجل البلاد والشعب التى ملأت حياتى فى الخمس والعشرين سنة التالية • واليك التفصيل •

الهروب من المدرسة

كان اعجابى بيوسف وهبى قد وصل الى حد الهيام •• وكان فنائى فى هواية التمثيل قد وصل الى الحد الذى لم أعد أتصور فيه الحياة بغير اشباع هذه الهواية •• ولم يكن ثمة سبيل لاشباع رغبتى فى التمثيل الا أن اترك المدرسة نهائيا وأن احترف مهنة التمثيل •• وقد كانت هذه الفكرة تراودنى وتلعب بلبى طوال الأشهر الأخيرة •

وأعلن يوسف وهبى عن اعتزامه القيام برحلة فى شمال امريقيا يقدم فيها رواياته الشهيرة •• وهنا قفز الى خاطرى أن أذهب معه فى هذه الرحلة بأى ثمن •• وعندما فرغت من تمثيل دورى فى رواية أبى مسلم وقدمت صورتى ليوسف وهبى فتبلها بقبول حسن وهش فى وجهى وبش •• هنا كانت فرصتى لتحقيق مشروعى الذى امتلأت به نفسى وهو أن اترك المدرسة والتحق بالعمل معه مبتدئا بهذه الرحلة خارج البلاد • وانتظرت لأخطو الخطوة الأخيرة ريثما تنتهى عن اجازة نصف السنة التى كانت قد بدأت فى ذلك الوقت وبعد انتهاء الاجازة أعطانى والدى قسط المصروفات الدراسية وقدره عشرة جنيهات لتسديده •• وهذا ما كنت فى انتظاره فان هذه العشرة جنيهات هى الراسمال الذى كنت فى حاجة اليه لأبدأ حياتى الجديدة •

ووضعت العشرة جنيهات فى جيبى وهجرت المنزل لاول مرة فنمت فى احدى اللوكاندات وفى الصباح يممت شطر مسرح رمسيس لأقابل يوسف وهبى قبل بدء البروفة ولأطلب منه ان

يلحقني بمسرحه وأن يأخذني معه في رحلته فان حياتي أصبحت وقفا على التمثيل ٠

وجاءت اللحظة التي كانت ستقرر حياتي ورأيت نفسي أصعد الدرج المؤدي الى حجرة يوسف وهبي في المسرح وكان قلبي يخفق بشدة لم يسبق لها مثيل وكان وجهي مصفرا والعرق يتساقط من كل أطرافي ٠

ودفعت الباب في خوف ورهبة مضاعفة بالنسبة لما اعتدناه من قبل كلما حاولنا الدخول على يوسف وهبي ٠

وقد استجمعت لكل شجاعتي لكي أواجه الموقف ٠٠ واذن لي يوسف وهبي بالدخول فدخلت ونظر الى نظرته الصارمة والتي بدت لي في هذه اللحظة أشد صرامة منها في أي وقت مضى ٠

قلت له على الفور لقد جئت لارجوك ان تأخذني معك في رحلتك الى شمال أفريقيا ٠٠ رد الرجل في عبارة قصيرة هذا غير ممكن ٠٠ ولم يقدم أي حيثيات ولم يحاول ان يطيل الحديث معي ٠

فامتقع وجهي اكثر واكثر وشعرت بالخجل والكسوف وخيبة الأمل ٠

قلت ولكنني قد علقت كل أمالي على هذه الخطوة ٠٠ فقال ولكن للأسف أشد الأسف فهذا غير ممكن ٠٠

وثارت كرامتي فرأيت أن أقف عند هذا الحد فقلت له طيب متشكر وانسحبت من الحجرة على الأثر ونزلت على السلم وأنا أكاد أتعثر واقع وأسرعت الى خارج المسرح ٠٠ الى الطريق العام

والهم واليأس يضربان نفسى بصورة لم يسبق لها مثيل فى حياتى حتى هذه اللحظـــة .

لقد شعرت فجأة اننى انسان ضائع ومحطم .. لقد هجرت المنزل والمدرسة من أجل المسرح وهاهو المسرح يلفظنى ولا يقبلنى فى صفوفه .

فماذا عساى فاعل ؟ وكيف يمكن أن أتصرف ؟ ووقفت حائرا وسط هذا العالم المضطرب .. وفجأة رأيت أمامى شخصا يبتسم فى وجهى ويدعونى للسير معه .. وكأنه كان ملاكا هبط على من السماء لانقاذى .. ولم يكن هذا الشخص سوى (عمى) شقيق والدى الأصغر .. وقد جاء ليبحث عنى فقد كان موضوع غيابى عن البيت والمدرسة هو شغل الأسرة الشاغل بطبيعة الحال وقد تطوع ليبحث عنى فى المكان الذى كان على ثقة بأن يرانى فيه .. وقد وجدنى بالفعل على أبواب مسرح رمسيس فلم يكن فى حاجة حتى الى مجرد السؤال .

كان عمى يعرف مقدار تعلقى بالتمثيل واصرارى على ما قد أكون انتويته من مشروعات .. وكان يعلم انه سيكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل ان يثنى عزمى عن الخطة التى قد أكون اخترتها ولذلك فقد فوجىء عندما وجدنى سلس القياد .. وعندما طلب منى أن أذهب معـــه لمقابلة والدى فاذا بى أظهر على الفور استعدادى للذهاب .

لم يكن يعرف انه جـاءنى فى لحظـة كنت فيها محطما تحت وقع الصدمة .. وأننى كأى شخص تائه أو غريق على استعداد ان يتعلق بقشة .. وقد كان مجىء عمى فى هذه الساعة ليعود بى الى المنزل أكثر من قشة .. لقد كان طوقا من أطواق النجاة .

العودة الى المنزل والمدرسة

ولست اريد ان اسرف فى ذكر التفاصيل وكيف ذهبنا الى والدى فى وزارة المالية فحرص على ان يسترد اولا وقبل كل شيء ما مضى من النقود من بقية المصروفات المدرسية حتى اذا اصبحت فى جيبه وكان لم ينقص منها سوى ثلاثين قرشا • انفجر فى وجهى معلنا اياى انه باستطاعتى الآن ان أذهب الى حيث أشاء فلست ولده وهو غير مستعد للاعتراف بى مادامت هذه خططى وهذه افعـــالى ••

وكان شجار بينى وبينه وتدخل الموظفون فى الأمر وسوى الموضوع وعدت الى البيت .. ثم الى المدرســة ، كنت قبل هذا الحـادث قد بلغ منى الاعتقاد مبلغـا عظيما فى أننى لم اعد اصلح للدراسة وانه من المستحيل أن انجح فى الحصـــول على شـهادة الكفاءة بأى حال من الأحوال .

لقد كان علينا ان نمتحن فى ثلاث لغات العربية والانجليزية والفرنسية وعشرة علوم اخرى من بينهـا الرياضـــة بفروعها : الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ والترجمة والتربية الوطنية والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والجيولوجيا •• وكان علينا أن نمتحن فى مقررات السنوات الثلاث •• ففى الجغرافيا يجب أن نستعد فى دروس السنوات الثلاث ، وكذلك فى التاريخ وفى مختلف العلوم •• ولم يكن التمثيل قد ترك لى فراغا لأذاكر أو لأحضر الدروس •• بل لم يكن قد ترك لى عقلا لأتفهم هذه الدروس •• وشعرت بأن حياتى الدراسية قد انتهت نهائيـــة •

ولم أكن أرى فى ذلك أى عار أو شنار فأبطال التمثيل فى العالم كله قد تركوا المدارس ، بل أن يوسف وهبى نفسه لم يحصل على الابتدائيــة .. والنبوغ الفنى لايتوقف على الحصــــول على الشهادات .. بل لعل تركى المدرسة هو علامة النبوغ والتفوق والامتياز فى التمثيل .. وهكذا كنت أزكى فى نفسى هذا الاتجاه .

ثم كانت هذه الصدمة .. وكان أعمق مافى هذه الصـدمة ماتصورت أنه قد جرح كبريائى ومس كرامتى .. لقــد لفظنى يوسف وهبى ومسرحه .. ولم يقدر اعجابى به .. لم يقدر اخلاصى وتفانى للفن ورسالته .. لقد طردنى من حظيرة الفن .. فلم يبق امامى لاسترداد كرامتى الا أن أقبــل على دروسى وأن أنجح فى الحصول على شهادتى فهذا هو الرد الوحيد على هذه الصدمة لاظل معدودا فى عداد التلاميذ الذين يعدون لمستقبلهم وبهذه الروح اقبلت على المذاكرة ولأول مرة استعنت بأخى الأكبر عبد الفتاح ليعطينى دروسا فى الانجليزى ويذاكر معى .

وأقللت من اشتغالى بالتمثيل على الدراسة والمذاكرة .. حتى جاء آخر العام .. ثم كان الامتحان .. وكان أملى فى النجاح ضعيفا .. وكنت أتصور أننى اذا رسبت فى الامتحان فلن أستطيع ان أواصل الدراسة بعد ذلك أبدا .. وتم الامتحان وانتظرنا ظهور النتيجة .. الله أكبر لقد نجحت .. نجحت وأصبحت فى السنة الرابعة .. أى فى القسم الأدبى حيث لا رياضة ولا جبر ولا حساب ولا هندسة .. حيث العلوم أكثر جاذبية وأقل عددا .

حيث الطريق أصبح مرسوما وممهدا نحو الجامعة .. واذن فقد نجوت .. نجوت والحمد لله من المصير الذى كان يترقبنى لو ان يوســف وهبى قبلنى فى مسرح رمسيس .. او لو انى رسبت فى الامتحـــان .

لقد كان هذا النجاح بمثابة مرحلة انتقال كبرى .. لقد ماتت فى نفسى نهائيا فكرة الانصراف عن الدراسة وأصبحت حياتى كطالب هى الأساس الأول الذى يقوم عليه مستقبل .. وكان ذلك هو أول تطور نحو حياتى العامة التى انتهيت اليها فيما بعد ولكن خطوطها الكاملة لم تكن قد اتضحت بعد .. باستثناء هذا الخط الوحيد الذى ذكرته وهو استعادتى ثقتى بنفسى كطالب واتخاذ المدرسة لحياتى المقبلة .

المذكرات السياسية

هذه المذكرات اشـارة عابرة لأخطر فترة في حياة مصر الحديثة على الاطلاق ، انها رد الفعل لما حدث فى مصر خلال نهضة عرابى والتى وقف لها الخديوى توفيق والانجليز بالمرصاد ، فاحبطوا هذه النهضة ، وحرقوا الاسكندرية واحتلوا البلاد عام ١٨٨٢ ٠

دخلت مصر فى ظلام الاحتلال وقيود الرجعية ٠

دخلت مصر فى عبودية المحتـل الأجنبى وحليفـه : خديوى فسلطان فملك مصر ، حتى كانت هذه الفترة من حياة مصر والتى تشير اليها هذه المذكرات لترد لمصر اعتبارها ، ونجا شعبها من المصير الحالك الذى كان يوشك ان يتردى فيه ٠

تبدأ هذه الفترة من الناحية الرسمية فى ٨ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وتشتبها الفواشى فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ وتسجل انتصاراتها الكبرى ابتداء من ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وما تلاه من أيـــام ٠

أيام ثلاثة متصلة الحلقات ستبقى خالدة على مر التاريخ حيث يتألف منها ذلك العقد النضيد الذى يزدان به جبين مصر :

★ ٨ من أكتوبر حيث ألغيت المعاهدة المصرية الانجليزية وأعلنت مصر الجهاد على الاستعمار ٠

★ و ٢٦ من يناير حيث حاول الاستعمار والرجعية أن يقضى على نهضة الشعب ٠

★ و ٢٣ من يوليو حيث سجل الشعب انتصاره الرائع عن طريق جيشه الذى أطاح بالملك الذى لخص الفساد وأصبح علما عليه ، بانهيار الملك انهارت دولة الفساد كلها وتحررت مصر وتحرر الشعب واذا كانت لاتزال على ضفاف القتال بقيـــة من جيوش الانجليز ، وفى السودان طرف آخر من هذه الجيوش فان ذلك ليس سوى التصفية الأخيرة لهذا الوباء ٠

هذه هى الحقبة المشرفة من تاريخ مصر التى تشير اليها هذه المذكرات ٠٠

وهى تشير اليها من خلال زاوية غريبة جدا ٠٠ زاوية رجل كاد حبل المشنقة يلف حول عنقه ، وينصب مشيعا باللعنات وسخط الذين كرس حياته من أجلهم وهم جماهير الشعب الكادح والذين قيل لهم زورا وبهتانا انه هو الذى حرق مدينة القاهرة .. ولكن الحوادث لم تلبث أن تطورت لتبديد هذه الظلمات المتكاثفة والسحب فراحت تنقشع رويدا ٠٠ رويدا ٠٠ وراح الباطل يزول امام الحق ٠٠ حتى بلغ التطور ذروته وأسقط الملك وعهد الطغيان بأكمله عن عرشه فتبدد الاتهام ، وتجلت الحقـائق ، وسطعت آيات الله .. فاذا بالسجين يعود طليقا والســياد الأمس يرسفون فى القيود والأغلال وحبل المشنقة الذى كان يهدد المظلوم قد أصبح ظله يقع كثيفا على أعناق الفئة الباغية ٠

انها آية من آيات الله .. انها معجزة ربانيــة تجلت فيهـا قدرة الله على عبد من عبيده فرده الى الحياة والحرية والكرامة وأذل اعداءه وخصومه ٠٠ وليست هذه المذكرات سوى استعراض لهذه الآية الكبرى ٠

لقد كتبت هذه المذكرات يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى فى وقتها ابتداء من ٤ من أبريل سنة ١٩٥٢ حتى أول نوفمبر من العام نفسه · وهى وثيقة لا لانها تؤرخ أمة فلست أزعم اننى مؤرخ وليس دورى كتابة التاريخ ·· بل هى ليست تاريخية حتى بالنسبة للقضية الكبرى التى يدور حولها الحديث كله فى المذكرات واعنى بها قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة · فان شرح ذلك يطول ويحتاج الى مجلدات تحتل المباحث القانونية جزءها الأكبر ، ولكنها نافذة من حيث استعراضها لنفسية مواطن عاش هذه الحقبة من تاريخ مصر وهو منفعل بالحوادث أشد الانفعال ·· انها شريط مسجل أدق ما يدور فى أغوار نفس رفعت لواء التمرد على فاروق وفساد عصره فبذل جهده للتخلص منها فكاد لها ولكن الله أحبط الكيد وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ·

وانى أكتب هذه المقدمة الآن فى العاشر من شهر نوفمبر ١٩٥٢ بعد أن ردت الى الحرية وبعد أن بلغنى خبر تأجيل قضية التحريض الى يوم ٢ من ديسمبر وهو ما هيأ لى فرصة كتابة القسم الأول من هذه المذكرات الذى يجمل الحوادث السابقة على ٢٦ من يناير وما تلى ذلك اليوم من حوادث أدت بى الى السجن حتى يوم ٤ من أبريل حيث يبدأ القسم الثانى من المذكرات وهو القسم العام والتاريخى والذى كتب فى وقته وساعته فهو أشبه الأشياء بشريط مسـجل ·

ولقد أعدت تلاوة هذا القسم من المذكرات ولكننى آليت على نفسى ألا تمتد يدى اليه بأى تغيير أو تحوير ·· وانى اقسم أمام الله الذى أنقذنى وبعثنى الى الحياة من جديد ان هذا القسم من المذكرات سيقدم للمطبعة كما كتب فى وقته وساعته بدون اضافة كلمـة واحدة أو حرف ·

ولست أعرف الآن اذا كنت ساكتب لهذه المذكرات خاتمة احمل فيها الحوادث التالية لها أم لا ، فانني شديد اللهفة على ان تخرج هذه المذكرات الى النور بأسرع وقت ممكن ، ليكون فى نشرها آية تمجيد لله ومظهر من مظاهر عبوديتى لله الرحيم القوى القادر المتعال ، ذلك الذى نصرنى على الطاغية والذى أكرمنى فجعل الحوادث تصدقنى حيث قلت بالحرف الواحد :

« سوف ندخل السجون اذا شاء الله ودخلنا لكنا على ثقة لا تتزعزع بأننا سنخرج منها بعد ذلك لنرى الحال غير الحال والحكام غير الحكام ولنرى كلمة الشعب هى العليا وكلمة أعداء الشعب هى السفلى » ٠

وتربصوا انا معكم متربصون ٠

من مصر الفتاة العدد ٢٦٣ يوم الجمعة ١٢ من يناير سنة ١٩٥١ ٠

ولقد خرجت من السجن فوجدت الحال غير الحال والحكام غير الحكام وكلمة خصوم الشعب هى السفلى وكلمة المؤمنين هى العليا ٠

فالله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الطاغية وحده ٠

احمد حسين

١٩٥٢/١١/١٠ م

نحن الآن في يناير ١٩٥٠ الوفد مرة جديدة في الحكم ، وقد كان ذلك يشبه أن يكون انقلابا • ففي ختام ١٩٤٤ طرد الملك فاروق وزارة الوفد وعمل جاهدا منذ ذلك التاريخ على القضاء على الوفد بشتى الطرق والأشكال ، حتى وصل به الأمر الى حد اصطناع الجريمة لاغتيال النحاس شخصيا فشجع كل المحاولات على قتله هو ومن يلوذ به من رجال السياسة وعلى رأسهم امين عثمان الذي قتل •

ولما فترت حماسة الشبان لمحاربة أعداء فاروق ، شكل حرسا حديديا يتلقى الأوامر منه مباشرة لقتل من يريد من أعدائه ، واقدم هذا الحرس على محاولتين خطيرتين لاغتيال النحاس ، كانت احداهما محاولة نسف بيته في جاردن سيتي ، ونسف الحي باكمله توصلا لتحقيق هذه الغاية •

واذا كان فاروق قد وصل الى حد تبرير الجرائم توصلا للتخلص من النحاس والوفد وحكم الوفد فباستطاعتنا أن نتصور الى اى حد استخدم كل سلطانه السياسي لتحطيم حزب الوفد وايقاف كل نشاطه •• وقد نجح فاروق في ذلك الى حد كبير فقد وجد وزارات من أحزاب الأقلية تبادر الى تلبية رغائبه ، وفي ظل هذه الوزارات بدأ فاروق يتحول بالتدريج الى طاغية ، ولقد عرف التاريخ طغاة ولكنهم كانوا الى حد ما مصلحين في ناحية من النواحي ، أما فاروق فقد كان طاغية مستبدا ، وكان حاكما متحللا . ولم تكن قصصه ــ التي عرفت عنه فيما بعد ــ قد ذاعت وشاعت ، ولكن روائحها بدأت تزكم الأنوف ، وراح الناس يتناقلون الأحاديث عن مغامراته في شتى الميادين وبدأت سمعته تتدهور في الوقت الذي كان يضاعف فيه طغيانه يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى •• وكان الاصطدام مع حركة الاخوان المسلمين بحل الجمعية مما ادى الى اغتيال محمود فهمى النقراشي رئيس الحكومة ، واغتيال

حسن البنا رئيس الجماعة عقب ذلك . وسادت البلاد موجة من الارهاب ضرب فيها عرض الحائط بكل قانون وكل دستور وكل عرف وتقليد .. وفي هذا الجو المضطرب احسست بدافع غريزي ملأني خوفا من أن يفكر فاروق في التخلص مني كما تخلص من حسن البنا فأسررت لاخواني بهذا الشعور واتفقت معهم على مغادرة القطـــر والسفر الى انجلترا للدعاية للقضـــــية المصرية ريثما تستقر الأمور .

وفي انجلترا اكتشفت مقدار التدهور الذي أصاب سمعة مصر نتيجة هزيمتها المزرية في حرب فلسطين ، هذه الهزيمة التي لم تكن لنقص في الشجاعة أو الكفاءة ، وانما لفساد الأسلحة والذخائر كمـــا اتضحت الأمور فيما بعد . ولافراط الحكام المصريين في الخيـــانة والغدر .

وجدت اسم مصر لأول مرة لا يثير الا امتعاضا وسخرية .. وشعرت بمقدار ازدراء الرأي العام العالمي لفاروق واندهاشــهم من سكوت الشعب على مباذله . وفي احدى المناســـبات وقفت خطيبا في حديقة هايد بارك داعيا الانجليز للجلاء عن مصر فاذا بأكثر من واحد من جمهور المستمعين يصيح بي منـــددا بفاروق وباشوات مصر وكبرائها ، وكان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لي .. ان أرى رجل الشارع في انجلترا يندد بسادة مصر وأدهشني ذلك مقدار التطور الذي طرأ على عقلية الشعوب وكيف أصبحت تكره الملوك والرأسماليين والاقطـــاعيين ولا تطيق ســـماع أخبار البذخ والسفه والاسراف الذي يصعد اليه اغنياء الشرق وكبراؤه .

وفي انجلترا طالعت صحفا جعلت من الهجـــوم على فاروق شغلها الشـــاغل .

وفى انجلترا أبدى لى مسئول كبير دهشته لعدم قيام ثورة فى مصر ضد فاروق ٠

وبالرغم من ذلك كله ومن سوء سمعة فاروق فقد سمعت من ناحية أخرى أنه متفق مع الانجليز على ألا يجلو عن مصر أبدا وأنه عقد معهم عهدا أن يبذل كل سلطانه لعرقلة كل حـــركة ترمى لاخراجهم من مصر أو اخراجهم بأى صورة من الصور ٠

وفى انجلترا تعرضت لهجمات شديدة من الطـلاب المصريين لما تصوروه من أننى موفد من قبل فاروق وأننى صنيعة السراى ٠٠ ولقد بذلت جهدا كبيرا جدا حتى بددت هذه الاشاعة وحملتهم على احترام جهادى ٠

ومن وراء ذلك كله أو قبل ذلك كله رأيت سيادة الاشتراكية فى انجلترا ورأيت تطبيقاتها الرائعة ، بحيث تهيىء لكل مقيم على أرض الجزر البريطانية الأمان والضمان ضد البطالة وضد الفاقة وضد المرض والشيخوخة ٠

وانتهت رحلتى بعد شهرين وقد فشلت الرحلة فشلا ذريعا من حيث هدفها الأول وهو : الدعـاية للقضية المصرية فلم ألق سميعا أو مجيبا ٠٠ ولم ألق أى تشجيع من أى ناحية ٠

ولكن الرحلة أفادتنى من ناحية أخرى فوائد جمة ٠٠ فقد فتحت عينى على مقدار الهوة التى تردت فيها سمعة فاروق وبالتالى سمعة مصر الخاضعة لفاروق المستكينة لسلطانه ، وملأنى الشعور بأن الأمور وقد وصلت الى هذا الحد فان أيام فاروق قد أصبحت قريبـــة ٠

وأكملت اقتناعى بالنظام الاشتراكى وأنه لا علاج لمشاكل مصر فى الداخل والخارج ولا سبيل لنجاتها الا باتخاذ النظم الاشتراكية كاعادة توزيع الأراضى فى مصر والقضاء نهائيـا على نظام الاقطاع

والغاء الالقاب واتاحة الفرص المتكافئة لجميع المصريين فى التعليم والعلاج وكسب الرزق ٠

وبهاتين الفكرتين عدت الى مصر فى صيف عام ١٩٤٩ فنشرت فى جريدة المصرى بيانا الخص فيه هذه الحقائق وأعلن فيه احتجاجى على سوء أحوال البلاد وأحذر من العواقب الوخيمة التى تتهددها ، وكمظهر من مظاهر الاحتجاج أعلنت انسحابى من النشاط السياسى مؤقتا واعتكافى فى الريف فى عزبة ابراهيم شكرى بشربين ٠

ولقد كان هذا البيان اشبه بقنبلة ودهش الكثيرون للجرأة التى انطوى عليها فلأول مرة تحدث مصرى بصراحة عن الجرائم التى وقعت على النحاس وحسن البنا وعن جو الارهاب الذى يسود مصر واشار الى الناحية المسئولة عن هذه الجرائم وندد بها ٠

ويقينى ان هذا البيان لو لم يختم باعلان انسحابى واعتكافى فى الريف لكن لفاروق ولابراهيم عبد الهادى الذى كان يحكم البلاد فى هذه الايام شأن معى وأى شأن ٠

اعلان الحزب الاشتراكى

وان هو الا شهر واحد عقب اذاعة هذا البيان بل ما هو اقل من الشهر حتى سقطت وزارة ابراهيم عبد الهادى ودعى حسين سرى لتأليف الوزارة الجديدة ... وكان برنامج حسين سرى يتلخص فى اعادة الوفد الى الحكم ٠

وكان سقوط عبد الهادى مشجعا لنا لكى نستأنف نشاطنا من جديد ، فعدت الى القاهرة واتفقت مع اخوانى على تغيير اسم الحزب من مصر الفتاة الى حزب الاشتراكى ، وضمنا برنامجا اشتراكيا جديدا يتألف من عشر نقاط تتضمن جوهر المبادىء الاشتراكية على أن يكون تحقيقها بالطريق الدستورى البرلمانى ٠

وحجر الزاوية فى هذا البرنامج هو ما أشرت له فيما سبق من ضرورة تحديد الملكية بخمسين فدانا وتوزيع ما زاد فى ملكيه أى مصرى على هذا القدر على صغار المزارعين ، وجعلنا شعار هذا المبدأ « الأرض ملك لزارعيها » وثمة مبدأ آخر يدور حول مجانية التعليم فى جميع درجاته بالنسبة لجميع المصريين ومبدأ ثالث يدور حول تأمين كل مصرى على توفير حد أدنى من المعيشة الكريمة اللائقة بالانسان فى القرن العشرين وتأمينه ضد المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ، ومبدأ رابع يهدف للقضاء على الفوارق بين الطبقات بالغاء الألقاب وملحقاتها وتقريب الثروات ، ومبدأ رئيسى يتحدث عن الانتاج الجماعى ووجوب وضع مشروع شامل كامل ينفذ فى خمس سنوات لاعادة بناء المجتمع المصرى والوصول به الى أرقى الدرجـــات .

وبالرغم من أن حركتنــا ديمقراطية قانونية فقد رأينا زيادة فى الحرص أن نسـجل أن وسيلتنا لتنفيذ هذا البرنامج أبعد ما تكون عن العنف أو الاكراه ، وأن الاقتنـــاع عن طريق النشر والخطابة هو كل وسيلتنا لتحقيق هذه الأهداف .

وعلى الرغم من وجود الرقابة على الصحف والنشر فقد استطعنا أن ننشر هذا البرنامج بعد تعديلات طفيفة فرضتها الرقابة . وهكذا بدأ جهادنا الأخير صورته الناضـجة المتكاملة تحت اسـم الحزب الاشتراكى .

الانتخابات وعودة الوفد

وبدأت معركة الانتخابات فخضناها بعشرة من المرشحين ، ولقد أسرف حسين سرى فى التحدث عن حرية الانتخابات وحيدتها ونزاهتهـــا .

واخترت لنفسى دائرة عابدين حيث رشح الوفد ضدى حافظ شيحا المحامي ، كما كان هناك مرشح آخر يمثل الأحرار الدستوريين وهو على راتب ٠

وكان فوزى فى المعركة يبدو أمرا محققا ٠٠ فقد عقدت مايزيد على خمسة اجتماعات عامة كان يحتشـــد فيها الوف من الناخبين وغيرهم ، وكانت الحماسة تبلغ عنان السماء وعندما كنت أمر فى الدائرة كنت القى ما يشبه الاجماع على انتخابى ٠٠ وكانت مظاهر التشجيع تترى من أنحاء القطر المصرى كله والذى كان يتمنى ان يرانى عضوا فى مجلس النواب ليسمع صوتى الداوى دفاعا عن الشعب « تحت القبة » ، ولكن كما حدث فى انتخابات سابقة قلب البوليس لرجال وانصارى يوم الانتخابات ظهر المجن ، فقبضوا على وكلائى فى اللجان واعتدوا بالضرب على كل من تصوروا أنه سيصوت لى ، وهكذا استطاعوا فى اللحظـــة الأخيرة أن يزيفوا النتيجة وأن ينجحوا حافظ شيحا الذى كان كل من فى مصر يتراهن انه لن يحصل على تأمينه ٠

واسقطت فى الانتخاب للمرة الثالثة بقوة الحديد والنار ، ولو وقف الأمر عند حد الاسقاط لما كان له كل هذا الاثر البالغ فى نفسى ٠٠ ولكن الشائعات التى تواترت كانت تصر على ان الملك فاروق هو الذى اصدر أمره (الكريم) باسقاط احمد حسين ٠

وكانت هذه الصيحة تردد طوال المعركة الانتخابية ، فكنت أكذبها بكل شدة بطبيعة الحال ولا أقيم لها وزنا باعتبارها من اشاعات منافسى ، ولكن عندما أقدم البوليس يوم الانتخاب على ما اقدم عليه لم أستطع الا آن اصدق ما كذبته طوال المعركة ٠٠ واستقر فى خاطرى أن فاروق هو الذى اسقطنى ٠

وما حدث معى فى دائرتى حدث مع بقية زمـلائى مع تفاوت فى شدة اضطهادهم تبعا لقوتهم واحتمال نجاحهم ٠

ونجح بشق الأنفس ابراهيم شكرى لوجود ميل جارف من تأييد اهالى شربين وما يحيط بها له ٠

وفاز الوفد بأغلبية ساحقة وجاء النحاس الذى اقسم الملك بالشياطين والجن والانس أنه لن يرتقى الحكم مرة ثانيــة ٠٠ مصطفى النحاس الذى حــاول الملك أن يقتله كمــا ذكرت ٠٠ جاء النحاس الى الحكم من جديد وكان ذلك ـ كما قلت ـ اشبه الاشياء بانقلاب خطير ٠٠ ولقد كان انقلابا خطيرا بالفعل ولكن فى الاتجاه المضاد والمخالف لتصورات الشعب ٠٠ فقد جاء الشعب بمصطفى النحاس لما اشتهر به من أنه عدو لفاروق ٠٠ جاء به ليحد من سلطان الطاغية وليوقفه عند حده ٠ ولكن النحاس الذى كان قد أصبح ألعوبة فى يد سراج الدين خيب الامال منذ اللحظة الاولى وأحدث انقلابا بالفعل ٠٠ فقد تحول بارشــاد سراج الدين الى عبد ذليل لشهوات فاروق بحيث انخلعت قلوب النــاس منذ الأيام الاولى لحكومة الوفد لهول الانقلاب ٠٠ انقلاب النحاس الى صنيعة من صنائع القصر كاحقر رئيس حكومة من حكومات الأقليــات التى تعادى الشعب ولا تمت اليه بأى صــلة ٠

اليأس الذى ادى الى ثورة

ووجدت نفسى فى حالة تشبه اليأس فهاأنذا بعد ما يقرب من عشرين عاما من الكفاح المتصل من أجل الشعب وحريته وكرامته ومجده واستقلاله أرى نفسى وجميع قوات الدولة تحاربه بحيث تأبى على أن أكون نائبا فى البرلمان كأى نكرة من هذه النكرات والشخوص التى تكتظ بها مقاعد البرلمان ٠

وغاظنى فى الدرجة الاولى هذا القول المكرر المعاد من أن الملك هو الذى يحاربنى وهو الذى عمل على اسقاطى ٠

ماذا فعلت لهذا الملك ٠٠ بأى شئ آذيته كملك ٠٠ لقد كانت حركة مصر الفتاة التى تألفت منذ ١٩٣٣ هى أول حركة فى مصر

اتخذت شعار لها « الله والوطن والملك » وسعينا جاهدين لتقريب الملك الى الشعب واتخاذه رمزا لمكافحة الاستعمار .. وعندما جاء فاروق اسرعنا للالتفاف حوله والاشتراك مع باقى طوائف الأمة فى تعليق الآمال عليه .. وآخر موقف لى مع الملك عندما ذهبت الى امريكا للدعاية للقضية المصرية فصدرت كل مطبوعاتى بصورته وأعليت من شأنه وكرامته ، وقد عرضنى ذلك لنقد شديد من بعض الأمريكان الذين ازعجتهم صورته وهم يعرفون من أمره ما لم نعرف فى ذلك الوقت . وعندما قامت حرب فلسطين وغنم مجاهدونا الأبطال التوراة اليهودية المقدسة والتى كان باستطاعتنا ان نحتفظ بها وان نبيعها بعشرات الألوف من الجنيهات لليهود أنفسهم .. ولكنا آثرنا ان نهديها للملك ليضعها فى متحفه ، وعلى الرغم من أننا لم نتلق خطاب شكر على هذه الهدية فقد سكتنا على مضض .

اذن ماذا يريد هذا الرجل لكى يدخل أحد رعاياه فى رحمته.. ان الاخلاص لا ينفع .. ان الوطنية لا تنفع .. ان العمل للصالح العام لا ينفع .. حتى الرغبة فى خدمة الملك عن طريق تبصيره بالحقائق وحثه على خدمة الشعب لا تنفع .. لا يستطيع المجاهد الأمين أن ينفذ الى هذا الرجل الذى جمع فى يده كل سلطان.. وهاأنذا لم أستطع أن اظفر بمقابلة هذا الملك طوال سبعة عشر عاما قضيتها فى الجهاد والاخلاص للوطن والملك .. فما السبيل اذن لكسب رضائه ونيل حظوته .

لقد رحت اتلفت حول الملك وادرس حاشيته وكل الذين يحيطون به ويمثلونه هنا وهناك فلم أجد الا مجموعة من القوادين والمستهترين والشبان الأغرار المفتونين .. وجدت الملك لا تحيط به الا غانيات وراقصات ولاعبو القمار .. وأدركت على الفور ان هذا هو السبيل الوحيد للحصول على حظوة الملك .. فان لم يكن الانسان قوادا أو لاعب قمار أو زير نساء فلا سبيل له للاقتراب من هذا الملك .. فاى ملك هذا واى شعب يرضى بأن تنتهى الأمور

الى ان يكون على رأسه ملك هذا شأنه ٠٠ لا مكان للفضيلة فى بلاطه ٠٠ لا مكان للاخلاص أو الوطنية الصادقة فى بلاطه حتى ولو الى جوار الطراز الآخرين المفسدين ٠

لقد اخافنى هذا الملك أكثر من مرة فأحسست احساسا خفيا انه يريد قتلى وكانت رحلتى الى انجلترا ـ كما ذكرت ـ تحت تأثير هذا الشعور ٠٠ وما هو يعمـــــل على قتلى معنويا بملاحقتى فى الانتخابات العامة لاسقاطى فى نفس الوقت الذى يعمل بالليـــل والنهار على قتل هذه الأمة وهذا الشعب ٠ واذن فلابد من ان أخوض معركة مع هذا الملك وليكن ما يكون ٠

لقد قررت أن اموت فى منتصف الطريق ٠٠ قررت ان يزج بى الى السجن طوال حياتى او ان أصرع على الطريق العام برصاصة ٠٠ ولكن ذلك كله لم يزدنى الا تشبثا واصرارا ورحت أردد قول الشـــاعر :

اذا لم يكن من الموت بد

فمن العار أن تموت جبانا

انني ميت .. ميت . بل لقد مت بالفعل ماديا وأدبيا .

فهاأنذا رجل فقير أعيش يوما بعد يوم ، واحصل قوت اولادى واسرتى يوما بعد يوم ٠٠ وهاأنذا رجل على هامش الحياة السياسية لا يسمح لى أن أكون مجرد نائب ٠٠ فماذا على لو مت ٠٠ ما الذى ستخسره أسرتى ٠٠ بل ما الذى ستخسره بلادى ٠٠ بل ما الذى سأخسره انا !؟ ٠٠ لا شىء ٠٠ لا شىء وعلى العكس من ذلك فان هناك بعض الارباح والمغانم اذا قتلت وصرعت فى هذا السبيل ٠ سوف يقول التاريخ انه فى منتصف القرن العشرين قام فى مصر ملك داعر طاغية مستبد ٠٠ روع كل المصريين وافزعهم ولكن فردا من

بين صفوفهم قد تحداه جهارا نهارا .. تحدى ظلمه وطغيانه وقذف فى وجهه برأيه فيه ثم دفع حياته ثمنا لذلك . كانت هذه الصورة تبهجني وتملأ نفسى ارتياحا ان أرفع عن الشعب مسبة الا يخرج من بين صفوفه من يتحدى الملك .. فقررت أن أمضى فى هذا الطريق . وكنت أشعر كما قلت ان هذه سياسة يأس ولكن لم يكن أمامى سياسة غيرها .. لقد كان هذا هو الباب الوحيد الذى ظل مفتوحا أمامى بعد أن سدت كل الأبواب فاقتحمت الباب وأنا مستعد للموت .

لم يكن لى من سبيل لخوض المعركة ضد فاروق سوى القلم بطبيعة الحال .. ولم يكن لهذا القلم من مجال سوى جريدة مصر الفتاة .. وكانت جريدة مصر الفتاة فى ذلك الوقت معطلة لنضوب مواردنا تماما ولعدم ذيوعها وانتشارها الانتشار الذى يساعد على مواصلة استمرارها .. ولكنى قررت أن أعاود اصدارها بعزم جديد وان أجعل اسمها الاشتراكية بدلا من مصر الفتاة ، ولقد قدمت لسراج الدين باعتباره وزيرا للداخلية طلبا بهذا التغيير فرفض اجابتنا اليه ، فرأيت أن اسميها الاشتراكية رغم ذلك على ان أنشر على رأس الصحيفة الاسم القديم مصر الفتاة على أنها لسان حال « الاشتراكية » وأصبحت الاشتراكية هى العنوان البارز للمجلة وأصدرنا العدد الأول منها فى صورته الجديدة وفيه حملة على كريم ثابت وغيره من رجالات القصر .

وكانت الجريدة كعادتها لا توزع شيئا يذكر .. بل ان ما كانت توزعه فى ذلك الوقت لا يكاد يصدق .. فلم تزد هذه المبيعات فى العدد الأول على ثلثمائة نسخة فى كافة أنحاء القطر .. ومثل هذا القدر التافه من المبيعات لم تصل اليه فى أى يوم من الأيام ، فلم يحدث أن تقل توزيع الجريدة عن الف نسخة او تسعمائة ..

اما أن يكون التوزيع للشائة نسخة فهذا شيء يفوق كل تصور في مدى الفشل ٠٠ ولكن نفسي كانت ممتلئة باصرار وعزم غريبين ٠٠ لقد كان الاحساس يملأني ان هذه هي المعركة الأخيرة ٠٠ معركة الحياة والموت ، وانني يجب أن أمضي فيها حتى النهاية ٠٠ ولو لزم الامر الا اطبع من الجريدة سوى خمس نسخ ٠٠ ولكنني سافعل ذلك ما استطعت الى ذلك سبيلا ٠ وكالعادة دائما وقف الى جوارى هؤلاء الاخوان الصناديد ٠٠ هؤلاء الأبطال والجنود المجهولون ٠٠ والذين مهما عرف الناس أســـماءهم فهم مجهولون بالقياس الى ما يبذلون ويبذلون ٠٠ وقف الى جوارى هذا النفر من أبناء مصر الفتاة الاحرار الصادقين وعلى رأسهم ابراهيم شكرى يشدون ازرى ويحمون ظهرى ٠

فضائح حملة فلسطين

والفجرت قنبلة فضائح حملة فلسطين في ذلك الوقت ٠٠٠ وامتلأ جو مصر بهذا الجو الذى تقشعر منه الأبدان ، جو المخازى ٠٠ والجرائم والأسرار التى سقط عنها الستار فجأة ٠

وهنا أريد أن اشير الى جهد الاستاذ احسان عبد القدوس في هذه الناحية ٠٠٠ ان الأستاذ احسان عبد القدوس لا يحبني ٠٠ بل لابد أن له رأيا سيئا في شخصى وفى كفاحى ٠٠٠ ولقد وقف منى دائما وخاصة في محنتى موقف المتربص المستعد للاجهاز على في أى فرصة مواتية ٠٠٠ وعندما افرج عنى كان هو الوحيد الذى لم يذكر حرفا واحدا عن هذا الافراج ٠٠ ومع ذلك فان هذا كله لا يغير رأيى فيه ، وانه قام بدور عظيم فكان صاحب الفضل في اثارة قضية الاسلحة والذخائر الفاسدة ٠٠ ثم تابع الحملة بعد ذلك مترجما باستمرار آلام الشعب وآماله ٠٠ واشهد لقد كانت مقالاته كلها مستقيمة وصادقة وجريئة وقوية بحيث كنت دائما ابدا امتلىء اعجابا بها ٠٠

واسرعت لاستغلال فرصة فضائح حملة فلسطين ٠٠ وثورة الرأى العام الفكرية والنفسية ٠٠ بل ثورة الجيش فى ذات الوقت لكى اضاعف من شدة هجومى على الملك وأن أسفر عن هذا الهجوم وأجعله صريحا وعلنيا ٠

وليس من برنامج هذه المذكرات أن اضمنها نصوصا ووثائق اذ لو فعلت ذلك لتضخمت تضخما كبيرا جدا ولخرجت عن برنامجها المرسوم ، وهى انها حديث نفسى قبل أن تكون حديث تاريخ ٠٠ ومع ذلك فلست استطيع ان أقاوم الاغراء الذى يدفعنى لتسجيل فقرات من هذا المقال الأول الذى تحديت الطاغية فيه وجها لوجه ٠٠ والذى ختمته بالانذار والوعيد ٠٠ الذى تحقق فيما بعد بنصه وحرفــه ٠

ضد فاروق وجها لوجه

لم يكن عنوان المقالة أقل من هذه الكلمات « حيدر ـ بولى ـ كريم ثابت ـ النقيب ـ ينبغى تطهير أداة الحكم من هذه العصابة »٠

وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٠ م أو فى ٢٩ سبتمبر على وجه التحديد أى قرابة عامين قبل انقلاب الجيش وذهل الناس القلائل الذين وقعت فى أيديهم أعداد المجلة من هذا العنوان ٠٠ وذهلوا بالأكثر وهم يطالعون لأول مرة فى تاريخ مصر التحدث عن حاشية الملك بانهم عصابة والاشارة الواضحة الى أن الملك هو رئيس هذه العصابة بالرغم من محاولات التظاهر بالفصـــل بين الملك وهذه العصابة واستبعاد أن يكون رئيسا لها ٠

واليك الآن فقرات من هذا المقال ٠٠ وقد تبدو لك أنها هينة لينــة بالقياس الى ما رحت تطالعــه الآن عن الملك اللص والمجرم

والسفاح والقواد الى آخر هذه النعوت التى يكيلها له اليوم أشد أنصاره بالأمس .. ولكن هذه الفقرات قد قيلت فى ١٩٥٠ م عندما كان الملك فى أوج سلطانه يعز ويذل ويقتل بدون رقيب أو حسيب .

.. ولى المرحوم أحمد حسنين وظيفته كرئيس للديوان الملكى ، وقد بدأت مصر تشهد طلائع هذه المأساة التى يرفع عنها الستار هذه الأيام من خلال تحقيقات الجيش فقد عمد هذا الراحل الذى لا نملك الآن الا أن نطلب له الرحمة بعد أن أصبح فى العالم الآخر ، عمد الى خلق ما يسمى بحزب الملك ..

وكان حسنين على ما يبدو شخصا ضعيف النفسية عديم الكفاءة قليل التجربة لم يستطع أن يصل الى مرتبة من سبقوه فى تجربة انشاء حزب الملك ، فهؤلاء قد حشدوا فى أحزابهم أعظم الكفاءات فى البلاد ، وجمعوا نخبة من الوزراء وكبار الموظفين ورؤساء الوزارات السابقة وبعض النوابغ والأكفاء وألفوا منها هذه الأحزاب ، أما حسنين فقد ألف حزب الملك من طراز غريب من الناس أحسن من فيهم شبان أحداث لم يتمرسوا بعد بتجارب الحياة وسوادهم الأعظم أفاقون مغامرون من العاملين فى الظلام وبدأنا نرى أعلام المجون واللهو والقمار بصمة خاصة ، وقد أصبحوا ينتمون الى هذا الحزب ، ولعله من الأفضل أن نطلق عليه اسم (العصابة) ، وبدأت هذه العصابة تجعل من مصر مسرحا لآثامها وجرائمها الخلقية والأدبية والمالية تحميه بهذا الاسم الذى أجله الدستور ووضعته القوانين موضعا كريما .. وبذلك احتمت العصابة من أن يوجه لها نقد أو يسلط الضوء على أعمالها ، وساعد على ذلك قيام الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف .

وبدأت هذه النجوم تلمع من أمثال كريم ثابت ، وبوللى والنقيب .. وغيرهم ، وكانت هذه العصابة فى حاجة الى رجل

عسكرى يجعل من الجيش أداة لتحقيق أغراضها ويخيف ويرهب كل من تحدثه نفسه يوما ما بالتمرد على هذه العصابة فاختير حيدر ليلعب هذا الدور وليجعل من الجيش سندا ووقاية لهذه العصابة المخربة المدمرة ، وتحولت هذه العصابة الى كل شىء فى حكم هذا البلد ، لا يمكن لرأس كريمة أن ترتفع الى جوارها ، لا يمكن لصوت صادق ان يصل الى حيث يجب أن يصل ، لا يمكن لشخص مستقيم أن ينفذ من هذا الستار الحديدى الذى أنشأته هذه العصابة لحكم البـلاد » .

ثم انطلق المقـال بعد ذلك يندد بحكومة الوفـد وموقفها واستخذائها وهى التى رفعها الشعب الى الحـكم لمحاربة طغيـان السراى ، واستطرد المقال يقول :

« وجاء الوفد الى الحكم وهو الذى كان هدفه محاربة هذه العصابة طوال خمس سنوات فدبرت له المؤامرات التى وصلت الى حد الشروع فى قتـل النحاس أكثر من مرة بوسـائل وحشـية وقاسية .. وكان المظنون أن الوفد وقد جاء الى الحكم لسيجعل رسالته الأولى تنظيف أداة الحكم من هذه العصابة فلا نعود نسمع عن كريم ثابت أو بوللى او حيدر وأضرابهم وأمثالهم .. فما راعنا الا أن وقع الوفد فى أحبولة هذه العصابة .

اننـا لن ننسى ابدا أن الحكومة الحاضرة (حكومة الوفد) وقفت تدافع عن جرائم هذه العصابة فى مجلس الشيوخ وتحول بين المجلس وبين تأليف لجنة لتحقيق هذه الجرائم » .

ثم ختم المقال بهذه الفقرة :

« اننا نقولها كلمة صريحة عالية لهذه الحكومة : ان الحكومة ليست جادة فى محاربة الفساد ، وان هذا الذى يجرى من تحقيقات

ليس الا من قبيل ذر الرماد فى العيون وان التحقيق لن يلبث أن ينتهى الى غير نتيجة مادام أن من بيدهم الامر من أفراد العصابة لا يزالون هم أصحاب النفوذ والسلطان » .

« ان الجيش يريد اقصاء هذه العصابة والشعب قبل الجيش يريد هذا فلتحذر الحكومة مغبة بقاء هذا النفر الملوث فى مراكزه فان ذلك لن يلبث أن يهدد النظام باكمله » .

ومرة أخرى قبل هذا فى سبتمبر سنة ١٩٥٠ م وفى يوليو ١٩٥٢ م كان ينفذ بالحرف الواحد فزال النظام باكمله وقبض على افراد العصابة ورئيس العصابة .

ولنرجع الى سبتمبر سنة ١٩٥٠ بعد نشر هذا المقال .. لقد بهت الناس الذين طالعوا هذا المقال وبدأ يحدث بعضهم بعضا عن المجلة الاشتراكية وما يكتب فيها وبدأنا نشعر ان توزيع الجريدة أخذ فى الزيادة بحيث ارتفع من بضع مئات الى الفين او ثلاثة آلاف فيما أذكر .

سراج الدين يتحرك

ولم يحل بيننا وبين تلقى الكوارث فى ذلك الوقت وعقب نشر هذه السلسلة من المقالات التى وصلت الى ذروتها فى هذا المقال، الا أن سياسة فؤاد سراج الدين كانت ترمى الى الاقلال من شاننا والى ضآلة جريدتنا وأنه من الخير أن لا يتعرض لها حتى لا يلفت اليها الأنظار .

لقد كان سراج الدين فى ذلك الوقت فى ذروة مجده .. لقد أعاد الوفد الى الحكم بعد أن يئس الوفديون من الحكم ، فاى

عبقرية ترقى الى مستوى هذه العبقرية ؟! .. كانت مصر كلها تحت أقدام سراج الدين تسبح بمجده وتشيد بنبوغه وعظمته ، ولم يكن أحمد حسين سوى ناموسة تطن ومن الخير أن يترك وشأنه ، ولكن اللفظ زاد حول ما تنشره الجريدة .. والهجوم السافر على الملك قد وصل الى حد لايمكن السكوت عليه دون تعريض العلاقات الوطيدة بين سراج الدين والقصر للخطر .. واذن فيجب أن يتحرك سراج الدين ويبذل جهدا معينا لوضع حد لهذا الموقف .. ففؤاد سراج الدين رجل ثرى ، يؤمن بسلطان المال ويعرف أنه لا يوجد فى الدنيا ما لايمكن شراؤه بالمال ، واذن فليحل هذا الاشكال الجديد عن طريق المال وليبعث الى أحمد حسين برسول من لدنه يساومه على القدر الذى يريده أحمد حسين للكف عن حملته على القصر ولم يكن رسول سراج الدين لأحمد حسين سوى اللواء عمر حسن – رئيس القسم الخصوصى فى وزارة الداخلية والمختص بتوزيع المصروفات السرية – وجاء عمر حسن لمقابلتى فى المنزل بالرغم من أننى حملت عليه حملة شعواء فى التليفون عندما طلب هذه المقابلة. وبالرغم من أن العدد من الجريدة الذى صدر فى هذا اليوم كان يندد بوزير الداخلية الذى يتعاون مع عمر حسن وابراهيم امام .

وجاء عمر حسن واسفر عن مهمته التى تتلخص فى التقريب بينى وبين وزير الداخلية سراج الدين .. الذى يسره أن يسلم مقدار الأموال اللازمة لانتعاش جريدتى وجعلها جريدة محترمة عزيزة الجانب ، وكان ردى على هذا العرض بسيطا وهادئا قلت له : قل لسراج الدين أن يطمئن فهو أهون من أن أهاجمه لأننى جعلت رسالتى تتلخص فى هدف واحد وهو محاربة فاروق . (وهنا استعملت كلمة بذيئة) وصفا له وقد ظللت منذ ذلك التاريخ بكل أسف أستعمل هذه الكلمة فى حديثى عن فاروق فى مجالسى الخاصة ومع الرجال الرسميين ، وكنت أعنف نفسى بشدة على استعمالى هذا اللفظ الذى لا يليق بانسان مهذب أن يتلفظ به ، ومع ذلك

فقد كان طغيان فاروق يغريني دائما باستعمال هذا الوصف عقب ذكر اسمه .

قلت لعمر حسن : اذهب الى سيدك فقل له ان احمد حسين قد آلى على نفسه أن يحارب فاروق وكل من يحاول التصدى دفاعا عن فاروق .

وأنا أعلم أن مصيرى هو الموت الذى قد أعددت نفسى له .

ولم يفتنى أن أقول لعمر حسن : انك لن تستطيع أن تكتب فى تقريرك كلمة واحدة مما قلته لك عن فاروق لأن احدا لن يصدقك اذا كتبت هذا التقرير فمن غير المعقول أن اقول لرئيس القسم الخصوصى عن الملك هذه العبارات والالفاظ ، وأن اعلنه أننى ساحارب فاروق حتى أصرعه أو يصرعنى ..

لقد كان هؤلاء النمر على فرط دناءتهم أجبن من أن يحملوا للطاغية أن صعلوكا من رعاياه يقذف فى حقه هذا الاقذاع ويتحداه هذا التحدى .

الرد على سراج الدين

وتلقى سراج الدين ردى على اسفافه فى ايفاد هذا المندوب وتصوره أنه من الممكن شرائى بالمال مقالا طنانا رنانا طبق الخافقين فى ذلك الوقت باعتباره عنوانا على المذلة والهوة التى تردت فيها الصحافة المصرية وكان عنوان المقال « لن تحكمنا أسرة سراج الدين » وقد وصفت جاه سراج الدين وما وصل اليه من عظمة وسلطان وكيف أصبح أخوه رئيسا لمجلس النواب تقريبا ، وأخوه الثانى سكرتيرا للجنة المالية والثالث رئيسا لها وجنابه رئيسا للحكومة وكيف تحول الى معبود يعبد ، وختمت المقال بأننا كافرون بهذا الاله

الجديد وسوف نحطم الصنم ، بل وسوف نبول على هذا الصنم المعبود » .

وقامت القيامة .. واهتزت السموات والارض كيف يصل الأمر الى استعمال هذه الألفاظ والهجوم على سراج بهذا الأسلوب ووقف سراج الدين فى مجلس الشيوخ يبكى ويتباكى على ما وصل اليه التدهور الخلقى فى مصر ، وراح يتلو على أعضاء المجلس الموقر فقرات من هذا المقال الثائر على أسرة سراج الدين والذى يندد بالصنم المعبود ويعلن للدنيا الكفر والهرطقة بهذا الصنم ، بل ويذهب الى حد التبول فانه سيبول على هذا الصنم ، كما كان يفعل العرب بعد أن دخلوا فى الاسلام اظهارا لاحتقارهم لآلهتهم القديمة .

وفزع مجلس الشيوخ الموقور من أن يتدنس حرمه بسماع هذه الأقوال ، فنادى المنادى من بينهم بضرورة اعدام هذه الصحيفة .. وبضرورة صلب الكاتب لهذا المقال .

" ولزم مجلس الشيوخ الموقور من أن يتدنس حرمه بسماع الذى لوث مهنة الصحافة الطاهرة وتنازل صاحب الاستجواب الذى كان قد قدمه دفاعا عن حرية الصحافة بعد ان ظهر أن الصحافة ممثلة فى الاشتراكية وفى شخص أحمد حسين قد وصلت الى هذا الدرك الأسفل بحيث تسمى سراج الدين صنما وتعلن أنها ستحطمه وستجعل الناس تبول عليه ولم يستطع سراج الدين المسكين أن يهدىء هذه الحملة الشعواء عليه من حضرات الشيوخ المحترمين الا بعد أن وعدهم أنه يتخذ الاجراءات لكى يضع حدا لهذا الهوان الذى يوشك أن يعرض سمعة البلاد للضياع .

تحقيق النيابة

وشرعت النيابة تحقق معى فى كل الاعداد التى صدرت من الجريدة حتى كتابة هذا المقال أى الأعداد التى صدرت خلال ثلاث

اشهر كاملة حاول فيها سراج الدين أن يظهر عدم الاكتراث بشأنها ، فلم يطلب التحقيق فيها ، وعندما وجه الى الاتهام بالعيب في الذات الملكية قلت : ان الأصح أن يقال انني عبت في الذات السراجية ، فمقالاتي المقول انها ضد الملك قد كتبت منذ ثلاثة أشهر سابقة فلم تحرك النيابة ساكنا الا بعد أن عبت في الذات السراجية، فقلت بالخط العريض لن تحكمنا أسرة سراج الدين ، وقد كان لهذه الحقيقة اثرها البالغ في نفس مجلس الدولة عندما عرضت عليه قضية الغاء « مصر الفتاة » فقد لمس مجلس الدولة ان اجراءات الاضطهاد لم تنهال على الجريدة وتصل الى حد الغائها الا منذ اليوم الذى هاجمت فيه سراج الدين بهذا العنف ، فمنذ ذلك اليوم اتحدت ارادة سراج الدين مع فاروق للخلاص من هذه الجريدة الثائرة ومن محررها هذا المجرم العنيد أحمد حسين .

ذيوع وانتشار

وعند هذه المرحلة كانت الجريدة قد بدأت تلفت الأنظار ، فبدأت ارقام توزيعها في صعود مستمر ، وقد كان هذا الصعود في باديء الأمر محدودا ولكنه كان مطردا بحيث بدأ كل عدد يزيد بضع مئات في كل أسبوع بعد ان كان يزيد بضع عشرات ، وصودرت الجريدة أسبوعا ، وأصدر القضاء أمره بتعطيلها أسبوعا آخر ، فقفز رقم التوزيع الى خمسة آلاف نسخة ، وكان هذا بالنسبة لنا يعتبر انتصارا لا مثيل له واضطررنا الى أن نستبدل المطبعة القديمة بمطبعة جديدة لتواجه الانتشار المستمر فاتسعت لنا مطبعة جريدة الأساس وقد كان هذا تناقضا غريبا من ناحيتنا ومن ناحية أصحاب الأساس ، فنحن نعتبر انفسنا خصوما سياسيين للسعديين وجريدتهم وما من عدد من الأعداد خلا من الهجوم عليهم ومع ذلك فلم يكن امامنا مطبعة لطبع جريدتنا فى عهدها الجديد غيرها ، والسعديون

بطبيعة الحال يؤذيهم ان يطبعوا جريدة تهاجمهم ، ومع ذلك فيظهر ان ظروفهم المالية من ناحية ورغبتهم فى تشجيع كل ما يحـرج الحكومة الوفدية ويثير لها المتاعب من ناحية اخرى كل ذلك جعلهم يرضون هذا الوضع العجيب وهو أن يساهموا فى طبع جـريده تخاصمهم وكثيرا ما كان ابراهيم عبد الهادى يئن ويتوجع لما ينشر فى الجريدة هجوما عليه أو مساسا بنزاهته كما حدث فى بعض الأحيان عندما نشرت الجريدة ممتلكاته من الأراضى ولكن الأمر الله وقف عند حد العتاب والتذمر دون التفكير فى ايقاف طبع الجريدة على مطابعهم . بل انه عندما جاء الوقت الذى ضاقت بنـا مطبعة الأساس نفسها فانتقلنا الى مطبعـة الأهرام كان كل من فى الأساس يلح فى الرجاء الا لا نترك المطبعـة بعـد أن كان ايرادهم من طبع الجريدة قد وصل الى مبلغ لا يمكن الاستغناء عنه لادارة المطبعـة نفسها ·

والمهم أن مطبعة الأساس قد عاونتنا فى هذه المرحلة معاونة جديرة بالذكر والتنويه ·

فضيحة ميدان عابدين

وبدا نبوغ الجريدة وخطتها فى محاربة مفاسد الملك تلفت الينا انظار كل القائمين على العهد من موظفى الدولة ·· فاتصل بنا بعض موظفى وزارة الأشغال ومهندسيها ولست فى حل من نشر أسمائهم بدون استئذان ، وبداوا يقدمون لنا صورا وتقارير ورسومات عن مشروعات عثمان محرم الجنونية لارضـاء الملك السابق عن طريق انشاء التماثيل واصلاح القصور الأثرية والتى راح عثمان محرم ينفق عليها ملايين الجنيهات ، وكان على رأس هذه المشروعات انشاء تمثال الملك فؤاد فى ميدان عابدين ونزع

ملكية ما يزيد على خمسمائة بيت تقيم بهـا ألوف من الرجـال والنساء والأطفال بحجة توسيع الميدان ليكون لائقا بعظمة التمثال .
وقد كان ذلك جنونا مطبقا من غير شك وآية على ما وصل اليـه العهد من انحلال واضطراب أن تشرد العشرات من ألوف المواطنين وتنفق ملايين الجنيهات لانشاء تمثال للملك فؤاد تزلفا الى الملك فاروق ، وجاء لنـا الموظف الوطنى برسومات المشروع ، وبنصوص المراسيم التى نزعت ملكية البيوت وميزانية المشروع فاسرعنا الى نشر ذلك كله تحت عنوان فضيحة ميدان عابدين ، فكان لذلك دوى فى أرجـاء البلاد وأسقط فى يد الملك ويد الحكومه وشعروا ان الجريدة قد أخـذت بتلابيبهم متمسـكين بهذه الجريمـة الشنيعة ولذلك فقد أصدر الملك على ما نشرت صحف دار أخبار اليوم أمرا بايقاف هدم المساكن ، فكان ذلك أول انتصار مادى حققته الجريدة الاشتراكية ، وكان انقاذ هذه البيوت والحيلولة دون هدمها هو أول معول فى هدم الملكية بالذات كما اثبت مسلسل الحـوادث والنهاية التى انتهت اليها .

الغــاء الاشتراكية

بدأ فاروق يدرك عقب هذه الهزيمة التى منى بها فيما اسميناه « فضيحة ميدان عابدين » وبدأت الحكومة وسراج الدين بصفة خاصة يدرك مع فاروق أن الاشتراكية خطر يجب القضاء عليـه بصفة حاسمة ، لقد ثبت لهم أن مصادرة الجريدة قد ضاعف فى انتشارها ، وان تعطيلها أسبوعا عن طريق القضاء قد لفت الأنظار اليها أكثر وأكثر وبلغت مبيعات الجريدة ثمانية آلاف نسخة بعد أن كانت بضعة مئات وكان العدد الواحد يتجمع حوله عشرات ، بل ومئات من الناس فى القرى والمساكر لكى يطالعوه فرأوا أن يضربوا ضربة حاسمة وهو الغاء الجريدة ، ولكنهم ظلوا يترددون بعض الوقت خوفا لما يثيره هذا الاجراء من انتقاد وهم المتـادون

بالدستور وحرية الصحافة ، وهم الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها فى مجلس الشيوخ عندما ألقى اسماعيل صدقى يوما من الأيام وخص بعض جرائدهم ومجلاتهم ، ولذلك فقد رأوا أن يتريثوا بعض الوقت . وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ م صدرت مصر الفتاة الاشتراكية وهى تحمل بالخط العريض والمداد الأحمر فوق رأسها « فضيحة شركة سعيدة » وهى هذه الفضائح التى لم تتحدث عنها الصحف وعن أنفالها الا بعد سقوط الملك ، وكان عنوان مقالتى « تحرك أيها الشعب » وفى العدد وعلى صدره حديث عن الدكتور زكى هاشم وخطوبته ، وقد كان فاروق لا يتصور حديث مجرد الاشارة لزكى هاشم فضلا عن الاشادة به على صفحات الاشتراكية لما يحمله ذلك من معانى التذكير بجريمة الملك الكبرى ..

وتضمن العدد فوق ذلك اعلانا ملفتا للنظر عن مقال سينشر فى العدد التالى وهذا نصه : « ملهى الاسكارابيه ينشر فى العدد القادم معلومات وتفصيلات عن ملهى الاسكارابيه فلفت اليهـا الأنظار » .

وملهى الاسكارابيه هو هذا الملهى الذى كان يسهر فيه فاروق كل ليلة ويقتنص منه فرائسه فى الراقصات والمغنيات ومن على أشكالهن وكانت فضائحه فى هذا الملهى قد أصبحت حديث العالم .. ومن العجيب أن المعلومات التى كنا سننشرها كنت قد استقيتها مباشرة من والد زوجة صاحب هذا الملهى والذى جاء يشكو لى كيف أن تردد فاروق على هذا الملهى لا يعود على صاحب الملهى بأى ربح مادى وأن الذين يستفيدون هم جماعة من اليهود الذين يشرفون على لعب القمار والذين بلغت أرباحهم فى عام واحد خمسين ألفا من الجنيهات ، أما نصيب زوج ابنته من حصيلة لعب القمار فهو ينفقه على استيراد الأرتستات اللائى يسر بهن فاروق

ويدفع لهن المرتبات المرتفعة ارضاء لفاروق ، فهو لا يربح شيئا فى حقيقة الحال ، وقد رجانى الرجل ان اسـائل الحكومة ووزير الداخلية كيف لا تتدخل فى معرفة ما يجرى فى نادى القمار الملحق بهذا الملهى وعلى أى أساس تسمح لهؤلاء اليهود وهم من أصحاب السوابق أن يديروا هذا النادى ، وغنى عن البيان أن الحكومة ووزير الداخلية لم يكن يقترب من هذا الحرم المقدس الذى يظله فاروق برعايته الملكية السامية ٠ ولم يكد هذا العدد يصدر فى السوق فى يوم الخميس ٢٥ يناير حتى كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير أو النقطة التى طفحت بها الكاس ، كاس فاروق وسراج الدين وحكومة الوفد كلها فاجتمع مجلس الوزراء فى المساء وأصدر أمره الكريم بالغاء جريدة مصر الفتاة ، ولقد راح كل مصرى يعزو سبب الالغاء لهذا المقال أو هذا الخبر ، فالبعض يرى أن الاعلان عن اذاعة معلومات خاصة بملهى الاسكارابيه هو الذى عجل باعدام الجريدة ، والبعض يرى أن مقال تحرك أيها الشعب هو العامل الرئيسى لهذه العقوبة ، وثالث يقول بل فضيحة شركة سميدة وأشخاص يؤكدون أن الحديث عن زكى هاشم خطيب ناريمان السابق التى خطفها منه الملك هو على التحقيق سبب الغاء الجريدة ، ولكن كان من الواضح أن الغـاء الجريدة كان مسالة مقررة منذ عدة أسابيع وانها كانت تؤجل من أسبوع لآخر ٠

وبلغ توزيع هـذا العدد الذى ألغيت الجريدة على أثره عشرة آلاف نسخة ، وكان ذلك بالنسبة لنا يعتبر شيئا خياليا ٠

غضبة الـرأى العـام

ولم يحدث من قبل أن غضب الرأى العـام كمـا غضب على الغـاء مصر الفتـاة ، لقد كان هنـاك اجمـاع على استنكار هـذا التصرف ، وكان ذلك من الارهاصـات التى تدل على أن نهاية فاروق قد بدأت تلوح على الأفق ، طبعـا لم نكن نتصور ذلك فى هذا الوقت ، بل لعل الغاء الجريدة كان دليلا على قوة

النظام وقدرته على البطش ، فلم تخطر فكرة نهاية فاروق على البال، ولكن الآن بعد أن ذهب فاروق فان ذلك يفسر لنا هذه الظاهرة التي بدت في ذلك الوقت وكنا نقف أمامها مدهوشين الا وهي اجماع الرأى العام بمختلف أحزابه وهيئاته ، الوانه على استنكار الغاء الجريدة . لقد عاصرت في مصر الغاء البرلمانات والغاء الدساتير من أساسها ، والغاء الحرمات المقدسة فكانت الأمة تنقسم حيالها الى قسمين فريق ساخط مستنكر وفريق راض مبتهج لهذا الذى حدث ، أما عندما الغيت مصر الفتاة فقد كان كل مصرى على اختلاف مشاربه في سخط واستنكار لهذا التصرف ، ولم أدرك هذه الحقيقة بكل شمولها الا عندما أضطرتني الظروف تحت عامل الغضب الى التنازل عن قضيتي في مجلس الدولة ، فقد هاجمني الشعب بأكمله على هذا التنازل وانهالت على الاحتجاجات والاستنكارات من كل مكان ، فقد كان كل مصرى يعتبر القضية قضيته ، فعندما تنازلت عنها أحس الجميع كما لو كنت قد خنتهم ولم يكن هناك ما يثلج صدري في هذا الوقت أكثر من هذا السخط الاجماعي الذى انهال عل متنازل عن الدعوة ، ولم يكن الناس يعلمون في ذلك الوقت انني تنازلت عن الدعوى عندما توجست خيفة ان يقر مجلس الدولة تصرف الحكومة فيكون ذلك قضاء على الدستور وحرية الصحافة الى الأبد ، فقد أسرعت لرفع دعوى مستعجلة في مجلس الدولة لايقاف تنفيذ قرار مجلس الوزراء وكان القاضي الذى سمع الدعوى هو السنهورى نفسه ـ رئيس المجلس ـ وقد ترافعت أمامه بكل أعصابي وبكل ايماني ، ترافعت أمامه وشرحت له خطورة القضية وأن تأييد الحكومة في تصرفها سيكون ضربة قاضية عل الشعب ، ومع ذلك فقد أصدر السنهورى قراره برفض طلب ايقاف التنفيذ والتعجيل بنظر موضوع القضية ، ولقد صدمني هذا القرار صدمة عنيفة وخاصة لصدوره من السنهورى بالذات والذى أكن له في نفسي اجلالا واحتراما عظيمين ، لم أكن أعلم ماذا يضمر السنهورى

فى نفسه ، وأنه اراد ان يكون دقيقا وأن يجعل ابطال قرار مجلس الوزراء يصدر من المحكمة الادارية مجتمعة بدلا من أن يقال انه اوقف بشخصه قرارا من مجلس الوزراء . ولكنى فى ذلك الوقت تصورت عكس ذلك وأن السنهورى قد عمل حسابا لفاروق وغضبه وأن ذلك هو سبب قراره رفض ايقاف التنفيذ ولذلك فقد بادرت بارسال خطاب اليه اعلنه فيه أن دعواى قد اصبحت غير ذات موضوع وأننى بذلك متنازل عنها ·

ولم يكد هذا الخبر يذاع فى الصحف حتى ضج الرأى العام عن اختلاف مناهجه استنكارا لهذا التنازل فأكد ذلك هذه الحقيقة العجيبة التى تجلت فى هذه المناسبة وهو اجماع الرأى العام على الالتفاف حول الاشتراكية باعتبارها الجريدة التى تصدت لحرب الملك وتحديه . فكان ذلك كما قدمت ارهاصا بأن ايام الملك قد أصبحت قريبة وان كنا فى ذلك الوقت لم نكن نتصور أن الاقتراب سيكون بهذه السرعة أو بهذه الكيفية ·

جريدة الشعب الجديد

وكان طبيعيا وقد الغيت مصر الفتاة أن نحاول الحصول على جريدة أخرى فتقدم ابراهيم شكرى الى وزارة الداخلية باخطار يعلنها فيه انه قد اعتزم اصدار مجلة جديدة باسم الشعب الجديد وكان من المستحيل قانونا أن يأبى وزير الداخليــة على نائب من نواب الامة أن يصدر جريدة ومع ذلك فان هذا المستحيل قد حدث فاذا بنا نفاجأ قبل انصرام الشهر المخصص لوزير الداخلية ليمارس فيه حق الاعتراض ، بيوم واحد أنه ـ أى الوزير ـ لا يوافق على اصدار الشعب الجديد بحجة أنها لن تكون سوى مصر الفتاة الملغاة تحت اسم جديد ، ولم يكن هناك فى نفسى ذرة من الأمل أن يصدر أمر من رئيس مجلس الدولة بايقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية

بالمعارضة فى اصــدار الجريدة ولكنى مع ذلك قررت أن نرفع دعوى مستعجلة بهذا الطلب ليتسنى لى أن أواجه السنهورى مرة أخرى لكى أناقش حكمه السابق فى قضية مصر الفتاة ، وقد حدث ذلك بالفعل فترافعت فى عصبية شديدة وقد رددت على الأسئلة التى وجهها الى السنهورى بصدد قضية مصر الفتاة ردودا جافة . وكانت مرافعتى كلها فى طبيعتها ليست سوى نقد لحكمه السابق . وانتهت المرافعـات وتأجـل اصدار الحكم أسبوعا ، ولم أحاول أن أترقب الحكم أو أعلق عليه أى اهتمام ، فلم يكن فى نفوسنا أى ذرة من الشك أن مصيره سيكون هو الرفض المحقق .

وفى ذات يوم عند الظهر أو بالأحرى فى الســاعة الثـانية والنصف بعد ظهر يوم الأربعاء ١١ أبريل كنت جالســا فى دار الحزب وفجأة وجدت سيارة قد وقفت على باب الحزب ونزل منها بعض شبان الحزب من طلاب كلية الحقوق ، وكانوا فى عجلة شديدة ولم يكد بصرهم يقع على حتى صاحوا مبروك .. مبروك .. ولم أفهم فى أول الأمر على أى شىء يهنئون حتى قالوا لقد صدر حكم رئيس مجلس الدولة بايقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية .

وكانت هذه مفاجأة قوية ، وكانت هذه لحظة من أســعد لحظات حياتى ، هذه اللحظات التى ينتصر فيها الانسان على قوى الظلم والطغيان والاستبداد . لقد كدت أطير من الفرح ، ولم أكد أصدق هذا النبأ .

ومع ذلك فقد كان حقا ، وكانت حيثيات الحكم لا تقل روعة عن الحكم ذاته فقد سجل لنا حقنا كحزب سياسى مشروع يجب أن يعبر عن رأيه وأن تهيأ له فرصة هذا التعبير ، فقد قال بصريح اللفظ :

« ومن حيث انه لا يقدح فى جدية هذه الأسباب القول بأن اصدار جريدة الشعب الجديد يعتبر محاولة لاعادة جريدة مصر الفتاة الملغاة بقرار من مجلس الوزراء ، ذلك لأن الجريدة اذا كانت تمثل رأى حزب معين ، فان الغاءها لا يقتضى حتما منع هذا الحزب من اصدار جريدة أخرى للتعبير عن رأيه ، حتى لو أريد بها أن تحل محل الجريدة الملغاة مادام الاخطار عن الجريدة الجديدة مستوفيا لجميع الشروط القانونية ، ومادامت هذه الجريدة تصدر خاضعة للقيود التى فرضها القانون . والا كان فى الغاء جريدة لأحد الأحزاب الغاء لهذا الحزب فى حق من أهم حقوقه الدستورية ، وهو حق التعبير عن رأيه والدعوة الى مبادئه » .

وهكذا لم يعد السنهورى بهذا الحكم الرائع الاشتراكية للظهور فحسب ، بل وكرس جهاد الحزب الاشتراكى واعترف بمشروعيته وضرورة حمايته بالقانون والدستور . وهكذا صدرت الشعب الجديد حاملة اسم الاشتراكية بخط عريض كزميلتها مصر الفتاة فى يوم الخميس ١٩ ابريل وكانت تحمل هدية الى العهد القديم مشروع قانون مقدم من ابراهيم شكرى يطلب فيه تعديل الدستور لالغاء الرتب والألقاب .

وكان هذا ثالث قانون يتقدم به ابراهيم شكرى فقد سبقه قانون تحديد للملكية الزراعية بخمسين فدانا وقانون آخر لتنظيم نقابات العمال والسماح للعمال الزراعيين بتاليفها واباحة تاليف اتحادات العمال ، ثم كان هذا القانون القاضى بالغاء الألقاب والرتب ، وكانت هذه المشروعات تقابل بالسخرية والزراية من ناحية ، وتؤجج سخط الملك وحاشيته وأذنابه ضد الاشتراكية من ناحية أخرى فى نفس الوقت .

استئناف المعركة

واستأنفنا النضال ، حيث وقفنا فى ٢٦ يناير ١٩٥١ م ، واذا كانت مصر الفتاة قد ألغيت وقد بلغ توزيعها عشرة آلاف نسخة فقد بدأت هذه حياتها بتوزيع خمسة عشر ألف نسخة ، وكان ذلك أشبه ما يكون بالاستفتاء ، ولم تكن خطورة الجريدة فى كمية النسخ التى توزعها ، بمقدار ما كان فى تهافت الجماهير عليها ومطالعة العشرات والمئات للنسخة الواحدة .

وراحت المقالات تتوالى تحمل العناوين التى كانت تخلع قلوب الطغاة لما تنطوى عليه من تحد وانى اذ أكتب هذه السطور أرى أمامى احدى هذه المجلات وهى تحمل بالخط العريض « دعونا نحارب أخطاءكم بالقلم والا حاربكم غيرنا بالقنابل والرصاص » .

نحن والفتى سراج الدين ــ عصابة الراسمالية ترفع راسها ــ ولم تكن هذه العصابة فى سياق المقال سوى حافظ عفيفى والياس اندراوس وامثالهم » نحن والوزير الأخرق عثمان محرم » و « استح يا سراج الدين » و « اغضب أيها الشعب » .

ولكن المقالات التى هزت ضمير الشعب كتبها تحت عنوان من أحمد حسين الى ناظر الخاصة الملكية وفى هذه المقالات رحت أهاجم الملك فى شخص ناظر خاصته لجشعه واستبداده بالفلاحين ، واغتصابه الأراضى وتجميعها حتى بلغ عدة ما يملك أو يدير فوق مائتى ألف فدان ، وكان الموظفون المختصون يحيطوننى علما بجرائم الملك السابق كامتناعه عن دفع الضرائب وتقديم الاقرارات الخاصة بها وتضمنت هذه المقالات اشارة الى ذلك ودعوت الى ضرورة أن يدفع الملك الضرائب ، بل أن يوزع أراضيه على الفلاحين ، فكان لذلك تأثيره من جديد لدى الملك الذى أرغى وازبد واضطرت

الحكومة لتهديده أن تسجنني وأن توجه الى من جديد تهمة العيب في الذات الملكية ، بالاضافة الى التهمة السابقة ، وهكذا أصبح على عاتقي جنايتان بدلا من جناية واحدة ، ولكن القضاء أفرج عني فكان ذلك يذكي في لهيب المعركة ويرفع في حماسة الشعب ويزيد من اندفاعي في مهاجمة الملك ، وفي خلال ذلك كله توسعت الجريدة في نطاق انتشارها فأصبحت توزع خمسا وعشرين ألف نسخة .

عودة مصر الفتاة

وقفت بك عند ارسال خطاب أعلن فيه تنازلي عن قضية مصر الفتاة ، وما أحدثه ذلك من موجة سخط واستنكار في الرأى العام ، ولكن ما إن صدر حكم السنهوري بالغاء اعتراض وزير الداخلية على صدور الشعب الجديد ، حتى بادرت بسحب التنازل الذي سبق أن قدمته عن قضية مصر الفتاة ، ومن حسن الحظ أو بالأحرى شاء الله أن تهمل الحكومة في تسجيل هذا التنازل واعلانها قبوله على الفور ، فالقانون يعتبر تنازل أحد الخصمين لا يكون تاما ونافذا إلا اذا أسرع الخصم الآخر بقبوله وهو ما لم يلتفت اليه قلم قضايا الحكومة وبهذا كان من المستطاع أن أسحب التنازل ، وعندما اجتمعت المحكمة الادارية للفصل في هذا الموضوع وقضت بأن القضية لا تزال قائمة أمامها وصالحة للفصل ، كان ذلك بمثابة حكم تمهيدى أنها ستحكم بالغاء قرار مجلس الوزراء .

وكان من المظاهر الرائعة أن تدخلت نقابة الصحفيين في القضية كخصم ثالث وأوفدت محاميها الأستاذ فتحي رضوان ، كما تدخل الأستاذ أبو الخير عيسى انقاذا للدعوى في حالة تخلى عنها ، وتدخل مواطن من أبناء الشعب يسمى عنتر الحسيني لذات الغرض ، وهكذا راحت الصحافة والأمة تعبر عن رغبتها في اعادة مصر الفتاة الى الوجود بشتى الطرق والأشكال .

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٥١ م صدر الحكم الذى كانت البلاد تنتظره بفارغ الصبر ، والذى يسجل حدثا تاريخيا ضخما فى حياة مصر الحديثة وفى كفاحها من أجل الدستور والحرية واعلاء سلطان الشعب ، ولذلك فلست أستطيع الا أن أسجل منطوق الحكم بنصه :

« وبناء على ما تقدم فقد حكمت المحكمة برفض الدفع بعدم الاختصاص وفى الموضوع بالغاء القرار الصادر من مجلس الوزراء فى ٢٨ يناير سنة ١٩٥١ م بالغاء جريدة مصر الفتاة ، والزمت الحكومة بالمصروفات و ٥٠٠ قرش مقابل أتعاب المحاماة » .

وكان مجلس الدولة وهو يصدر هذا الحكم يعرف تمام المعرفة انه يتحدى به الحكومة ومجلس الوزراء ، بل ويتحدى قبل ذلك وبعد ذلك فاروق (ملك مصر والسودان .. كذا !) وان هذا الحكم قد يكلف مجلس الدولة حياته بأكملها ، فقد كان فاروق ينذر ويبرق ويتوعد وكان صــــدى هذا النذير يصل الى أسماع هؤلاء القضاة المغاوير ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما يريد احداث حدث يهيىء له اسبابه ، ولقد كان فى مكنون علم الله أن أيام فاروق فى طريقها الى النهاية ، فسخر الرجال والأبطال الذين يقوضون عرشه ، وسيبقى السنهورى وكل قضاة محكمة القضاء الادارى فى مجلس الدولة على رأس المجاهدين الأحرار الذين قاموا بكل شىء من أجل وضع حد لطغيان فاروق وحكومته ونظامه وليقولوا له فى شجاعة وقوة : « قف ... من أنت » .

وانى اذ اخط هذه الســــطور لأنحنى اجلالا لهؤلاء الرجـال ويسعدنى أن أسجل فى مذكراتى عنهم هذا الاعتراف بفضلهم علينا بصفة خاصة وعلى الأمة بصفة عامة .

وبعودة مصر الفتاة الاشتراكية الى الوجود كانت المعركة بيننا وبين فاروق والنحاس وفؤاد سراج الدين قد وصلت الى ذروتها ، وبدأت أحس احساسا قويا ان فاروق لا يمكن أن يدعني حيا أسير على قدمي وأنه لابد سيعمل على اغتيالي وقد بدأ أثر ذلك يظهر في مقالاتي في مصر الفتاة بعد عودتها فقد جعلت عنوان أحد المقالات « انصبوا المشانق ولكن الشعب ينتصر » وفي هذا المقالات تحدثت عن المحاولات المقبلة لاغتيالي .... بل وأشرت بالذات الى أن فاروق سوف يعمد الى محاولة اغتيالي قضائيا أى عن طريق القضاء .

كانت شهرة مصر الفتاة قد طبقت الخافقين وعندما أعددناها للصدور مع زميلتها الشعب الجديد بدأت توزيعها بثلاثين ألف نسخة وظلت موجة الصـــعود مستمرة حتى بلغ توزيع كل من الجريدتين خمسين الف نسخة فأصـــبح ما نوزعه أسبوعيـا من الجريدتين هو مائة الف ... ولقد اربى ذلك فيما بعد على مائة وعشرين الف نسخة للجريدتين .

ولقد دفعنا ذلك للامعان في تحدى الملك بصورة تجاوزت في سفورها وصراحتها كل ما يطوف بالخيال حتى ان مصر الفتاة في عددها الأول في عهدها الجديد عندما صدرت في ١٥ يوليو نشرت بالخط العريض « نصيحة الى لاعبى القمار » ثم كتبنا ما يلى بالحرف الواحـــد :

« صرح أحد كبار لاعبى القمار لمراسل صحيفة أجنبية انه ليس صحيحا من أنه يخسر مبالغ طائلة على موائد القمار فقد وضع لنفسه قاعدة يلتزمها ولا يخرج عنها بحال من الأحوال فهو يقرر قبل أن يشرع في اللعب مقدار المبـــلغ الذى يقف عنده في حالة

الخسارة ولم يحدث أن خالف هذه القاعدة ويقول حضرة المقامر المصرى الكبير انه ينصح كل لاعبى القمار أن يلتزموا هذه القاعدة فيامنوا جانب الكوارث •

ومما جاء فى هذا الحديث ايضا ان زوجته اى زوجة حضرة المقامر تلعب الورق بدورها ولكن للتسلية ولا تستعمل مبالغ كثيرة فى اللعب •

ولما كان هذا الحديث الشيق قد اقتصرت فائدته على الصحف الانجليزية فقد راينا تعميما للفائدة أن ننشر هذه النصيحة الغالية لحضرات المقامرين الذين لم يطلعوا عليها فى مصر » • وفى الوقت الذى كانت مصر الفتاة تنشر هذا الحديث الذى أدلى به فاروق لصحيفة انجليزية كان ابراهيم شكرى فى مجلس النواب يقدم استجوابا للحكومة عن هذا الحديث وكيف جاز للملك ان يقول هذه السخافات التى هى فى صيغتها جرائم ، وعمل عبد السلام فهمى جمعة كعادته على وأد هذا الاستجواب فهاجمناه بشدة على صفحات الجريدة •

وبدأنا نستعرض المخصصات الملكية وميزانية القصر وننتقد ما بها من اسراف معيب يصل الى حد الاتحاش ورحنا ننقد بالنواب والبرلمان الذى يسمح بهذا السفه فى الانفاق ••• وتجاوب بعض الشيوخ مع حملاتنا فبدأوا يقدمون الملاحظات ••• بينما كان ابراهيم شكرى فى مجلس النواب يصول ويجول ضد اعتمادات اصلاح المحروسة ويقذف فى وجوه النواب بأبشع التهم •

وعندما زف الملك الى العروسة الجديدة وتبارت الحكومة والهيئات فى تقديم الهدايا ••• رفض ابراهيم شكرى كنائب من نواب الأمة أن يخصم مليم واحد من مكافأته للمساهمة فى هدية

مجلس النواب الى فاروق ، وعبثا حاول رئيس المجلس أن يهدد أو أن ينذر ، لقد أصر ابراهيم شكرى على أن يقبض مكافأته كاملة وعندما استلمها وزعها فى التو على الفراشين والسعاة فى المجلس فكان ذلك امعانا فى التحدى . وكانت الاشتراكية تنشر كل ذلك وجماهير الشعب تزداد اشتعالا والملك وعصابته يزدادون حقدا وغيظا وكمدا .. وحكومة الوفد تزداد انهيارا وانحلالا بحيث أصبحت مضغة فى الأفواه ، ولم يعد الشعب يعرف بأى شىء يصف هذه الحكومة وأعمالها حتى لقد اضطررت تعبيرا عما يدور فى خواطر الشعب الى أن أكتب مقالا تحت عنوان « وزراء أم لصوص وحكومة أم عصابة ؟ ! » .

وهكذا كانت المعركة قد وصلت الى ذروتها وكان من الواضح ان أحداثا جساما لابد مستقع وأن تطورا وانقلابا من أخطر ما يكون فى طريقه الى الحياة وهذا ما جعلنى أكتب فى سبتمبر سنة ١٩٥١ تحت عنوان « الثورة ، الثورة ، الثورة » مقالا مدويا أبسط فيه هذه الحقائق وأعلن اننا قد أصبحنا على أبواب ثورة .. ولكن هذا المقال على خطورته لم يثر الناس بقدر ما أثارتهم صفحتا صور نشرتها فى داخل الجريدة تحت عنوان « رعاياك يا مولاى » وكانت هذه الصورة تمثل بؤس المواطنين وما يعانونه من ذل وفقر ومرض .

لم يكد هذا العدد يصل الى الجمهور حتى كان كل من فى مصر يترنم بهذه العبارة « رعاياك يا مولاى » ورفعت هذه الصور على جدران المنازل والحوانيت وفى صالونات الحلاقة .

وللمرة التالية فى عام واحد قبض على من جديد وزج بى فى السجن ووجهت الى تهمة التحريض على قلب نظام الحكم ووجه الى رئيس التحرير الأستاذ عبد الخالق التكية تهمة العيب فى الذات الملكية لنشره هذه الصورة تحت عنوان « رعاياك يا مولاى » .

دخلت السجن وفي خلال هذه الفترة وقبل دخولي السجن هذه المرة كانت الصحافة قد رفعت عن الأستاذ ابراهيم شكري وحقق معه ووجهت اليه تهمة العيب في الذات الملكية وزج به في السجن ، كما قبض على الأستاذ محمد حلمي الغندور ووجهت اليه التهمة كذلك وزج به في السجن .. وهكذا أصبح أكثر من خمسة من كبار أعضاء الحزب ، ومحرري جريدته متهمين بهذه التهمة .. اما انا فكنت متهما بها ثلاث مرات أي ثلاث جنايات ثم جاءت هذه الجناية الأخيرة ، واعني بها تهمة قلب نظام الحكم وذلك بالاضافة الى نصف دستة من القضايا الأخرى من عيار (الجنح) ما بين سب واهانة لمجلس الوزراء ، والوزراء .. وتحريض على جنايات القتل والحرق والنهب .. ولذلك فقد دخلت السجن هذه المرة وقد بدأت الهواجس تساورني اذا كنت ساشهد الحرية من جديد ..

الغـــاء المعاهدة

منذ ابرمت معاهدة سنة ١٩٣٦ وحزب مصر الفتاة حرب على هذه المعاهدة ، وبينما كان مصطفى النحاس يصفها بأنها معاهدة الشرف والاستقلال ، اطلقنا عليها معاهدة الخزي والاحتلال ولقد عقدنا اجتماعا عاما ضخما في عام ١٩٣٦ بجمعية الشبان المسلمين حملنا فيه على هذه المعاهدة حملة شعواء وسجلنا مساوئها وشرورها وكيف أنها جعلت احتلال مصر مشروعا ومنذ ذلك التاريخ ونحن نشن على هذه المعاهدة غارة شعواء . ولقد سافرت انجلترا ثلاث مرات ، وسافرت خلال ذلك الى أمريكا منددا بهذه المعاهدة ، داعيا الى قانون للبرلمان بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي سنتى ١٨٩٨ ،

وعندما ولى النحاس الحكم في مستهل سنة ١٩٥٠ راح يبشر بفكرة الغاء المعاهدة بعد أن استنفدت أغراضها كما قال النقراشى

وغيره وانه اذا لم يجل الانجليز عن مصر فانه سيلغى هذه المعاهدة - وقد استمر يلوح بهذا الالغاء طوال أيامه فى الحكم حتى سئم الناس الكلام فى هذا الموضوع ومجوه ، خاصة ان أعمال الوفد وحكومته وبرلمانه كانت تدل على عكس ذلك ٠

فمن ذلك ان نائبنا الاشتراكى ابراهيم شكرى تقدم بمشروع قانون للبرلمان بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنتى ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ولكن رئيس المجلس اعتبر تقديم هذا المشروع اخلالا بأمن الدولة ، فوضع المشروع فى درج مكتبه ولم ير النور ٠ وكان رجالات الانجليز ووزراؤهم يفدون الى مصر فيقابلون بالتكريم الذى لا اول له ولا آخر ٠

وكانت الحكومة تضطهد الأحرار والمجاهدين ، وعلى رأسهم الاشتراكيون المنادون بالغاء المعاهدة ، وكان ذلك يحمل على اساءة الظن بالحكومة ٠٠ وكانت المفاوضات السخيفة بين مصر وانجلترا قد استطالت وهى تدور فى حلقة مفرغة ٠٠ فلا عجب اذا تصورنا جميعا ان الحكومة غير جادة فى الغاء المعاهدة ، وكان ذلك أحد المآخذ التى اخذها الشعب على حكومة الوفد واحد المطاعن القوية التى توجه الى حكم الوفد ٠٠

وقد انتهزنا – نحن الاشتراكيين – حلول موعد ابرام هذه المعاهدة فى ٢٦ اغسطس ، فدعونا الى عقد اجتماع عام ورأينا ان نضفى على الاجتماع لونا قوميا ، فدعونا للاشتراك فيه الأستاذ فتحى رضوان ممثلا للحزب الوطنى ، والأستاذ يوسف حلمى ممثلا لأنصار السلام ، كما دعونا الاستاذ سيد قطب ٠ وعندما حل موعد الاجتماع فوجئنا بالحشود التى لا أول لها ولا آخر والتى جاءت للاشتراك فى الاجتماع ٠٠٠ لقد قدرت الصحف المجتمعين بثلاثين الفا ، وكان لهذا الزحام غير المتوقع اثره فى نظام الحفلة ٠٠ فاثر

على حلالها فى بادىء الامر ، ولكن ضخامة الاجتماع وهذه الحشود المتكاتفة كانت تغنى عن كل قول أو خطابة من حيث دلالتها على ثورة الشعب على معاهدة ١٩٣٦ ، بل ثورته على كل الأوضـــاع القائمة .

وبعد ان القيت خطابى الثائر هتف فى ذلك اليوم بسقوط الملك ولو هتفنـــا « الموت للملك » لرددت الجموع هذا الهتاف ولو خرجنا بهذه الجموع فى مظاهرة جامعة لما استطاعت كل قوات بوليس مصر أن تتصدى لها ، ولكن حرصى على أن يمر اليوم بسلام جعلنى أختم الاجتمـــاع قبيل منتصف الليل وان يطلب من هذه الجموع أن تنصرف متفرقة فى سلام ..

وكان ذلك مظهرا من مظاهر ما وصلت اليه الحركة الاشتراكية من تأثير فى الرأى العام وكيف بدأت الجماهير تلتف حول لوائها فى قوة وتكتل .

ولم يفت الحكومة مغزى هذا الاجتماع ودلالته الخطيرة ومقدار التدهور الذى وصلت اليه سمعة الحكومة وثورة الشعب المكتومة التى توشك أن تنفجر فى أى لحظة .

وقد تلا هذا الاجتماع تضاعف قوة الحزب الاشتراكى وانتشار الجريدة بصورة لم يسبق لها مثيل ولذلك فقد زج بى فى السجن بمناسبة هذا العدد الذى أشرت اليه كما سبق والذى تضمن مقال الثورة ، الثورة ، الثورة ، والصورة المعنونة ب « رعاياك يا مولاى ».

وفى ذات الوقت كان فاروق قد ضاق ذرعا بحكومة النحاس وبدأ يحاول استرداد بعض الأرض التى فقدها بأن يهاجم حكومة النحاس فطلب من الحكومة أن تصدر قانون من أين لك هذا ..

وبدأ الجو يكفهر بين السراى والحكومة مما جعل النحاس يدرك باحساسه أنه فى طريقه لأن يطرد من الوزارة مرة أخرى ·· وهكذا أصبح بين شقى الرحى بين غضب الشعب الذى يتمثل فى تيار الحزب الاشتراكى والاشتراكية والصحف المعارضة بصفة عامة وبين زهد القصر فى حكمه ورغبته فى التخلص منه ، وأدرك مصطفى النحاس انه لو أخرج من الحكم على هذه الصورة فانه يكون قد خسر الدنيا والدين معا ·· قد خسر الشعب والملك فى ذات الوقت ··

فلم يجد الوفد أمامه مخرجا من هذا المأزق الا أن يسرع بالغاء المعاهدة ليسترد ثقة الجماهير به ، ويثبت الأرض تحت أقدامه ولن يجرؤ فاروق على اقالة النحاس بعد الغاء المعاهدة ، وفى ١ أكتوبر أعلن النحاس فى البرلمان الغاء المعاهدة وقدم للبرلمان مشروعات القوانين اللازمة لهذا الالغاء ولم يقف الالغاء عند حد معاهدة سنة ١٩٣٦ بل واتفاقيتى سنة ١٨٩٨ ، وسنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان ·· وذهبت مشروعات النحاس الى ابعد من ذلك كله فقد أعلنت الأسس اللازمة لوضع دستور جديد للسودان يحقق له الحياة الديمقراطية الكاملة ·

وصدق مجلس النواب لهذه المشروعات الرائعة ·· وكان ابراهيم شكرى أول من خف من النواب المعارضين لتأييد الحكومة فى خطوتها الحاسمة فدعا لها بالتوفيق وأعلن تضامن الحزب الاشتراكى مع الحكومة فى كفاحها النبيل ضد الانجليز · وكان ابراهيم شكرى يعبر فى ذلك عن الحزب الاشتراكى أصدق تعبير فلم يكن فى مصر كلها من يرحب بالغاء المعاهدة كما يرحب الحزب الاشتراكى الذى كافح فى هذا السبيل من سنة ١٩٣٦ ·· اى خمسة عشر عاما كاملة ·

وقد كان هذا الالغاء انتصارا رائعا لهذا الكفاح ولقد أدركت الأمة هذه الحقيقة ، ولذلك فقد تحول سجن الأجانب حيث كنت مسجونا الى هدف من أهداف المظاهرات العامة ٠٠ فكانت الجموع تحتشد حول السجن وهي تهتف « افرجوا عن احمد حسين ٠٠ أحمد حسين زعيم الثورة ٠٠ » وكانت هذه المظاهرات محدودة المدى في بادىء الأمر ولكني لن أنسى ما حييت عندما أحاط المتظاهرون بسجن الاجانب في أحد الأيام وكأنهم البحر الزاخر ٠٠ وهم يهتفون مطالبين بالافراج عن أحمد حسين زعيم الثورة وخادم الشعب ٠ واضطررت الى ان أكتب لرئيس محكمة الاستئناف أطلب منه تحديد جلسة للنظر في الافراج عني والا سوف أضرب عن الطعام حتى الموت فلقد عشت طول حياتي مجاهدا من أجل مصر وحريتها ، وانه لأمر فوق احتمالي ان أظل مقيدا بالسلاسل والأغلال في الساعة التي دوى فيها ناقوس الجهاد ٠ وافرجت عني محكمة الجنايات برئاسة الأستاذ محمد صادق وعدت الى الحرية في مرحلة الجهاد ضد الانجليز ٠٠ وكان الشعب في حالة غليان ٠٠ وسرعان ما قذفت نفسي مع التيار وان هو الا أيسر الوقت حتى أمسكنا نحن الاشتراكيين بزمام هذه المركة الضخمة التاريخية في تاريخ البلاد ٠

لم تكد المعاهدة تلغى حتى أسرع الشعب الى تحويل هذا الالغاء من حبر على ورق الى حقيقة مادية ، فقامت المظاهرات في مدن القنال : الاسماعيلية وبورسعيد واصطدمت بالانجليز فحرقت بعض منشآتهم ورد الانجليز عليهم بقتل بعض المواطنين والغلمان والنساء وهكذا أريقت الدماء وفتحت المعركة ٠٠ وأسرع الحزب الاشتراكي وكنت لا أزال في السجن الى فتح باب التطوع لانشاء كتائب التحرير فاندفعت الجموع الى دار الحزب وكلها تتسابق للحصول على هذا الشرف ٠٠ وفي يومين أو ثلاثة كان مجموع من سجل اسمه في هذه الكتائب لا يقل في المركز العام عن خمسة آلاف ، وحدث مثل هذا الاندفاع في جميع لجان الحزب وشعبه

فى الأقاليم فكان ذلك مظهر التطور الشعبى الذى وصل اليه الحزب الاشتراكى وانه امتزج بالشعب الى أبعد الحدود .

وقد كان من الظواهر الواضحة التى تدل على انعكاس الحال بالنسبة لحزب الوفد ان داره التى تواجه دار الحزب - او بالأحرى النادى السعدى كانت خالية خاوية لا يقصدها الا بعض أفراد يعدون على الاصابع بالرغم من أن ادارة النادى كانت قد وجهت الدعوة للتطوع أسوة بالحزب الاشتراكى .

وكان هذا التفاوت العجيب بين اندفاع الجموع على دار الحزب الاشتراكى وانصرافهم عن دار الوفد سببا جديدا لمضاعفة حقد سراج الدين والوفد ضد الحزب الاشتراكى ، وعنصرا جديدا من عناصر القلق فى نفس فاروق .

وفى أول نوفمبر ١٩٥١ أفرج عنى من السجن ولم أكد أصل الى دار الحزب حتى وجدت شعلة متقدة من الحماسة . وفى المساء كانت الألوف تغمر دار الحزب وبدأت اخطب فى هذه الجموع لأبصرها بدورنا الجديد وأن حرب الانجليز هى التى كنا ننتظرها منذ سبعين سنة ، وأنها تحتاج منا الى نظام واعداد وتضحية ، وان الحزب الاشتراكى سيقود المعركة وهو يدعو المصريين جميعا للتكاتف حول لواء الحكومة التى ألغت المعاهدة .

ولقد حاول الشامتون والحاقدون أن يغمزوا موقفنا من حيث تأييد الحكومة وأن يروا فيه مظهرا من مظاهر التقلب فى الرأى والانتقال من النقيض الى النقيض فمن حرب شعواء على الحكومة الى تأييد مطلق لها فى حربها ضد الانجليز ، ولم يكن ذلك فى الواقع الا ثمرة التربية السياسية الفاسدة فى البلاد التى جعلت الكثيرين لا يدركون معنى المعارضة الصادقة والوطنية الخالصة

التى تنسى نفسها ساعة الخطر لقد كانت المعركة ضد الانجليز هى منتهى آمالنا وكان من العبث ان نحارب الانجليز وأن نحارب الحكومة فى ذات الوقت ومادامت الحكومة اعلنت الكفاح ضد الانجليز فقد اصبح واجب كل مواطن ان ينسى الخلافات الداخلية وأن يتحد صفا واحدا خلف الحكومة للانتصار فى المعركة .

ولكن هذا الموقف النبيل من ناحيتنا لم يلق التقدير الكافى من الساسة فاتخذوه سبيلا للطعن .. بل ان الحوادث اثبتت ان الحكومة نفسها او بالأحرى فؤاد سراج الدين قد اتخذ من موقفنا الجديد فى تأييد الحكومة سبيلا للدس لنا والكيد .. حيث أبلغ السلطات أو بالأحرى ابلغ فاروق بأن هذا التأييد قد دفع ثمنه من المصروفات السرية ..

وعمل أذناب سراج الدين ، وحثالات الوفد على ترويج هذه الإشاعة من أن احمد حسين قد قبض خمسة آلاف أو عشرة آلاف من الحكومة مقابل تأييده ..

ولم ألق بالى فى بادىء الأمر لهذه الاشاعة لكثرة ما اعتدت هذه الاشاعات فى تاريخ كفاحى الطويل .. ولكن الاشاعة راحت تضغط وتلح حتى اقتنعت أن يدا معينة تسعى لترويجها وأن هذه اليد لم تكن سوى يد فؤاد سراج الدين بالذات .. وعندما دارت الأيام دورتها وظن البعض أن نهايتنا قد قربت بعد حرق مدينة القاهرة وقف عبد الفتاح حسن يشهد امام المحكمة العسكرية العليا أن اموالا من المصاريف السرية قد أعطيت لى لتغيير ذمتى ولكتابة مقالات مديح وثناء على الملك ..

وهكذا انكشف المستور واتضحت أركان المؤامرة : ولكن فى ذلك الوقت الذى اتحدث عنه عقب خروجى من السجن أى فى نوفمبر

سنة ١٩٥١ لم تكن هذه الحقيقة قد اتضحت لى .. ولذلك فقد انطلقت بكل اخلاص فى تأييدى للحكومة .. فتوقفت عن كل معارضة لها فى الجريدة الاشتراكية وأكثرت من اتصالى بالوزراء وعلى رأسهم سراج الدين وعبد الفتاح حسن لكى أنصحهم بما يجب عمله وارسم لهم الخطط ويشهد الله وابراهيم شكرى الذى كان يصاحبنى فى كل مقابلاتى لسراج الدين انى أخلصت له النصيحة ولو قد استمع لملاحظاتى وتوجيهاتى لانتصر فى هذه المعركة الكبرى ونصر البلاد معه ضد الانجليز !

ولكن فؤاد سراج الدين كان خبيث الطوية وقد تصور أن اتصالى به هو الدليل على اكتمال عبقريته ، وحرص كل الحرص على أن يجعل من مقابلاتى معه سبيلا للنيل منى والكيد لى .

معركة العمال

لو أن الامر ترك الى الحكومة بعد الغاء المعاهدة لما زادت عن هذه المراسيم التى أصدرتها خطوة واحدة ، فقد كانت تتصور أنها ابرأت ذمتها بصدور هذه المراسيم .. ولكن الشعب كما ذكرت له حول هذه المراسيم الى معركة حقيقية باسراعه بالاشتباك مع الانجليز واخذت المعركة الشعبية روعتها عندما بدأ العمال المصريون فى معسكرات الانجليز يتخلون عن العمل ، وقد بدأ هذا التخلى فى بادىء الأمر بصورة محدودة ثم لم يلبث أن اتسع نطاقه وتضاعفت أعداد المنسحبين وتحولوا من العشرات الى المئسات فالألوف .. وان هو الا بعض الوقت حتى أصبحت هذه المعسكرات قاعا صفصفا وتخلى عنها ما يزيد على سبعين الف عامل كانوا يعملون من منطقة قنال السويس ترسانة للجيوش الانجليزية ويؤكدون بوجودهم ونشاطهم أن الانجليز لن يجدوا فى الدنيا كلها قاعدة حربية كهذه القاعدة .

وكان للحزب الاشتراكي في مديرية الشرقية فضل كبير في تأجيج نيران هذه المعركة فقد اسرع متطوعوه الى الطرقات المؤدية الى معسكرات الانجليز وخاصة في قلب التل الكبير وراحوا يسحبون من العمال المشتغلين بهذه المعسكرات بطاقاتهم الشخصية المعطاة لهم من الانجليز وبهذا تتعذر عليهم العودة الى هذه المعسكرات حتى لو أرادو هذه العودة ، كما حال المتطوعون كذلك دون وصول الأقوات والاغذية الى هذه المعسكرات وذلك كله قبل أن تتحرك الحكومة وتتدخل لجعل هذه التصرفات شرعية بموجب القانون ..

وقد تدخلت الحكومة أخيرا ، ومن العبث أن ننكر عليها هذه الخطوة الموفقة فقد أعلنت استعدادها لتشغيل كل العمال الذين تخلوا عن المعسكرات الانجليزية وان تعينهم بمرتباتهم التي كانوا يعملون بها لدى الانجليز • وقد كان هذا القرار كافيا لكي يقضي على كل تردد في نفس اضعف عامل تحدثه نفسه بالبقاء مع الانجليز ، وبذلت الحكومة جهدا مشكورا لالحاق هذا الحشد الضخم من العمال الذي بلغ التسعين الف بمصالح الحكومة المختلفة في فترة وجيزة لا تزيد على شهر واحد ، كما اصدرت بعد ذلك قانونا يعاقب على التعاون مع الانجليز والتعامل معهم ، وكانت وطنية الشعب قد سبقت هذا القانون فتوقف العمال في بورسعيد والسويس وعلى طول القنال عن تفريغ السفن المارة في القنال أو معاونتها بأى سبيل •• وعمد المقاولين الذين يتعاونون مع الانجليز بالقتل •• ولم ينته شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ حتى كان الانجليز قد بدأوا يشعرون بأنهم محاصرون في قلعة وبدأوا يعانون كل ما يعانيه الجيش المحصور من ضيق وقلق وفزع من المستقبل •

الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب

ويتطور المعركة ضد الانجليز ورجحان كفة الحزب الاشتراكي بدأت الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب فلم يكن يهم سراج الدين

فى قليل او كثير الانتصار على الانجليز وانما الذى كان يهمه هو انتصار الحكومة وتثبيت الأرض تحت أقدامها .. وفى سبيل هذه الغاية ألغيت المعاهدة ولكن توالى الحوادث قد بدأ يظهر الحكومة بمظهر العجز عن معالجة الموقف ويزيد فى قوة الحزب الاشتراكى وكانت مظاهر هذه القوة تتجلى يوما بعد آخر ..

تجلت أول ما تجلت فى هذه الجموع التى انضوت تحت لواء الحزب لتدريبها وتسييرها نحو القتال وقد افتتح الحزب لذلك معسكرا فى أروع بقعة صالحة لهذا الغرض وهى أرض « مولد النبى » فى العباسية حيث تتدرب عساكر بولكات النظام بالذات . وقد أشرف على انشاء هذا المعسكر ضابط من أكفأ ضباط الجيش المصرى علما وخلقا واخلاصا وهو البكباشى جلال ندا الذى أصيب فى حرب فلسطين اصابات قاتلة ولكنه شفى منها ثم أحيل الى المعاش وعاونه فى الاشراف على المعسكر ضابط آخر من أكفأ الضباط وهو اليوزباشى محمد أحمد رياض ذلك الذى يشرف على حراسة الرئيس محمد نجيب فى الوقت الحاضر ، وقد تعاون الرجلان على جعل معسكرنا نموذجيا . وكان المتطوعون على درجة عالية من الحماسة بحيث كانوا يتقنون تدريبات « التكتيك العنيف » التى تحتاج فى الكلية الحربية وفى الجيش الى بضعة أسابيع لاتقانها فكانت لا تستغرق من المتطوعين الا بضع ساعات . وكان زوار الحزب من العسكريين أمثال عزيز المصرى وصالح حرب يبهرهم هذا الاستعداد ..

وكانت تفاصيل هذا النجاح تصل الى الحكومة وتصل الى فاروق فلا يكون لها سوى أثر واحد وهو تضاعف الشعور بالقلق وضرورة التخلص من الحزب الاشتراكى .

مظاهرة ١٤ نوفمبر

ثم جاءت مظاهرة ١٤ نوفمبر وهى المظاهرة المليونية التى دعا لها الحزب الاشتراكى ووجه الدعوة الى باقى الأحزاب للاشتراك فيها وقد أسرعت الهيئات والأحزاب الى تلبية الدعوة ثم حرصت الحكومة بعد ذلك على تبنى هذه المظاهرة لتحجب الحزب الاشتراكى ‥ ولم يكن يعنينا فى ذلك الوقت الا أن تتم المظاهرة بالصورة التى رسمناها لها وقد تمت بالفعل هذه المظاهرة السلمية الكبرى التى لم تشهد البلاد لها مثيلا فى تاريخها ، حيث سار واحتشد ما يقرب من مليون من المصريين على رأسهم الوزراء والأمراء ورجال الأحزاب والهيئات والمستشارون والرجال والأطفال والعمال والفلاحون والشيوعيون والاخوان المسلمون والأرمن والكاثوليك وكل من يعيش على ظهر هذه البلاد ‥ وسار الجميع فى مظاهرة تحدث عنها العالم كله فقد سارت فى صمت ونظام وهدوء فلم يرتفع فيها هتاف واحد ولم يشذ عن ذلك وسط هذه الألوف المؤلفة انسان واحد وكانت التعليمات للجماهير تعطى من الميكروفونات فيلبيها الجميع على الفور ٠

وقد سرت فى مؤخرة هذه المظاهرة وسط عمال بورسعيد وقطعت المسافة من ميدان الاسماعيلية – ميدان التحرير حاليا – الى قبيل ميدان عابدين فيما يزيد على ست ساعات وأحسست أثناء سيرى لأول مرة بمقدار التلاقى مع الشعب الذى كان لا يكاد يكتشف مكانى حتى ينظر الى محييا فى صمت أبلغ من القول ‥ حتى اذا اقتربت من ميدان عابدين لم يستطع الجمهور أن يضبط أعصابه فأحاط بى ورفعنى على الأعناق وانطلق هاتفا وكان ذلك يخالف التعليمات التى حرصنا على أن تتبع فى هذا اليوم فتخلصت من هذه الجموع بشق النفس وهربت الى المبنى المقابل لقسم عابدين وهو الدار المسماة بدار مدرسة عبد العزيز وهى الآن مقر ادارة

المـلاج المدرسى ٠٠ فأحاطت الجموع بهذه الدار وظللت محاصرا بها حتى ســاعة متأخرة حيث أمكنتنى أن أتسلل وأنجو بنفسى من ضغط الجماهير التى أرادت أن تحيينى ٠

وكان خبر ذلك يصـــل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى فاروق ٠

اجتماعـات فى البــلاد

ودعيت الى الهلال فى الاسكندرية وفى الشرقية وفى طنطا وفى المنصورة ٠٠ ولأول مرة فى تاريخ هذه البلاد تعقد هذه الاجتماعات الحاشدة ٠٠ ففى الاسكندرية بلغ مقدار المحتشدين مائة الف وفى طنطا ستين الفا أو سبعين وفى الزقازيق أقل من ذلك وفى المنصورة مثل ذلك وكان ســبيلنا لتقدير عدد الحضور بالغا منتهى الدقة فقد كانت الجموع تكتظ فى ميادين هذه المدن الكبرى وتملؤها عن بكرة أبيها فكنا نقيس طول الميدان وعرضه ثم نضرب ذلك كله فى عدد الأشخاص فى المتر المربع فتكون النتيجة هذا القدر الذى ذكرته من قبل وهو مائة الف فى الاسكندرية وستين او سبعين الفا فى طنطا ٠ وحسبك أن تتصور انه فى الاسكندرية كان ميدان محطة مصر الكبير قد التحمت فيه الأجساد من القطار حتى منصة الخطابة التى أقيمت فى سرادق فى نهاية هذا الميدان من الطرف المقابل للمحطة وقد اجتزت هذه المسافة فى نصف ساعة كاملة وكان الناس يتلقفوننى فوق رؤوسهم لاستحالة شق طريق لى وسط هذه الكتل البشرية ٠

وقد كان كل ذلك يفاجئنى وقد هالنى فلم أكن أتصور أن يكون تفاعل مع الشعب قد وصـــل الى هذا الحد ٠٠ ولكن كان من الواضح أن هجومى على الملك قد أكسبنى كل هذا الرضـــا

الشعبي وان محاربتي للاقطاعيين والأغنياء المسرفين ودعوتنا لاعادة توزيع الثروات وانصاف العمال والفلاحين وحربنا العنيفة على الطغيان والفساد والانحلال قد قرب بيننا وبين جماهير الشعب ..

وكنت في كل هذه الاجتماعات اروح ابسط للمجتمعين ضرورة محاربة الانجليز اذا أردنا ان نتحرر من الفقر والمرض ... اذا اردنا ان نعيد العدالة الى بلادنا .. وأن نرتفع بمستوى الشعب .. وكنت الحظ ان الجماهير لا تتفاعل كثيرا معى الا عندما أعرج من طرف خفى الى ان الخلاص من الانجليز هو سبيلنا للخلاص من الاقطاع والحكام المستبدين فالانجليز هم دعامة هؤلاء الحكام وهم سند الاقطاعيين والرأسماليين . . عند هذه الاشارات كانت الجماهير يجن جنونها من الحماسة فكان هذا هو الدليل على ان الشعب وصل الى ذروة الحساسية بالنسبة لمستغليه من أعداء الشعب .. وأن الملك وأشياعه وأذنابه قد أصبحوا يعيشون على شفا بركان .

وكانت أنباء هذه الاجتماعات الضخمة تصل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى فاروق فكانت تزيد فى قلقهما .

وكانت الأنباء تصل مشوهة ومحرفة وانني أدعو في هذه الاجتماعات الى الثورة وهو ادعاء كاذب بطبيعة الحال فقد كان كل جهدى موجها الى حشد الجمهور ضد الانجليز وفي سبيل تشجيع الناس على التضحية في حرب الانجليز كنت أعدهم بمجتمع أرقى بعد اخراج الانجليز مجتمع يختفى فيه الارهاب والاعنات والاستغلال . وما لم يدرك الناس ذلك فلم يكن هناك قوة على ظهر الأرض تدفعهم لحرب الانجليز فقد كانوا يئنون من الأعباء التى يرزحون تحت كاهلها . كان الناس يكتوون بنار الغلاء ويعانون شظف العيش والظلم والاستبداد فأى حافز يدفعهم لحرب الانجليز الا أن يدركوا أن طرد الانجليز هو السبيل لانقاذهم مما يعانونه .

ولكن الأغنياء والاقطاعيين امتلأوا فزعا من هذه الاجتماعات وطلب القصر من سراج الدين ايقافها . وفي ذات يوم دعيت الى وزارة المالية لمقابلة سراج الدين فذهبت أنا وابراهيم شكرى وهناك دارت مناقشة حامية الوطيس بيني وبينه حول هذه الاجتماعات .. واعلمني أنه أصدر أمره بالغاء اجتماع المنصورة فتشبثت بضرورة عقد هذا الاجتماع لأنه قد أعلن عنه وتمت الاستعدادات له والغاؤه يعنى الحرب بيننا وبين الحكومة وهو ما لا اريده بحال من الأحوال .. وبعد مناقشة عاصفة بصرت فيها الوزير بالأخطاء التى يرتكبها فى اشرافه على المعركة .. وحذرته من المخاطر التى يعرض لها البلاد وهو يشعل نيران معركة ضد الانجليز ثم يخوضها فى نفس الوقت فى هوادة ولين ومثل هذا الأسلوب يؤدى الى كوارث فالحرب هى الحرب والكفاح هو الكفاح ..

اخذت على الوزير سكوته عن الأغنياء وموقفهم السلبى من المعركة فى الوقت الذى يضحى فيه العمال بارزاقهم وقوت عيالهم من أجل هذه المعركة .. اخذت عليه سماحه بدور اللهو والكباريهات أن تمضى فى لهوها وعهرها كأن ليس هناك ضحايا تتساقط بالعشرات من دم الشباب .. أخذت عليه استمرار الحكومة فى الاتجار مع الانجليز وبيع القطن لهم فى الوقت الذى يعتبر خائنا من يقدم لهم بعض البيض أو الطماطم .. أخذت عليه سماحه للانجليز المترفين بالاقامة فى القاهرة بهذه الألوف وهم يتمتعون بكل الرفاهية فى الوقت الذى يدكون فيه مدننا وقرانا فى منطقة القنال يقتلون ويطردون أبناءنا . أخذت عليه ذلك كله ودعوت الى تصحيح الموقف والا فستسوء العاقبة ..

ولكن الوزير أصم أذنيه بطبيعة الحال عن كل هذه الملحوظات، وأكد أنه مسيطر على الموقف لأنه يعرف ما لا نعرف وان النجاح

مضمون وكل ما فى الأمر أننى أجعل مهمته صعبة بهذه الاجتماعات الشعبية التى اعقدها وانه يخشى ان تنقلب الى حرب اهلية .

فطلبت منه ان يتم عقد اجتماع المنصورة ثم تؤجل باقى الاجتماعات فى البلاد الأخرى فوافق على ذلك . وعقد اجتماع المنصورة وكان شيئا لم يسبق له مثيل من غير شك فى تاريخها وانى مازلت أذكر حتى الآن والدموع تملأ عينى كيف بادرت السيدات الحاضرات للنزول عن حليهن من أجل حركة التحرير وعندما تقدمت لى سيدة فى (ملاءتها اللف) وقدمت كل أساور يدها التى لا تملك غيرها فاعتذرت لها عن قبول هذه الحلى وتقدم رجل فتبرع بثمنها على أن ترد لها ثانية اذا بهذه السيدة تثور وتحتج وتعتبر ذلك اعتداء على كرامتها فان من حقها ان تحظى بهذا الشرف شرف التضحية بكل ما تملك من أجل معركة التحرير ..

وعقب هذا الاجتماع أصدر وزير الداخلية امره الصريح برفض كل اجتماعات وكان ذلك هو بدء اعلان الحرب .

الغـاء الكتائب

كان الحزب الاشتراكى ـ كما قدمت ـ أول من وجه الدعوة لالغاء الكتائب ، وكان معسكره فى العباسية هو أول معسكرات التدريب فى مصر كلها .

وحمل أبناؤه فى الشرقية السلاح ووقفوا على مفارق الطرق يقطعون الطريق على الخونة المتعاملين مع الانجليز وبدات عمليات الفدائيين فى منطقة القنال على وهج الحرارة التى بعثها الحزب الاشتراكى قبل الغاء المعاهدة وبعدها .

وبدأت الهيئات الأخرى تحاول مناقشة الحزب الاشتراكي في موضوع الكتائب وعلى رأسها الوفد ، ولكنها خابت .. وظل الحزب الاشتراكي هو الذى يحمل لواء الحركة .. وتقاعس الاخــوان المسلمون في بادئ الأمر خوفا من أن تكرر معهم مأساة فلسطين عندما اعتقلوا ونكل بهم في أعقابها ولكن ضغط الرأى العــام وخوفهم من انفراد الحزب الاشتراكي بهذه المقاومة حملهم يرجعون عن ترددهم واتخذوا من الجامعة ميدانا لنشاطهم ، فقام بطلهم حسن دوح باعداد معسكر في جامعة فؤاد . ونسج الاخوان على منواله في جامعة ابراهيم وفى الأزهر .. وبدأت حركة التطوع والتدريب تزدهر في كل مكان ولم يكن هناك ما يصبو له الحزب الاشتراكي أكثر من ذلك فقد كان دأبنا دائما ان تتحرك الأمة في الاتجاه السليم دون ان يعنينا أحد بنسب الفضــل الينا او ان يحتكره .

وقد انهالت علينا التبرعات من كل جانب ومن كل صنف ، تبرعات نقدية وأخرى عينية كالملابس والمهمات التي تبرع بهـــا صاحب محـلات افرينو وعند هذا الحد امتلأ فاروق بالفزع ما هذه الكتائب ، ووافقه سراج الدين فبدأت تصريحات الحكومة تنهـال بتجريح هذه الكتائب وانها تضم بين صــــفوفها مجرمين وأرباب الســـوابق وتستشهد على ذلك بحادث فردى وقع هنا او هناك مما يحدث بين أعظم الجيوش النظامية ، وكان ذلك هو نذير الشر لهذه الكتائب .. وفكرت الحكومة في الغاء هذه الكتائب ، ولكنها تخشى ثورة الرأى العام .. فرأت حلا للاشكال ان تزعم أنها ستتولى هذا التدريب بنفســها ليكون أكثــر دقة ونظـاما و لاتتبع هذه التشــكيلات أحزابا وهيئات .. ودعينا لهذا الغرض الى وزارة الداخلية ، حيث عقدت لجنة من ستة وزراء يرأسهم فؤاد سراج الدين

ومن بينهم عبد الفتاح حسن والطويل والوكيل وغنام وعبد المجيد عبد الحق .

ودعيت وصالح حرب وعزيز المصري والهضيبي ممثل الاخوان المسلمين ومحمد بـــلال ممثل الكتائب الوفدية وعرض علينـــا الموضوع .. فأسرعت لاعلان ترحيبي بأن تتولى الحكومة الاشراف على الكتائب اذا كانت في نيتها بالفعل محاربة الانجليز بهـا ، أما اذا كان هدفها من هذا الاجراء هو اخماد حركة الكتائب فقد أعلنت في صراحة وقوة انني ساعارض الحكومة في جريدتي بكل شدة وسوف اندد بتصرفها وان كنت لن اقاوم تسليم الكتائب للحكومة بالقوة بطبيعة الحال .

ودارت مناقشة حادة بيني وبين بعض الوزراء الذين ساءهم ان اعلن أنني ساقف للحكومة بالمرصاد اذا هي لم تستخدم الكتائب في حرب الانجليز ، وكان على رأس هؤلاء عبد المجيد عبد الحق وعلى الرغم من أنه لم يتخذ قرار في هذه الجلسة ، وقيل انها ممتدة الى جلسة اخرى فقد صدر في اليوم التالي قرار بالغاء الكتائب المنضوية تحت لواء الأحزاب والهيئات ويحظـر جمع أى تبرعات لحركة التحرير بدعوى أن الحكومة هي التي ستتولى هذه العمليات بنفسها ، وقد عين عبد المجيد عبد الحق ـ وزير الدولة ـ ليكون مشرفا على التدريب العسكري .

وشكلت لجنة للاشراف على الكتائب على رأسها صالح حرب واللواء المراغي مندوبا عن الاخوان المسلمين ، وبعض الوية أخرى تمثل بعض الاتجاهات الأخرى واغفل الحزب الاشتراكي من أن يكون له مندوب في هذه اللجنة فدل ذلك على أن هذه الحركة كلها انما قصد بها ابعاد الحزب الاشتراكي عن الميدان ، وكيفما كان الأمر فقد أسرعنا الى تنفيذ أمر الحـكومة ، بل ان سراج الدين لم

ينتظر الموعد المحدد لالغـاء الكتائب فبعث بالبوليس السرى الى معسكرنا بالعباسية للبحث والتفتيش عن أسلحة ، والقبض على القائمين بالأمر ، وقد عثر المفتشون على بضع قنابل يدوية كانت تستعمل للتدريب فأخذوها ولم يجدوا اى اسلحة اخرى • وكان ذلك بمثابة اشارة لبدء الهجوم ، فلم انتظر الى ما هو أبعد من ذلك وأصدرت تعليماتى بتصفية المعسكر ، ونقل ما به من خيام وادارات ومهمات الى دار الحزب وتحويل المتطوعين الى معسكرات الحكومة المنتظرة •

وقد حدثت قبل ذلك فى أنحاء البلاد كلها تصفية معسكرات التدريب التابعة للحزب •

ختمت هذه الصفحة المشرقة من كتاب الكفاح ضد الانجليز •

وهكذا الغيت الاجتماعات ثم الغيت الكتائب ولم يعد باقيا لدى الحزب سوى جرائده التى اصبحت تصـدر ثلاث مرات فى الأسبوع فى ذلك الوقت •• وقد جاء دور هذه الصحف بعد الكتائب والاجتماعات •

مصادرة جريدة

أخذت الجريدة الاشتراكية كل خطورتها قبل الغاء المعـاهدة عندما كانت تهاجم الملك والاقطاعيين والحكومة فلما الغت الحكومة المعاهدة ، وفرض الموقف علينا أن نهادن الملك والحكومة وان نتجه لحرب الانجليز كان لذلك أثره بطبيعة الحال على الجريدة الاشتراكية من حيث اتساع دائرة التوزيع ، وبدأت الصحف اليومية تكون أكثر انتشارا من جريدتنا ، فبينما كان يتزايد توزيع الصحف اليومية لما تحمله من أخبار وأنباء معارك الفدائيين فى القنال ، كان

توزيع الاشتراكية الواسع النطاق ينكمش بعض الشيء وكان ذلك اكبر تضحية يمكن أن يقدمها مواطن من أجل حرية بلاده .

ان صحف الرأى (كالاشتراكية) يتوقف انتشارها وتأثيرها على ما تقوم به من المعارضة لخطط الحكومة ، فاذا كفت عن هذه المعارضة فانها لا تلبث أن تفقد الكثير من خطورتها ، وقد احسسنا بذلك بقوة ، ولكنني لم أشا فى سبيل المكسب الصحفى ان لا اضرب المثال فى الميدان الوطنى بمهادنة الحكومة ، وبدأت افكر فى اصدار الجريدة يومية لنستطيع أن نتابع المعركة من الناحية الخبرية ، وابتدأت باصدارها ثلاث مرات فى الأسبوع بدلا من مرتين واعتمدنا على دار اخبار اليوم فى اعداد الجريدة ، وعلى مطبعة الأهرام فى طبعها ، وهنا لا استطيع مرة أخرى الا ان أسجل لاخبار اليوم معونتها الثمينة لنا فى هذه الفترة ، وكيف وضعت كل استعداداتها الضخمة وتسهيلاتها الفنية تحت تصرفنا ، بل انها سخرت جهازها الفنى الكبير بالمجان لخدمة مشروعنا ، كما أن جريدة الأهرام لأول مرة خالفت مبدأها فى عدم طبع اى مجلة فى مطابعها وبدأت تطبع لنا الجريدة طبعا جميلا انيقا ، وكان المستحيل لولا مطبعة الأهرام أن نتمكن من طبع هذا القدر الضخم من الجريدة بسرعة والذى وصل فى باديء الأمر الى تسعين الف نسخة فى المرة الواحدة وان كان هذا القدر قد انكمش فيما بعد .

ولم يكن العنصر الذى اثر على انتشار الجريدة هو توقفها عن المعارضة فحسب والهجوم على الملك الذى كان هو راس مالها ، بل كان يرجع من ناحية أخرى الى حرصنا الشديد على الا نضلل الأمة والشعب فى حقيقة جهاد الفدائيين الذى كانت تنسج منه الصحف اليومية روايات وهمية كان الناس يطربون لها كل الطرب ، ولكننا كنا نقدر ما بها من خطر لأنها توهم الناس ، والحكومة

معا بأن المعركة بيننا وبين الانجليز سهلة هينة . وأنه ما على الشعب الا أن يتابع الصحف ويصفق للفدائيين كي يخرج الانجليز من مصر . وكذلك فقد امتنعنا عن نشر هذه السخافات كالقول بأن بعض الفدائيين أشعل النيران في عشرات القطط اطلقها على مطارات الانجليز فأحرقت مئات الطائرات التي كانت جاثمة على الأرض ، وأن بعض الفدائيين قد نسف معسكرا على كل من كان يضمه من الانجليز الذين بلغ عددهم بضع مئات .. وهكذا .

وكانت حجة الصحف التي تنشر هذه الأخبار أنها ترفع معنوية الشعب وتحرض الفدائيين على عمل ذلك .. ولكنا كنا نرى فيها تهوينا من شأن المعركة ، دفعا للحكومة والشعب الى الكسل ولذلك فلم نقف عند عدم نشر هذه الأقاصيص بل رحنا نلفت الأنظار الى خطورة التمادي فيها ووجوب الاقلال منها وتحري الحقائق .. رحنا نذكر الوقائع الحقيقية كما تصل الينا وقد كانت هذه الحقائق تنطوي على حقيقتين واضحتين الأولى هي شدة معنوية الفدائيين واستعدادهم لتحقيق المعجزات ، والحقيقة الثانية هي قلة مواردهم وانعدام امكاناتهم تقريبا وهذا هو ما لم تعمل الحكومة على علاجه ، ولذلك فقد بدأنا بالتدريج ننتقد الحكومة لتقاعسها عن مد هؤلاء الفدائيين بالمساعدات الحقيقية .. ولما أقدمت الحكومة على حظر اجتماعاتنا ثم على الغاء الكتائب فقد زاد ذلك بطبيعة الحال في حرارة النقد ولكننا ظللنا حريصين على موقفنا القومي الكريم وهو أن نجعل محور المعركة بيننا وبين الحكومة فيما يتصل بانجاح المعركة ضد الانجليز فلم نعرض لها بنقد الا بالنسبة لهذه المعركة .

وعندما بدأ سراج الدين يعتمد على بلوكات النظام في عراكه ضد الانجليز أدركنا منذ وقت مبكر ما في هذا الاجراء من شذوذ وهو أن تحارب مصر الانجليز بواسطة عساكر البوليس في الوقت الذي يقف فيه الجيش موقف المتفرج برغم انه لو اصطدم مع

الانجليز فان ذلك يعنى اعلان الحرب على الانجليز .. وبرغم ان جيشنا لا قبل له بمواجهة الانجليز ، واذا كان الجيش لا قدرة له على هذه المواجهة فمن باب أولى يكون عساكر بلوكات النظام ، واذا كان الأمر قد وصل الى حشد الف عسكرى من رجال البوليس مسلحين ثم يعطى لهم الأمر باطلاق النار على الانجليز فان هذه هى الحرب من غير شك ولا فرق بين أن يكون الالف عسكرى يقسمون باسم البوليس أو الجيش ٠

وأخيرا فلم يكن هناك من يطلب تدخل الجيش المصرى فى صورة نظامية ضد الانجليز وانما كان المطلوب أن يمد الجيش الفدائيين ببعض ما عنده من أسلحة وذخيرة قرر الاستغناء عنها وأن يسمح لبعض الضباط بالاشراف على هؤلاء الفدائيين وهم بملابسهم المدنية٠٠ ولكن ذلك كله كان ممنوعا على رجال الجيش٠٠ وكان على الفدائيين من ناحية وعلى رجال بلوكات النظام أن ينفذوا أوامر وزير الداخلية فيقابلوا الدبابات الضخمة والطائرات والمدافع الثقيلة ببنادقهم العتيقة وبرصاصاتهم التى تعد على الاصابع ٠

ولقد حملت على وزير الداخلية وعلى مجلس الوزراء اصداره الأوامر لمحافظ السويس بمقاومة الجيوش الانجليزية عندما قررت الزحف على كفر عبده لهدمه فكتبت مقالا فى ٩ من ديسمبر بعنوان « وامرنا المحافظ أن يقاوم كل اعتداء » ، وقد ملأته بالتهكم على قرار مجلس الوزراء الذى يشبه أن يكون عبثا ولهوا ولهذا بينت أن خيرا من ذلك الاجراء أن تقطع العلاقات السياسية مع الانجليز أو أن تقرر الحكومة مقاطعة البضائع الانجليزية ٠٠ أو أن تطرد الانجليز المدنيين من مصر ٠٠ ومع ارتفاع حرارة النقد وشدة هذه التوجهات بدأ سراج الدين وبدأ فاروق يضيقان ذرعا بالاشتراكيين من جديد ، فقد كان كل همهما أن يذرا الرماد فى العيون ، وكانت الاشتراكية قد بدأت تلقى الضوء على هذه التصرفات وتظهر

ما فيها من تناقض وتهافت ·· فقرر سراج الدين ـ بتحريض من فاروق ـ أن يلغى الاشتراكية من جديد بطريقة عملية ·

ولقد جرب سراج الدين من قبل الغاء الجريدة بواسطة مجلس الوزراء فاعادها مجلس الدولة الى الحياة ·· وجرب محاولة اصدار تشريعات جديدة لالغائها فقابلها الرأى العام بموجة استنكار ·· فرأى سراج الدين أن يجرب أسلوبا جديدا منتهزا فرصة انشغال البلاد بالمعركة الكبرى ضد الانجليز ·· فاصدر أوامره بمصادرة الاشتراكية عددا اثر عدد ·· وكان العدد الواحد من الجريدة فى ذلك الوقت يكلفنا ما بين ورق وطبع ومصروفات أخرى ما يناهز الخمسمائة جنيه ·· فقرر سراج الدين أن يهدمنا من الناحية المالية ·

وقد كان ·· وصودر عدد من الاشتراكية ومعنى هذا خسارة خمسمائة جنيه ثم صودر العدد الثانى فالثالث على التعاقب فوجدنا انفسنا فى حالة عجز تام عن مواصلة الاصدار فرأيت أن نتوقف عن الصدور لفترة من الزمن أسبوعا او أسبوعين احتجاجا على هذا الظلم الصارخ . وهكذا لم توشك سنة ١٩٥١ على نهايتها حتى كانت اجتماعاتنا معطلة وجريدتنا معطلة ونشاطنا السياسى معطلا وكتابتنا محظورة ولم يكن هناك سوى هذه المعركة الدائرة على ضفتى القنال وفى مديرية الشرقية ، فرأيت أن نتجه صوب هذه المعركة بكياناتنا تاركين ما عدا ذلك ·

كان أول اتصال لى بخط القتال فى الشرقية عندما انتهزت فرصة الاجتماع العام الذى عقد بها فى شهر نوفمبر ، فقصدت أنا وابراهيم شكرى وبعض أعضاء الحزب فى الشرقية ساعة متأخرة من الليل الى بلدة القورين التى تتاخم المعسكر الانجليزى الكبير فوجدت عددا كبيرا من أهل البلدة يرابط على حدودها وهو مدجج

بالسلاح مجلسنا والقمر يضيء ما حولنا والأنوار الانجليزية الكشافة تغمرنا ، جلسنا نتحدث عن المعركة وتطوراتها وما الذى تستطيع أن نعمله. وكان أهل القرية فى هذه الليلة كثيرى الاعتداد بأنفسهم، وكيف أنه باستطاعتهم أن يحدثوا فى هذا المعسكر الانجليزى من الفساد والاتلاف ما لا يخطر على البال . فسألتهم وما الذى يؤخركم عن عمل ذلك فأجابوا . يؤخرنا الخوف من بطش الانجليز بنا بعد ذلك عندما يزحفون بدباباتهم على المدينة ويدكونها بمدافعهم الثقيلة .. فقلت لهم اذن ما الذى تطلبونه أو تقترحونه .. قالوا نحن نريد ان تجهزنا الحكومة ببعض ما ينقصنا من السلاح كالقنابل اليدوية وبعض الألغام والمتفجرات ، ونريد مدفعا مضادا للدبابات ، ونريد قبل ذلك ضابطا من الجيش يقودنا وهذه هى كل مطالبنا لكى ننسف هذا المعسكر ـ الذى يعتبر أكبر معسكر فى الشرق ـ نسفا .

ولقد وجدت هذه الطلبات متواضعة جدا فأسرعت بنقلها الى الوزراء بل واقترحت عليهم أن يعمم هذا النظام فى كل البلاد المتاخمة للمعسكرات الانجليزية بحيث يزود أهلها بالسلاح ويوضع على رأسهم بعض الضباط فيتألف من ذلك جيش شعبى بأيسر الطرق . ولكن هيهات ان يستمعوا لنصح او ارشاد .. واحتدمت بعد ذلك معركة القتال فى الاسماعيلية ، حيث كان الانجليز يهاجمون دار المحافظة فترد عليهم بلوكات النظام فى بطولة وشجاعة هزت ضمير الشعب وضمير العالم بأكمله لما انطوت عليه من شجاعة وجرأة وتضحية ، ففى احدى المعارك التى اصطدم بها بلوكات النظام بأسلحتهم الخفيفة التى لا تزيد على البندقية بقوات الانجليز المدججة بكل صنوف الأسلحة الثقيلة .. قتل العساكر ما يزيد على خمسين انجليزيا من بينهم عدد كبير من الضباط ، وكان الانجليز يردون على ذلك بقذف دار المحافظة بالمدافع وامطار بعض أجزاء من المدينة بوابل من الرصاص مما جعل مدينة الاسماعيلية

تبدو وكأنها جحيم بالنسبة للمصريين الذين فرضت عليهم الظروف أن يقيموا بها • فاعتزمت أن أسافر خلسة الى الاسماعيلية لأكتشف احوال الفدائيين بنفسى ولأقضى بها ردحا من الزمن وسط هذه المخاطر التى يعانيها أهلها • ولم يكن هناك طريق للذهاب الى الاسماعيلية دون الوقوع فى أيدى الانجليز الا أن أستقل الطائرة الى بور سعيد ومن بور سعيد استعمل السيارة حتى الاسماعيلية فقد قيل لنا ان الطريق فى هذا الجزء مفتوح وليست به نقاط للتفتيش ، وكان من المستحيل أن تنجح هذه الخطة الا اذا احيطت بالكتمان التام • ولذلك فلم أخطر بها أحدا واخترت زميلين ليصحبانى وهما محمود الدسوقى وجمال طولان ولم يعلما شيئا عن رحلتى الا بعد أن وجدا نفسيهما فى الطائرة • وبدأت اشرح لهما أننا ذاهبون الى بور سعيد ووصلنا بور سعيد فى ساعة مبكرة وبالرغم من كل المحاولات التى بذلتها لاخفاء شخصيتى فقد عرف امرنا بعد وصولنا ببضع دقائق ، وعندما حاولنا أن نحصل على سيارة للذهاب الى الاسماعيلية قيل لنا ان الانجليز قد انتشروا على الطريق بصورة مفاجئة وأن تفتيشا دقيقا يجرى الآن بالنسبة لكل سائر فى الطريق بين بورسعيد والاسماعيلية .

ورفض سائقو التاكسى أن ينقلونا ، ففكرت فى الاتصال بمحافظ بور سعيد لأركب فى احدى سيارات البوليس فلم اكد أتصل به حتى فوجئت بأنه يعرف كل شىء عن وصولى وان خبر وصولى قد بلغ مسامع الانجليز وأنهم بدأوا يفتشون المسافرين بطريقة لم يسبق لها مثيل بغية القبض على وأنه من المستحيل أن افكر فى هذه الرحلة .

وهكذا فشلت الخطة وعرف أمر وجودى فى بور سعيد ولم يبق أمامى الا العودة الى القاهرة •• وهكذا لم تتح فرصة الاتصال بالفدائيين والعسكريين فى منطقة الاسماعيلية او السويس •

ولكنى ظللت أشعر بالتقصير المعيب كلما رأيت نفسى نائما على فراشى وفى داخل بيتى بين أولادى وزوجى وأخبار المجاهدين والفدائيين تترى لما يقاسونه من أهوال وما يقومون به من ضروب الشجاعة البسالة ‐

فلما أن حالت الحكومة بيننا وبين القيام باى نشاط ووجدت نفسى لا عمل لى فى القاهرة وتوقفت الاشتراكية عن الصدور استقر عزمى على أن انقل مقر اقامتى الى مديرية الشرقية باعتبارها المديرية الاولى المهددة بزحف الانجليز عليها واحتلالها بمجرد تطور الكفاح ••• ورأيت أن الواجب يحتم علينا جميعا أن نشاطر أهل الشرقية مصيرهم ومستقبلهم وأن نحولهم بقدر الامكان الى قوة مكافحة ، والاستعداد لكل الاحتمالات •

فأصدر الحزب الاشتراكى قرارا أعلن فيه هذه الرغبة • ومن ناحيتى أذعت بيانا وجهته الى أهل القنال والشرقية نشرته الجريدة الاشتراكية التى عاودت الظهور بعد سفرى فى ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٥١ وقد ختمت هذا البيان بالعبارة التالية .
« لكل هذه الاسباب رأيت أن أجعل من الشرقية مقرا ثابتا أقضى فيه معظم أيامى لأكون أقرب ما أكون من أبناء القنال المجاهدين ، ولأبتعد ما استطعت عن مغانى القاهرة وملاهيها هذه الأيام ، لأبتعد عن اضوائها وعن نواديها وسهراتها ، لأبتعد عن ثرثرتها وهذيانها حزلقتها وعن رجال سياستها ، لأبتعد عن اللاهين والعابثين الغارقين فى الراحة والدعة وهاحيا بين الشعب : شعب الفلاحين والعمال ، الذين هم فى القاهرة ، وهم فى الشرقية وفى كل شبر من أرض مصر ، هم الصابرون المكافحون المجاهدون من أجل الحرية والكرامة »

يا أهل الشرقية وأبناء القنال : ان الساعة ليست ساعة الحزبية او ساعة الخلافات الداخلية ولو كان الأمر كذلك لما تركت

القاهرة بنشاطها وجئت الى مديريتكم ، فما أنا بين ظهرانيكم الا مواطن يريد أن يعيش بين المواطنين الذين اعتزموا أن يعيشوا كراما وأن يتمتعوا بحرياتهم · ما أنا الا مصرى بين مصريين لا فرق بين فقير وغنى أو بين عمدة وغفير أو بين موظف وعامل · ما أنا الا واحد منكم ، لا أريد منكم شيئا ولا أطلب منكم شيئا ولا ادعوكم لشىء الا هذا الذى أجمعتم عليه جميعا وهو اننا لن نسمح للانجليز بأن يمروا الا على جثثنا ، ولن نسمح لهم بأن يطيلوا مدة تدنيسهم لبلادنا واضطهادهم لاخواننا ·

يا أهل الشرقية أبناء القنال : عدونى واحدا منكم ، عدونى خادما لكم ، هيئوا لى مكانا بين العاملين منكم ·

تعيين حافظ عفيفى

وعبد الفتــاح عمرو

هذا هو ختام النداء الذى نشرته جريدة مصر الفتاة الاشتراكية بعد أن سافرت الى الشرقية وأقمت بمدينة الزقازيق وانقضى أكثر من أسبوع على اقامتى بها ·· ولعله من المفارقات العجيبة انه فى الوقت الذى نشرت فيه الجريدة هذا البيان الذى يدل على رغبتى فى التطور مع معركة الكفاح ضد الانجليز فى الشرقية ·· نشرت الجريدة خبرا خطيرا فى الاتجاه المضاد لهذا التصرف الا وهو نبأ تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملـكى وما أدراك ما حافظ عفيفى ! انه الرجل الذى طلع على البلاد فى صيف هذا العام بحديث اهتز له الشعب استنكارا واحتجاجا عليهم، فقد راح يشيد بمعاهدة ١٩٣٦ ويدعو للتحالف والتعاون مع الانجليز والأمريكان ويندد بنظام الانتخاب المباشر ويصم الشعب بالجهل · لقد كان حديثا يفيض بالغل والحقد ضد الشعب وضد كل الافكار والآراء التقدمية فحملت عليــه جريدة الاشتراكية حملة شــعواء تابعتها عليه باقى

الصحف وكان مقالنا بعنوان « نهاية حافظ عفيفي » ولقد أسرع حافظ عفيفي بالهرب من البلاد وظل غائبا عن النظر بضعة أشهر حتى هدأت الحملة فعاد الى مصر من جديد وحاول أن يفسر حديثه السابق بما يخفف من حدته مع الاصرار على الخطوط الرئيسية فيه • فكان تعيين حافظ عفيفي في هذه الفترة العصيبة من حياة البلاد مفضوح الدلالة وهي أن فاروق قد قرر ان يخون جهاد الشعب وأن يطعن الأمة من الخلف فجاء بهذا الصنيع المجوز ليتحدى به ارادة الشعب في مواصلة المعركة ضد الانجليز •

لم يقف الأمر ـ بالملك فاروق ـ عند حد تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان بل لقد شفعه فاروق بتصرف آخر لا يقل شناعة عنه الا وهو انتداب عبد الفتاح عمرو سفير مصر في انجلترا مستشارا للقصر في السياسة الخارجية • وقد كانت الحكومة المصرية سحبت عبد الفتاح عمرو من لندن كاحتجاج على الانجليز لاعتدائهم على كفر عبده فاذا بفاروق يرد على هذا السحب بتعيينه مستشارا خاصا له • وكان هذا شذوذا ما بعده شذوذ من الناحية الدستورية ، فعبد الفتاح عمرو كان لا يزال سفيرا أى مرؤسا لوزير الخارجية المصرية ومع ذلك فقد عينه فاروق مستشارا له في الشئون الخارجية فأصبح بهذه الصفة يتكلم باسم فاروق مباشرة وأصبح رئيسا لوزير الخارجية يضرب بآرائه وأوامره عرض الحائط • وقد ابتلعت حكومة الوفد هاتين الضربتين وأعنى بهما تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان الملكي بدون علمها فضلا عن موافقتها ، وتعيين عبد الفتاح عمرو مستشارا للملك • ولكن ذلك لم يكن جديدا على حكومة الوفد ومصطفى النحاس وسراج الدين فقد كانت سياستهم استقرت على قبولهم كل الطلبات التي يوجهها لهم القصر دون احتجاج أو اعتراض بل برضاء وفرح [illegible]
أما نحن فقد نظرنا الى هذه الخطوة من ناحية الملك بمنظارها الصحيح من أنها من الخطة التي ترمي لكفاح الشعب ولذلك فقد

بادرت بالرغم من انتقالى الى الشرقية وكتبت مقالين اهتزت لهما البلاد ، أعاد للاشتراكية كل دويها وانتشارها المنقطع النظير ..
وذكرت البلاد من جديد باننا دون غيرنا من يقف لفاروق بالمرصاد كما ذكرتاه هاتان المقالتان ـ فاروق نفسه ـ بانه لن يذوق طعم الراحة ما بقيت الاشتراكية وما بقى أحمد حسين .

اما هذان المقالان فقد كانا بعنوان « الجـلاء لا الاسـتقلال يا رئيس الديوان » وذلك ردا على تصريح له قال فيه : انه يريد لمصر الاستقلال . اما المقال الثانى فبعنوان « الويل لمن يقف فى وجه الطوفان » . وقد ختم المقال الأول بالعبارة التالية : « ان رئيس الديوان يذيع بيانا رسميا يسقط فيه لأول مرة كلمـة الجلاء ويستبدل بهـا كلمة الاستقلال ولذلك فمن حقنا ان نقول ان أول القصيدة كفر ونحن نعلم انها كفر فى اولها وكفر فى وسـطها وكفر فى آخرها . انه كفر لأنها تتحـدى الشـعب الذى يمقت حافظ عفيفى الذى يمثل فى مصر لقبح ما يبغضه المصـريون .. فتعيين هذا الرجل انما هو لعب بالنار ولعبة خطيرة . وها نحن نحذر للمرة الاخيرة بان هذا الشعب لن يسمح لاية قوة على ظهر الارض بان تتحكم فيه وان تصـادر مشيئته .. وكل من يتصـور انه قادر على الوقوف فى وجه الشـعب فسوف يكتسحه تيار الشعب الغاضب ولا يلومن الا نفسه فعلى نفسها جنت براقش » .

اما المقال الثانى « الويل لمن يقف فى وجه الطوفان » فقد كان أكثر صراحـة من هـذا المقال .. وكان التحدى سافرا ومفتوحا ..
وعلى اثر مصـر الفتاة جاءت باقى الصحف والمجلات تنتقد تعيين حافظ عفيفى ، ولكن باسـاليب اقل حدة بطبيعة الحال ، ولكن الشـعب ، وبارك الله فى الشـعب المصرى .. الشـعب هو الذى تفجرت براكين غضبه فى كل مكان فانطلقت مظاهرات الطـلاب تعبر عن غضـب الشـعب ، وراحت تهتف لأول مرة فى مظاهرات

عارمة سـقوط حافظ عفيفى ، وبسـقوط حامى حافظ عفيفى أو بالأحرى سـقوط فاروق ، وكانت الهتـافات تكنى عن ذلك بقولها « يسقط عفيفى وحافظ عفيفى » او يسـقط « حافظ حافظ عفيفى » ويقصـدون بكلمة حافظ الملك فاروق باعتباره يحمى حافظ عفيفى .

وكاد فاروق يجن بطبيعة الحـال للاجـتراء عليه الى هذه الدرجة ، وقد وجد فى هذه المرة (شبعا) مفترسـا يشد ازره وهو حافظ عفيفى الذى انفجر فى وجه رجال الداخلية متسائلا .. كيف لم يصـرع مائة او مائتان من الطـلاب وهم يلفظون هذه الهتافات !! واعتبر الحزب الاشـتراكى هو مدبر المظاهرات واعتبر احمد حسـين هو المسئول عن هذه الثورة ، ولم يكن فى حاجة الى دليل او برهان فمقالات الاشـتراكية تغنى عن كل دليل وبرهان ، حيث هاجمت الملك وحافظ عفيفى عيانا بيانا ، وفى وضـح النهار ولذلك فان حافظ عفيفى لم يحاول أن يخفى سخطه او اتهامه لأحمد حسـين فكان ينتهز فرصـة مقابلاته مع هؤلاء الذين ذهبـوا لتهنئته او سـماع أقواله التى يثـر بها ، لكى يصـب جام غضبه على أحمد حسـين ويتساءل فى دهشـة كيف انه لايزال حرا طليقا !! وزعم فى كثير من المرات ان احمد حسين يريد أن يقتله ثم ذكر فى خطاب رسمى أن ابراهيم شـكرى يحرض على قتله ، فقد أرسل له البوليس السياسى تقريرا يتضمن هذا المعنى ، فبعث حافظ عفيفى بهذا التقرير الى والد ابراهيم شكرى ، وهكذا أصبح عداء القصر للحزب الاشتراكى والحديث عن القتل حديثا يردد ويذاع على رؤوس الأشهاد .. ولولا أن الله سلم لسقطت سريعا فى مدينـة الزقازيق حيث كنت أقيم وأتنقـل بين صفوف المجـاهدين . ولننتقل الآن الى مديرية الشرقيـة لنشهد الفترة السابقة مباشرة على حوادث ٢٦ من يناير .

تطور معارك الفدائيين

مازلت اذكر بوضوح وانا اكتب هذه السطور بعد عام كامل من هذه الحوادث التى نحن بسبيلها كيف تطورت المعارك ضد الانجليز فى منطقة القنال اولا ثم فى الشرقية ثانيا .

بدات المعركة بهذه الصورة الجماعية التى اخذت شكل المظاهرات العنيفة ، ثم تلتها حركة اسحاب العمال ومقاطعة الانجليز وقطع مواردهم من التموين والبضائع ، ثم توقف قطارات السكك الحديد عن أن تنقل مهماتهم أو افرادهم .

ثم بدلت حركة الفدائيين الفردية .. وبدات فى صورة متواضعة صورة هؤلاء الغلمان الذين يغافلون الحراس الانجليز ويخطفون منهم اسلحتهم وقد حاول الانجليز والرجعيون ان يشوهوا هذه الحركة فقالوا عن هؤلاء الخاطفين انهم من النشالين او انهم من اللصوص ولو صح هذا لكان هذا اعظم شهادة لابناء الشعب . فاللص والنشال لا يخاطر بحياته من اجل بلاده ومن اجل حريتها فاذا ارتفع نشالوا مصر ولصوصها الى مستوى التضحية بالحياة من اجل معركة التحرير فليس وراء ذلك مجد .

كيفما كان الأمر فسوف يسجل تاريخ الجهاد ان اول مراحل جهاد الشعب الفدائى ضد الانجليز قد تم على يد هذا النفر الذى كان ينقض على الانجليز فى وضح النهار فيخطف منهم اسلحتهم المعلقة على اذرعتهم . وتطورت العملية بعد ذلك فلم تعد مجرد خطف يعقبه فرار سريع بل نزع بالقوة لهذه الأسلحة تحت التهديد اذ كنت واثقا تمام الثقة بأن هذه هى الخطوة الأولى فإن

من وصـــل اليهم هذا السلاح المخطوف لابد أن يستعملوه ..
وما هو الا بعض الوقت حتى تحقق ذلك فبدأ بعض الجنود الانجليز يصـــرعون برصـــاصات طلائع الفدائيين اول من استعمل هذا السـلاح المخطوف .

وكان الحزب الاشتراكى كما ذكرت من قبل يتصى بعثات والوف من الراغبين فى التطوع وقد كنت اعلم ان عددا كبيرا جدا من هؤلاء المتطوعين يتصـــور انه سينتظم فى سلك العسكرية وسيتقاضى اجرا ويتناول الطعام والشراب . ولكن الذى لاشك فيه انه كان فى صفوف هذا العدد الكبير افراد تنطوى انفســـهم على ذروة الفدائية وكان من بينهم من سبق له الكفاح فى فلسطين لعرف أســاليب حرب العصـــابات ولذلك فقد كنا نوجـه هـذه الجموع نحو منطقة القتال بغير ســـــلاح او عتاد تاركين الى الحوادث انتقاء العناصر الصالحة .

وهذا هو ما حدث بالفعل فان الكثيرين ممن كانوا لا يدركون طبيعة العملية ســـرعان ما عادوا الى بلادهم او الى قواعدهم الأولى . ولكن فريقا آخر قليلا فى العدد استطاع ان يتغلب على كل الصـــعوبات .. اســـتطاع ان يتأقلم مع البيئة فيعيش على الطوى فى بعض الأحيان وينام فى احدى الخرائب ثم يســـعى بعد ذلك لخطف ســـلاح من الانجليز او سرقته فاذا تم له ذلك جعل من نفســه نواة عصـــابة وبدأت ظروفه تتحســـن . وعلى هذه الوتيرة تألفت عدة عصابات فى السويس وفى الاسماعيلية تألفت من هؤلاء الذين وفدوا على دار الحزب الاشتراكى متطوعين فأرسل بهم الى ميدان القتال بغير سلاح أو عتاد أو زاد الا المعونة الأدبية التى يلقونها على طول الطريق ان كانوا صادقين .. وبعض الجماعات التى تألفت بهذه الصورة ظلت تعمل فى الميدان حتى اللحظة الأخيرة من المعركة وقامت بأعمال جليلة .

ومن هذا النفر تألفت الطبقة الثانية من الفدائيين الذين ازعجوا الانجليز بنشاطهم .

وفي خلال هذه الفترة كان الاحساس العام في الهيئات المجاهدة قد بدأ يشعر بضرورة تنظيم عمليات الفدائيين وتوحيدهم وتنظيم صفوفهم والارتفاع الى مستواهم ، ونزل الى الميدان عنصر جديد هو بعض الضباط الاحرار الذين كانوا يتسللون من وحداتهم ويهرعون الى ميادين العمليات بملابسهم المدنية فيقومون ببعض الاعمال التي ظلت تتطور حتى وصلت الى درجة رائعة .

ونزل شباب الجامعة الى الميدان تحت قيادة الاخوان المسلمين وتطور الموقف بالنسبة للانجليز من سيىء الى اسوأ فاضطروا للاقدام على أعمال وحشية كهدم كفر عبده ومهاجمة محافظة الاسماعيلية مما جعل سراج الدين يأمر البوليس بالاشتباك معهم فارتفعت حرارة العمليات واتسع نطاقها وزادت ضحاياها وتكاليفها .

ومنذ اللحظة الأولى لالغاء المعاهدة كان للاشتراكيين في الزقازيق نشاط ايجابي رائع وقد تدفقت عليهم جموع المتطوعين بين انحاء البلاد حتى وصلوا بضعة آلاف وقد عجز الاشتراكيون بطبيعة الحال عن ايوائهم او اطعامهم .

فتفرقوا وتبددت جموعهم ثم انتهى الأمر بتأليف جماعتين مسلحتين لا يتجاوز عدد افرادهما معا عشرين متطوعا .. وكان يشرف على قيادة هاتين الجماعتين الدكتور محمود زيتون وقد نبغ من بين هاتين الجماعتين اشتراكي فدائي يسمى الدمرداشي سبق له الجهاد في حرب فلسطين .. وكان هو العمود الفقرى لجميع الاعمال الهجومية على الانجليز في الشرقية .

وكانت أخبار نجاحه تصل الى نقلا عن الآخرين .

وكان هذا هو الموقف عندما تقررت الانتقال الى مديرية الشرقية للاقامة بها .

اتخذت من منزل الدكتور محمود زيتون فى خارج مدينة الزقازيق مقرا لى وصحبتى فى اقامتى البكباشى جلال ندا .

وسرعان ما اكتشفت انه الى جوار جماعتنا الاشتراكية كانت توجد جماعة اخرى يشرف عليها ويوجهها البكباشى وجيه اباظة فسعيت للاتصال به لكى نتعاون على تنظيم العمليات . ثم وجدت جماعة تحمل اسم كتيبة الجامعة .

وفى هذه الاثناء تألفت فى الشرقية لجنة عامة للدفاع عن الشرقية ، رأى الاباظية كعادتهم ان يبسطوا ايديهم عليها فعقدت اجتماعاتها الأولى فى دار دسوقى أباظة ثم انتخب وكيلا لها عبد الله فكرى اباظة وبدأت هذه اللجنة تجمع التبرعات وتشرف على التدريبات ثم وقعت الواقعة فى ٢٦ من يناير فتعطلت أعمال اللجنة وتنظيماتها بحيث يمكن القول انها لم تفعل شيئا البتة باستثناء جمع مبالغ ضخمة من البنوك لأن الفرصة لم تتح لها ..

طوافى فى البلاد ومعاركه

وقد جعلت مهمتى الأساسية مور وصولى الى مدينة الزقازيق أن أطوف مدنها وقراها لأرفع فيها الروح المعنوية ، ولأبصر المواطنين بواجباتهم وأن عليهم فى الدرجة الأولى ان يستعدوا للكفاح ضد الانجليز بالتجهز بالسلاح والعتاد واليقظة الدائمة وبالتدريب العسكرى ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وكان الفلاحون يستقبلونني فى كل مكان بالترحيب ويظهر عليهم بوضوح

٢٠

بالرغم بتوجيهاتي وعزمهم وتصميمهم على العمل بها . وفي خلال هذه الجولات كنت أدرس الموقف العسكري فاستحضرنا الخرائط العسكرية للمنطقة .. وتجولنا جولات استكشافية لمعرفة النقط التي تتاخم فيها بلادنا وقرانا معسكرات الانجليز .

ثم بدأت بعض المغامرات العسكرية التي قام بها الدمرداش وجمال طولان وكان من بين هذه المغامرات مهاجمة منطقة التفتيش الانجليزية فيما يسمى المحجر ومازلت اذكر حتى الآن كيف ظللت طول ليلي اصلي وادعو الله أن يحمي هؤلاء المجاهدين والا يفجعني في واحد منهم ، وعندما جاءني جلال ندا يخبرني بأن العملية تمت بنجاح وان الجميع قد عادوا سالمين شعرت باعياء شديد نتيجة هذا الضغط الذي عانيته طوال الليل من الانتظار والخوف من ان يصاب احد الفدائيين بسوء .

وقد حرصت منذ وصلت الى الشرقية على أن نذيع بلاغات رسمية عن العمليات وان نراعي فيها الدقة الكاملة والبعد عن التهويل او المبالغة بل وان نذكر فيها خسائرنا بالذات اذا اصابتنا خسارة ليعلم الانجليز انهم اصبحوا يواجهون عمليات حقيقية تدار بروح عسكرية .

وكانت هذه البلاغات تطبع في احدى مطابع الزقازيق وتوزع على المقاهي والحوانيت في كل يوم فبدأ الجمهور يترقبها بفارغ صبر ويثق بها .. وقد حرصنا من ناحية أخرى على الا ننسب هذه الأعمال للاشتراكيين فقد كنت حريصا كل الحرص على توحيد أعمال الفدائيين والابتعاد عن الحزبية فاتخذنا عنوانا لهذه البلاغات « القيادة السرية للكفاح الشعبي » وقد استطعنا بهذا الأسلوب أن نقنع الآخرين بتجردنا عن كل مطمع حزبي ولذلك فقد اذعنا تحت

هذا العنوان بعض العمليات المشتركة التى قمنا بهـا مع جماعة وجيه اباظة .

ولعله من الخير أن اثبت هنا البلاغ الخاص بمهاجمة نقطـة التفتيش كنموذج لهذه البلاغات التى أصـــدرناها عقب مختلف العمليـات .

بلاغ من القيادة

السرية للكفاح الشعبى

بلاغ رقـم ٩

جبهة الشرقية فى يوم ١٩٥١/١٢/٢٨

فى الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين من صباح اليوم هاجمت قوة مكونة من اثنى عشر فدائيا نقطة تفتيش المحجر (العباسة) الانجليزية والمعتبرة نقطة امامية للدفاع عن معسكرات التل الكبير والمحصنة تحصينا قويا لاحتوائها على مدفعين من طراز الشيكرز ومسبعة مدافع برن ومدفعين من طراز الهاون ومدفعين من عيار ستة أرطال وجهاز لاسلكى عدا مصفحتين وفصيلة من الجنود المتازين ، فاقتحمتها القوة المهاجمة فى شجاعة وبسالة وقذفت عليها القنابل اليدوية فقتلت ثلاثة من الجنود على وجه التحقيق واصابت كثيرين بجراح لم يكن من الميسور احصاؤهم وحطمت أحد مدافع الفيكرز وأشعلت النار فى بعض الخيام .

وقد خفت على اثر الانفجارات الأولى قوات كبيرة من المعسكرات المجاورة لنجدة زملائهم . فاستعملت كل اسلحتها بما فى ذلك مدافع الهاون ومدافع ٦ أرطال واستعين بالمصفحات واستمر اطلاق

النيران حتى الساعة الثانية والدقيقة ٤٠ مما ارتجت له البلاد المجاورة كلها وكانت الاشارات الضوئية من ذات البارشوت تحيل سواد الليل الى نهار وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت القوة من الانسحاب بعد تحقيق اهدافها بدون اى خسارة فى الأرواح أو فى الأسلحة عدا مدفع برن حالت الأوحال دون سحبه .

وتعتبر هذه العملية الليلية هى الأولى من نوعها من حيث مهاجمتها لموقع محصن وقد قصد بها تأكيد سيادة الدولة المصرية على اراضيها والثأر لكرامة المواطنين الذين تعقبتهم هذه القوة وليكون ذلك بمثابة النذار للقوات البريطانية لتكف عن التعرض للمواطنين فى اثناء تنقلهم داخل البلاد .

سوء حالة الفدائيين :

على ان هذه العملية التى تمت بنجاح كبير سرعان ما كشفت لى عن حقيقة موقف الفدائيين وانهم فى اسوأ حال يمكن ان يطوف بالذهن . فان خلف هذا النجاح الذى يتحدث عنه البلاغ معجزة الهية هى التى ردت هؤلاء الاثنى عشر سالمين والا فقد كان الموت المحقق هو مصيرهم المحتوم فان الأسلحة التى كانت بأيدى الكثيرين منهم كانت غير صالحة للاستعمال .. وهذا المدفع البرن الذى اشار البلاغ الى ضياعه لم يكن مدفعا الا بالاسم وقد حمله الفدائيون لرفع معنوية بعضهم البعض . وكان السبب فى نجاحهم هو وجود ثلاث قنابل يدوية معهم استخدمت بنجاح فى الوقت المناسب فقتلت الجنود الثلاثة وأشاعت الفوضى فى المنطقة وبعد ذلك فلم تكن لدى هؤلاء المهاجمين سلاح يدافعون به عن انفسهم حتى فانسحبوا تحت وابل من الرصاص والقنابل وليس سوى حماية الله من ردتهم سالمين .

وكانت هذه القنابل الثلاث هي كل بضاعتهم ، وعبثا حاولنا ان نحصل بعد ذلك على قنابل يدوية بعد ان اكتشفنا مفعولها الذريع وانها السلاح الهجومي الوحيد ٠

ولم تكن هذه الحالة خاصة بنا بل لقد كانت حالة الجماعات الأخرى كذلك فقد استطاع وجيه أباظة في مرة من المرات أن يستحضر بنادق جديدة وبعض مدافع البرن الجيدة على سبيل الاستعارة من احدى وحدات الجيش ولكنه لم يستطع أن يحضر قنابل يدوية فراح يسألنا عما في حوزتنا من هذه القنابل ٠

ولم يستطع ان يكرر استعارة هذا المدفع البرن الذى جاء به في احدى المرات فاصبحنا نحن الجماعة الوحيدة التي تملك مدفعا فكان البوليس يستنجد بنا في بعض المناسبات لنحضر هذا المدفع ٠٠ فدلني ذلك على شناعة الموقف ٠٠ فاذا كان المدفع البرن ضروريا جدا وهو سلاح فتاك في هذه المعارك واذا كانت القنبلة اليدوية ضرورية بدورها لأعمال العصابات فلماذا لاتزود الحكومة جماعات الفدائيين ببعض هذه المدافع وبعض هذه القنابل ولديها في الجيش كميات ضخمة منها وهي معطلة لا عمل لها ٠٠ بل اني علمت أن مصانع محمد سالم كانت تصنع هذه القنابل للانجليز في خلال الحرب وللجيش المصري في خلال حملة فلسطين وانها تقدمت تعرض على الحكومة أن تزودها بهذه القنابل ولكن الحكومة لم تطلب منها قنبلة واحدة ٠٠ وظل الفدائيون يقاتلون بغير سلاح ٠

اعتبرت انه من الاجرام ان أزج بالفدائيين في أى معركة بعد ذلك دون أن تكون لديهم أسلحة حقيقية وليس مجرد صور وأشباح فعدت الى القاهرة وجمعنا مائتي جنيه لنشترى بها بعض البنادق ومدافع البرن وكان ثمن البندقية حوالى عشرين جنيها والمدفع ثلاثين جنيها ٠٠ وقادونا الى المقابر للحصول على هذه الأسلحة

فاشترينا ثلاث بنادق ومدفعين ولم تكن لى خبرة بالسلاح ولكن كان معى من يدعى الخبرة بالسلاح وكان من يبيعون لنا يقسمون بالطلاق أنهم يقدرون مسئوليتهم وأنهم يساهمون فى معركة التحرير بتقديم هذا السلاح الجيد الرخيص .. ولما كنا فى لهفة على هذه الأسلحة فقد أسرعنا بها الى الزقازيق .. ولم أكد أصل حتى قيل لنا ان الانجليز يضربون التل الكبير وهم فى حاجة الى النجدات فرأيت قبل أن تستخدم هذه الأسلحة الجديدة أن نجربها .. وكان أحد النواب الوفديين قد قدم للحزب فى احدى المناسبات كمية من الرصاص فرحنا نجربه فاذا به رصاص لا ينطلق بعضه .. وبعضه ينطلق ولكن يهشم البندقية .. وسرعان ما اكتشفنا ان استعمال هذه الأسلحة أخطر على حاملها من الأعداء وهكذا ضاع الجهد والمال والوقت وصدمنا فى عواطفنا هذه الصدمة القوية فهؤلاء الذين باعونا هذه الأسلحة ليسوا سوى مجرمين عتاة سخروا منا واستغلوا جهلى بأنواع السلاح واضطررنا من جديد لان نخف الى ميدان المعركة بالأسلحة التى كانت عندنا والتى لا تغنى شيئا الا أن يستر الله ويحقق معجزاته ففى كل مرة لانعرف اذا كانت البندقية ستنطلق أم لا وفى كل مرة لانعرف اذا كان مدفع البرن الذى نملكه سيلبى الرجاء ويطلق الرصاص أم لا يطلقه ؟! .

ولعله من الطريف ان أذكر هنا أن قطعة السلاح الوحيدة لممتازة التى كانت الجماعة تشيد بها هى بندقية سريعة الطلقات ن نوع (الاستن) وهى من هذه الأسلحة التى خطفت من الانجليز ى بادىء المعركة ووصلت الينا . كان كل فرد فى الجماعة يتنافس لى أن يكون هو حامل هذه القطعة .. لأنها كانت قطعة السلاح وحيدة التى يمكن أن يعتمد عليها حاملها .

.. ومرة أخرى لم تكن هذه الحالة التي أصفها من حيث ندرة السلاح الجيد واستعمال أسلحة فاسدة هي حالة خاصة بنا بل كانت حالة كل من في الميدان .. فقد كان كل فدائي يشكو .. من أنه لايجد السلاح فان وجده فسلاح فاسد أو ناقص .. بل لقد كان الفدائيون يشكون من أنهم لايجدون الطعام في كثير من الأحيـــان .

ومع ذلك فقد كان الشبان يقامرون بسلاح فاسد وبغير سلاح فكانوا يتساقطون ويتهاوون كأنهم فراشات تحترق بالنار .. ومن ذلك هذه الضربة التي نزلت بكتيبة الجامعة عندما سقط من خيرة أبنائها المنيسي وشاهين وعباس الأعسر وغيرهم الى تمـــام التسعة الشهداء التي يجب أن تعتبر ذروة البذل والتضحية .

معركة التل الكبير

ثم بدأ ما ينبغي أن يسمى بمعركة التل الكبير التي خسر فيها الانجليز على يد حفنة من الشبان اضعاف أضعاف ما خسروه في معركة التل الكبير التي واجهوا فيها جيش مصر أيام عرابي .. ففي هذه المعركة لم يخسروا سوى جنديين أو ثلاثة ، أما هذه المرة فقد خسروا عشرات وعشرات ، بل بدأ الانجليز ينزعجون من نشاط الفدائيين .. وتعرضـهم لقطارهم الحربي الذي يصـــل ما بين الاسماعيلية والتل الكبير فقرروا أن يحتلوا هذه البلدة التي يتخذها الفدائيون مركزا لنشاطهم فوجهوا الانذارات لرجـال البوليس ، ثم اصلوها نارا حاميـة فخرج منها سكانها يهيمون على وجوههـم وهم يفرون مذعورين وينتشرون حيثما ساروا وأنى اتجهوا الرعب والفزع من أن يكون مصـير باقي البـلدان وسكانها كمصيرهم .. وعندما وصلت الينا هذه الأخبار وقيل لنا ان وجيه أباظة يحاصر وان الجميع يجب أن يتخذوا لنجدته فركبنـا السـيارات محملين

بكل ما لدينا من أسلحة وأسرعنا فى الطريق لانعرف ماذا نفعل ..
ولكنا كنا تنطلق لننفس عن مشـاعرنا ولنقنع أنفسنا أننا نؤدى
الواجب . وسرعان ما قابلنا وجيه أباظة فى الطريق وتبين ان الأمر
كان اشاعة ولكنه طلب منا أن نتوجه الى مركز بوليس ابو حماد
وان ننتظره ريثما يحضر رجاله .. فقصدنا الى مركز البوليس
فوجدنا هذا اللواء المسمى عبد الرؤوف الذى استسلم هو وقواته
بعد يومين من هذه المقابلة ورأينا فى حجرته الأستاذ حسين فهمى.
وكنت أسمع عن دوره فى تنظيم الكفاح ولكنى كنت أراه لأول مرة
فى هذه المناسبة وعلمنا فى هذه الفترة أن الانجليز يهاجمون التل
الكبير وأن البوليس صامد لهم وأن المأمور والمعاون وفريق من
العساكر يقاومون .. وبعد قليل وصل المأمور وهو غارق فى الوحل
وكذلك بقية من معه فلم أتمالك نفسى من أن أعانق الجميع لهذا
المنظر الرائع فلقد أدى القوم رسالتهم على أحسن وجه ولم يفروا
كالجرذان وعندما وقفت وسط الجنود العائدين من المعركة وعليهم
أوحال المعـركة وآثارها وقد اشتعلت أعينهم تحت حرارة الكفـاح
لم أتمالك نفسى من أن أعانق الجميع وأن أحس احساسا عميقا
بأن روحا جديدة قد دبت فى أوصال البلاد .

وجلسـنا بعد تنـاول الغداء ندرس ما الذى نستطيع عمله
وسرعان ما اكتشفت أن الرجال الذين كانوا يحيطون بوجيه أباظة
قد تفرقوا وانه لم يستطع أن يحشد رجالا غير رجالنا .. بل وفهمت
أن بعض الأسلحة الجيدة التى أعطيت لهم وسبق لهم ان وزعوها
على بعض الأفراد قد تبددت ، وأن العملية التى تطوف برؤوسهم
ليس هناك من يقوم بها غيرنا . وقد أظهرت استعدادى لأن يساهم
مجاهدونا فى كل ما يطلب منهم على شريطة أن يتسلموا أسـلحة
جيدة .. وقد أجيبت الى طلبى وسرعان ما رأيت لأول مرة كيف
تكون البندقية الجديدة وما خصائصها . وقد فهمت فيما بعد أن
هذه البنادق التى أعطيت لمجاهدينا لاستعمالها فى هذه المعركة هى

جزء من خمسين بندقية كان سراج الدين قد سلمها لحسين فهمى وكانت هذه هى المعونة الوحيدة التى قدمها الوزير لحركة التحرير حتى ذلك الوقت • وكان هناك حديث عن قرب وصول مدافع برن ومدافع هاون وان الأسلحة ســوف تتدفق •• ولكن هذا الوعد لم يقدر له ان يشهد النور • وذهبت جماعتنا وعلى رأسهم الصرداش ويصحبهم بعض رجال حسين فهمى من الفلاحين ليهاجموا موقعا انجليزيا فى الليل •

ولكن حراسة الانجليز كانت قوية فلم يستطيعوا عمل شيء •• وكان على ان اعود الى الزقازيق فقد كان سيحتفل فى اليوم التالى بجنازة الشهداء التسعة الذين اشرت اليهم •• وكان شاهين والمنيسي قد نقل جثمانهما للاحتفال بهما في القاهرة وباقى الشهداء وبعضهم ليس من الجامعة تقرر الاحتفال به فى الزقازيق •

وكانت الزقازيق تشهد من يوم لآخر جنازات هؤلاء الشهداء فبدأت أتســاءل بينى وبين نفسى عما اذا كان هذا المظهر يزكى الشعور القومى أم يضعفه والجنازات تشيع فى كل يوم على هذا النطاق الواســع •

على ان هذه الجنازة الكبرى كانت أعظم ما شهدته الزقازيق وما يمكن أن تشهده الى وقت بعيد ، وعندما سارت النعوش مجللة بالاعلام الخضراء كانت عشرات الألوف تذرف الدموع أما أنا فقد كنت أشعر بالغيظ والقهر والكمد أن يحرق الانجليز أكبادنا بقتل هذا العدد من الشهداء الذى قيل لنا ان الكلاب قد مثلت بجثث بعضهم •• فصمدت من أعماق قلبى صيحة الى الله أن ينتقم وان يثار لهذا الدم الزكى الطاهر ، ولقد مرت فى حياتى قبل ذلك وبعد ذلك لحظات عجيبة أتمنى فيها الشيء بقوة فلا البث أن أراه محققا ولعل ما حدث فى اليوم هو صورة من أنصع صور هذا الاحساس

العجيب • ففى ذات اللحظة التى كان الغيظ يكاد يمزق قلبى ٠٠ فى ذات اللحظة التى كنت أدعو الله أن ينتقم ٠٠ ربما كانت جماعتنا تمتك بهذا العدد الضخم من الانجليز كما ـ علمنا فيما بعد ـ فلم تكد الجنازة تفرغ حتى قيل لنا أن جماعتنا التى ذهبت بالأمس لم ترجع وان اخبارها انقطعت وربما تكون قد قتلت أو وقعت فى أسر الانجليز وعندما كان يطرق آذاننا خبر كهذا الخبر يصيبنا الفزع ولا يكون له الا رد فعل واحد وهو أن نمتطى السيارة ونسرع الى المكان الذى وقع فيه الخطر وبعد أن تنطلق السيارة كنت أسائل نفسى ما هذا الذى افعله وما جدواه وما الذى استطيع أن أقوم به ؟ ! ولكننى كنت أهدىء نفسى بأننى أسعى خلف الأخبار ولا يمكن معالجة أى أمر الا اذا وقفنا على الأخبار الصحيحة أولا •

ومن ناحية أخرى فان اسراعى الى منطقة الخطر فيه شىء من التنفيس لما يعانيه الانسان من شعور بالمسئولية • وانطلقت السيارة متجهة نحو أبو حماد فى الطريق الى التل الكبير وكان وجهى ممتقعا والخوف يتملكنى من ان تكون الجماعة قد أصيبت بسوء ٠٠ وكان كل متر تخطوه السيارة الى الأمام يزيد فى توتر الأعصاب خوفا من سماع النبأ ٠٠ وفجأة وجدنا فى الاتجاه المضاد سيارة أشار من فيها الينا فوقفنا ولم تكد السيارة تقف حتى سمعنا منها أصواتا تكلمنا ٠٠ فنزلت من السيارة واقتربت منها لاستجلاء الخبر فاذا بى أتلقى نبأ من اسعد الأنباء التى تلقيتها فى حياتى ٠٠ كان فى السيارة فدائى صغير مصاب بجرح سطحى وكان يتكلم ويريد أن يقول كل شىء فى كلمة واحدة : لقد قتلنا عشرة من الانجليز وأخذنا أسلحتهم ٠٠ والجميع بخير ولم نصب بسوء ٠٠ ولقد جرحت جرحا صغيرا سطحيا ، وأسرعت الى السجود شكرا لله فلقد كان هذا النبأ يحمل الى عدة بشارات ، فهو يخرجنى من حالة الفزع خوفا على الجماعة ٠٠ وهو يبشرنا بقتل عدد ضخم من الانجليز والاستيلاء على أسلحتهم ٠٠ وهو فى ذات الوقت يدل على

ان الله قد استجاب لدعائى فانتقم لهؤلاء الشهداء الذين كنا نحتفل بجنازتهم منذ قليل .

واستأنفت سيارة المجاهد طريقها نحو الزقازيق ليدخل المستشفى ، بينما واصلنا الطريق لنقابل المنتصرين .

وقابلناهم عند العباسية ولكن الدمرداش لم يكن فيهم وقيل لنا انه سالم ولابد سيصل . وعلى قارعة الطريق جلسنا لنسمع أنباء المعركة . كانت الجماعة قد عدلت فى الليل عن القيام بأى نشاط ، وعند الصباح بينما كانت تتناول طعام الفطور اذا ببعض الانجليز يقتربون من موضع الجماعة وهم لايحسون بأى خطر وكان ذلك صيدا ثمينا واسرع أحد الفدائيين - وكان يجيد إستعمال البرن - الى استعماله فاذا بالجميع يسقطون على الأرض من هول المفاجأة وراحت الجماعة تطلق عليهم الرصاص دون أن يجاوبوا عليه .. ثم أوفدت الجماعة واحدا لمعرفة ما أصابهم فاذا به يجدهم وقد ماتوا عن بكرة أبيهم .. ووجد فيهم ضابطا قد صوب مسدسه اليه فأرداه قتيلا ببندقيته ثم انتزع منه المسدس وفتش ملابسه فاخذ مفكرته التى كانت فى جيبه وبعض أدوات التزين التى كان يحملها وعندما هم بتجريد باقى القتلى ولحقه باقى زملائه اذا برتل من الدبابات الانجليزية يقترب وكان معنى ذلك سحق الجماعة وهنا تجلت روعة الدمرداش وعظمته فقد ظل كامنا حتى اقتربت الدبابات واصبحت على بعد امتار قليلة فقذف بقنبلة يدوية كانت معه على المصفحة الأولى فوقفت باقى المصفحات لتستجلى الخبر .. وفى ظل هذا الارتباك للمفاجأة .. انسحب المجاهدون .. وهكذا عادوا سالمين جميعا من اعظم مخاطرة .. وان كنا قد فقدنا مدفع البرن الذى استعملته الجماعة فى كل محاولاتها حتى الآن وعندما جاء الدمرداش أخيرا وتحققت من سلامته .. لم يكن هناك حد لفرحنا وسعادتنا . وسرعان ما أحسسنا بغضب الانجليز لهذه

الكارثة ورأينا الطائرات تحوم فوقنا فى غضب ونحن على قارعة الطريق فتنبهنا للخطر واختطينا السيارة واسرعنا بالابتعاد عن المكان بكل سرعة ونحن نمسك بقلوبنا خوفا من أن تسقط علينا قنبلة فى اية لحظة .

وكانت الأنباء قد سبقتنا الى الزقازيق .. فدخلناها دخول الظافر المنتصر .. ولم أسالك شعورى من أن أطوف باتجاه المدينة موق السيارة لأزف للناس بشرى الانتقام لهم وان الله قد مكننا من الأخذ بالثأر للشهداء قبل ان توارى أجسادهم بالتراب .. وعندما كنت ألوح لهم بمسدس الكابتن الانجليزى الذى انتزع منه كانت الجماهير تضج بالهتاف والتهليل والتكبير .. ثم رايت أن اعهد بهذه العملية لجمال طولان فجاب المجاهدون بهذا النبأ انحاء الزقازيق فتحولت الأحزان الى افراح .. ولكن الحوادث كانت تتوالى بسرعة عجيبة ووصلت المعركة الى ذروتها بحيث ان كل ساعة كانت تحمل نبأ جديدا .

احمد عصمت

ففى نفس اللحظة التى كانت تجرى فيها هذه المعركة .. كان بطل مجاهد آخر وهو أحمد عصمت يقوم بعملية تشبه عمليات اليابانيين عندما يقومون بعمليات انتحارية من اجل وطنهم ، فان هذا الفدائى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى آلى على نفسه ان يقتل بعض الانجليز وأن يدفع حياته ثمنا لذلك ، فركب احمد الأتوبيسات المارة على نقطة تفتيش الانجليز فى منطقة المحجر التى اشرت اليها فيما سبق وعندما جاءه الجندى المختص بالتفتيش اسرع فارداه قتيلا ثم قتل غيره قبل ان يتنبه الانجليز وكان يمكن لأحمد عصمت أن يهرب او يفر ولكنه ادرك أن باقى المصريين

سيدفعون ثمن ذلك فآثر أن يظل واقفا فى مكانه يفرغ رصاص مسدسه ، حتى تمكن الانجليز منه فأردوه قتيلا .

وكان حادث هذا البطل الجديد أسطورة خيالية ألهبت أعصابنا وزادت فى حماستنا •

دك مدينة التل الكبير

وجن جنون الانجليز وأدركوا أنهم أصبحوا يواجهون حالة عصبية يجب أن يضعوا لها حدا بأسرع وقت باستخدام أنسب الوسائل الوحشية ولذلك فقد أسرعت مدافعهم الثقيلة لتنسف ما بقى من بلدة التل الكبير وما يسمى بلدة حمادة المتاخمة لها .

وبينما كانت المدافع تقصف البلدة فى الليل كان الراديو يذيع من القاهرة احدى مسرحيات نجيب الريحانى وجمهور الحاضرين يضجون بالضحك فكان هذا الموقف أشد نكاية على المنكوبين من أهل الشرقية من مدافع الانجليز نفسها وأدركت مدى جريمة حكام القاهرة الذين يدعون الحياة فى مصر تسير فى طريقها العادى بينما يسيطر الخراب فى الشرقية وتتضرج الأرض بدماء الشهداء •

وعدت فى هذه الليلة الى القاهرة لأشترك فى جنازة أحمد عصمت ولأطلع اخواننا وزملاءنا فى القاهرة على أسلاب هذه المعركة الأخيرة وعلى رأسها مسدس الضابط وأوراقه وأدوات زينتـه •

ونشرت « آخر لحظة » تفاصيل هذه المعركة وقد حرصت كالعادة على ألا يظهر فيها اسم الاشتراكيين فضلا عن اسمى أو اسم أى واحد من الفدائيين •• ونشرت القصة والصور بما لايقدر الناس بلورتا فى الموضوع •

وبينما كنا نسير في جنازة أحمد عصمت وصلت الينا انباء احتلال الانجليز لبلدة التل الكبير ووقوع ثلثمائة عسكرى بوليس وعلى راسهم ضابطهم الكبير اللواء عبد الرؤوف في الأسر ٠

فانخلع قلبى لهذا الخبر فقد رايت هذه القوة وهى تحتشد امامى بالليل لتسافر الى التل الكبير ٠٠ وقد وقفت اشهد صناديق الذخيرة وهى توضع فى السيارات المكتظة بالجنود الذين كانوا ينطلقون بعد ذلك وسط هتاف اخوانه ٠

واذن فقد سقط هؤلاء فى الأسر وضاعت هذه الذخائر وهذه الأسلحة التى لو اعطى بعض منهما للفدائيين لقـــاموا بالمجهد العجـــايب ٠

وبدأت الس التخبط الشديد اللذى نعانيه والارتباك الذى اغرقت الحكومة فيه البلاد ، فنحن فى حالة حرب ولا حرب ٠٠ نحارب بعساكر البوليس ونباعد بين عساكر الجيش وبين الحرب٠ ثم اذن كان هذا الجيش ولاى شىء أعد اذا لم يكن للدفاع عن البلاد فى هذا الظرف العصيب على أى صـورة من الصور ؟! لقد بدأت اتصور أنه ليس جيش مصر ولا جيش الوطن او الشعب ٠٠ انه جيش فاروق .. ولا دور له الا حماية فاروق .. وكان الانجليز يثنون على هذا الجيش فى تصريحاتهم ويزعمون أنه حليف لهم ولم يكن هناك فى الجيش من يحاول أن يدحض هذه التهمة الشائنة الا هؤلاء الضباط القلائل الأحرار الذين كانوا يتسللون كما قدمت الى منطقة السويس وتحت اسم كتيبة الشهيد احمد عبد العزيز يقاموا بأعمال رائعة ٠٠ وهذا النفر الآخر الذى كان يتصل بنا ويحاول أن يقدم لنا بعض الخدمات والمعونة .. فيما خلا هذا العدد

المحدود من الضباط البواسل فقد وقعت كتلة الجيش تشهد هذا الصراع بين الشعب الأعزل وبين قوات البوليس غير المدربة وبين الانجليز الغاشمين وكان التناقض يبدو كذلك في هذه الصورة الدامية التي تعيش فيها منطقة القنال والشرقية .. بينما القاهرة تعيش كما لو كان هذا الذى يجرى فى الشرقية انما يقع فى كوريا التى تبعد أكثر من عشرة آلاف ميل عنا .. فالملاهى على أشدها والاذاعات الماجنة تصابح الناس وتماسيهم والكبار والأغنياء لم يكفوا لحظة واحدة عن ممارسة مجونهم وسخافاتهم وتبذلاتهم . وكان رجال ممن يتصلون بالحكومة ومن صميم حزبها يتاجرون مع الانجليز جهارا نهارا .. بل ان وزير الداخلية الذى قتل الانجليز رجاله ونكبوا مصر وأسالوا دماءها وحطموا مدنها - يختار هذا الوقت بالذات لزفاف ابنته على ابن عبد العزيز البدراوى ثم يسافر العروسان لقضاء شهر العسل فى انجلترا مصحوبين بحاشية ضخمة من الخدم والحشم ، على ان الذى كان يروعنى فى الدرجة الأولى هو سوء حالة الفدائيين من حيث السلاح وأنهم يتعرضون للخطر والموت والحكومة اصبحت تعيش على تضحياتهم دون ان تقدم لهم أى لون من الوان المعونة . وبدأ الشك يداخلني فى ان من بيدهم الأمر ابتداء من الملك فاروق حتى سراج الدين يسعدهم كل السعادة ان يفنى هؤلاء الفدائيون ، وان يبطش الانجليز بهم لتتخلص البلاد - أو بالأحرى ليتخلص فاروق - منهم .

فتنة السويس

وبينما كانت الحوادث تتوالى فى مديرية الشرقية وقع حادث رهيب فى مدينة السويس كاد يكون الشرارة التى تندلع منها نيران الفتنة بين المسلمين والأقباط فقد حرقت كنيسة فى مدينة السويس وحرق بها بعض الأقباط ومثل بجثثهم دون أن تتدخل قوات البوليس لمنع وقوع الحادث أو للقبض على المسئولين عنه بعد

ووقوعه • وقد أدركت ان هذا الحادث سيؤدى الى تصدع كبير فى جبهة الوحدة المصرية فما راعنى الا ان أرى التقاعس من جانب الحكومة فى معالجة الموضوع مع ان الأقباط لم يدخروا وسعا فى ذلك الوقت فى التعبير عن سخطهم واستنكارهم •• حتى لقد رفض مطران الشرقية أن يقابلنى واعتذر باكثر من حجة لولا أننى ذهبت اليه على حين غرة ومكثت معه طويلا حتى أهدىء بعض ما فى نفسه ولو فى الظاهر • ثم أسرعت الى مصر وقابلت من استطعت الى ذلك سبيلا فى دار البطريركية •• وهكذا كانت الأمور قد بدأت ترتبك •• ويتجلى التخبط فى سياسة الحكومة التى كان من الواضح أنها تريد أن ترضى الشعب بالمضى فى الكفاح من ناحية ، ثم تخشى على نفسها من الملك وعلى مصالح الطبقات التى تتألف منها فتتخذ اجراءات ضد الشعب •• واجراءات فى الاتجاه المضاد للكفاح • وكان هذا التأرجح وهذا التناقض نذير كوارث ، فليس أخطر من السياسة المذبذبة •

ورأيت أن أبعث بخطاب لأرسكين أنذره فيه بعاقبة طيشه وايغاره صدور المصريين الى هذا الحد بتعذيب الشهداء ورمى جثثهم الى الكلاب وهدم بلدة التل الكبير واحتلالها • ورأيت أن يأخذ الانذار طابعا عسكريا ليتسم بالشجاعة والجرأة التى اتصف بها فدائيو الاشتراكيين وليكون أبلغ فى التأثير سواء فى معنوية الانجليز أم فى رفع حماسة المصريين •

ففكرت أن يحمل الانذار مجاهد مصرى وأن يتقدم الى خطوط الانجليز حاملا علما أبيض طبقا للنظام المتبع بين الجيوش •

واعددت الخطاب وهو مكتوب بالعربية وعنوانه : من عبد الله أحمد حسين الى أرسكين قائد القوات الانجليزية ، واستعرضت فى الخطاب تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية ، وأن انجلترا بدأت

بالاعتداء على مصر وأن استمرار وجود جنودها فى مصر هو استمرار لهذا العدوان ، وأن مصر اذا قامت اليوم تعمل على اجلاء الجيوش البريطانية عن أرضها فهى تقوم بعمل مشروع فكيف يسمح الانجليز لانفسهم أن يعاملوا الفدائيين الذين يقعون فى أيديهم معاملة وحشية فيعذبوهم ثم يقتلوهم ؟ وكيف يسمح الانجليز لأنفسهم أن يحاربوا المدنيين فيخربوا بيوتهم ويدكوا قراهم وذلك فى الوقت الذى لايزال فيه المصريون يعاملون المدنيين الانجليز بكل انسانية وبكل اكرام ففى مصر يعيش ثلاثون الف انجليزى فى رعاية الحكومة المصرية والشعب المصرى ".

وحذرت أرسكين اذا هو استمر على اساليبه الفاشمة فان غضب الشعب المصرى سينفجر ولا يعلم سوى الله مدى الكوارث التى تقع نتيجة ذلك وان توسيع نطـــاق المعركة والكوارث التى ستحدث انما يقع وزرها على رأس الانجليز الذين يأبون ان يسمعوا صوت العقـــل .

ومازلت اذكر حتى الآن كيف صلينا الجمعة فى مســـجد السيدة زينب ثم خطبت بعد الصلاة شارحا حالة الفدائيين وسوء حالتهم وما يعانونه من نقص فى الذخائر والأسلحة وكيف بدأ الانجليز يضغطون علينا . وبعد الخطبة ركبنا سـيارة ابراهيم شكرى وقصدنا الى مقر قيادتنا فى الزقازيق فوصلنا فى ســاعة متأخرة قبيل الغروب وأردنا أن نؤجل ارســال الخطـاب ، ولكن شابا تقدم وأعلن اصراره على أن يحمل الخطاب فورا فاستخرنا الله ثم قلنا له سر على بركة الله واعطاه ابراهيم شكرى منديله ليكون بمثابة الراية واعطى خيزرانة صغيرة ليرفع عليها المنديل . ثم كان فى صحبته بعض الفدائيين فركبوا عربة جيب وساروا به الى قبيل نقطة التفتيش ، فانزلوه من العربة وبدأ يتقدم صــوب الخطوط الانجليزية التى كان الاقتراب منها ممنوعا بعد الغروب .. وظللنا

ننتظر عودة الجماعة فعادوا فى ساعة متأخرة من الليل وليس معهم المجاهد . فسألناهم عنه فقالوا لقد انزلناه على بعد نصف كيلو من النقطة الانجليزية فراح يقترب منها حاملا علمه الأبيض وظللنا ننظر اليه حتى اختفى عن أبصارنا وظللنا ننتظر فلم نسمع اى حركة او صوت ولم يرجع لنا فرأينا ان نعود ادراجنا .

وكان علينا وقد أرسلت الرسالة أن نوزعها على الصحف وان نشرح خطتنا ولماذا أخترنا هذا الأسلوب لتوصيل الرسالة فعدنا الى القاهرة وقصدنا جريدة الأهرام لتنشر الخبر بطريقة تساعد على حماية الشاب من أن يتعرض لأى ايذاء وعندما اتصلنا من جديد بالزقازيق وسألنا اذا كانت هناك معلومات عن الشاب فقيل لنا انهم لم يتلقوا اى معلومات فبدأ القلق يساورنى بشدة . وعندما عدت الى منزلى استقبلتنى زوجتى بانتقاد مسلكى والطريقة التى اخترتها لتوصيل الرسالة وأننى قد عرضت حياة شاب للخطر وكان يغنى عن ذلك كله ارسال الخطاب فى البريد .. ثم استعملت كلمة كان وقعها شديدا على نفسى لأنها كانت تطابق الواقع اذ قالت ما هذا انت عامل « تياترو » ؟! .

ولم يكن هناك جدال ان الحركة كانت حركة مسرحية قصد بها خلق تأثير للدعاية .. ولا بأس فى حركات الكفاح ان تستخدم المؤثرات من هذا السبيل ولكن اذا كلفتنا حياة مجاهد فانه يكون ثمنا باهظا وأكون مسئولا أمام الله عن دم هذا الشاب مسئولية لا أستطيع الفكاك منها .. فهاأنذا جالس فى بيتى مع زوجتى ثم أرسل شابا ليقتل بين براثن الانجليز .

وأصابنى الفزع من أن يحدث ذلك بالفعل فبدأت اتصل بالتليفون مع الزقازيق ولم يكن هناك خبر جديد فطلبت من (الترنك) الزقازيق ان يصلنى برئيس الجمعية التعاونية فى

الاسماعيلية فايقظه من النوم محدثته بالخبر وطلبت منه ان يتصل بالبوليس المصرى ليتصل بالانجليز ويسأل عن الشاب ومصيره وسرعان ما عقدنا مؤتمرا تليفونيا فكان هناك أشخاص فى الزقازيق وفى الاسماعيلية وفى مصر ، الجميع يتدارسون معى هذه المشكلة . وقد هدأ نفسى احد ضباط البوليس فى الاسماعيلية وأن الشاب لن يمسه أى خطر وأننا يجب أن ننتظر الى الصباح ·

وظللت طول الليل ساهرا وقد تعبت اعصابى وانهارت معنوياتى كلما تصورت ان يموت هذا الشاب .

لا أصلح للقتال

وفى وسط هذه الحالة السيئة التى غرقت فيها ، قلت لنفسى اننى لا اصلح لأن أكون قائدا عسكريا .. فبعد أن فرحت لمقتل الانجليز ثأرا للشهداء المصريين بدأت أشعر باشفاق شديد على هذا الكابتن الانجليزى الذى قتلوه عندما رحت اقلب فى مفكرته الجيبية ، وقد أثبت فى هذه المفكرة عيد ميلاد زوجته وعيد ميلاد والده وعيد ميلاد امه وتاريخ زواجه ·· كان مجرد استعراضى لهذه التواريخ كافيا لكى يشعرنى بالحزن للمصير الذى انتهى اليه .. ورحت اتصور كيف سيبكيه الآن امه وابوه وزوجته وفكرت أن أبعث اليهم بمفكرته ومخلفاته وأن أقول لهم اننا نحن المصريين شديدو الحزن لمقتل أولادهم ولكن المسئول عن موتهم هو تشرشل وحده وجماعة الاستعماريين الذين ارسلوا بهم الى بلادنا لكى يقتلونا ويسلبونا حريتنا . فأصبحنا مضطرين لأن ندافع عن الشعب بقتلهم ·

وراح يلح على هذا الخاطر ويتجسم فى نفسى ـ ولم تكن هذه أول مرة تتجسم فى نفسى ـ فكرة استساغة أن يكون على

« يدى » موت أى انسان .. فمن قبل تطوعت فى حرب فلسطين وكنت فى طليعة من دخلوا الى فلسطين وكان قائدنا هو اديب الشيشكلى — رئيس سوريا الآن — .. وبعد قليل اكتشفت فى أعماق نفسى أننى مستعد لأن أموت فى يسر وسهولة ولكن الذى لا أتصوره أن أرى نفسى مضطرا لأن اقتل انسانا وأن طبيعتى لا يلائمها ذلك ، ولذلك فقد انسحبت .. وعندما دخلت فلسطين بعد ذلك مرتين دخلتها وأنا غير مدجج بالسلاح وكنت أشعر أننى اكثر قوة وأنا اعزل من كل سلاح مما لو كنت مسلحا بالفعل .

هذا هو الشعور الذى عاودنى ابان اقامتى فى الشرقية وقد بدأت أحرض المجاهدين وأراهم وهم ذاهبون ليقتلوا وأفرح وأطرب عندما يقولون لى انهم قتلوا .. لم يلبث ان تولاه نفس الشعور القديم الذى أحسسته فى فلسطين وهو اننى أوثر أن أموت أنا من أن اصدر امرا بقتل انسان . وقد يكون ذلك ضعفا فى نفسى لا يتفق مع قائد حركة .. ولكنها حقيقة يجب أن اعترف بها .. والآن عندما حدث حادث هذا الشاب وبدأت المخاوف تساورنى أن يكون قد مات .. وكان مبعث الخوف ان يكون قد قتل قبل أن يصل الى الانجليز . كان يكونوا خافوا منه وهو يتقدم فى الظلام .. أو ظنوا أن العلم الأبيض هو خدعة وأنه فدائى يريد أن يقترب منهم لكى يقذف بقنبلة ففضلوا أن يقتلوه قبل أن يقتلهم . كان هذا هو مصدر مخاوفى وهواجسى ، أما لو وصل اليهم سالما فلم أكن أشك انهم لا يقتلونه لأن مثل هذا القتل يكون جريمة يهتز لها العالم بأكمله فمنذ بدء الخليقة والرسول يحترم .. حتى بين المتوحشين .

ومع ذلك فقد ظلت المخاوف تتعاظم فى نفسى فيرتجف جسدى لهول المسئولية وبدأت حرارتى ترتفع وبدأت أشعر بالمرض يدب

الى نفسى .. وسرعان ما قطعت بأننى لا أصلح لهذا النوع من الحياة العسكرية التى تستلزم قتل الأعداء واحتمال خبر موت الانصار . وقد كان لهذا الحالة التى المت بى بسبب تأخر هذا الشاب تأثير فيما تولد فى نفسى بعد ذلك من خواطر أدت الى انسحابى من الميدان .

ومن الصباح جاءت الأنباء أن الشاب قد عاد سليما معافى فحمدت الله عز وجل أن جنبنى هذا الألم الشديد واليأس القاتل فيما لو كان هذا الشاب قد قتل .

اعادة مصر الفتاة ومصادرتها

وعند هذا الحد أدركت أننى لن استطيع ان اكون ذا جدوى فى ميدان القتال وأن ميدانى الحقيقى الذى استطيع ان اخدم به المعركة هو الصحافة ويجب أن يؤدى كل انسان دوره الذى يحذقه أكثر من غيره . فللحرب اقوام وللقلم أقوام .. واننى قد أخذت نصيبى من المخاطر وهاأنذا تحديت الانجليز حتى درجة الانذار فلو كان هناك انسان أول مهدد بالقتل فى مصر على يد الانجليز فسوف أكون هذا هذا الانسان .. فيجب أن يطمئن ضميرى الى أننى شريك فى مخاطر المجاهدين وأن على ان أعاود اصدار الجريدة بعد أن اتضحت لى خطوط المعركة وبعد ان ظهرت لى الحقائق وأصبح من الجلى أن الحركة الوطنية ستطعن من الخلف فلقد كان حافظ عفيفى يضاعف نشاطه يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى .. وكان عبد الفتاح عمرو يفاوض الانجليز من وراء ظهر الحكومة .. وكان سراج الدين لايزال عند موقفه المائع بالنسبة للمجاهدين .. كل ذلك جعلنى أعتزم اصدار الجريدة التى كنا قد أوقفناها احتجاجا على توالى المصادرات التى عادت على أشدها بعد هجومنا على حافظ عفيفى وتعيينه .

فجمعنا بعض المال لشراء الورق اللازم . وحرصت فى اعداد الجريدة ألا تتضمن هجوما على الملك أو على الحكومة بطريقة شديدة وذلك لتفادى مصادرتها وكان أهم ما يحتويه العدد هو نص الانذار الذى بعثت به الى أرسكين

وبينما كنا نطبع الجريدة حرصنا على ان نتصل برجال وزارة الداخلية لكى يوفدوا من لدنهم من يطلع على العدد ويرى اذا كان به ما لا يوافقون على نشره . ولكنهم راحوا يراوعوننا حتى فرغنا من طبع العدد ثم جاءوا لمصادرته فكان ذلك هو الدليل على أن القوم لا يريدون لنا اى مظهر من الحياة او النشاط أو الحرية الا حرية الموت فى الشرقية فقد أصبح محظورا علينا ان نجتمع أصغر اجتماع . محظورا علينا أن نكتب أى لون من الكتابة .. والشيء الوحيد الذى ظل مصرحا لى به ان أذهب الى الشرقية عساى أن أموت بها برصاصة من الانجليز او رصاصة من غير الانجليز كما كشفت الحوادث فيما بعد .

وكانت مصادرة هذا العدد صدمة شديدة لى حتى انى عندما ذهبت الى المحكمة وراح ممثل النيابة يترافع مدللا على وجوب مصادر العدد جلست وقد وضعت يدى على خدى .. وعندما فرغ من مرافعته نظر الى رئيس المحكمة وسألنى اذا كان لدى ما أقوله فأجبت بالنفى وظللت أنظر اليه وأنا تائه شارد اللب .. لقد كان القهر يملأ نفسى ، لم أكن أعرف ماذا أفعل حيال هذا التحكم .. ان مصادرة العدد تعنى مصادرة خمسمائة جنيه كما قدمت جمعناها بشق النفس .

ومواصلة المصادرة بهذا الأسلوب التعسفى كلما حاولنا أن نعاود اصدار الجريدة معناه الحكم علينا بالاعدام الادبى ... ولذلك فقد كان الموقف لا ينفع فيه قول أو حديث .. وانصرفت

من المحكمة بعد أن أصدر رئيسها أمره بمصادرة العدد وأنا معتزم أن اعتزل كل شيء وان اعتكف احتجاجا واستنكارا لهذا المسلك الذى تسلكه الحكومة حيالنا .. وأن هذا هو السبيل الوحيد لمعاقبة الحكومة لموقفها . وقد يدهش الكثيرون كما دهشوا دائما عندما كنت اعتبر انسحابى من الميدان أو تعطيل الجريدة هو عقاب للحكومه مع أن هذا هو أقصى ما تتمناه ، ولكنى كنت أحس احساسا عميقا أننى اذا انسحبت واعتزلت أو اعتكفت وتوقفت عن الكتابة واصدار الجريدة فان الحكومة لابد أن تدفع ثمن ذلك وأن تدفعه غاليا ..

شعور بالخوف

على أن فكرة الاحتجاج والاستنكار لم تكن وحدها هى الحافز لى على التفكير فى الانسحاب والاعتزال ولكن عاطفة أخرى ملأت نفسى هى التى عززت هذا الخاطر وقوته فى نفسى وذلك هو الاحساس بالخوف . لقد كنت منطلقا فى كفاحى ضد الملك وضد الانجليز بعد ذلك وانتهيت وأنا أهاجم تعيين حافظ عفيفى بهذه الصفة الى أننى أعلنت الحرب على الاثنين معا ، ومع ذلك فلم تتسرب الى نفسى ذرة من الخوف .. وقد أرسلت انذارى لأرسكين بهذا الأسلوب من التحدى دون أن استشعر أى خوف الا هذا الذى وصفته من أن يعتدى على الشاب الذى يمتت به . وعندما صودرت الاشتراكية بهذا الأسلوب البشع اذا بى امتلىء بالخوف فجأة واستشعر أن كوارث ونكبات ستحل بنا .

وجريا على سنتى ومنهاجى فقد بادرت باخطار اخوانى وبصفة خاصة ابراهيم شكرى وحلمى مراد بما اعترانى من الاحساسات وقلت لهم فى عبارة واضحة صريحة : اننى اتصور

ان طوفانا ضخما من الكوارث والآلام والمصائب يوشك أن يحل بالبلاد وان هذا الطوفان سيكتسحنا في طريقه ومصائبه .. وان قلبي قد امتلأ بالخوف فجأة وليس لذلك من تعليل الا هذا المجهول الذي يوشك أن يقع . واقترحت عليهم أن نتفادى وقوع الكوارث بأن أسرع الى الانسحاب من الميدان وان ألجأ الى الاعتكاف في الريف او بالأحرى في شربين عند ابراهيم شكرى . ولقد بهت اخواني الذين سمعوا هذا العزم ولم يتقبلوه بسهولة . وكان ابراهيم شكرى هو اكثر الجميع معارضة وراح يتساءل ماذا سيقول الناس في هذا التصرف المفاجيء الذي لا مقدمات له . ان احدا لن يستسيغه ولن يفهمه وسوف يسيء الجميع تفسيره . قلت له سوف يفهمون التصرف على حقيقته عندما تقع الكوارث التي أحس انها واقعة وعندها فسوف نسترد كل الأرض التي فقدناها . ولكن الدكتور محمد حلمى مراد انضم الى ابراهيم شكرى في تثبيط عزمي وأسرع حلمي المنصور الى موافقتي بغير تفكير او مناقشة استنادا الى أن الحوادث قد دلت على أن احساسي لا يخطيء .. وانتهت المناقشة الى فكرة وسط اقترحها ابراهيم شكرى لتكون بمثابة تهيئة لذهن الرأى العام وهي ان اعد بيانا مفصلا يصلح ان يكون حيثيات لهذا القرار دون ان اعلن القرار نفسه ونكتفي باذاعة هذا البيان على الرأى العام ولا بأس بعد ذلك أن انسحب في هدوء وفي غير ضجيج وبدون اعلان .

فاقتنعت بهذا الرأى ووضعت هذا البيان او بالأحرى هذه الحيثيات التي تدين الحكومة وتشجب موقفها وتثبت بالدليل والبرهان وتحليل الوقائع أن استمرار الوزارة في الحكم واستمرار هذه السياسة التي تسير عليها سينتهي بالبلاد الى كارثة محققة ومصائب وجرائم يقشعر لهولها الولدان وبعد أن فرغت من اعداد

البيان رأيت أن أضيف اليه فى النهاية النتيجة الطبيعية له ، وهو اعــلان انسحابى .

وأسرعت بعد اعداد البيان الى دار أخبار اليوم لتطبع لنا بعض نسخ منه وحددنا يوم الخميس ٢٤ من يناير لاذاعة البيان ودعونا الى عقد مؤتمر صحفى لتلاوة البيــان عليهم ثم اعطــائهم صورة منه بعد المناقشة فيه .

وأسرع مصطفى امين الى مســاونتى فى طبع البيــان بالدقة والسرية اللازمتين فقد كنــا نخشى أن تداهم الحكومة المطبعة وأن تصادر البيان وبالتالى الاجتماع .

وفى الساعة الثانيــة صباحا فرغنــا من اعداد البيــان الذى استغرق صفحة كاملة من صفحات الجرائد اليوميــة وأسرعت به الى البيت وكنا فى صبيحة الأربعاء .

وجاءنى ابراهيم شكرى ليزورنى فى البيت وكنت قد بدأت أحس بالتوعــك فوجد البيــان قد اشــتمل على اعــلان موضــوع الانسحاب والاعتزال السياسى المؤقت .

فقال لى أو لم نتفق على الا يتضمن البيــان هــذه الفقرة فرحت أقنعه بوجوبها وان احساسى يدفعنى اليها ولكن حن آثارها ما يكون . . ولكنه استطاع باصراره أن يقنعنى من جديد على ضرورة حذفها من البيان .

واخــلاص ابراهيم شــكرى لى وللحركة وتفانيه فى سبيلها يجعلنى لا استطيع الا أن أوافقه على أى من آرائه اذا أصر عليــه فوافقت على أن نحذف هذه الفقرة .

وجاء محمد حلمى مراد وكمال سعد وراح ثلاثتهم (يشطبون) بالحبر الأســود على نص عبــارة الانسحاب وكانت فى البيــان

وفى ختامه بينما جلست مستلقيا على أحد المقـاعد وقد ارتفعت حرارتى وزادت وطأة المرض .

وفى ســاعة متأخرة من الليل تم تصحيح كل النسخ التى كانت تبلغ المائتين او الثلاثمائة .

وزيادة فى الحرص دعـا ابراهيم شكرى الأستاذ محمد أبو ثريا ناظر مدرســة مصطفى الوكيل وكلفه أن يعمل على طبع البيـان (بالرونيو) خاليا من هذه الفقرة الأخيرة فاسرع الى تنفيذ هـذا الأمر واعد بالفعل نسخة من البيـان على الآلة الكاتبـة فالرونيو خالية من قرار الانسحاب والاعتزال .. وقد كانت احدى هـذه النسخ هى التى وقعت فى يد النيابة بعد ذلك والتى اتخذت منها دليلا على مسئوليتى عن حوادث يوم ٢٦ من يناير بعد ذلك .

يوم الخميس ٢٤ من يناير

واخيرا جاء يوم الخميس ٢٤ من ينـاير وكانت الســاعة الخامسة بعد الظهر معدة للاجتماع بالصحفيين واذاعة البيان . وكانت حالتى العامة قد ازدادت سوءا فلازمت الفراش طوال النهار ورحت أتنـاول الأشربة الساخنة وحبات الأسـبرين استعدادا للمساء . وفى الساعة المقررة توجهت فى سيارتى الى دار الحزب حيث كان يغص بالحركة والنشاط وجاء حشد من الصحفيين الذين يمثلون مختلف الصحف وكان على رأسهم الأسـتاذ مصـطفى القشـاشى سـكرتير النقابة واسرة التحرير فى جـريدة الأســاس وعلى رأسهم الدكتور على الرجال وأبو طالب والأستاذ حسـنين هيكل ممثل دار أخبار اليوم وعشرات من المندوبين الآخرين .

وبعد أن تناول الجميع فنجانا من الشاى بدأت أطالع البيـان وقد كانت المطالعة مرهقة لحالتى الصحية من ناحية وطول البيـان من ناحية ثانية ولكننى فرغت منه فى النهاية فصفق الحاضرون تصفيقا شديدا ثم راحوا يناقشوننى عن تفاصيل بعض ماجاء فيه وكان من الواضح أن جميع الحاضرين يوافقون على ماجاء فى البيان وان كل مناقشاتهم كانت تدور حول المزيد من سماع تفاصيل سوء حالة الفدائيين ، او ما اشرت اليه من المؤامرات التى تدور فى الخفاء والتى تعمل على طعن الحركة الوطنية ٠٠ وكانت بعض الأسئلة تدور حول ما هى الوزارة التى تعقب هذه الوزارة ان هى سقطت وما نوع السياسة التى تنتهجها وكان ردى على ذلك قويا وحازما ٠٠ ألا وهو أن الوزارة بحالتها الحاضرة وسياستها يجب ان تسقط فورا اذا أريد تجنيب البلاد الكوارث والأخطار ٠٠ امـا نوع الوزارة التى تليها فمسألة لاتهمنا قدر مايهمنا الآن ايقاف هذه السياسة ذات الوجهين والتى تقابل الشعب بوجه والانجليز بوجه آخر والملك بوجه ثالث فان ذلك سيكون هو مبعث الكوارث ٠ وعقب انتهاء المناقشات وزع البيان على الحاضرين فاسرعوا به الى دور صحفهم ٠

وكانت الجموع التى اعتـادت الاجتمـاع كل خميس فى دار الحزب الاشتراكى متجمعة فى انتظار سماع البيان بدورها ٠

وكانت المناقشة وما ولدته فى نفسى من الحرارة الصـحية قد حسنت حالتى فنزلت الى الدور الأرضى ورحت اتلو عليهم بعض فقرات من البيان وافسره واشرحه بما يتناسب مع الاشتراكيين الذين سمعوا هذا الكلام من قبل اكثر من مرة ٠

ومرة أخرى طغى على هذا الشعور بضرورة اعلان انسحابى واعتكافى فاذا بى اقول لهذه الجموع المحتشـدة ان هذا البيـان

الذى وزعته على الصحفيين يتضمن فقرة تتضمن قرارى بالنسبة للموقف وهو انسحابى من ميدان المعركة احتجاجا على التصرفات الحكومية ضدنا وسياستها العامة وأننى سوف أعتكف فى الريف لأكون بريئا من مسئولية ماسوف يقع على البلاد من كوارث ونكبات ٠

وانتهى الحديث وسط التصفيق والهتافات وصعدت الى حجرتى فى الدور الأعلى بينما لاحقنى ابراهيم شكرى ليعتب على عودتى الى اذاعة حديث الانسحاب والاعتزال ٠٠ فقلت له يا ابراهيم أنت تعرف ان نفسى عندما تنبض بشىء فلست أستطيع ان اكتم هذا النبضان او اوقفه ٠ اننى اشعر بالكآبة تزحف على نفسى وتغمرنى بصورة عجيبة وليس من سبيل لكى اخلص من هذا الشعور الا ان انسحب فورا وسريعا ٠

وفيما نحن نتحدث كان المنصرفون من اعضاء الحزب يهتفون هتافات عدائية لسراج الدين وللحكومة فانزعجت من هذه الهتافات وزادت الكآبة فى نفسى ، فبعثت للأعضاء من يأمرهم بالاخلاد الى السكينة والانصراف فى هدوء ونظام بعيدا عن كل هتاف واخلال خاصة ان البوليس كان يحيط بالدار بكميات ضخمة ٠

ولم يكد الرسول الذى اوفدته يغادر الحجرة حتى سمعنا صوت جلبة فى الطريق وكر وفر وصراخ فتصورت ان ماحذرته قد وقع وان البوليس اعتدى على الاعضاء ولكن ابراهيم شكرى نظر من خلال النافذة المغلقة فاذا به يقول لى ان المعتدى ليس البوليس ولكنهم بعض الشبان الوفديين الذين كانوا مجتمعين فى النادى السعدى هم الذين يهاجمون اعضاءنا الذين ارتدوا الى دار الحزب ليحتموا بها وكان ذلك نذيرا بقيام معركة استعمل فيها الطوب الذى انهال على دار الحزب كالمطر من دار النادى السعدى

وبدا أعضاء الحزب الاشتراكي يتعازون ويخــافون والوفــديون يهاجمون حتى خيف ان يهاجموا الحزب من الداخل .. فطلبت من جميع الأعضاء الذين جاءوا ليحيطوا بى ان ينزلوا ويخرجوا الى الشــارع والا ضربوا وذبحوا فى عقد دارهم ٠٠ وفيما هم ينزلون سمعت صوت طلقات نارية فصرخت اسأل عن مصدر هذه الطلقات وخفت ان يكون أحد أعضاء الحزب مصــدرها فاقســموا لى ان الوفديين هم الذين أطلقوا النيران ..

وهكذا وجدت نفسى فجأة وسط معركــة حاميــة الوطيس لانعرف كيف تنتهى ولامدى المسئوليات التى ستترتب عليها فغمرنى الاستســلام وانتظرت ماتجرى به المقادير وطلبت ان يعد لى فراش لأنام عليه فقد شعرت بازدياد وطأة المرض وطلبت الاتصال بالنيابة وابراهيم امام فى المحافظة ٠

وكان اطلاق الرصاص قد جعل البوليس يتداخل فى الأمر منعا لتفاقم المسائل فحال بين الوفديين وبين معاودة الهجـــوم وهدأت الأحوال وضرب البوليس الحصار على الحزب ليمنع خروج أى واحد منه ريثما تأتى النيابة وتضبط الواقعة الخطيرة ٠

ولست أعرف عندما انسحبت الى حجرة النوم لأرقد فيها اذا كنت قد نمت ام لا ٠٠ ولكنى حوالى الســاعة الثانية صباحا أو قبل ذلك بقليل أخطرت ان النيابة الآن تفتش الحزب وتعاينه فارتديت ملابسى على عجل وذهبت الى حيث كان وكيل أول نيابة جنوب القاهرة الأستاذ عدلى نسيم يعــاين الاتلافــات التى اصــــابت الحزب ومن حوله ابراهيم شــكرى وباقى الأعضــاء ٠٠ فسلمت عليه وأخبرته بنبأ مرضى فتمنى لى السلامة ٠ وبعد ذلــك بــدأ البوليس فى تفتيش أعضاء الحزب تمهيدا للسماح لهم بالانصراف بعد قيد أسمائهم وعناوينهم ٠ وقد انتهت هذه العملية فى الساعة

الثالثة صباحا وسمح لنا جميعا بالانصراف بعد ذلك فوصلت الى الجراج الخاص بعربتى فى هذا الوقت المبكر من صباح يوم الجمعة ٢٥ من يناير وسألنى صاحب الجراج عن الوقت الذى احتاج فيه الى العربة فقلت له اننى مريض ولن احتــاج الى العربة ·· وقد شهد الرجل بذلك عندما سأله البوليس ، فلما علموا أن شهادتـه لصالحى وتثبت عدم خروجى من البيت صدوه اذا هو تقدم للشهادة بعد ذلك ·

وعندما آويت الى فــراشى كان عزمى وتصميمى قد اســتقر على وجوب تنفيذ عزمى بالانســحاب فورا وكنت قد سمعت ابراهيم شكرى يعلن عزمه على السفر الى شربين فقررت أنه فور أن ارتاح قليــلا أتصــل به فى التليفون وأطلب منه ان يحضر لأخــذى معه الى شربين فورا ·

وعلى هذا العزم نمت بضع ساعات واستيقظت فى الساعة الثامنة على ما اذكر حيث قيل لى ان بعض الطلاب ومعهم ضابط من الجيش يطلبون مقابلتى · فقابلتهم وأنا فى شدة الضجر لتعبى فاخبرونى انهم فى طريقهم الى الشرقية وانهم فى حاجة الى بعض اشياء ·· ولم يكادوا ينصرفون من عندى حتى طلبت ابراهيــم شــكرى فى التليفون فاذا بهم يقولون لى انه قد ســافر الى شربين فعجبت لذلك متى وكيف سافر وقد غادرنا بعضنا فى الساعة الثالثة صباحا ونحن الآن قبيل التاسعة ولم اعرف كيف سافر الا بعد ان اتصلت به فى شربين تليفونيا بعد ســاعة وفهمت منه انه سافر بعد ان غادرنى فى الثالثة صباحا على الفور ·

فعتبت عليه لماذا لم يأخذنى معه فقال لى انه لم يكن يتصــور وأنا متعب بهذه الصورة ان يأخذنى معه فى هذه الساعة المبكرة من الصباح وأنه سيعود الى مصر قريبا جدا ليأخذنى الى شربين ··

وانقضى اليوم فى هدوء نسبى وارسلت لى السيدة بهيجة البكرى فيما اذكر دواء (لاتفرفر به) ولكنى لم استعملــه .. واعتذرت عن مقابلة احد وارتفعت حرارتى الى ٣٨٫٥ وعند المساء ترامت الينا الاخبــار بما حدث فى الاسماعيلية حيث طلب الانجليز من قوات البوليس المرابطة بها ان تسلم لهم دار المحافظـــة وان يسلموا اسلحتهم للانجليز . وقد صدرت الأوامر لهؤلاء البؤساء بالمقاومة حتى النهـاية .. وقد قاوموا فى بســـالة حتى النهاية فقتــل منهم اربعون وجرح فريق آخر واسر باقى القوة وعددهـا الف جنــدى بضباطهـا ورؤســائها واستولى الانجليز على دار المحافظة . وهكذا وقعت اولى الكوارث التى توقعتهــا من هذه السياسة الشاذة سياسة فؤاد سراج الدين والذى يريد ان يحارب الانجليز بعساكر بلوكات النظام .

وقد أدركت على الفور ان هذا الخبر سيكون له وقع سيىء فى النفوس وستهيج مشــاعر الشعب فى اليوم التالى .. ولكنى مع كل حساباتى وتقديراتى لم اتخيل قط ان يحدث بعض هذا الذى حدث فى اليوم التالى .. يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ .

٢٦ يناير ١٩٥٢ ..
أطول يوم فى التاريخ

٢٦ من يناير ١٩٥٢

استيقظت لى صبيحة السبت ٢٦ من يناير فى ساعة متأخرة ـ من غير شك ـ لتقول لى زوجتى : ان محمود وصفى قد تكلم فى التليفون واخبرها بانه قد شاهد مظاهرة من عساكر بلوكات النظام وهم يهتفون : « نريد السلاح .. نريد السلاح .. أين الســــلاح يا نحاس ؟ » والجماهير تحيط بهم وتهتف معهم .

كان هذا هو الخبر الذى القته لى زوجتى فى هدوء وبساطة ، ولم تكن تعرف ـ من غير شك ـ انها بهذا الخبر تخط السطر الأول فى سلسلة متاعبها وآلامها التى تجرعتها طوال عام تقريبا لم يكن فى مصر كلها من عانى هذا الذى عانته .

وكان ردى عليها « ماذا تقولين .. عساكر يتظاهرون ؟! هذه ثورة » ولقد كانت ثورة بالفعل وادركت ذلك فى التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ من يناير ، حيث لم يدرك هذا المعنى سراج الديـن أو حكومة الوفد الا فى آخر النهار على اطلال مدينة القاهرة .

ومضت زوجتي تحدثني عن ملاحظة أخرى لاحظتها وهي خلو الميدان أمام بيتنا من العساكر كما هي العادة في مثل هذه الظروف .. فان بيتنا يقع عند نهاية كوبري عباس من ناحية الروضة ، وفي هذه المنطقة ترابط دائما قوات البوليس في انتظار مظاهرات الجامعة في طريقها نحو القاهرة لتصدها وتمنعها ، وفي هذا المكان وقعت واقعتا كوبري عباس الأولى والثانية .. الأولى عندما سقط شهداء « مصر الفتاة » والجامعة في نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، وعلى رأسهم عبد المجيد مرسي وعبد الحكيم الجراحي ، ومن بينهم ابراهيم شكري الذي أنجاه الله . والثانية في ١٩٤٥ خلال حكم النقراشي .

لذلك فقد اعتدنا ان نرى هذا المكان مكتظا بكل صنوف الجند في حالات الطوارىء .. وكانت زوجتي دقيقة في ملاحظتها عندما رأت المكان خاليا من جميع الجنود .. وكان ذلك - بالاضافة الى خبر محمود وصفي - يدل على ان رد فعل حادث الاسماعيلية قد ظهر بكل عنف بين صفوف عساكر البوليس بالذات .. وان كان ذلك وضعا طبيعيا باعتبارهم ضحية الحادث ، ولكن لم أكن أتوقع شيئا من ذلك .

وطالعت الصحف - الأهرام والمصري - وكانت عناوينهما ضخمة ومثيرة ، وبمجرد القاء نظري على هذه العناوين قدرت تأثيرها المخيف وان اليوم سيكون يوما مضطربا لا يعلم سوى الله ماذا تكون نتيجته .. ولكن أيا كان الاضطراب وصوره التي دارت في ذهني ، فقد كانت الصورة التي وقعت بالفعل هي أبعد ماتكون عن تفكيري .

وكانت حالتي الصحية احسن حالا - من غير شك - بعد الراحة الكاملة في اليوم السابق ، ولكنني شعرت بضرورة

الاستمرار في الفراش ·· وقد زادتني هذه الأنباء رغبة في التمسك بعدم مبارحة الفراش فتناولت طعام الفطور في الفراش بالذات ..
وبدأ جرس التليفون يدق وقد كان مقدرا لهذا الجرس الا يهدأ بعد ذلك لحظة واحدة .

وقد نسيت الآن أسماء هؤلاء الذين راحوا يحدثونني في هذا اليوم ويصفون لي مايرونه ·· مظاهرات عارمة يتوسطها العساكر ويحيط بها الجمهور ·· هذه مظاهرة في ساحة الجامعة ·· وهذه مظاهرة أخرى تتحدر من الأزهر نحو العتبة الخضـــراء ، وهذه مظاهرة ثالثة تاتي من بولاق يؤلفها عمال العنابر والترسانة ·· والبوليس في كل مكان جزء لا يتجزأ من المظاهرات ·· والصيحة في كل مكان « نريد السلاح ·· نريد الســلاح ·· اين الســلاح يا نحاس ؟ » ·

ضرورة اسقاط الوزارة

وعندما ينضـــم البوليس الى الشـــعب فهذه هي الثورة ، أو هذه هي الفوضى ، ولا يحق لحكومة ان تبقى لحظة واحـــدة في الحكم اذا افلت الزمام من يدها ، وانقلب عليها البوليس لأنه اداتها في حفظ الأمن واعلاء سلطان الدولة .. فاذا تمرد البوليس عليهـا فقد انتهت الدولة ·· ولذلك فلم يعد هناك اى مبرر في نظرى لأن تستمر الوزارة في الحكم اذا اريد تفادي كوارث خطيرة .

· واسرعت بالاتصال بالأستاذ مصـطفى امين في اخبار اليوم ·· وسألته عما لديه من اخبار ؟ فوجدتها تطابق ما عندي من الأخبار فسألته اذا كان يقدر خطورة هذا الذى يجرى ؟ فاجابني بالايجاب فقلت له : ان البلاد معرضة لخطر جسيم ولست أرى سبيلا لاطفاء نيران الفتنة الا اقالة الوزارة أو اقالة سراج الدين على الأقل باعتباره

وزير الداخليـة الذى انتهت سياســته الى هذه النتيجة المخزية ..
وطلبت منه أن يتصل بحافظ عفيفى الذى طالما طلب منى مصطفى
أمين ان أقابله لأشرح له وجهة نظرى ، فرفضت ذلك باصرار ، ولكن
ازاء هذه الحوادث لم يسعنى الا أن أطلب من مصطفى أمين ان يبلغ
حافظ عفيفى على لسانى بأن الحالة خطرة جدا ، وانه لابد لانقاذ
البلد من اقالة الوزارة أو على الأقل اقالة سراج الدين باعتباره
وزير الداخلية وتعيين وزير داخلية جديد .. فوعدنى مصطفى امين
بانه سيفعل ذلك ٠

وعادت التليفونات تدق .. تتحدث عن تطور المظـاهرات
وتفاقمها وكيف انضم اليها ضباط وعساكر من الجيش يحيطون
بمجلس الوزارة احاطة السوار بالمعصم وان الهياج قد بلغ اشده ٠

واتصل بى بعض طلاب الجامعة وطلبوا منى ان انزل لكى
القى نظرة على هذه المظاهرات الشعبية التى لا مثيل لها ، فصرخت
فيهم محتدا وسألتهم لماذا كانوا مجانين ليقترحوا هذا الاقتراح ؟!
وافهمتهم أننى مريض وملازم الفراش واننى لو كنت سليما معافى
لما نزلت الى الشـارع فى هذا اليوم العصيب الذى لا يعلم سوى
الله كيف ينتهى ٠

حريق كازينو اوبرا

ثم جاء الخبر المشئوم نذير الشر المستطير ٠٠ لقد حدثنـى
متحدث وأخبرنى بأن المتظاهرين اشعلوا النار فى كازينو أوبرا ،
ووصف لى المتحدث كيف أن رجال البوليس يقفون جامدين لايحركون
ساكنا ، بل ان بعضـهم يشترك فى تحريض المتظـاهرين ، وزاد
محدثى .. ان رجال المطافىء أنفسهم ـ وهم على بعد خطوات من
المكان ـ لم يتحمسـوا للاسراع نحو المكان لاطفـاء النـيران ..

وتملكني الخوف لدى سماع هذا النبأ وكان احساسي الغريزي قد بدأ يتنبه فاشعر بالخطر الذي يزحف نحوي ·

وعاودتني فكرة ضرورة اقصاء وزير الداخلية واقصاء الوزارة كلها لانقاذ البلاد ·· وحاولت الاتصال بمصطفى أمين لأسأله عما فعله فلم اجده في الدار ، وحدثني الأستاذ حسنين هيكل ولم يكن الخبر قد وصل اليه فحدثته عنه وعما يجري من مظاهرات حول مجلس الوزراء فعلق على ذلك بقوله : لقد اضطررت للسفر الى ايران أو الى سوريا لكي اكتب مقالا مثيرا ، اما الآن فما على الا ان انزل الى الشارع لكي أرى مثل هذه الحوادث .. فطلبت منه ان يتصل بي وان يخبرني أولا باول بما يرى ويسمع .

واسرعت للاتصال باسجار جلاد لاحمله نفس الرسالة التي حملتها لمصطفى أمين ولم اعرف ماذا فعل بها ·

وقد كنت أختار الأشخاص الذين أعلم انهم على صلات وثيقة بالقصر ورجاله ، فانه باستطاعتهم ان يعلموا طريق الاتصال السريع سواء عن طريق التليفون أم غيره ، وقد فاتني انه في الأزمات وفي المواقف الدقيقة كان المتصلون بالقصر يصبحون اعجز الناس عن ان ينقلوا خبر او يقوموا باي مهمة من اي نوع كان ولو كانت لصالح القصر الذي يعيشون في ظل نعمائه ··

اتصلت باسجار جلاد عقب حرق كازينو اوبرا فعلمت منه انه قادم من الاسكندرية ولا يعرف مدى خطورة الموقف ·· وكل الذي يعرفه ان البوليس هم بمصادرة جريدة الزمان ، ثم احتج عليه فاوقف مصادرة الطبعة الأولى التي كانت تتضمن انباء مظاهرات رجال البوليس وتمردهم ·· فحدثته عن خطورة الموقف وان حريق كازينو أوبرا ينذر بافدح الكوارث اذا لم يتداركه المسئولون الأمر

بكل شدة ، وان وزير الداخلية مسئول عن هذه الحالة بسياسته العرجاء المذبذبة ، وانه يجب ان يسقط حالا ليتولى مقاليد الداخلية رجل يعيد الأمن والنظام ويهدىء الحالة .

فقال ادجار جلاد ان مثل هذه الموضوعات لا يتكلم فيها فى التليفون وانه يريد ان يرانى .. فاخبرته باننى مريض وملازم الفراش وحيدا لو زارنى .. فاخذ نمرة البيت على أن يزورنى فى اليوم التالى .

وكان عندى اثناء هذه المكالمة الأستاذ اسماعيل عامر الذى جاء بدوره يصف لى مايجرى فى انحاء القاهرة ، ويطمئن على صحتى وقد جاءنى باحد العقاقير الطبية .

وكان حريق كازينو اوبرا بمثابة اشعال عود الثقاب .. فقد تلاه حريق سينما ريفولى ، ولم يكد يصلنى نبأ حريق سينما ريفولى ، وكيف ان ابراهيم امام والبوليس يقفون موقفا سلبيا ، حتى وصلنى نبأ حريق سينما مترو ، واحسست بلفح النار يغمرنى شخصيا .. فازددت تشبثا بالفراش وتصرفت كما يتصرف الأطفال عندما يفاقون بالليل أو يسمعون خبرا مثيرا فيغطون وجوههم باللحاف . وفى ذلك الوقت تمنيت لو أستطيع ان اعمل ذلك .

وانتقلت الحرائق ـ كما هو شأنها دائما ـ من هذه الأمكنة المركزة الى سائر انحاء القاهرة وتسامع اللصوص والسراق والعاطلون والمتشردون أن البوليس لا يتعرض للذين يحرقون أو يسرقون أو ينهبون .. فاستغلوا فرصتهم وراحوا فى كل مكان يحرقون السينما والمحلات كذريعة لسرقتها ونهبها .

وعند هذا الحد ادركت أن القاهرة كلها قد تلتهمها النيران اذا لم يظهر على المسرح عنصر يعيد النظام والهدوء .. بل إن الانجليز انفسهم قد يحتلون المدينة انقاذا لأرواح مواطنيهم ، أو بالاحرى استغلالا للفرصة لكى يضربوا حركة الجهاد الشعبى ضدهم .. فاسرعت بالاتصال بعلى ماهر لكى اقف على رأيه فى الموضوع واطالبه بأن يعمل شيئا لانقاذ البلاد .

وكان قد انقضى على زمن طويل لم اخاطب فيه على ماهر لجنوحه المستمر نحو تأييد مدرسة الجيل القديم من الساسة ، ولانه يأخذ بالأساليب الرأسمالية كغيره من الرأسماليين سواء فى تفكيره أم فى خططه ، ولذلك فقد كتبت منتقدا بعض تصرفاته وحدثت بيننا تبعا لذلك شبه جفوة ..

وكانت اخبار اليوم أو آخر ساعة قد اجرت استفتاء للشعب فيمن يقترحه رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت .. وحدث ان كنت فى الحجرة المخصصة لجمع أوراق هذا الاستفتاء ، فوجدت اكداسا من الأجوبة التى انهالت على الصحيفة من الرأى العام ، وكان التيار الغالب فى الآراء هو ترشيح على ماهر لرئاسة وزارة قومية .. ولما كنت اتأثر الى حد بعيد بآراء الرأى العام فلم يسعنى الا أن انضم الى هذا الرأى .

فلما أن وقعت حوادث القاهرة وبدأت تنذر بكوارث يشيب لهولها الولدان ، كما ذكرت وانذرت .. فقد اتجه فكرى على الفور الى على ماهر ليقوم بدور فى هذا اليوم لانقاذ البلاد .

فاتصلت به وكان هو الذى رد على ولم تكن فكرته عن الموقف تزيد على أن هناك بعض المظاهرات العادية .. فشرحت له ما يجرى وكيف أن العساكر من البوليس والجيش يحيطون بمجلس الوزراء فى مظاهرة صاخبة ويطالبون بالسلاح فاجابنى : هذه ثورة . فقلت له انها كذلك ، ثم حدثته عن الحرائق وخطورتها وامتدادها السريع من مكان الى مكان ، وطلبت منه باعتباره من أكبر ساسة مصر أن يتجه فورا الى القصر ، ويصر على وجوب مقابلة الملك لافهامه خطورة الموقف وضرورة العمل السريع لايجاد حل ، وذكرت له أن رأيى الشخصى هو اسقاط وزارة الوفد وتأليف وزارة قومية .. فوعدنى بأن نتصل على كل حال بحافظ عفيفى وانتهت المكالمة عند هذا الحد .

وبعد قليل من هذه المكالمة اتصل بى حلمى الغندور وهو فى حالة فزع من تطور الموقف ، وكيف أصبح النهب والسلب والحرق يتم بواسطة عصابات لا تجد من يردعها وأن القاهرة توشك بأكملها أن تصبح طعمة للنيران .

وخاطبنى آخرون فى مثل هذا المعنى .. ودق التليفون من جديد لتخبرنى زوجتى بأن المتكلم هو على ماهر نفسه فاغتبطت بهذه المكالمة التى دلتنى على شديد اهتمامه وان كان قد شهد بعد ذلك أمام المحكمة أنه كان فى هذه المكالمة الثانية انما يقوم باجراء بوليسى . فقد استراب فى المكان الذى خاطبته منه فأراد أن يتحق من وجودى بالمنزل فاتصل بى وهكذا كشف الرجل عن سريرته ونفسيته ، ولكن فى ذلك الوقت لم اتصور الا انه خاطبنى اهتماما بالموضوع الذى حدثته فيه .. وقد بدأ حديثه بأنه لم يستطع الاتصال بحافظ عفيفى ثم سألنى عما اذا كانت لدى معلومات جديدة فأنهيت اليه آخر ما وصل الى من معلومات ، وقلت له اننى أخشى اذا استمر الحال على هذا المنوال أن تحتل الجيوش

الانجليزية القاهرة .. فاجابني : اوصلت الأمور الى هذه الدرجة ؟!
فقلت له بل كلها أسوأ مما أتخيل وكررت ان الحل الوحيد هو أن تتألف وزارة قومية برئاسته وحذرته من أن تتألف الوزارة برئاسة حافظ عفيفي ، فهو شخص قد أصبح ممقوتا ومكروها من الشعب ، وعاتبته في صداقته عفيفي التي يتشبث بها ، فاجابني بأنني لم أقل شيئا عن حافظ عفيفي الا انه وطني ، وكان يشير بذلك الى حديث جرى له مع احدى الصحف وكنت لم اطلع على هذا الحديث وقد تصور انني اشير الى هذا الحديث .. فرحت اشرح له كيف ان الموقف الآن في السياسة اصبح يتلخص في حقيقة واحدة الا وهي « مع الشعب أو ضد الشعب » ، وأن أى سياسى يجب أن يقاس بهذا المقياس .. واسترسلنا في الحديث طويلا ثم قلت له اذا كانت صحتي ستساعدني غدا فانى ارجو أن اتمكن من المرور عليك لنتحدث في كل ذلك .. وعند هذا القدر انتهت المكالمة .. واستمرت الأحاديث التى تحمل لي الأنباء او تسألني عما اعلم من انباء تتوالى .. ولكن كنت قد بدأت استشعر خوفا غامضا من أنني لابد سأصاب بأذى من جراء هذه الحوادث . وقد بدأ هذا الشعور يتزايد حتى جاءني ما يؤكد ذلك الظن وما يدعونى لمبارحة المنزل خوفا من جريمة قتل تدبر لي وسط هذه الفوضى .. وكان آخر من جاءني هو الأستاذ على الغاياتى الذى قرر امام المحكمة انه خاطبني في الرابعة والنصف ، وكان كثيره يقص على ما يراه من مناظر المظاهرات ويسأل عن صحتي .. وقد فاتني أن اذكر أن جريدة الأهرام نشرت في صباح ذلك اليوم نبأ اعتكافى ومرضى فكان ذلك مدعاة لكثيرين للسؤال عن صحتي ، وبالتالى كنت أتلقى منهم مالديهم من انباء .

وتلقيت هذه المكالمة التى أشرت اليها فيما سبق والتى حذرنى فيها مجهول من خطر سيصيبنى فاسرعت وارتديت ملابسى على عجل وقلت لزوجتى ان بقائى فى المنزل بعد ذلك يعرضنى لخطر

جسيم .. فى وســط هذه الفوضى قد يجيئون لاعتقالى وقد يقتلوننى خلال ذلك .. فانزعجت المسكينة وأسرعت تساعدنى على ارتداء ملابسى فى لهفة ونزلت الى الشـــارع حيث أحضر لى ابنى مصطفى سيارة تاكسى ، فنقلنى الى منزل الدكتور محمد حلمـى مراد بشارع قصر العينى رقم ٤٦ ، وعندما صعدت الى شقته فى الدور الثالث وسألت عنه وجدته قد نزل وذهب لمقابلتى بالمنـــزل للسؤال عن صحتى ولتحذيرى من البقاء بالمنزل وسط هذه الفوضى التى توشك ان تغمر كل شىء ..

فلم يكد يصل الى بيتى حتى علم اننى فى بيته فلحق بى وابدى عجبه لهذا التوارد الفكرى العجيب .

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى كان ابراهيم شكرى — الذى دعوته من شربين — وقد وصل ، وجلسنا نستعرض الحوادث التى وقعت ، كيف اننا تنبأنا بوقوعها ، ولو كان قد ســـمع لانذارتنا وتحذيراتنا لنجت البلاد من هذه الكارثة .

وبينما كنا نتحدث دق جرس التليفون وسرعان ما ادركنا أن ما كنت أتوقعه وأحذره قد وقع بالفعل ، فقد قصـدت الى بيتى مجموعة من ضباط البوليس والجيش ليقبضوا على وقد ارتعدت فرائصى عندما سمعت نبأ ضباط الجيش الذين ذهبوا لاعتقالى . فلم يكن هناك أى مبرر لذهابهم الا ان يكون ذلك مصداقا لهـذا التحذير الذى وصل الى ، وقد زادنى ذلك اصرارا على الا أقع فى قبضة أيديهم فى هذه الفترة ، وتجسم فى خاطرى ان ذلك يعنـى موتى المحقق ، ولذلك فقد أعلمت ابراهيم شكرى بعزمـى على الاختفاء من وجه الحاكم العسكرى ، وقد فاتنى أن أذكر اننى كنت قد اتصلت فى ذلك الوقت بمصطفى أمين فى أخبار اليوم فأخبرنى

بأن سراج الدين قد ابلغ السراى بأن الاشتراكيين هم المسئولون عما حدث فى هذا اليوم ، فملأنى ذلك ذعرا لا زيادة بعده لمستزيد من ان تنسب الينا هذه الكوارث ، وانا مريض فى فراشى وابراهيم شكرى فى شربين وقد فاجأتنا كما فاجأت اى مصرى آخر .

وقد ضاعف ذلك فى اعتقادى بانه يراد التخلص منا بمناسبة هذه الحوادث .

ولذلك قد وافقنى ابراهيم شكرى والدكتور محمد حلمى مراد على ضرورة الاختفاء ريثما تستقر الأحوال وتتضح الحقائق وعلى ذلك فقد نزلنا من البيت وركبنا احدى سيارات الأجرة انا وابراهيم شكرى .. فنقلتنا الى منزل الروضة حيث يقيم الدكتور محمود فهمى ابن اخت ابراهيم شكرى ..

وفى بيت الدكتور سمعنا الاذاعة التى حملت الينا انباء اعلان الأحكام العرفية وتعيين مصطفى النحاس حاكماً عسكريا .. وسمعنا فى الاذاعة النطق الملكى الكريم الموجه لضباطه الذين دعاهم للمأدبة فى قصر عابدين بمناسبة « سبوع » ولى العهد . لقد كان المنطق الملكى الكريم يفيض بالقحة والتحدى والاستهتار ، ولقد احسست وانا استمع اليه وكان الملك يتحدانى به ويقصدنى بما تنضح به عباراته من الحقد ضد هذا الشعب .. وكان يتكلم عن الاضطرابات التى وقعت فى هذا اليوم . وانه فكر فى الغاء هذه المأدبة بمناسبة هذه الحوادث ولكنه رجع عن فكره وقرر ان يقيمها ، فليس ابلغ من اظهار سلطانه وقوته وانه لا يتأثر بهذه الخزعبلات من أن تقام الحفلة فى موعدها المقرر ..

وهكذا أقيمت المأدبة على وهج حريق القاهرة • ولست أتصور أن هناك جريمة من جرائم فاروق تفوق هذا الموقف الذى يذكرنا بعاهة نيرون عندما حرق روما وهو يغنى على قيثارته .. واذا كان نيرون قد هالته جريمته بعد ذلك فحرص على أن يلصق هذه الفعلة بدعاة المسيحية فى ذلك الوقت ، فألقى بهم الى الأسود الجائعة وسط شعب روما المتعطش للانتقام ، فكذلك كان شأن فاروق عندما حاول ان يلصق بالحزب الاشتراكى وبى بصفة خاصة هذه التهمة الشنعاء ليتخلص منا وسط لعنات الشعب وسخطه •

السفر الى الاسكندرية

وبعد تردد طويل فى هل الأفضل أن نبقى فى القاهرة وفى هذا البيت الذى وصلناه بالذات أم نسافر الى خارج القاهرة ، استقر رأينا على ان نبرحها على الفور الى الاسكندرية ، وقد قرر ابراهيم شكرى أن يزاملنى فى الاختفاء وفى المصير • فكان لذلك أعظم الأثر فى نفسى فليس هناك ما يقوى جنان المجاهد اكثر من أن يجد الى جواره رفيقاً مخلصاً أميناً كابراهيم شكرى •• وفى الأيام المقبلة لم أكن أفتأ أتذكر موقف الرسول وهو يهاجر خفية من المدينة والى جواره ابو بكر الصديق يشاطره الامه ومتاعبه وكنت أتمثل بنص القرآن « ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » •

وبدأنا رحلتنا فى حذر شديد خوفاً من أن تكون هناك أرصاد حول مدينة القاهرة ، ولذلك فقد درنا دورة طويلة جداً لنتفادى نقط المرور التى يعرف ابراهيم شكرى مواضعها لكثرة ما يذرع هذه الطرقات وقد امكن بالفعل أن نخرج من نطاق

القاهرة دون أن نرى أنفسنا مضطرين للوقوف فى أى نقطة من النقط .. وكان لنجاح اقامتنا فى الاسكندرية لابد لنا من رفيق يعد لنا الطعام ويتصل بالخارج ويشترى لنا الحاجات .. فكان من برامجنا ان نقصد الى عزبة ابراهيم شكرى فى شربين لاستصحاب احد رجاله الأمناء الذين يعتمد عليهم فى هذا الظرف ويسمى صادق . وعلى هذا بدأنا رحلتنا فى اتجاه شربين ، وكانت السيارة التى نستعملها أو بالأحرى سيارة الدكتور محمود فهمى من النوع الصغير جدا الشبيه ما تكون « بالجرادة » وكان يدهشنى انها تحملنا وتسير بنا وننتقل من بلد الى بلد فى جنح الليل على الرغم من اننا كنا نسير ببطء وحذر . وكان خوفنا يتجدد كلما اقتربنا من حدود بلد من البلاد خوفا من نقط المرور ، ولكن كان كل شىء يبدو عاديا . وعندما وصلنا الى طنطا فى منتصف الليل بدأنا نتردد فى الذهاب الى شربين وهل نذهب اليها بأنفسنا أم نرسل شخصا آخر لانجاز المهمة ونبقى فى انتظاره .. ولكننا خرجنا من هذا التردد بانطلاق السيارة بالفعل نحو شربين .

وقبيل الثانية صباحا كنا نقترب من شربين وبدافع احساس غريزى قلت لصاحبى يجب الا ندخل عزبة ابراهيم شكرى من الطريق الطبيعى بل لابد لنا من اختيار طريق لايكتشفنا من بلدة شربين نفسها وسرعان ما رسم ابراهيم الطريق الجديد الذى نسلكه للاقتراب من العزبة دون اجتياز الطرق العادية .. وهنا تجلت فائدة هذه السيارة (الجرادة) فقد بدأت تسير فى طريق لا تصلح لغير سير الدواب تقريبا وساعد ظلام الليل على مضاعفة وعورة الطريق وصعوبته حيث احتجنا الى ما يقرب من الساعتين لاجتياز مسافة لا تزيد على بضعة كيلو مترات .. وكانت السيارة تسقط بنا اكثر من مرة فى بعض الترع او المصارف . واخيرا

وبعد جهد استطعنا أن نقترب من العزبة من الخلف • فأوقفنا السيارة على بعد كيلو متر ونزل محمود فهمى ليستوثق من منازل القرية •• وكان أول من صادفه بطبيعة الحال الخفراء فطلب منهم ايقاظ صادق وبعد لحظات أدركنا سر هذا الحذر الشديد الذى استولى علينا ونحن نقترب من شربين فقد علمنا أن البوليس قد سبقنا اليها أو وصلها فى الساعة الواحدة صباحا وسأل عن ابراهيم شكرى وفتش القرية ثم عاد ثانية بعد ساعة أخرى ، واننا لو اقتربنا من القرية بالطريق العادى لصادفنا فى الطريق على وجه التحقيق •• وهكذا صدقنى احساسى بنعمة من الله كما صدقنى دائما •

وعلى الرغم من اننا كنا فى صباح ٢٧ يناير أى اننا فى صميم الشتاء والشمس تشرق متأخرة فقد انسحبنا من شربين وقد بدأ النهار يسفر •

وعدنا مرة أخرى من هذا الطريق الوعر الذى سلكناه للاقتراب من العزبة •• ثم الى الطريق العام وبدأنا الرحلة نحو الاسكندرية •

وفى طريقنا نحو طنطا مرة أخرى كان علينا أن نجتاز المحلة الكبرى وأن نشقها فى وضح النهار ، وأن نأخذ منها بنزينا وابراهيم شكرى معروف لكل الناس ولذلك فقد وضعت منظارا على عينى وأمسكت بصحيفة الأهرام الصادرة فى تلك اليوم وحجبت وجهى متظاهرا بالمطالعة فيها وكذلك فعل ابراهيم •• بينما كان الدكتور محمود فهمى يفرغ البنزين المطلوب •• وأخيرا وبعد فترة مرهقة على أعصابنا خرجنا من المحلة ، وتجسدت

المحنة فى طنطا ولم تهدأ اعصابنا بعض الشىء الا بعـد ان اجتزنا طنطا فى جو عادى وبارحنا الى الاسكندرية .

واستأنفنا الرحلة فى جـو عادى ولكن القلق كان يغمرنا بتوتر الاعصاب على اشده وكان ذلك يزداد كلما اقتربنـا من حدود الاسكندرية • فلا شك اننا سنلقى عند هذه الحـدود من ينتظرنا للقبض علينا ولذلك فقد اتفقنا ان نوقف السـيارة قبل نقطة المرور وان ينزل الدكتور محمود فهمى ليقترب من النقطة سيرا على الاقدام لاستطلاع ما بها •• ولكننا لم ننفذ هذه الخطة خوفا من ان يلفت النظر بهذه الحركة ، ورأينا ان نجازف بمصيرنا وواصلنا السـير ولم نقف عند نقطة المرور ولم يستوقفنا أحـد وهكذا دخلنا الاسكندرية فى الساعة الحـادية عشرة صـباحا ، ووجوهنا مصفرة من السهر والقلق والمجهود المتواصـل .. ولم نكد نسير على الكورنيش ونلمح زرقة البحـر حتى أحسسـنا بالراحة وخفت حدة التوتر الشديد التى كنا نعانيها •

وفى النهاية وصلنا الى البيت المقصود فى مصيف سيدى بشر وفى احدى شققه المغلقة وجدنا مستقرنا فى النهاية •

وكان أول همنا ان ناكل حتى اذا اكلنا تركنا الدكتور محمود فهمى ليعود لمزاولة عمله فى القاهرة ، ثم اوينا الى فراش النوم وكان الوقت عصرا فرحنا فى سبات عميق • وقد تكون استيقظنا مرة بعد ذلك فى الليل ثم نمنا من جديد واخيرا فتحنا أعيننا فاذا بنور الشمس ينفذ من خلال النوافذ المغلقة فدلنا ذلك على اننـا واصلنا النهار بالليل نوما واننا الآن اصبحنا فى يوم الاثنين ٢٨ من ينـاير •

وارسلنا وجلنـــا ليشترى لنا طعام الفطور وقد غاب طويلا ولكنه عندما عاد لم يكن يحمل فطورا فقط ، ولكنه كان يحمل نبأ ضخما جدا كأسعد ما يمكن ان يسمع الانســـان من أنباء ، لقد سمع الناس تتحدث عن أن الوزارة وزارة النحاس قد سقطت وأن علي ماهر قد ألف الوزارة الجديدة .. ولم أكد أصدق اذنى وأنا اسمع هذا النبأ فقد كان آخر ما أتصوره وأتمناه . ان على ماهر هو الرجل الوحيد في مصر الذى يشهد لي انني لم اكن ملازما بيتي في يوم ٢٦ من يناير فحسب بل انه الرجل الذى يشـهد كيف كنت انكر الحوادث واسعى جاهدا لانقاذ البلاد مما يهددها .. ان شاهد براءتي الأول قد أصبح هو رئيس الحكومة فاى فضل واى نعمة جزيلة قد أسبغها الله على ... ما أعجب الحوادث عندما تزيد وجهة نظره الى هذا الحد .. لقـد خاطبت على ماهر في يوم ٢٦ لكى يكون رئيسا للحكومة وها هو لا تكاد تمضى أربع وعشرون ساعة على مكالمتي له حتى يصبح رئيس وزارة بالفعل فكأنني كنت اصدر مرسوما بتعيينه عندما خاطبته . لقـد كان على ماهر في عقر داره وابعد الأشـياء عن خاطره ان يكون رئيسا للحكومة ، فكنت انا اول من اتصل به في هذا اليوم ليؤكد له الا حل لانقاذ البلاد الا ان يتولى الوزارة .. فكان هذا الذى اقترحت ولابد ان على ماهر سيذكر لي ذلك .. ولابد أنه سيلقى لي ذلك ولست أطمع في أن أكون وزيرا ، أو ان القى منـه جزاء او شكورا .. وكل الذى أطمع فيه وقد اصبح الرجل رئيسـا للحكومة أن يلغى الأمر الصادر باعتقالي ، وتحول كل همنا بعد سماع هذه الأخبار والتأكد منها أن نسرع الى القاهرة على أجنحة الريح بعد أن اصبحنا في امن وسلام بتولية على ماهر رئاسـة الحكومة .

ولم تكن لدينا سيارة .. وكانت سيارة ابراهيم شكرى ستصل ولكنا لا نعرف فى أى ساعة تصل من القاهرة فاتصلنا بالدكتور صالح مهدى وطلبنا منه أن يترك كل شىء وان يسرع بنا بسيارته الى مصر . ولقد لبى الرجل ولم يتردد لحظة فى ان يتخلى من عيادته وعن مستشفاه ليوصلنا الى القاهرة .. فاعطى أوامره وتعليماته ، وعند ظهر يوم ٢٨ من يناير كنا فى طريقنا من جديد الى القاهرة ولكن شتان ما بين رحلتنا الماضية وهذه الرحلة .. التى هذه المرة لم يكن هناك فى نفوسنا اى خوف أو قلق .. لقد سقط سراج الدين الذى كان يقف لنا بالمرصاد واصبح على رأس الحكومة صديق .. على رأسها على ماهر الذى يعرف من دون المصريين جميعا اننى كنت فى بيتى يوم ٢٦ من يناير .

وكان يجب علينا أن نصل الى القاهرة قبل الليل فالجيش كان محتلا للقاهرة والتجول ممنوع من السادسة مساء حتى السادسة صباحا ، وان كنا علمنا فور وصولنا الى القاهرة ان أول عمل لعلى ماهر كان جعل منع التجول يبدأ من التاسعة مساء . ووصلنا الى القاهرة واخذنى ابراهيم شكرى الى احد منازل العائلة وقد كان خاليا من سكانه وهو بيت عظيم رائع شعرنا فى داخله بالاطمئنان .

حملة الاتصالات

الثلاثاء ٢٩ من يناير

وبدأ من هذا المكمن ما يمكن ان يوصف بانه حملة الاتصالات التليفونية .. اتصالات بالوزارة واتصالات بالصحف واتصالات بكل انسان له رأى وذلك لمعرفة آخر ما تكشف من حقائق يوم

٢٦ من يناير ومعرفة التفاصيل الكاملة عما حدث فى هـذا اليوم وعن تفسيره وتحليله •• واتصالات ببعض معارفى من الوزراء ليتصلوا بعلى ماهر ليعمل على تصفية موقفى وكان على رأس هؤلاء الوزراء محمود حسن سفير مصر السابق فى أمريكا الذى خاطبته أكثر من مرة فى كل يوم •• كما اتصـلت بكريم ثابت وادجار جلاد ومصطفى أمين ليذكروا الحقائق عن موقفى وبراءتى من حوادث ذلـك اليـوم •• واتصـلت بصـالح حـرب •• بل وبعبد الفتاح حسن الوزير الوفدى السـابق وعن طريقه اكملت معلوماتى عن ذلك اليوم فقد أمدنى ببعض التفاصيل التى شاهدها بنفسـه •

وجرت لنا فى التليفون مناقشات حادة حملت فيها على فؤاد سراج الدين حملات شعواء واعتبرته المسئول عن كل هذا الذى حدث •

واتصلت بالصحف وهى التى تعكس ما يدور فى الرأى العـام فهالنى ما لمسته من حملة الاكاذيب والاشاعات التى فجرها حول ما قمت به فى ذلك اليوم •• على اننى لم ادرك مدى التأثير العميق بهذه الاتهامات وما وصلت اليه من تواتر الا عندما اتصلت بالدكتور حلمى مراد فوجدته فى فزع من أن تصل الأمور الى هذا الحد •• فالعامة يتحدثون عن الخمسين الف جنيه التى قبضتها ثمنا لحرق القاهرة •• وهناك أناس تقسم انهم شاهدونى أخرج من السـفارة الانجليزية أو أحتمى بها وآخرون فى الطرف الآخر يقولون بل شوهدت أخرج من المفوضية الرومانيـة •• واقوام يصلون الى حد ذكر رقم الشيك الذى أعطى لى ••

وحكيت الأقاصيص متصلة عن الطريقة التى قتمت بهـا المتظاهرين وعن نوع المواد الحارقة التى استعملت وكان اسـم ابراهيم شكرى يستغل كذلك • وكيف حرق وحمى •• وكان طبيعيا ان تحدث هذه الأقاصيص والأقاويل أثرها فى نفس الدكتور محمد حلمى مراد خوفا واشفاقا على •• ولكنى رحت عليه فى التليفون ان يهون عليه فكل ذلك سوف ينتهى فور ان تهدأ النفوس • وكل يوم يمر بل كل ساعة تنقضى ســوف تظهر الحقائق وتقضى على اشاعات اســوا ، فان للشعوب غريزة لا تخطىء فى الحكم بصــدق على الأشياء •• وان حــالة الفزع والفوضى والاضطراب هى التى مكنت أعدائى من نشر هذه الخرافات وفور زوال الفزع والفوضى ستظهر الحقائق •

وخاطب ابراهيم شكرى على ماهر فاذا به يطمئنه ويقول له انه يحترم ابنه وان المسائل ستنتهى بالنسبة لنا بعد بضعة أيام وانه أصدر أمره للبوليس بالا يفتش علينا وكلف النيابة بان تسرع فى التحقيق لتجلية الموقف .

وكان هذا القول الذى قاله على ماهر لابراهيم شكرى مباشرة هو ذات القول الذى قاله لكل من اتصل به وحادثه فى الموضوع كالمنجار جلاد ومحمود حسن وصالح حرب فقد ذكر لهؤلاء الثلاثة انه يثق بوطنيتى ، ويرى ان أبقى حيث أنا بضعة أيام حتى يصفى الموقف ، ولقد كان من أشد الصدمات وقعا على نفسى ان على ماهر قد أنكر كل هذه الحقائق فيما بعد أمام المحكمة العسكرية العليا .

وانتهز فرصة غيابى عن المحكمة لكى يقول أقوالا سخيفة لا تليق برجل صغير ان يقولها فضلا عن رجـل ولى القضـاء ووزارة العدل ورئاسة الحكومة ويزعم أنه على خلق عظيم •

تسليم نفسي

على اية حال فقد اكتشفنا في هذا الوقت المبكر ان اقوال على ماهر لم تكن الا تغريرا أو خداعا فما زعمه من أنه أصدر تعليماته لرجال البوليس ألا يبحثوا عنا لم نجد له صدى بين صفوفهم فكان البحث يدور على ساق وقدم ٠

وبدأ الموقف يسوء فان اختفائى قد هيأ السبيل لتدعيم الاشاعات وبدات اشعر بأننى يجب ان اظهر على الفور للقضاء على هذه الاشاعات ولاظهار براءتى بل والكشف عن الفاعلين والمسئولين الحقيقيين عن هذه الحوادث وتزويد السلطات بما لدى من معلومات ٠

وقد أسرعت فاعددت مذكرة أسرد فيها حقيقة موقفى من حوادث هذا اليوم والأسباب الحقيقية التى ادت الى هذه الكارثة بحسب تصورى ٠

وارسلت هذه المذكرة للدكتور فخرى أحمد وحسين حمدى فقاما بطبعها على الرونيو وشرعوا فى توزيعها ، وقابل حسين حمدى على ماهر فى مجلس الوزراء وقدم له هذه المذكرة كما قابل سكرتير النائب العام وقدم له صورة أخرى ٠

ولكن الحوادث بدات تتطور بسرعة بحيث صممت على وجوب الظهور وتسليم نفسى بأى شكل او طريق ٠ فاتصلت فى مساء أول فبراير بمحمود حسن وقلت له اننى اريد ان اضع نفسى تحت تصرف على ماهر فورا فلن استطيع الاستمرار فى هذا الجو الخانق ، فطلب منى من جديد ان انتظر يوما آخر حتى

يتصل بعلى ماهر ويخبره برغبتى موعدته بذلك . ولكن لم اكد افرغ من الحديث معه حتى اتصلت بزميلى اسماعيل عامر فاذا به يلقى الى حديثا جرى له مع صلاح مرتجى الذى كان قد عين مدير للامن العام فور تعيين الوزير الجديد مرتضى المراغى وهو يمت له بصلة النسب . ذهب اسماعيل عامل ليهنىء صلاح مرتجى بمنصبه الجديد وحدثه عن رغبة الحزب الاشتراكى فى التعاون مع وزارة على ماهر ، وذكر فى خلال حديثه انه كان يزورنى فى المنزل بمناسبة مرضى يوم ١٦ من يناير فاذا بصلاح مرتجى يستوقفه ويناشده الله ان يصدقه الحق بخصوص وجودى فى المنزل يوم ٢٦ من يناير فاذا باسماعيل يقسم له على المصحف اننى كنت مريضا فى ذلك اليوم . وانه زارنى واعطانى دواء ، فابدى صلاح مرتجى شديد دهشته لذلك وقال له ان تقارير جميع المسئولين من الضباط ورجال النيابة تقول انه كان على راس المظاهرات فى ذلك اليوم ، وان الرأى المجمع عليه لدى المسئولين هو ان احمد حسين هو الذى قام بهذا العمل ، ولم اكد اسمع هذه الاقوال حتى احسست بالنار تكاد تشتعل فى جسدى فقد مضى لنا ثلاثة ايام ونحن فى محادثات هنا وهناك مع الوزراء ومع على ماهر ونتصور ان المسالة فى طريقها الى الحل فاذا بمدير الأمن العام الجديد يؤكد العكس ان التقارير لدى النيابة ولدى البوليس تجمع على أننى المسئول عما حدث ، ولذلك فقد قررت ان اتقدم فورا للنيابة بغير ابطاء حتى اضع حدا لكل ذلك واواجه هذه الأكاذيب والاتهامات .

وعلى الرغم من ان الساعة كانت بعد العاشرة مساء فقد قررت ان أسلم نفسى على الفور فاتصلت بمنزل النائب العام عبد الرحمن غنيم وبعد قليل من الانتظار جاوبنى فسألته اذا

كانت النيابة تطلبني فاذا به يرتبك ولا يستطيع الجواب عن هذا السؤال وتعلل بأنه لا يستطيع في التليفون أن يرد على هذا السؤال فهو على أقل تقدير لا يعرف انني أحمد حسين بالذات ، فاسرعت وسردت عليه ما وصل الى علمي من أقوال صلاح مرتجى وقلت له انني اريد أن أضع نفسي تحت تصرفه فوراً .

فقال لي انه لا شأن له بذلك واستطيع ان أقدم نفسي للبوليس ، فاعترضت على ذلك بأن البوليس هو عدوي الذي اخشاه وأخشى ما يصيبني من سوء على يديه . فقال لي على كل حال اذا قدمت نفسك لي الآن فسوف أسلمك للبوليس ثم اشار من طرف خفي الى انه موجود في مكتبه صباحا وأن بابه مفتوح لاستقبال كل طارق . ففهمت من ذلك انني يجب ان انتظر الى الصباح حتى لا أسبب له ازعاجا في هذا الوقت المتأخر وفهمت منه كذلك بصفة عامة انه ليس متلهفا على اعتقالي وعند هذا القدر انتهت المكالمة .

وفي اليوم التالي في صباح السبت ٢ من فبراير اعددت نفسي نهائيـاً لوضع نفسي تحت تصرف السلطات وبدأت أحاول اختيار الجهة التي أسلم نفسي لها . وكان كل ما يشغل ذهني بطبيعة الحال هو الاطمئنان الى الا اقتل غيلة بأي حجـة من الحجج .

ورأيت من جديد أن أتصل بصلاح مرتجى في منزله وتم الاتصال وحدثته عن موقفي واستعدادي لتسـليم نفسي ، فعرض علي أن أحضر لوزارة الداخلية لمقابلة مرتضى المراغي وزير الداخلية وأنه سيعرض عليه الامر واتفقنا على أن اخاطبه ثانية في الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن يعرض الامر على الوزير .

اتصلت بالمنزل بعد ذلك ليعدوا لى حقيبـة ملابسى ومصحفى استعدادا للسجن · وانتقلنا من المكان الذى كنـا فيه الى منزل الدكتور محمود فهمى لنكون قريبين من منزلنا عند احضار الحقيبه ولنتناول طعام الغذاء الأخير فى ظل الحرية ·· وكنا قد اتفقنا على الا يسلم ابراهيم شكرى نفسه ليراقب الحالة بعد تسليم نفسى وليدافع عنى وعن الحزب ويواصل نشاطه السياسى مع على ماهر وغيره ·

وتناولنا طعام الغداء وسط جو مرح بقـدر الامكان ولكن شبح المستقبل كان يكمن لى خلف كل كلمة تخرج من فم أحدنا ·· خلف كل لقمة ·· خلف كل ضحكة ·· ترى ماذا سيكون مصيرى هذه الليلة ·· اين ساكون غدا ·· ما الذى سيفعلونه بى ·· ولم اكن استطيع الجواب عن اى سؤال من هذه الاسئلة ·

وكانت عقارب الساعة تقترب من الثالثة وهى الموعد المحدد لمخاطبة صلاح مرتجى وفور أن دقت الثالثة كنت قد اتصلت به ففاجأنى بقوله ان الوزير رفض أن اقابله وصرح باننى اذا كنت أريد ان أسلم نفسى فأمامى النيابة ، فثرت على هذا القول وقلت له اننى اعجب لهذا الموقف ·· فمن ناحيـة تقولون ان الحـاكم العسكرى أصدر أمرا باعتقالى وان النيابة تريدنى · فاذا خاطبت النائب العام قال لى قدم نفسك للبوليس واذا خاطبت البوليس قال قدم نفسك للنيابة ·· ان هذا وضع شاذ ولا استطيع ان أفهمه ، ولذلك فاننى أبلغك بصفتك مدير الأمن العـام باننى سـأحضر الى منزلك فى الساعة الخامسة مع الأستاذ اسماعيل عامر وعليك أن تتصرف بالصورة التى تراها وانى أحملك كل مسئولية ·

وبعد ذلك اتصلت باسماعيل عامر وطلبت منه ان ينتظرنى بسيارته لدى محطة البنزين القريبة من منزله فى شارع الجيزة .. وقد كان ، ووصلت اليه فى الموعد فى عربة ابراهيم شكرى ومازلت اذكر حتى الآن كيف كان المطر ينهمر فى هذه اللحظة مدرارا وكيف نقلوا حقيبة ملابسى من عربة ابراهيم شكرى الى عربته التى أصبحت تقربنى من هذه النهاية .. من الموت .. عندما أدار محرك السيارة لتشرع فى رحلتها نحو حدائق القبة حيث منزل صلاح مرتجى . كانت السماء مليئة بالغيوم والمطر فيها مدرارا وجو المساء القاتم بصبغته يزحف على الكون فيملئنى ذلك انقبض وازداد انقباضا كلما درجت بنا السيارة نحو الأمام .

وأخيرا وصلنا الى حدائق القبة وبحثنا عن بيت صلاح مرتجى على الرغم من أن اسماعيل عامر يتردد على ذلك البيت كثيرا فقد جعلته عصبيته لا يكاد يعرف البيت مما اضطرنا الى السير فى الطريق حتى نهايته ، ولم تكن هذه النهاية سوى استوديو جلال الذى حرق فى ذلك اليوم ، وكان جنود من الجيش يرابطون حول المكان فملأنى ذلك رهبة ، وعرف اسماعيل عامر البيت أخيرا ولم تكن هناك أى حركة غير عادية فى انتظارنا . وصعد اسماعيل عامر الى صلاح مرتجى وبعد فترة قصيرة ولكنها تبدت لى فى ذلك الوقت وكأنها دهر طويل . عاد اسماعيل عامر واخبرنى بأن صلاح مرتجى طلب منه أن نذهب الى مكتب النائب العام فهو فى انتظارنا وسوف يلحق بنا صلاح مرتجى .

ولقد ارتاحت نفسى لهذا التصرف وارتحت بالأكثر عندما وجدتنا نعود بالسيارة من جديد بدون حراسة ، بدون عساكر أو جنود أحرارا طلقاء لنصل الى النائب العام .. وكانت السماء لاتزال تمطر وموكب الظلام يزحف .. جاش فى نفسى من جديد أن أحرص على هذه الحرية التى مازلت فيها وأن أعود من منتصف الطريق الى حيث كنت .

واخبرت اسماعيل عامر بهذه الخواطر وانني في خوف من المصير الذي ينتظرني فقال لى انه على استعداد أن يصحب بى الى حيث أشاء ومادمت غير مطمئن فلا ضرورة للتسليم .. ولكني لم أعتد في حياتي ان أرجع الى الوراء قط .. وأن أعدل عن القرارات النهائية التي أصدرها ولذلك فقد قررت المضى . ورفعت بصرى نحو السماء هاتفا لتكن مشيئتك يارب انني أضـــع نفسى تحت حمايتك ..

وصلت الى حجرة سكرتير النائب العام وكان كل شيء هادئا والسكون يخيم على أرجاء المكان ، وقدمت نفسى للسكرتير وطلبت مقابلة النائب العام فدخل الى حجرته ثم عاد الى وطلب منى الانتظار قليلا فجلست وجلس الى جوارى اسماعيل عامر ومضى كل شيء كأيسر ما يكون وكأبسط ما يكون وبدأت أتمالك نفسى ، ثم ظهر صلاح مرتجى خارجا من حجرة النائب العام فسلم على ثم تركنى قليلا ليصدر أوامره وتعليماته فيما يختص بالقبض على وطريقته ، وان كنت لم أتبين ذلك الوقت ، وبعـــد قليـــل عـــاد الى من جديد واصطحبنى معه الى احدى الحجرات وجلسنا نتحدث في موضوع الحوادث ورأيي فيها ، وانتهى الحديث بيننا بأن أظهرت له مخاوفى من أن تساء معاملتى فى السجن أو يعتدى على ، فقال لى : لا تخف ولكن عليك أن توطد نفسك لاحتمال بعض المضايقات ، فدهشت لذلك وقلت له : أي مضايقات تقصد ومن أى طراز ستكون هذه المضايقات ، فاستدرك قائلا : مضايقات السجن ، أليس السجن مضايقة ؟! فقلت له : أما السجن فهو ليس مضايقة بالنسبة لى ، فاذا كان هناك شيء آخر غير السجن فهذه مسألة أخرى ، فأجابنى بألا محل لهواجسى .

وعندما عدت الى حجرة سكرتير النائب العام رأيت بها عمر حسن مدير القسم الخصوصى بالداخلية ، ثم ظهر على الأفق ابراهيم

امام ولم يلبث أن اختفى ثم حدثت مفاجأة طريفة عندما اكتشف سكرتير النائب العام أن اسماعيل عامر الذى يلازمنى ليس أحد ضباط البوليس وأننى حتى ذلك الوقت حر طليق استطيع الانصراف فى أى وقت ، فاذا بالانزعاج يبدو على وجهه ويسال . اسماعيل عامر ألست ضابطا فلما أجابه بالنفى وأنه رفيقى اذا بوجهه يصفر ويسرع الى الخارج وان هى الا لحظات حتى بدأنا نجد حركات الضباط والأقدام العسكرية تتردد خارج الحجرة ، والبعض يطل علينا من حين لآخر ودخل السكرتير بعد ذلك راضيا مطمئنا أننى لن أستطيع الافلات بعد ذلك ، وعند هذا الحد رأينا ان ينسحب اسماعيل عامر فى سلام قبل أن يقبض عليه فانسحب وبقيت وحدى فى انتظار ممل ، ولكن الذى كان يخفف منه بعض الشيء اننى كنت قد بدأت أعتبر نفسى سجينا واستسلم استسلام السجين .

وأخيرا دعيت لمقابلة النائب العام وكانت حجرته مكتظة بكبار رجال النيابة فاستقبلنى الرجل واقفا وقد كان لهذه الحركة الصغيرة أثر كبير فى نفسى لم يبرحنى وقد خفف دائما شعورى ضد هذا الرجل فى أحرج الأوقات ، فقد كان أقصى ما أتمناه منذ هذه اللحظة ألا أعامل الا باحترام ، فليس هناك ما يؤرق مضجعى ويجعل الجزع يدب الى نفسى أكثر من أن أتخيل الاعتداء على كرامتى ، ان الموت وشبح الموت لا يمكن أن يفزعانى بمقدار ما يفزعنى فكرة الاعتداء على كرامتى بقول أو اشارة .

وجلس النائب العام بعد أن حيانى وقال لى . . « نعم » ماذا تريد أن تقول لى ؟! وكانت هذه مفاجأة ، فالرجل يريد أن يسمع ما عندى ، ومعنى ذلك أن ليس عنده شيء ضدى ، وبدأت ألقى على مسامعه تفاصيل حياتى يوم ٢٦ من يناير وكيف كان على ماهر رئيس الحكومة والحاكم العسكرى أحد الذين اتصلوا بى واتصلت

بهم فى ذلك اليوم ، وسمع منى تفاصيل ما جرى من اتصالات ومحاورات بعد تولى على ماهر الوزارة حتى انتهى بى الأمر الى الاتصال به تليفونيا كما يعرف ، وعقب انتهاء حديثى قال لى : وهو كذلك ان عندنا تحقيقا مفتوحا ومادمت قد تقدمت من تلقاء نفسك فلا مانع عندنا من سماع ما لديك من أقوال ، وعلى أثر ذلك استدعى عبد الحميد لطفى - رئيس نيابة جنوب القاهرة - وطلب منه أن يفتح محضرا لسماع أقوالى وان يبدأه باننى اتصلت بالنائب العام أمس مساء وعرضت عليه أن أسلم نفسى فطلب منى الحضور الى مكتبه اليوم وفى الساعة الخامسة قدمت نفسى له للادلاء بما لدى من أقوال ٠

وقبل ان اغادر مكتب النائب العام من جديد قلت له : اننى أضع نفسى تحت حماية القانون وأرجو أن تحمونى من المؤامرات والاغتيالات ، فاجابنى : نحن قوم نقوم بتحقيق قضائى ولا شأن لنا بما عدا ذلك ، زاد هذا التصريح من هواجسى لأنه رفض احتمال أى مسئولية فى غير نطاق ما سماه التحقيق القضائى ، وعدت من جديد الى حجرة السكرتير تمهيدا لانتقال الى دار محكمة مصر فى باب الخلق وبعد ساعة من الزمن بدأنا رحلتنا وفجأة وجدت خمسة من الضباط المدججين بالمسدسات يحيطون بى وبدأنا الموكب على هذه الصورة ، وقد بدت لى فى ذلك الوقت صورة مضحكة تدعو للسخرية فمن لحظات جئت من تلقاء نفسى للنائب العام وها هم يتظاهرون الآن باننى قد افر أو اهرب ولو كان فى نيتى الفرار أو الهرب ، فلماذا تقدمت للنائب العام ولكن هو القسم السياسى وأساليبه ولابد أن غرضهم كان فى ذلك الوقت هو أن يضربونى بالرصاص ثم يزعمون أننى فكرت فى الهرب ، ولكن الله ملأ قلوبهم خشية وروعة وترددا فلم يقدم أحدهم على هذه الجريمة التى كان الملك يتمناها من غير شك ٠

ووصلت الى مقر النيابة فى محكمة مصر للشروع فى التحقيق ، وكانت كل خطوة جديدة تبدد بعض الخوف والقلق من المجهول فها هى الامور تسير سيرا عاديا .

جلست فى الحجرة المجاورة لمكتب عبد الحميد لطفى وكنت أتصور اننى سادخلها بعد قليل ، ولكن الانتظار طال بنا ثم استطال حتى زاد على أكثر من ساعتين وقد ضايقنى ذلك وانتابنى القلق من جديد ، ثم تبين ان عبد الحميد لطفى كان فى ذلك الوقت يسمع اول الشهود الذين تقدم بهم البوليس السياسى ، والذى زعم أنه رآنى فى اليوم السابق على الحادث أطوف ببعض الامكنة فى سيارة ستروين سوداء ، وكان هذا الشاهد ايطاليا يدعى أوجينى روميللو ، وعندما دخل على عبد الحميد لطفى أخيرا ليخبرنى بذلك وانه يريد أن يقوم باجراء عملية عرض ليتعرف على هذا الشاهد غضبت لهذه المفاجآت ولعملية العرض ، ورفضت أن أعرض على أحد ، واعتبرت أن فى ذلك مساسا بكرامتى وأظهرت سخف عملية العرض وانا رجل ترى صوره فى كل مكان وتراه عشرات الألوف من الناس شخصيا فى الاجتماعات العامة ، ولكن عبد الحميد لطفى راح يرجونى ويلح فى عمل عملية العرض لصالحى فلو قدر أن لم يستطع الشاهد أن يتعرف على فان ذلك يجهز على الاتهام بصورة قاطعة ، أما اذا تعرف على فلن يكون لذلك اى تاثير ، ولم يستطع اقناعى بقبول العرض ، ولكن حالة الاستسلام التى وطدت نفسى عليها باعتبارى سجينا ومتهما جعلتنى ارضخ فى النهاية على أساس اننى يجب ان أهيىء نفسى لاحتمال كثير من الاذلالات التى يعرضها مجرد قيام الاتهام .

ودخلت الى حجرة رئيس النيابة ، حيث كان قد حشد بها عدد كبير من موظفى النيابة جلوسا على المقاعد فأخذت مكانا بينهم وجلست يائسا من هذه العملية مشفقا من هذه اللحظة السخيفة

عندما يشير الى الرجل ويقول هذا هو أحمد حسين ، ودخل الرجل ولم أكن أعرف عنه شيئا بطبيعة الحال ، وراح يتفرس فى الموجودين ويا لها من لحظات أدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجب كل قارىء لهذه المذكرات هولها ، لحظات حاسمة فى حياة الانسان عندما يقف فى عرض جنائى ليتعرف عليه شخص من الاشخاص ، ان هذا التعرف أول خطوة نحو المشنقة اذا كانت الجريمة معاقبا عليها باعدام ، فاذا لم يتعرف الشخص على الانسان فهى البراءة ، ولقد كنت يائسا من ألا يعرفنى الرجل ، ولكنه جال فينا جولة والتقت عينانا ووقف أمامى بعض لحظات وخيل الى ان كل شىء قد انتهى ، ولكنه تركنى الى غيرى وراح يتفرس فيه ، يا ربى العظيم أيكون الرجل لا يعرفنى ، أتتم المعجزة ؟! فانها لن تكون اقل من معجزة ، وعاد الرجل يستعرض الموجودين ثم وقف أمام أحد موظفى النيابة وقال هذا هو أحمد حسين وضحك كل من فى القاعة ، وتنفسوا الصعداء ، أما أنا فقد كان قلبى مغمورا فى التسبيح بالعظمة الالهية ، وأبى عبد الحميد لطفى الا أن يؤكد الانتصار فقال للرجل لا ، وهكذا انتهت هذه المحنة على خير ما يرام وتحولت الشبهة ضدى الى دليل براءة قاطع .

وعندما بدأ التحقيق معى ظهر أن هذا الرجل قال انه يعرفنى وانه كان معى فى مستشفى الدمرداش ابان اعتقالى بها وانه رآنى فى يوم الجمعة أشير الى بعض المحلات التى أحرقت يوم السبت وعندما سألنى عنه المحقق وعن معلوماته لم ازد فى ردى على أن عدم تعرفه على يهدم كل مزاعمه ، وشرعت بعد ذلك فى الادلاء بما لدى من أقوال وقد استغرق سردها وكتابتها بضع ساعات حتى اننا فرغنا منها فى الساعة الثانية صباحا ، وفى ختام التحقيق قال لى عبد الحميد لطفى . نحن لا نريد منك شيئا ولست مقبوضا عليك لحساب النيابة ، ولكن لحساب الحاكم العسكرى ، وقد كانت

هذه البداية بداية مشجعة جدا بددت آخر ما كنت اشعر به من قلق وأنا أسلم نفسي ٠

وبعد قليل أخذنا طريقنا الى سجن الأجانب ، ورأيت لأول مرة بطبيعة الحال جنود الجيش وهم يقطعون الطرق ويصيحون بالعربات قف من أنت ماعاد ذلك الى ذاكرتي جو القاهرة الرهيب وخطورة موقفي ، ولكن عندما أودعت في احدى حجرات سجن الأجانب وأغلق على الباب وصليت الفجر استلقيت على الفراش كرجل سعيد احتاز محنة من أكبر المحن ، ولم أكن أعرف أنه لايزال أمامي بحر ، بل محيط من المحن والويلات ٠

شـــاهد جديـد

استيقظت قبيل الظهر بعد أن أخذت حظى من النوم فعلمت أن النيابة في انتظارى لاستئناف التحقيق فدهشت لهذه السرعة في موالاة التحقيق ٠

وعندما وصلت الى النيابة وعلمت من عبد الحميد لطفى أنني استدعيت لاجراء عملية عرض جديدة بالنسبة لشاهد جديد انفجرت مراجل غضبي ، فقد شعرت أن البوليس سيبدأ في تلفيقاته ضدى وسيغمرني بطوفان من الشهود الذين يتصيدهم من هنا وهناك ، فرأيت أن أضع حدا لذلك بأن ارفض رفضا باتا عملية العرض ، وعبثا حاول عبد الحميد لطفى أن يقنعني بالنتيجة الباهرة التي وصلنا اليها بالأمس ، عندما عجز الشاهد عن التعرف على ، ولكنني في أعماق نفسي أدركت انه ما كل مرة تسلم الجرة ، وان ما حدث بالأمس لا يمكن أن يتكرر ثانية ، فقد كانت معجزة والمعجزات لا تتكرر بسهولة ٠

وأصررت على موقفي في رفض عملية العرض ، وطلبت منه أن يحضر هذا الشاهد وأن يسأله عما اذا كنت أنا أحمد حسين وهذا هو كل ما في الأمر ، ولم يستطع عبد الحميد لطفي الا أن ينزل عند رأيي ، فأدخل الشاهد ، وكان نوبيا واذا كانت القاهرة لا يوجد فيها شخص يطلع على الصحف فانه لم ير صورتي فانه يكاد لا يوجد نوبي بصفة خاصة لا يعرفني معرفة شخصية ، فقد نزلت الى الانتخابات وكان النوبيون هم أشد الناس حماسة لي ، وكان هذا الرجل قد ذكر في أقواله أنه يعرفني بالذات من أيام الانتخابات ، وأنه انتخبني فكان من المحتم الا يعرفني الرجل على الفور ، ونظرت اليه وكزميله بالأمس لم اعرفه ، وسأله عبد الحميد لطفي عما اذا كان أحمد حسين الذي رآه في الغرفة ، فابتسم الرجل ابتسامة الشخص الواعي الذكي مدركا أن رئيس النيابة يغرر به ، وقال على الفور لا .. أحمد حسين ليس هنا ، وذهل رئيس النيابة لهذه الاجابة وأسرع لتسجيل ذلك ، وبعد أن سجله أشار علي وقال أليس هذا هو أحمد حسين ؟ واسقط في يد الرجل وبدا عليه الانزعاج أن يخطئني الى هذا الحد ، وهم أن يتراجع بأن يقول انني الآن أرتدي الطربوش . أما عندما رآني فلم أكن أرتدي طربوشا ، فطلب مني رئيس النيابة أن أخلع الطربوش ، ثم طلب منه أن يقرر الحقيقة فهو رجل طيب وكان هذا التوجيه قد رده الى صوابه فاذا بالفكرة العارضة تذهب من رأسه ثم يقول : « لا ليس هو الرجل الذي رأيت » .

وهكذا تمت معجزة أكبر من معجزة الأمس ، فقد كان شاهد الأمس أجنبيا أما شاهد اليوم فوطني ، فالله أكبر .. الله أكبر .

وقال لي عبد الحميد لطفي : ان هذا هو كل ما عنده ، وان الأمر بالنسبة له قد انتهى عند هذا الحد ، ورجعت الى السجن وانا أكاد أطير من الفرح .. لا الفرح بالبراءة فهذه مسألة لم أكن

اتشكك فيها ، ولكن الفرح بنعمة الله الكبرى التى تجلت على عندما جعل هذين الشاهدين لا يعرفانى .

كانت هذه الفاتحة للتحقيق بمثابة اجراء وضع فى بطنى بطيخة صيفى من ناحية التحقيق ، وقد ظلت هذه البطيخة الصيفى طوال شهرين كاملين عندما اكتشفت أنها لم تكن بطيخة صيفى ولكنهـا كانت قنبلة .. قنبلة لن تلبث تنفجر فى ذات اللحظـة التى أوشكت فيها أن اعتبر موضوع الاتهام قد انتهى نهائيا .

• مـن فبراير
مناوشات فى السجن

عدت الى السجن ظهر يوم الأحد ٣ من فبراير لأراهم وقد نقلوا حجرتى من الدور العلوى الى الدور الأرضى ، واننى محاط بنظام دقيق وقاس من حيث الحراسة لم يسبق له مثيل فى كل تاريـخ حياتى ، فباب حجرتى يجب أن يكون مغلقا طول النهار فلا يفتح الا بضع دقائق ريثما أذهب الى دورة المياه ، ولم يسمح لى لأول مرة فى التاريخ بأى كتب أو صحف ، بل ان المصحف ذاته رفض الضـابط أن يسمح به الا بعد أن كدت أتشـاجر معـه ، أما نطاق الحرس الذى يحيط بى فكان يتـألف من مأمور احـد الأقسام ويعاونه كونستابل ومخبر من القســم السياسى ليكون رقيبا على هذين الضابطين ، وكان هؤلاء الثلاثة يتغيرون كل ثمانى ساعات ، وكان يعنى ذلك أن هناك ثلاثة مأمير من أقسام البوليس قد خصصوا للتناوب على حراستى داخل حجرة مغلقة داخل سجن، وكان هناك فوق ذلك ثمانيـة عساكر من رجال البوليس يحملون البنادق السريعة الطلقات ، وكانوا يستبدلون كغيرهم كل ثمانى ساعات أى أن عددهم ٢٤ جنديا ، وكان هناك فوق ذلك كله قوة من جنود الجيش تبلغ الخمسين جنديـا برئاسـة ضابط تحيط بالسجن من الخارج ، وكانت هناك دبابة ومصفحة تحت تصرف

رئيس هذه القوة ، وذلك كله لحراسة أحمد حسين ، وفور أن اكتشفت هذه الترتيبات أوجست خيفة من جديد لما فيها من شذوذ يفوق كل تصور ، على أن الذى كان يضايقنى أكثر من كل شيء آخر هو حظر المطالعة على وهى السبيل الوحيد لقطع الوقت ، ولذلك فقد رأيت ان اضرب عن الطعام احتجاجا على هذه المعاملة فامتنعت عن تناول الطعام ، ولكن خشيت أن أصفه بأنه اضراب عن الطعام فيتحدونى ولا يهتمون بأمرى فلا أقوى على الاستمرار ، ولذلك فكرت أن اعتبر نفسى مريضا وأن امتناعى عن الطعام هو لفقدان الشهية الناشئة من هذا الحبس الانفرادى الذى لا يسمح لى فيه بمجرد المطالعة ، ولم أدرك فى ذلك الوقت ان هذا الاسلوب سيكون هو السلاح الوحيد الذى ساخوض به هذه المعركة الخطيرة ، وأنه اذا كان قد قدر لى أن أحيا وأن أعيش وأكتب هذه السطور ، فذلك بفضل هذا السلاح .. سلاح الامتناع عن الطعام .

وان هى الا أيام حتى انتج الاضراب تأثيره فنقلت من جديد الى الدور الأعلى فى حجرة تدخلها الشمس وتطل على الشارع ، وكان صعودى الى الدور الأعلى هو أحد طلباتى، فقد كانت الهواجس دائما تساورنى وأنا أقيم فى هذه الحجرة الأرضية وجنود الجيش يحيطون بها من الخارج ، فما وقفت مرة للصلاة مديرا ظهرى لهذا الحارس الذى يقف محملا ببندقيته الا وتصورت أنه من الممكن الهارب رأسى برصاصة ، ثم يقال بعد ذلك انها رصاصة طائشة ، ولذلك فقد أصبحت أصلى وأنا جالس لأتفادى ظهور رأسى فى النافذة ، فعندما نقلونى الى الدور العلوى كان لذلك تأثير كبير من الفرح فى نفسى خاصة وأنه كان يوجد فى الدور العلوى زملائى فى الحرب حلمى الغندور واسماعيل عامر ومحيى الدين فهيم ، وكان يوجد به كذلك فتحى رضوان ومحمد كامل ويوسف حلمى ، وكان لى وجودى معهم بطبيعة الحال ما يسعدنى كل السعادة ويزيل من نفسى كل قلق أو اضطراب من ناحية التآمر على اغتيالى .

على الرغم من أن ظروف الحراسة المشددة ظلت هى كما وصفتها من حيث غلق الحجرة بالليل والنهار باستثناء اللحظات القليلة الخاصة بالذهاب الى دورة المياه ، وصرح فى ذات الوقت بالكتب والصحف فبدأت حياتى تاخذ اللون العادى الذى تاخذه فى السجن وهو هدوء البال التام والتفرغ للصلاة والصوم والمطالعة ، واتجه كل همى ونشاطى الى التخفيف من شدة القيود التى تحول بينى وبين الاتصال بزملائى ٠

وفى هذه الفترة أعيد أحمد طلعت ليكون حكمدار للعاصمة وأعيد معه أخوه محمود طلعت مجاء لمقابلتى فى السجن ليشرع فى القيام بدوره كضابط من ضباط القسم السياسى ، ولابد أنه كان يتصور أننى ساقابله مقابلة سيئة لهذه الشهرة الفظيعة التى كان قد حازها فى قضايا الاخوان المسلمين واتهامهم له واخاه احمد طلعت بتعذيبهم ، ولكننى اعتدت دائما أن استغل مجاملات ضباط القسم السياسى ، ولذلك فقد أسرعت بمقابلته ورحبت به واعربت عن ارتياحى لوجوده نظرا لما بيننا من معرفة سابقة ، ورحت أذكره بجلساتنا خلال الحرب عندما كنت معتقلا وكان مكلفا بالاشراف على شئوننا ففرح لذلك كل الفرح ، ثم قال لى : انه موفد من قبل اخيه الحكمدار لتحقيق أى شكوى منى فاجبته باننى حصلت على مطالبى من حيث الاطلاع على الصحف والقراءة ، ولكننى مازلت أشكو من حبس انفرادى ، حيث لا تفتح الحجرة على الاطلاق ، فاسرع محمود طلعت طالبا من مامور السجن أن اعطى حقى من الفسحة نصف ساعة فى الصباح وأخرى بعد الظهر ، وعندما انصرف محمود طلعت كنت مغتبطا كل الاغتباط متصورا أن الأمور تسير فى طريق التطور الطبيعى ، وأنه كما حدث فى كل مرة سابقة عندما كان السجن وقيوده يتلاشيان بالتدريج فانه سيحدث هذه المرة أيضا ٠

وسرعان ما علق الزملاء الأمانى الكبار على هذه المقابلة ، حتى لقد انطلقت الاشاعات أن موعد الافراج عنا قد أصبح وشيكا ولكن هذا الاسراف في التفاؤل قد نمى رد الفعل سريعا جدا ، ففي المساء حدث أن تقابلت مع حلمى الفندور واسماعيل عامر مقابلة عابرة فى حجرة الصاغ المكلف بحراستى داخل السجن ، فعلمنا فى اليوم التالى أن ذلك كان محل تحقيق خطير ، وان هذا الضابط قد صدر الأمر بنقله الى أسيوط عقابا له على ذلك ، وفوجئت باجراء جديد فى السجن لم يسبق له مثيل من حيث التشديد اذ جاء مامور السجن بدفتر خاص ليوضع فى الحجرة المجاورة لى ويرصد به الضابط المكلف بحراستى كل حركاتى وسكناتى ويسجل به الساعة والدقيقة التى فتح فيها باب حجرتى ولماذا فتح ، وكم دقيقة ظل مفتوحا وهكذا .

ومرة أخرى ثارت براكين غضبى وحنقى فكتبت خطابا شديد اللهجة لأحمد طلعت - الحكمدار - شخصيا وأبديت دهشتى أن هذا التطور عقب زيارة محمود طلعت لى ، وتساءلت عما اذا كان هذا هو بدء الأساليب الملتوية التى اشتهر بها الشقيقان ، وأحدث الخطاب تأثيره ، فان الدوى الذى أثير حول أحمد طلعت ورغبته الشديدة فى الدفاع عن نفسه جعلاه يبادر بالحضور الى السجن بنفسه لينظر فى شكواى ، والحق أنه لم ينج أعضاء الحزب الاشتراكي من التعذيب والتنكيل الذى اتبع مع الاخوان المسلمين الا رغبة أحمد طلعت وضباط القسم السياسى الذين كانوا قد أقصوا من المحافظة وأعيدوا اليها بعد ٢٦ من يناير هؤلاء جميعا قد حرصوا على ألا يقعوا فى الخطأ الذى وقعوا فيه أول مرة فيتحاشوا التورط فى الضغط على المتهمين أو ايذائهم ، ولقد انتفعنا كل الانتفاع بهذا الظرف الخاص ، وذلك فى وقت كان فاروق يتمنى فيه لو وجد من يعذبنا بالليل والنهار كل صنوف العذاب .

جاءني أحمد طلعت يسألني : عما أشكو منه وأبدى استعداده لاحضار الكتب التي اريدها على نفقتهم الخاصة والح على أن أكتب له قائمة بأسماء الكتب التي اريدها لشرائها من المكتبة ، فكتبت لهم أسماء بعض مؤلفات تولستوى وهى « أنا كارنينا » و « البعث و « الحرب والسلام » ، ولكن عندما حدثته بصدد الحراسة المشددة وانها تضغط على أنفاسى أبدى اعتذاره عن امكان عمل أى شىء فى هذا الصـــدد .

وقال لى كيف استطيع أنا الحكمدار أن أقول لمأمور السجن ألا يشدد الحراسة ، وماذا تكون النتيجة لو فر أحد المســاجين غيرك ، ثم زعم أن هذه الحراسة المشددة ليست من أجل ، ولكنها من أجل جميع المسجونين ، وقد كنت اعرف أن ذلك كذب صريح . ولكن لم يكن باستطاعتى أن أرد على ذلك ، وانتهت المقابلة عند هذا الحـــد .

ومضت الأيام والساعات بعد ذلك فى سجن الأجانب بين مد وجزر ، كانت الصحف تشير باستمرار الى أن التحقيق فى موضوع التحريض على حوادث ٢٦ من يناير ماض فى طريقه ، وأنه قد عهد به الى عبد الحميد أبو شنيف ــ رئيس نيـــابة الصحافة فكان ذلك بمثابة نذير شر ، فاختيـــار رئيس نيابة الصحافة بالذات لتحقيق موضوع التحريض معناه أنه سيتخذ مما نشر فى الجريدة مادة لهذا التحريض ، فبدأت الهواجس تنتابنى فى هذه الناحية ، ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر .

وفى ذات يوم قابل محمود طلعت حلمى القندور فى السجن فقال له عبارة لم تكد تنقل الى حتى كانت أشبه بالقنبلة ، وكانت هذه العبارة ردًا على احتجاج القندور لعدم تلقيه أى زيارة من الخارج،

فقال له محمود طلعت : زيارات ايه . ده فيه ثلاثة من أعضاء الحزب اعترفوا ضد الحزب ، وقالوا كل شيء .

اعترفوا .. ؟ اعترفوا على أى شيء ؟ ومن هم هؤلاء الذين اعترفوا ؟ هذه هي الأسئلة التي ظلت بغير جواب وظللت معها في قلق متزايد .

ثم عدات تأتينا الأسماء انهم بسيم السعيد ومحمد الحلو ، ومع ذكر الأسماء خف وقع النبأ فليس لأيهما أى خطر وماذا يمكن ان يقول بسيم السعيد ؟ وماذا يمكن ان يقول محمد الحلو ؟ ولكن اقوال بسيم السعيد لم تلبث ان اصبحت ذات خطر شديد . فقد قبضت النيابة على بضع وعشرين شخصا من بين المعتقلين واودعتهم سجن مصر كنتيجة لاتهامات بسيم . وبدات الصحف تذيع التصريحات لمرتضى المراغي أن الحكومة قد وضعت يدها على المحرضين نهائيا ، وكان معنى ذلك أنه يعنينا نحن الاشتراكيين .

ولكن الخبر جاء بعد ذلك أن بسيم السعيد قد فر وهرب من يد البوليس ، وبهذا أصبحت أقواله معلقة فى الفضاء ، ان هذه الأقوال ذاتها قد كشف التحقيق عن تفاهتها وافلاسها وهكذا كان المد والجزر من يوم لآخر ومن ساعة لاخرى هى طابع الحياة فى هذه الفترة ، ومع ذلك فقد كنت أشعر بهدوء غريب وبثقة بالمستقبل ، حتى أننى شرعت أتابع مذكراتى عن طفولتى ، وهى مذكرات كنت قد بدأتها قبل ذلك ببضعة أشهر فى سجن الأجانب، وكان ذلك آية هدوء أعصابى .

وقام نزاع بين سراج الدين وبين الحكومة حول المسئولية عن حوادث ٢٦ من يناير ، فنشر بيانا مدويا فى جريدة المصرى عرض فيه بمسئولية القصر ورجاله عن عدم انزال الجيش فى

موعده لقمع هذه الحركات ، وقد رد عليه الجانب الحكومى رداً عنيفا ، وطلب من النائب العام تحقيق هذه الناحية فشرع فى تحقيقها .

ثم أصدر تقريرا ضخما حلل فيه حوادث يوم ٢٦ من يناير، وانتهى فيه الى ذات النتائج التى انتهيت اليها فى تقريرى عن حوادث هذا اليوم ، وهو أن حوادث الاسماعيلية كانت هى العنصر الفعال لاهاجة شعور الجنود والعساكر ، وأن مظاهرة عساكر البوليس وتمردهم فى صباح يوم ٢٦ من يناير هو السبب فى هذه الكارثة ، واشار الى تقصير المسئولين وعلى رأسهم وزير الداخلية من علاج الامر فى الوقت المناسب .

ولقد نزل هذا التقرير على قلبى بردا وسلاما ، فقد تصورت انه فصل فى موضوع التحريض نهائيا ، وارجع الحوادث الى أسبابها الطبيعية ، فمن المستحيل أن تعود النيابة بعد ذلك الى القاء المسئولية علينا ، وفاتنى كما يفوتنى دائما ان احسان الظن بالناس هو احد اخطائى التى طالما سببت لى المتاعب ، ولكن الحوادث لا تزيدنى الا اصرارا على هذا الخطأ ، فسوف أظل أحسن الظن بالناس وليكن ما يكون .

تصورت أن النائب العام الذى كتب هذا التقرير لن يسمح له ضميره بعد ذلك أن يقول : ان سبب الحوادث فى يوم ٢٦ من يناير هو مقالات احمد حسين ، ولكن ضميره قد طوع له ذلك كما سنرى ، بل طوع له ما هو اكثر من ذلك ، طوع له أن يصدع بأمر نجيب الهلالى ، عندما طلب منه أن يضيف الى قرار الاتهام مادة الاعدام ليتمكن حسين طنطاوى قاضيه من تطبيقها ، ولكنى فى ذلك الوقت الذى أتحدث عنه اى فى أواخر فبراير سنة ١٩٥٢ م لم اكن أتصور ذلك ، ومن هنا فقد عادت الطمانينة الى قلبى ، وفى

ذلك الوقت كان ضباط البوليس المخصصين لحراستي الذين الفوني والفتهم ، وكذلك ضباط الجيش ، وكان من بينهـم ضابط رقيق يدعى راضي ، فكانت أحاديثنا في الشئون العامة تتطور يوما بعد يوم ، بحيث أصبح بيننا ما يشبه الإلفة والصداقة فخفف ذلك من وحشة السجن والحوادث .

شهر مارس

واستهل شهر مارس وبحلول هذا الشهر بدأ الجو يكفهر ويتلبد وتتبدد عناصر التفاؤل والثقة بنفسي ، فقد سقطت وزارة على ماهر ، ولم أكن مغتبطا باستمرارها بعد أن رأيتني لم أستفد في قليل أو كثير بعلاقتي بعلى ماهر ، ولكن الوزارة التي خلفتـه وزارة نجيب الهلالي كان مقـدرا لها أن تكون لعبة للسراي أكثر وأكثر ، وبالتـالي سـبيلا للتنكيل بي بأشد مما كانت الوزارة الماضية ، ولم يتكشف ذلك في بادىء الأمر ، بل لعل هذا التغيير الجديد وما يصاحبه من تصريحات جوفاء قد أدخل في نفسي بعض التفاؤل أن تتحسن الأحوال ..

بيد أن مجرد التغيير في حد ذاته كان يحمل في طياته عنصرا من عناصر الأمل ، فقد دلني ذلك على أن الأمور أبعد ما تكون عن الاستقرار وأن الصعوبات تتراكم يوما بعد يوم .

ولكن الأيام الأولى من وزارة نجيب الهلالي قد أثبتت ألا محل للتفاؤل وأن التشاؤم هو الذي سيكون سيد الموقف بعد قليل ، فقد بدأت تصريحات مرتضى المراغي من جديد تتوالى من أنه قبض على المحرضين الذين عاثت الجريمة في رؤوسهم ، وقد ألقى بهذا التصريح الى مجلة المصور ، فشعرت بضيق شـديد وأنا أطالعه وأحسست أن المؤامرة تسير في طريقها ضدنا .

وبدأت أراجع الموقف من أوله الى آخره ، فوجدت استمرار الحراسة الشديدة بل ومضاعفتها من حين لآخر لا يحمل في طياته غير نذير الشر ، وأضفت الى ذلك رفضهم مقابلة زوجتي لي وهو ما لم يحدث من قبل ، وكان اسماعيل عامر ومحيي الدين تهيم يدعيان من حين لآخر للتحقيق معهما ، فكان يحملان الى بعض الأنباء التي يفهم منها أن التحقيق مستمر وأن مقالاتي محل بحث ودراسة لجعلها مادة اتهام ، وهكذا تراكمت العناصر علي ٠

ووصلني في ذلك الوقت اعلان لحضور المحاكمة عن قضايانا الخمس التي كانت مؤجلة من قبل وهي الخاصة بالعيب في الذات الملكية والتحريض على قلب نظـام الحكم والتحريض على ما سموه جـرائم النهب والحرق والقتل وبغض الطوائف واهـانة الوزراء والحكومة والبرلمان ٠٠ عشرات من التهم تأخذ بعضها برقاب بعض وحدد لنظر هذه القضـايا يوم ٥ مارس بالذات ، ولم يكن هناك جو أسوأ من هذا الجو يمكن أن تنظر فيه هذه القضايا ، ولذلك فقد تراكمت على الظلمات فوق بعضها ووجدتني مدفوعا للاضراب عن الطعام من جديد ٠

وكانت مطالبي من وراء هذا الاضراب ضرورة تحقيق دفاعي الذي أبديته عند اعتقالي وسماع كل الشهود الذين طالبت بسماعهم وضرورة السماح لزوجتي بزيارتي ووضع حد لهذا الجو الارهابي الذي يحيط بي بصفة عامة ٠٠

وجاءني أبو شنيف ليخبرني بأنه سيحقق الدفاع بالفعل ٠٠ ولكني مضيت في الاضراب ٠٠ فجاءوني بزوجتي تزورني وكان موقفهم في هذه الناحية غريبا ، فقد كانوا يرفضون التصريح لها بزيارتي ، وعبثا حاولت الحصول على هذا التصريح فاذا بها تفاجأ

بهم وهم يطلبون منها أن تحضر لزيارتى ومع شدة لهفتها على رؤيتى فقد احست بغريزتها أن هذه الدعوة لزيارتى لا يمكن ان تكون لصلحتى ولذلك فقد اعتذرت عنها واجلتها يوما بعد آخر .

ثم جاءونى بجماعة من الأطباء وعلى رأسهم الدكتور محمد ابراهيم والدكتور عادل الأزهرى ومعهم كبير الأطباء الشرعيين ، وذلك لكتابة تقرير عن حالتى الصحية وقد ظهر لى بعد قليل أن هذا الاهتمام انما يرجع الى رغبتهم فى حضورى المحاكمة التى حدد لها يوم ٥ من مارس ، فكتب الأطباء تقريرا يفيد بأن حالتى الصحية لا تسمح لى بالذهاب الى المحكمة ، وذلك بسبب امتناعى عن الطعام واخيرا زارتنى زوجتى لأول مرة بحضور وكيل النيابة على نور الدين وابراهيم امام .. وكانت هذه اول مقابلة لنا منذ يوم ٢٦ من يناير ، ولم نستطع أن نتبادل اى كلام خاص بالقضية فاكتفيت بالأسئلة العامة عن صحتها واحوالها ، وكان لابد وقد اجيبت كل طلباتى وسمع شهودى وسجلت أقوالى فى الاحتجاج على مرتضى المراغى والاشارة من طرف خفى الى مسئولية الملك عن هذه الحوادث فلم يكن هناك مبرر للمضى فى الاضراب خاصة وقد اصبح من المقرر الا أحضر جلسات المحاكمة يوم ٥ من مارس ، وعلى ذلك فقد كتبت للمحكمة معتذرا عن الحضور ، وطالبا تأجيل القضايا بعض الوقت على أن تنظر فى خـلال الدور نفســه ، وعلى هذا فقد عدلت عن الاضراب وشرعت فى تناول الطعام ، ولكنى فوجئت بعد ذلك بأن القضايا قد تأجلت الى يوم ١٠ من مارس .. أى بعد خمسة أيام فقط وقد أخفوا هذا النبأ عنى فى بادىء الأمر كى لا أواصـل الاضراب ، وقد صدمنى هذا الاجراء صدمة عنيفة وأحسست ما فيه من الكيد لى ولكنى قررت أن اواجه هذه المحاكمات بعزم وشجاعة وان أحـاول تصفيتهـا بأى ثمن من الأثمان وأن أوطد نفسى على احتمال بعض سنوات من السجن .

وجاء اليوم المحدد لنظر مجموعة القضايا وهى مجموعة ينخلع لها قلب أى انسان ولطالما تصورت اليوم الذى تتكدس فيه هذه القضايا فوق رأسى وتمسك بتلابيبى ولم أتخيل فى يوم من الأيام كيف سيكون المخرج منها وكان الحل الوحيد فى نظرى هو أن أمضى .. أمضى حتى النهاية حتى أنفجر وأتمزق اربا . ولكن الذى لم يطف بخيالى ولا دار فى حسابى فى أى يوم من الأيام أن تتجمع هذه القضايا وتنظر وسط هذا الجو الرهيب الذى أصبح يكتنفنى وهذه التهمة الشنيعة تهمة حريق القاهرة تلقى على ظلها الكثيف .

لقد نظرت هذه القضايا من قبل وسط جو صاخب ينبض بالحرارة وثورة الشعب .. كانت قاعة المحكمة تكتظ بأفراد الشعب وكانت المحكمة عندما تصدر أمرها باخلاء القاعة لنظر القضية فى جلسة سرية يبدو عليها أنها ترتكب أمرا ادا وكانت المحكمة لا تلبث أن تؤجل نظر القضية لتتخلص منها وتنجو من الحرج الذى يسببه الفصل فى القضية بالادانة أو البراءة .. أما الآن فقاعة الجلسة خالية خاوية على عروشها ليس هناك من يجرؤ على الاقتراب منها حتى المحامون ممنوع عليهم أن يحضروا الجلسة الا اذا كانوا ممن سيترافعون عنى بالفعل .. وحتى هؤلاء لا يسمح لهم بالاقتراب منى أو التحدث معى . وكان ذلك شيئا لم يسبق له مثيل فى تاريخ القضاء فى مصر أن لا يستطيع المتهم أن يخاطب محاميه حتى أمام المحكمة .. ولكن هكذا شاءت تنظيمات ابراهيم امام الذى كان يشرف بنفسه على هذه الترتيبات والذى صحبنى من السجن الى المحكمة بالاضافة الى مجموعة من ضباط البوليس الكبار ما بين قائم مقام وبكباشى وصاغ ويوزباشى ومع هؤلاء سيارة مليئة بالجنود المدججين بالسلاح .

وكان الذى يعنينى من ذلك كله ان لا تخدش كرامتى ٠ بان يفكروا فى وضع القيود الحديدية فى يدى او ان يزجوا بى فى قفص الاتهام وكان وجود ابراهيم امام معى ضمانه كبرى لكيلا يحدث شيء من ذلك فهذه الحية الرقطاء تحب دائما ان تبدو ناعمة الملمس مع فرائسها ولقد رحبت دائما أبدا بهذه النعومة فكل الذى كان يعنينى هو أن اعامل معاملة طيبة خالية من الخشونة ولقد كان ظهوره على المسرح فى أى موقف من مواقف القبض على او تفتيش بيتى أو محاكمتى هو ضمان لحدوث ذلك ٠

ولذلك فعندما وجدت نفسى فى آخر الامر مستقرا فى مقعد المحامين في محكمة الجنايات وقد وصلت اليها معززا مكرما لم يعنني فى شيء هذا الشذوذ المحيط بى من حيث شدة الحراسة والحيلولة دون أى انسان والاقتراب منى ٠ وقد بدات محاكماتى فى ذات الوقت الذى بدأت فيه المحكمة العسكرية العليـــا برئاسة حسن طنطاوى فى نظر قضايا ٢٦ يناير وقد ضاعف ذلك فى الجو الارهابى المحيط بدار المحكمة فكانت ساحة باب الخلق اشبه بميدان حربى وكذلك المحكمة من الداخل بل وقاعة الجلسة ذاتها ٠ وأخيرا عقدت الجلسة برئاسة هذا الرجل الطيب محمد صادق ، ولقد شعرت دائما أن هـــذا الرجل طيب القلب وقد أيدت الحوادث صـــدق احساسى ٠

ولم يكن معى من المحامين ســـوى عبد المجيد نافع ومحمد عصفور أما الأول فانه يحلو لى دائما ان أصفه بالاسد الغضنفر ولا شك ان فيه من الأسد منظره وعندما يهدر صوته فى المحكمة بهذه العبارات القوية المدوية فانه يشبه فى موقفه دائما اسدا يزار فى غابة ٠

أما محمد عصفور ذلك الشاب الذى يوشك بعد قليل ان يصبح القانونى الأول فى البـلاد .. القانونى المدافع عن الحريات وحقوق الانسان وهو يجلس الآن — أى وقت كتـابة المذكرات — فوق منصة القضاء فى مجلس الدولة حيث صال وجال قبل ذلك فى صفوف المحامين مدافعا عن قضاياى التى شغلت مجلس الدولة طوال عام ١٩٥١ •

وحاول عبد المجيد نافع وعصفور أن يؤجلا هذه القضايا وكان من الواضح انهما يقومان بمحاولة فاشلة فالعزم قد استقر على نظر القضايا (ودربكة) الدنيا فوق راسى والخلاص منى ، وجلس فى كرسى النيابة على نور الدين ورئيسه عبد الحميد أبو شنيف يتحفزان للثورة على المحكمة ان لاح فى الجو امكان تاجيل القضايا •

ورايت أن أخوض المعركة فى شجاعة واستسلام فى ذات الوقت فقررت أننى مستعد لنظر القضايا فورا وانه اذا كان حضرات المحامين غير مستعدين فسوف أتولى المرافعة عن نفسى ريثما يعدون مرافعتهم • وازاء ذلك انفرجت الأزمة وقال القدر كلمته وبدأت المحكمة فى نظر القضايا الخمس •

واقترحت على المحكمة أن تبدأ تناول القضايا من حيث الترتيب الزمنى وهى تتالف من عدة جنح ما بين قذف وسب فى النحاس وسراج الدين والتحريض على جرائم القتل والنهب والحرق وبغض طائفة • فاجابتنى المحكمة الى طلبى ثم دفعت دفعا قانونيا وهو وجوب أن يكون هناك شـكوى كتابية من المجنى عليهم فأسرعت النيابة الى قبول هذا الدفع وأعلنت تنازلها عن كل هذه التهم الموجهة الى النحاس وسراج الدين وعثمان محرم وحسين سرى وكريم ثابت واصبحت التهمة مقصورة على التحريض على جنايات القتل

والنهب والحرق • وكان ذلك افتتاحا طيبا جعل شعاعا من التفاؤل يدب الى نفسى .. وبدأت المرافعة فى صوت منخفض فاشرت الى الظروف التى تحيط بى وشدتها ولكنى أكدت يقينى بالله عز وجل وأنه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. ومضيت فى المرافعة دون أن تقاطعنى المحكمة وكان من الواضح أنها متأثرة الى حد بعيد بالحق والصدق الذى تنطوى عليه كل كلمة تخرج من فمى •

وانتهى اليوم الأول من أيام المحاكمة وعدنا الى السجن لنعود فى اليوم التالى للمرافعة فى قضية أخرى من قضايا العيب فى الذات الملكية •

وفى اليوم التالى كانت المحكمة العسكرية العليا قد أصدرت أول أحكامها فى حوادث ٢٦ يناير ما بين اشـــغال شاقة مؤبدة وخمسة عشر عاما فانخلعت قلوب النـاس رعبا وفزعا من هذه الأحكام الجائرة فقد كان كل انسان فى مصر يشعر أن هؤلاء الذين قبض عليهم ما هم الا أشخاص مظلومون قبض عليهم من عرض الطريق ليقال ان البوليس قد قبض .. ويحكم عليهم ليقال انه قد حـــكم على الفاعلين والمرتكبين • وانفجرت براكين السـخط والغضب على حسين طنطاوى رئيس المحكمة العسكرية العليا ولم يعد هناك فى مصر شخص واحـد لا يسب حسين طنطاوى ويصفه بالجلاد والسفاح •

وكان القائمقام عبد العزيز على المشرف على نقلى الى المحكمة يبدو عليه الاغتباط والارتياح لهذه الأحكام وكان يعبر عن سروره وابتهاجه لابراهيم امام الذى كان يبادله نفس السرور وان كان شديد الحرص على اخفاء هذا السرور فى حبات المسبحة التى كان يعبث بها كمظهر على التقى والصلاح ونقاء القلب • وأبديت لهم

رايى فى هذه الاحكام وانها احكام جائرة وان حسين طنطاوى لن يجرؤ على تكرارها ثانية باى حال من الأحوال بعد هذا السخط والاتكار الجماعى .

وسارت المحاكمة فى يومها التالى فى نفس الجو الذى سارت فيه فى اليوم الأول .. قاعة خالية خاوية على عروشـــها الا من المحكمة ومنى وضباط ابوليس المكلفين بحراستى وعندما جـــاء دورى فى المرافعة بدأتهـــا مواصـــلا مرافعتى فى اليوم السابق وشارحا الموقف بينى وبين الملك وبين سراج الدين وبين الحكومة ، وان حملتى فى حقيقتها هى على الفساد والانحلال ولست أقصد من ورائهـــا الا خير الجميـــع .. وبدا الجـــو يصـــبح مشـــبعا بالعطف على ..

وتمت المرافعات على وتيرة واحدة فى أربع قضايا واذا بى افاجأ فى اليوم الأخير بطلب النيابة تأجيل القضية الخامسة قضية قلب نظام الحكم الخاصة بالمقال المعنون « الثورة الثورة الثورة » . وكان عبد الحميد أبو شنيف قد انبانى انه سيطلب هذا التأجيل لارتباط هذه القضية بحوادث ٢٦ يناير فازعجنى ذلك وكتبت للنائب العام بهذا الاتجاه فما علاقة مقال مضى على كتابته بضعة أشهر سابقة على حوادث ٢٦ يناير بهذه الحوادث . ولكن النائب العام كان قد بدأ كما أظهرت الحوادث فيما بعد يتنكر لى فلم يكن لاحتجاجى اى تأثير ولكن النيابة غطت مركزها فى الحسبة بأن جعلت التأجيل لاعادة اعلان سليمان زخارى المتهم معى فى القضية والذى لم يسبق اعلانه وهكذا تأجلت القضية على هذا الاعتبار .. وتأجل معها النطق بالأحكام الأربعة الى يوم ١٧ مارس ..

وكانت مرافعاتى قد جعلت الضباط المرافقين لى يتحمسون لى ويقطعون بأن الأحكام ســتكون كلهـــا بالبراءة .. وكنت عندما أعود الى السجن يتلقفنى اخوانى وضباط السجن بالسؤال عن

الحالة وعن الجو وعما أتوقع وعما ظهر من اتجاهات المحكمة وكنت ارد على الجميع بأنه يحسن بنا الانتظار فالقول الفصل قد اصبح قريبا ولكن الجميع كانوا يتفاءلون ويمنون باحساسهم الطيب ان لا يكون هناك سوى البراءة أو على الأقل تقدير أحكام مع ايقـاف التنفيذ وكان هذا الخاطر الأخير يلوح أحيانا فى راسى كاعظم ما اتمناه أما البراءة التامة فقد كانت تشبه المستحيل لأن بعض المقالات كان صريح العيب فى الذات الملكية المصونة وخاصة فى مقال « حيدر » بولل » كريم ثابت النقيب ينبغى تطهير البلاد من هذه العصابة » ، وفى هذه الفترة كانت أحـكام حسين طنطـاوى تتوالى كالمطر يوما بعد آخر ، وقد صح تقديرى من حيث انه أصبح يجنح الى تبرئة عدد كبير من المقبوض عليهم تحت ضغط استنكار الرأى العام وهبط باحكامه من الأشغال المؤبده الى خمسة عشر عاما كحد أقصى ، وكانت هذه القضايا وما يدور فيها تؤكد تلتى بنصوع براءتى من ناحية ، فكل هؤلاء المتهمين لا اعرفهم أو يعرفوننى ولا صلة بيننا وبينهم من أى نوع ، ولكن شدة الأحكام والسرعة التى كانت تتم بها (والكلفتة) التى كانت (تكلفتت) بها كان ذلك يزعجنى من ناحية أخرى ويملؤنى خشية من أن اقع فى براثن هذا الرجل على أى صورة من الصور .

وجاء اليوم المحدد لصدور الأحكام وكنت قد قررت الا أحضر هذه الجلسة لأوفر على نفسى القلق ومرارة الانتظار والتطلع المستمر الى حجرة المداولة وترقب اللحظة الحاسمة ، ولكنى قدرت ان الانتظار فى السجن سيكون اشد مرارة ووجدت فى نفسى شعورا بالعزم والتصميم على مواجهة الأحكام أيا كانت ، ولذلك فقد ارتديت ملابسى فى آخر دقيقة وذهبت مع الجماعة الى المحكمة وجلسنا فى القاعة ننتظر ، وكان بعض الضباط يؤكدون ان الأحكام ستكون بالبراءة ، ولكنى لم أكن اشاطرهم هذا الاحساس وان كان التفاؤل يغمرنى ..

الأحـــكام

وهتف الحاجب بصوته الذي يبدو رهيبا في هذه اللحظات « محكمة » ودخل القضاة ومن خلفهم عبد الحميد أبو شميف وأسرعت أتفرس في وجوههم لمعرفة الحكم أو طلائعه فوجدت الصرامة تبدو لأول مرة على وجه محمد صادق ، فكان ذلك نذيرا بالشؤم ، وبدا ينطق أحكامه ، فكان اولها يقضي بالحبس ستة أشهر حبسا بسيطا وهكذا صدر الحكم بالحبس اخيرا وسيكون على أن اقضى ليلتى في السجن ، ولكنى مازلت آمل أن تكون الأحكام التاليا بالبراءة ، ولكن الحكم الثاني كان كسابقه ستة أشهر حبسا بسيطا ، ثم نطق بالحكم الثالث ستة أشهر حبسا بسيطا ، ولقد بدأت الأحكام تنهال على رأسى كما لو كانت مطرا مدرارا ، ولكن من حسن الحظ ان الأحكام في حد ذاتها لم تكن شديدة أو قاسية مما خفف وقعها بعض الشيء واخيرا نطق بالحكم الأخير في قضية الجنحة وهو يقضى بالبراءة ، وكذلك تضمنت الأحكام السابقة بعض الأحكام بالبراءة في تهم اخرى كان قرار الاتهام في كل قضية يتضمنها ٠

وغادرت هيئة المحكمة قاعة الجلسة وسط السكون العميق ، ولقد كنت أنا الوحيد المنشرح الصـــدر بعد انتهاء هذه المحنة وانتهائها على هذه الصورة ، لقد كانت هذه القضايا كالكابوس يكتم على انفاسى ، كانت اشباحا تنغص على نومى في بعض الاحيان أما الآن فقد انتهت وصفيت وتمخضت عن عام ونصف من الحبس ، وهكذا تحدد الموقف وتنفست الصعداء ٠

وأقبل على الجميع يواســـونني ويظهرون الحمد على هذه النتيجة والبعض الآخر يظهر دهشته لهذا الحـــكم غير المتوقع - فالقضايا يجب أن يقضي فيها بالبراءة بعد مرافعاتي ، ولكنى وسط ذلك كله كنت أبتسم في هدوء وكان كل الذي يشغلني هو كيف

ننتهى من الاجـراءات بسرعة واجتــاز هذه المرحلة الثقيلة مرحلة الانتقال من سجن الأجانب الى سجن مصر •

وعدت الى سجن الاجانب لأخذ ملابسى وكان خبر الأحكام قد سبقنى الى السجن ، فوجدت جميع اخوانى فى انتظارى والجزع مرتسم على وجوههم ولن أنسى ما حييت صـورة اسماعيل عامر والحزن العميق الذى كان مرسوما على وجهه وأنا أشير له على البعد مبتسما ان « يشدوا حيلهم » وان لا داعى للحزن ولن انسى كذلك ما ارتسم على وجه فتحى رضــوان من الاشــفاق ان يكون مصيره كمصيرى ، فقد كان عبد الحميد أبو شنيف قد وجه اليه بدوره تهمة العيب فى الذات الملكية وكانت معروضة على نفس المحكمة التى حاكمتنى وحكمت على •

ونزلت سـلم سجن الأجانب فى الطريق نحو سجن مصر ، ولم أكن أعرف ما الذى يضمره لى المستقبل ، وهل هذه الخطوات التى أخطوها ستكون آخر ما يربطنى بهؤلاء الأشخاص الأعزة على قلبى أم انه يتعذر على ان أجتمع معهم بعد ذلك ••

كان المستقبل يبدو وكأنه نافذة مغلقة لا يبدو من خلالهـــا شىء ، ولكنى لم أكن أشعر بشىء من الكآبة ، وكان الهدوء والاطمئنان يغمران نفسى •

ووصلنا الى سجن مصـر ، حيث كان يلازمنى ابراهيم أملم وعبد العزيز على ، ولكننا لم نكد نقرع باب السجن حتى اطل علينا وجه بغيض هو وجه مأمور الســجن المســمى جلال الجوهرى ، والذى طارت شـــهرته كل مطار من حيث غلظته وسماجته ، وقد فهمت من لهجته ان تعليمات جديدة قد صـــدرت ونحن فى الطريق لتغيير مقر سجنى ، وقد كان هذا ما أخشـــاه فقد كنت

شديد اللهفة ان يكون سجن مصر هو سجنى ، وذلك لوجود جميع زملائى المتهمين فى قضية ٢٦ يناير بها وعلى ذلك فاستطيع ان اقف على مجريات القضية ، ومن ناحية اخرى فان سجن مصر من الناحية الصحية سجن حصين تغمره اشعة الشمس، وذلك بخلاف سجن الاستئناف الكئيب والذى لا تنفذ اليه الشمس اطلاقا والمخصص لتنفيذ عقوبة الاعدام ذلك المنظر الكريه الى نفسى .

ووقع ما كنت اخشاه فقد رفض جلال الجوهرى ان يقبلنى فى سجن مصر واحتج بوجود زملائى فى السجن وانه من الخير ان اودع فى سجن الاستئناف ، وقد كان فقد عدت الى المحافظة الى سجن الاستئناف ، وكان لهذا التغيير المفاجىء اثر سيىء جدا فى نفسى ، فقد أحسست بأن ذلك هو بدء الكوارث .

فى سجن الاستئناف

دخلت سجن الاستئناف وصدرى منقبض فلهذا السجن فى نفسى وحشة ذلك انه كما قدمت هو السجن الذى ينفذ فيه على المحكوم عليهم بالاعدام ، وهى عملية بغيضة الى نفسى ، وانا حر طليق فما بالك وانا سجين يظله اتهام خطير ، وكان فى السجن وكيله وهو يوزباشى يدعى عبد الرؤوف حودة فاستقبلنى فى هدوء وانصرف ابراهيم امام ومن معه من كبار الضباط وصغارهم ، وبقيت بمفردى مع هذا الضابط الصغير فى جو يسوده الهدوء ، وقد بدأت الاجراءات العادية اجراءات تفتيش وسؤالى عما اذا كان لدى امانات نقدية او مواد ثمينة ولاحظ الباشسجان فى يدى خاتم الزواج فطلبه منى وظهر الالم فى نفس الضابط ، وبدا عليه انه يوشك ان يعترض على هذا الطلب ، ولكنى رايت أن احسم المناقشة فخلعت الخاتم واعطيته

له ولم يكن ذلك بغير الم عميق فى نفسى ، ولكنى رايت ان اروض نفسى فورا على احتمال صنوف مختلفة من المضايقات .

وكان الحكم على يقضى بالحبس البسيط ، والحبس البسيط يسمح للمحكوم عليه بأن يحتفظ بملابسه العادية ، وهكذا اعفيت من ارتداء ملابس السجن القبيحة ، وبدأت مشكلة معاملتى وهل تكون حسب الفئة فاعطى سريرا ويقدم لى غذاء عدتى يقدمه احد المتعهدين أم أعامل حسب الفئة (ب) كمسجون عادى فأنام على الأرض وأتناول طعام السجن العادى ، ومعلوم أن جرائم النشر والصحافة تعامل معاملة خاصة ولذلك فقد اسرع مدير المصلحة اللواء عمر قودان فاصدر أوامره بأن أعامل معاملة الفئة (أ) بل زاد على ذلك أن قال لوكيل السجن عندما خاطبه فى هذا الموضوع أن أعامل معاملة الفئة (أ) ، وزيادة (تسوية) ولن انسى له هذا الجميل ، ولذلك فقد صرف لى سريرا ومائدة ومرآة وطبقا وملعقة وطشتا وابريقا من الصاج الابيض وقلة نظيفة ، ولم يكد يغلق على الباب لأول مرة فى سجن الاستئناف حتى بادرت بخلع ملابسى وارتداء ملابس النوم واستغرقت فى سبات عميق ، ولم يكن ذلك الا نتيجة الشعور بالراحة لاجتياز هذه المحنة بسلام وكرد فعل للتوتر العصبى الذى تملكنى منذ الصباح ، واستيقظت بعد حين لأرى مأمور السجن وقد جاء للمرور على فلما قلت له ان مدة الحكم على هى سنة ونصف اذا به يقول : « على الله أن ينتهى الأمر عند هذا الحد فيكون خيرا عميما » ، وكانت هذه العبارة تعكس صدى المؤامرات التى تدور حولى وانا فى غفلة ففى ذلك الوقت كان كل انسان يتحدث عن المصير المحتوم الذى ينتظرنى ، حيث كنت اعيش فى غفلة مما يدبر او يحاك لى ، وكانت كلمة هذا المأمور البكباشى عبد المنعم موسى هى اول ما صدمنى بهذه الحقيقة .

وبت ليلى فى سجن الاستئناف حامدا الله ، وعند الصباح طالعت الصحف فاذا بها تحمل نبأ الحكم على بدون اى تعليق باستثناء جريدة المصرى التى قالت عقب نشر الحكم « والمعروف ان الاستاذ احمد حسين سيحاكم أمام المحكمة العسكرية العليا عن جريمة التحريض على حرق مدينة القاهرة » ، ولم اكد اطالع هذه العبارة حتى انتفضت من الغضب لهذه الاكاذيب التى تتعمد جريدة المصرى نشرها للاساءة الى فحتى ذلك الوقت لم يكن قد جرى معى اى تحقيق في حوادث ٢٦ يناير باستثناء هذه الاقوال التى ادليت بها وسماع الشهود الذين اتصلوا بى فى يوم ٢٦ يناير وقد ايدوا أقوالى ، فما تقوله المصرى من اننى ساحاكم امام المحكمة العسكرية ليس سوى تخرصات جريدة وقدية تريد ايذائى ، ولكن الحوادث والاسفاه قد دفعت عن المصرى هذه التهمة ، فقد كانت المصرى تردد فى الحقيقة العزم الذى استقر على محاكمتى حتى قبل ان يبدأ التحقيق معى .

وقد حاول ابو شنيف بعد قليل ان يحرمنى من المعاملة الممتازة فى السجن بدعوى ان المحكمة لم تذكر فى حكمها كيفية معاملتى .. والامتيازات المعطاة للصحفيين فى جرائم النشر انما هى مقصورة على الجنح الصحفية لا الجنايات ، ولكنى رفضت بشدة هذه المحاولة وكتبت مذكرة قانونية افند بها هذه الحجج واثبت احقيتى للمعاملة الممتازة ومرة اخرى وقف عمر فودان – مدير المصلحة – الى جوارى وأقرنى على وجهة نظرى وقد علمت منه فيما بعد بعد تغيير العهد انه كتب مذكرة بهذا الخصوص وعرضها على مرتضى المراغى باعتباره وزير الدفاع الذى تتبعه مصلحة السجون وانه وافق مدير المصلحة على وجهة نظره ، وبذلك استقرت حياتى فى السجن على اساس معاملتى كحرف « أ » وعلى ذلك فقد اصبحت حجرتى تضاء بالكهرباء فى الليل وتقدم لى الكتب التى اطلبها كلها وكان على راسها مجموعة كتب

ومؤلفات لتولستوى ، كما كنت أطالع الصحف والمجلات وأحلق ذقنى بواسطة حلاق خاص مرتين فى الاسبوع وكان متعهد الطعام يعتنى بطعامى عناية خاصة وبدات علاقات الود تنشأ بينى وبين حضرات الضباط وعلى راسهم مامور السجن عباس قطب اما السجانون الطيبون ، فهؤلاء غمرونى بعطفهم وتشجيعهم ونقل تحيات افراد من الشعب لى من حين لآخر .

وهكذا مضت حياتى هينة لينة خالية من كل ما يضايق او ينغص ، وكنت اشعر ان كرامتى مصونة كل الصيانة ، وكان ذلك فى نظرى ليس الا نعمة من نعم الله الكبرى ، ففى الوقت الذى كان يترامى فيه الى سمعى من حين لآخر ان الشعب يتصور انى قد دميت لمقابلة الملك ، وانه قد اعتدى على بالضرب والايذاء ، واننى أعذب عذابا شديدا ، فى ذلك الوقت كنت اعيش فى سجن الاستئناف على اتم ما اكون من الراحة والكرامة لا اكاد اشعر بانه ينقصنى شىء .

وقد كان منطق الشعب سليما عندما تخيل ان فاروق قد استدعانى ليعتدى على ، فكل من فى مصر يعلم مقدار الحرب الشديدة التى شننتها على الملك فاروق تماما وقد اوقعنى الله تحت براثنه فمن الطبيعى أن ينتقم الملك لنفسه بهذا الأسلوب المباشر ، ولكن الذى فات الشعب لانه لم يكن يتصوره فى ذلك الوقت أن فاروق جبان رعديد وهو لا يستطيع ان يواجه رجلا يتحداه مثلى خوفا من أن اسبه أو اهينه او أبصق فى وجهه . ولذلك فهو يؤثر ان يتولى ذلك غيره ، وكان جهاز الحكم قد بلغ درجة من الانحلال ، بحيث لم يكن هناك موظف واحد على استعداد ان يرتكب مثل هذه الجريمة من اجل سواد عيون فاروق ، لقد وجد فاروق عصابة تقتل له من اشار بقتلهم ، ولكن هذه العصابة كانت محدودة الافراد ولم يكن فى رجال مصلحة السجون

او بالأحرى فى سجن الاستئناف بالذات أحد أفراد هذه العصابة . وبالعكس كان بها مجموعة من الضبط ذوى الأخلاق الكريمة وقد زادهم شعور مدير المصلحة الطيب من ناحيتى اطمئنانا على حسن معاملتى ، وكان كل يوم يمضى فى السجن دون أن استدعى الى النيابة للتحقيق فى حوادث ٢٦ يناير يزيد فى أملى أن المسألة فى طريقها الى الانتهاء وان الجميع قد اقتنع ببراءتى التامة ، وكنت مغتبطا بالذات بصدور الحكم على بالحبس لمدة عام ونصف ليطمئن الملك بعض الشيء وليخفف ذلك من حدة غضبه . وكنت من السذاجة بحيث اتخيل ان فاروق يقنع بشيء اقل من راسى .

ومع ذلك فقد مضت الايام تلو بعضها ، بل تحولت الى اسابيع دون أن استدعى للتحقيق حتى اذا انتهى مارس اى اسبوعين بعد الحكم دون ان استدعى بدأ الأمل يتحول الى حقيقة فى نظرى ، حتى اذا بدأت الايام تتوالى من شهر ابريل نفسه دون ان استدعى للتحقيق تحولت الحقيقة الى عقيدة فبدأت اشعر شعورا عميقا أن موضوع اتهامى فى حوادث ٢٦ يناير قد انتهى نهائيا بعد ان اتضح للجميع بعد الحرب الاشتراكى عن هذه الحوادث الرهيبة . وقد غرقت فى هذه العقيدة الطيبة وبدأت حياتى فى السجن تصبح سعيدة كل السعادة وانا بين عبادة الله ومطالعة فى كتب تولستوى وكتابة لتاريخ حياتى ، الى ان زارنى فى السجن الاستاذ محمد عصفور — المحامى — فاذا به يهز هذه العقيدة هزا ويزلزلها فى نفسى ، لقد حمل الى محمد عصفور ذلك الجو الذى حالت جدران السجن بينى وبين التاثر به جو التضييق والتدبير الذى كان يحاك لى ، كان الألم مرتسما على وجه محمد عصفور وكان التشاؤم يسود كل كلمة من كلماته ، وكان يعيب على لماذا لم أستمع الى نصحه عندما طلب الى مغادرة القطر المصرى ، فلما أبديت دهشتى من تشاؤمه وقد انتهى موضوع ٢٦ يناير بالنسبة لى اذا به يبدى دهشته العجيبة

ولا يكاد يصدق أذنيه وسألنى عما اذا كنت فى شك من انى ساحاكم امام المحكمة العسكرية ! فقلت له : ليس عندى اى فكرة عن ذلك ولا يمكن ان احاكم امام محكمة عسكرية ، فنظر الى محمد عصفور نظرة اشفاق كما ينظر الانسان الى شخص مريض بمرض خطير يوشك ان يقضى على حياته ، وهو يجهل كل شىء عن ذلك ويعتبر نفسه فى تمام الصحة ، وكان عصفور يعرف من اتصالاته بمحمد زكى على وهو من رجال السراى ودكتور محمد هاشم ان النية مبيتة على اعدامى .

ولقد كان لعصفور بالذات الفضل فى اننى قررت ان اشرع فى تدوين مذكراتى يوما بعد يوم بعد أن اخرجنى من هدوئى والقى بى فى بحار الشك وظلام المستقبل . فلقد أحسست بعد زيارته اننى بدأت صفحة جديدة ، ولقد كانت بالفعل صفحة جديدة ولنطالع الآن هذه الصفحة كما كتبت فى وقتها يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى .

١٩٥٢/٤/٦

كان اليوم موعد نظر قضية مقال « الثورة ، الثورة ، الثورة » . وقد طلبت النيابة التأجيل لارتباط هذه القضية بالتحقيق الجارى عن حوادث ٢٦ يناير .. وهكذا افصحت النيابة عن هدفها فى الزج بى فى حوادث ٢٦ يناير عن اى طريق ، ولو بايجاد صلة بين مقال كتب من ثلاثة اشهر سابقة على الحوادث .

وقد عارضت فى طلب النيابة واصررت على نظر القضية ، ولكن كان من المحال ان اجاب لهذا الطلب ، ولذلك فقد تأجلت القضية الى دور مقبل لتقدم النيابة ما يثبت ارتباطها بقضية اخرى .

ولقد كنت اتمنى الا تخطو النيابه هذه الخطوة القاطعة في اتيلى ، ولكن هكذا شاء الله ، وانى لحكم الله خاضـــع « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ، انتى أشـعر اليوم بحزن تحت تاثير هذا التطور ، ولكن عسى أن تسـفر الحوادث وتطوراتها عن ان ذلك كان خيرا .

١٩٥٢/٤/٩

بالأمس زارنى الدكتور حلمى مراد ، وقد خلفت زيارته من نفسى بعض التشاؤم الشديد الذى كان يحمله محمد عصـــفور الذى زارنى يوم الخميس ٤/٣ .. وماضى الحوادث تثبت تشاؤمه ولكن الزمن وحده كفيل بترجيح كفة التشاؤم او التفاؤل .. وليس لى من رجاء سوى رحمة الله وعنايته ، التى عشت طوال عمرى اسـتظل بها واتعلق بها واسـتند اليها .

١٩٥٢/٤/١٣

هانذا لا اسـتطيع ان اسجل مذكراتى الا بعد سبعة ايام كاملة من آخر مرة كتبت فيها .. وهذا وحده كاف لاظهـــار حـــالتى النفسـية طوال هذه الفترة وانها لم تكن على ما يرام .. وانتى امضيت اسـبوعا ثقيلا جدا على النفس .

بدأ الضـغط على اعصابى عندما اســـتدعتنى النيابة ، او بالأحرى الأسـتاذ عبد الحميد أبو شـنيف رئيس نيابة الصـحافة ، ليستانف التحقيق معى او على الأصـح ليشرع فى التحقيق معى ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ٨ ابريل . ولم يزد التحقيق على متابعة مناقشـة اقوالى التى ابديتها لاول مرة عندما تقدمت الى النيابة لسـماع اقوالى منذ اكثر من شـهرين .

وقد اثبت فى بادىء الأمر هواجسى وتخوفى مما يحـاك لى ويدبر ، وكيف أن الصحف تردد على سبيل الجزم ان محاكمتى لابد منها !! وتساءلت عن جـدوى التحقيق اذا كانت النهاية محتومة ، سواء ظهرت براءتى أم ادانتى .. وسجلت موضـوع بسيم وجهود الجزار فى تلفيق التهم ضدنا ، وبعد ذلك شرعت فى الاجابة عن اسئلة النيابة والتى لم تزد على استيضاح موقفى قبل الحوادث فى مديرية الشرقية ، وعن فكرة الاعـتزال والاعتكاف ودار بحث حول القوى الروحية والتجرد والاخلاص .

وفى اليوم التالى — اى فى ٩ ابريل — استؤنف التحقيق فى جو اكثر ثقلا من اليوم السابق ، وذلك بسـبب انشـغال بالى بقضية اعلنت بها للمحاكمة فى اليوم التالى — اى فى يوم الخميس ١٠ ابريل — وهى قضية قديمة اتهمت فيها منذ سنة ١٩٤٦ بتهمة تحريض الجند على الخروج عن الطاعة ، وذلك فى نداء اذعته ، ونشـرته جريدة « صوت الأمة »، اهبت فيه بالشعب ان يقاطع الانجليز والا يتعاون معهم حتى يجلوا عن البلاد ورسـمت هذا البرنامج الذى دعت اليه الحكومة فى سنة ٥١ .. وهكذا كالعادة اسبق البلاد فيعتبر كلامى جنايات واقوالا خطيرة .

وقد عجبت فى بادىء الأمر لسـوء الطالع الذى جعل هذه القضية — التى كدت انساها — تجىء فى هذه الأيام التى لا تنقضى فيها القضـايا والأحكام ، وكنت قد طلبت من رئيس المحكمة ان يرسل الى دوسيه القضية فارسل الى وأنا فى التحقيق . واكتشفنا أن القضية قد تكون سقطت بمضى المدة لمرور ثلاث سنوات على آخر اجراء خاص بها ، وتلطف عبد الحميد أبـو شنيف وطلب محضر الجلسة ، ظهر من محضر الجلسة جليا انه قد انقضى اكثر من ثلاث سنوات على آخر جلسة .. ويعنى ذلك سقوطها بمضى المدة باعتبارها جنحة .وكانت النيابة قد قدمتها للمحكمة على انها جنحة

صحفية ، ولكن الوصف الذى وصفته فى الاتهام — وهو تحريض الجند — هو جناية ، كما أن المادة ١٧٥ التى ذكرتها فى القيد هى جناية ، ولكن النيابة من ناحية اخرى لم تقدمها عن طريق قاضى الاحالة وقدمتها مباشرة لمحكمة الجنايات باعتبارها جنحة وهكذا كان الأمر لا يخلو من اشكال ، فلو تمسكت النيابة بأن القضية جناية لما سقطت بمضى المدة ، ولطلبت اعادتها لتصحيح الاجراءات .. ومن هنا فقد داخلنى الهواجس أن تتخذ النيابة منها ذريعة لمضايقتى ، ولكن لأمر ما تصرف عبد الحميد ابو شنيف تصرفا مستقيما ، فقال لى ان النيابة لا تهمها هذه القضية ولن تتمسك بها .. وقد بر بالوعد ففى اليوم الثانى يوم الخميس ١٠ أبريل — وقف ممثل النيابة الأستاذ على نور الدين واثبت أن هناك خطأ فى قيد التهمة ، وطلب استبعاد المادة ١٧٥ — وهى الخاصة بالجناية — وعبارة تحريض الجند .. وبذلك لم تعد هناك شبهة فى ان القضية جنحة .. فلما طلبت اثبات سقوطها بمضى المدة لم يكن امام المحكمة ، الا ان تجيبنى الى طلبى . وهكذا تخلصنا من هذه القضية العارضة ..

وظهر ان الله الرحيم قد جاءنى بها هذه الأيام لتسقط .. وليدخل الى قلبى شعاعا من الرجاء والأمل .

وعدت سريعا الى السجن حيث كان مقررا أن تزورنى زوجتى واولادى لأول مرة منذ اعتقالى وجاءت زوجتى العزيزة الغالية التى ادعو لها بالليل والنهار ان يقويها الله وان ينفخ فيها روحا من لدنه ويباركها . وجاء مصطفى وميمى وريرى وسنة الصغيرة . وكان تأثرى شديدا جدا لمرأى اطفالى وخاصة سنة التى كنت أخشى أن لا تعرفنى .. فاذا بها تبادر للتعلق بى وتقديم ما تحمله من الشيكولاتة لى .

وقد تحدثت طويلا مع زوجتى وكانت أخبارها مطمئنة من ناحية مجريات القضية ، فقد عرض جميع اعضاء الحزب المعتقلين والمقبوض عليهم بمعرفة النيابة على جميع شهود حوادث ٢٦ ، فلم يتعرف على أى واحد منهم .

وكانت (سنة) الصغيرة طوال الوقت كشعاع من النور .. كثيرة الحركة والمرح .. وعندما حان موعد انصرافهم ابت الا ان تتعلق بى ثانية مظهرة رغبتها فى عدم انصرافها ، فتاثرت لذلك تاثرا شديدا .

واستؤنف التحقيق فى يوم الجمعة ١١ ابريل ، وقد فاتنى ان اذكر ان فى جلستى التحقيق فى يومى ٨ ، ٩ حضر جزءا من التحقيق الأستاذ محمد عبد الله « الأفوكاتو » العمومى وقد كنت دائما ابدا اخشى من آرائه وتوجيهاته للتحقيق فسررت من فرصة مواجهته ، وقد طلبت الاطلاع على كتابه فاهدانى نسخة منه وهى خاصة بالتحريض .. وكنت أخشى من الاطلاع على هذا الكتاب ظنا منى أنه مكتوب ضدنا من اوله لآخره . فلما اطلعت على الكتاب وجدته سلاحا لى سأعتمد عليه فى هذا الصراع بينى وبين النيابة .. وقد كانت مفاجاته عظيمة عندما وجدنى فى اليوم الثانى قد اطلعت على كتابه كله ، بالرغم من ان حجمه يبلغ خمسمائة صفحة ، وناقشته فيه مبديا سرورى واعجابى بالكتاب فظهر الاغتباط على الرجل .

وجاء النائب العام ليحضر التحقيق فى يوم الجمعة .. والتحقيق لم يخرج عن مناقشة آرائى وافكارى كما سجلتها فى البيان الذى أذعته على الصحفيين يوم ٢٤ يناير ، والذى انذرت فيه بقرب وقوع كوارث وجرائم وفتن اذا استمرت الوزارة فى الحكم .

وقد اغتبطت لرؤية النائب العام لأستطيع أن أناقشه وأبين له وجهة نظرى .. وقد أثنيت على تقريره عن حوادث ٢٦ يناير وعجبت كيف انه مع هذا التقرير يتصـــور متصـــور أن لى علاقة أو للحزب الاشـــتراكى بحوادث ٢٦ يـنـاير .. وسألته أين دور عســاكر بلوك النظام الذين كانوا هم عود الثقاب الذى أشـعل برميل البارود . فقال النائب العام ان محل موضوعهم هذا التحقيق الدائر .

وانتهى التحقيق فى الساعة الثانية والنصف بعد اربع ساعات ونصف الساعة . وعند عودتى الى السجن وجدت نفسى متضايقا لاســتمرار التحقيق على هذه الوتيرة وهى مناقشـــة اقوالى التى اقولها . وتخوفت من جديد أن تكون خطة النيابة هى عمل تحقيق ضخم من مجرد مناقشـــة آرائى ومعتقداتى ، ثم يقال هذا هو أساس التحريض . ولذلك فقد عولت على أن اقف موقف تصلب فى التحقيق .

يوم السبت ١٩٥٢/٤/١٢ .

ذهبت الى النيابة اليوم بنية الاحتجاج على المحقق .. ولم يكد يوجه الى ســؤاله المعتاد مستمنا أقوالى عن اليوم السابق ، حتى أثبت فى المحضر ان هذا الطريق الذى سلكته النيـابة ليس طريقا قويما ، وأن حوادث ٢٦ يناير قد اصبحت معروفة ومشهورة وسجلها النائب العام فى تقريره ، فاذا كان لدى النيابة ماتواجهنى به من أدلة او شبه أدلة فعليها أن تفعل ، أما أن نظل نتناقش فى آرائى وفى أعمـــالى فهذه مســـألة لن تنتهى . وقد غضب المحقق لموقفى هذا ولكنى تمسكت بأن تواجهنى النيابة بما عندها ، وجاء فى اقوالى أننى متعب فلم اكد اقول هذه الكلمة حتى أسرع رئيس النيابة الى ايقــاف التحقيق لاعطــائى فرصـــة للراحة وتأجيـل

التحقيق ليوم الاثنين ١٤ ابريل . وهكذا أخذت يوما اجازة ، وهو ما خفف الضغط عن اعصابي بعض الشيء .. وهاندا اتمكن من كتابة هذه المذكرة عن هذا الاسبوع الحافل بالعوامل المثيرة .

والله وحده يعلم كيف كان يمكن ان اقطع وقت الفراغ لو لم تكن رواية تولستوى عن (الحرب والسلام) هي التي انكب على مطالعتها كلما خلوت الى نفسي ، فتشغلني عما يحيط بي من هموم . وكانت الصلاة كالعادة هي مفرجي وخاصة صلاة الفجر ، حيث اصلي وادعو في هدوء الليل ربي وخالقي ان يبدد من حولي الظلمات والغواشي ، وان ينجيني ويخلصني من الكيد الذي يكاد لي ولاخواني .

الاحد ١٣ ابريل ١٩٥٢

تبارك الله .. ما اعظم قدرته .. لقد صدر الأمر أخيرا بتأجيل الانتخابات الى اجل غير مسمى .. ولقد ضايقني ذلك في بادىء الأمر ، ولكنني بعد أن فكرت قليلا وجدت أن هذا الاجراء قد يكون مظهرا جديدا من مظاهر رحمة الله بنا . لقد كانت الانتخابات ستجرى والحزب الاشتراكي لا وجود له .. فنحن جميعا في السجون والمعتقلات .. حتى ابراهيم شكرى يوجد في السجن .. وقد كان ذلك يحز في نفسي ، بل لقد جعلني في حالة يأس تام من ناحية مستقبل الحزب .. فقد كان غاية كفاحنا طوال العامين الماضيين ان نفوز برضا الشعب في انتخابات جديدة .. وفيما جاء اوان الانتخاب اذ بنا في السجون متهمين اشنع تهمة ومحرومين من حق المواطنين العاديين . وقد استسلمت لهذا الوضع ورضيته مادامت هذه هي ارادة الله .. وفجأة يصدر مرسوم قبل قفل باب الترشيح بيوم واحد يلغى ما تم من اجراءات ، ويؤجل الانتخابات الى اجل غير مسمى . ولست اشك لحظة واحدة في

انه عندما تستأنف الانتخابات فسيكون النشـــاط قد عاود الحزب فلابد ان يكون فريق من الزملاء قد افرج عنهم وتبددت الســحب والغواشى عن الحزب . وهكذا اعـــاد هذا الاجـــراء الى نفسى بصيصا من الامل بالنسبة لمستقبل الحرب ، وان كنت من ناحية اخرى اتوقع وقد تحررت الوزارة من فكرة البرلمان واى تفكير فى الغاء الاحكام العرفية أن نحكم حكما ديكتاتوريا .. ولكنى لا أظن انه سيكون هناك أسوأ مما حل بنا حتى الآن .. وعلى أيه حـال فأنا لا أملك من الأمر شيئا لنفسى أو لاخوانى ، الا ان أرفع أكف الضراعـة الى الله وان أهتف كل صـبـاح ومسـاء : حسـبنا الله ونعم الوكيل .

وغدا يستأنف التحقيق معى ، ولابد ان رئيس النيابة سيعد لى كل ما عنده من اشياء ضدى ، فالله المستعان على ما يصفون .

الجمعة ١٨ ابريل سنة ١٩٥٢

هانذا لا اجد فرصة من جديد للكتابة الا اليوم اى بعد مضى خمسة أيام من آخر مرة كتبت فيها وقد استؤنف التحقيق فى يوم الاثنين حسبما كان محددا وقد اتيح لى قبل البدء فى التحقيق ان اطلع على حيثيات الاحكام التى صـــدرت ضدى فى قضايا العيب فى الذات الملكية والتى صـــدر احـــدها بالبراءة وقد حمدت الله سبحانه وتعالى ان جعل عاقبة الاحكام سليمة وقد كانت هذه الحيثيات كاحسن ما تكون عليه حيثيات محكمة حكمت بالادانة فان المهم فى موضـــوع هذه الحيثيات انها اثبتت لى الاخلاص والولاء لجلالة الملك ، وجعلت ذلك فوق كل شك حتى لقد ذهبت الى حد الاستغناء عن سماع الشهود الذين طلبتهـــم وذلك لانى « قدمت فى التحقيقات وفى الجلسة أدلة مادية على اثبات ولائى لجلالة الملك وهى جرائد وتنـــزلات وكتب تنطق كلها بهذا الولاء وتواريخها

سابقة على تاريخ هذه الدعوى وهى فى الواقع ابلغ من شهادة الشهود » .

ولما كانت هذه هى النقطة الوحيدة التى تهمنى فى الموضوع كله فقد شكرت لمحكمة الجنايات تقريرها هذه الواقعة . وطالعت حيثيات حكمها بالبراءة فى اخطر هذه القضايا بالنسبة للظروف الحاضرة وهى القضية التى اتهمت فيها بالتحريض على جرائم القتل والنهب والحريق والاتلاف وذلك فى عدة مقالات كانت احدها بعنوان « الثورة آتية لا ريب فيها » وقد ذكرت المحكمة فى حكمها ان ذلك كله قد ورد على سبيل التحذير ولا يتضمن تحريضا على الثورة بل على العكس من ذلك يهدف الى تفادى وقوع الثورات والفتن كهذا الذى حدث فى ٢٦ من يناير . وهكذا عززت محكمة الجنايات وجهة نظرى فى صدقى من كل ما أكتب وجعلتنا فى مركز احسن الف مرة مما لو كانت حكمت بالادانة فى هذه الجنحة ولو بغرامة صغيرة فقد كانت النيابة ستتخذها تكأة فيما تنسجه لى من خيوط الاتهام بتهمة التحريض عن طريق الكتابة .

بقى الأمل أن تنقض محكمة النقض والابرام حكما من هذه الأحكام الثلاثة الصادرة بادانتى نظرا لوجود بعض تناقض فى حيثيات محكمة الجنايات فطالما اثبتت لى الاخلاص والولاء فان هذا فى حد ذاته ينفى وجود القصد الجنائى .

ولكن لا آمل كثيرا فى اجراء محكمة النقض فى هذا الموضوع فاذا حدث غير المنتظر ونقضت المحكمة بعض هذه الاحكام لمصلحتى فان ذلك سيكون مظهرا من مظاهر فيض الله وكرمه العميم .

استؤنف التحقيق على هذه الوتيرة المملة وهو ان يعرض على بعض فقرات من هذا البيان الذى أدمته على الصحفيين فى مساء الخميس ٢٤ من يناير وكالعادة رحت اسهب فى ذكر آرائى وأفكارى وتصوراتى .

يوم الثلاثاء ١٥ من ابريل

استؤنف التحقيق في هذا اليـــوم وقد رحت أعزز بما نشر فى الجريدة الاشـــتراكية اقوالى الســـابقة وقبيل نهاية التحقيق اذا بالمحقق الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف يوجه الى احدى فقرات البيان الخاصـــة بالمدنيين الانجليز فى مصـــر وكيف أنه فى الوقت الذى ينكل فيه الانجليز بالمصريين على ضـــفاف القنال مستخدمين أبشـــع الوان الهمجية حتى ليرموا للكلاب جثث الشـــهداء ، يعيش المدنيون الانجليز فى القاهرة تحت حماية الحكومة ورعايتها بل وكرمها وترغيبها !! وســـألنى عن المقصـــود بهذه العبـارة مشـــرحتها له وكيف أننا طالما نادينا بوجوب اعتقال هؤلاء الانجليز أو ترحيلهم على الأقل من البلاد . فاذا به يعاجلنى بقوله : أليس فى هذه العبارة تحريض على الانجليز ؟! فرددت عليه بأن هذا البيان لم ينشـــر وأن العبارات لا تحوى سوى النقد لتصرف الحكومة . وقد لاحظ المحقق أننى تضايقت من هذا السؤال فختم التحقيق فى الواحدة والنصـــف على أن يستأنف فى اليوم التالى . وفى الحق لقد غضبت غضـــبا شـــديدا لهذا الســـؤال ورأيت فيه طرفا من هذه المحاولة المنكرة لتوجيه الاتهام الى على أى صـــورة من الصـــور . فقد كانت مصـــر كلها تحارب الانجليز وتحرض على الانجليز ويراد الآن تسقط بعض عبارات تافهة لنسبة التحريض الى . كانت الحكومة تحرض والصحف تحرض والاذاعة تحرض والحكومة تمد الكتائب لحرب الانجليز ، ويراد الآن نســـيان ذلك كله وحصـــر التحريض فى .. ولذلك فقد عادت الى كل هواجسى وكل الأفكار السوداء واعتزمت أن أقف موقفا آخر فى التحقيق .

وقد حدث حادث آخر فى هذا اليوم جعلنى أقف طويلا محاولا تدبر مغزاه . لقد رآنى شخص من الأشخاص وهو شيخ مدرس سأل عنى فقيل له انه أحمد حســـين ، فاذا بالقمر يبدو على وجهه

ويرتفع صوته سبحان الله ومهللا ومكبرا . فقد كان يعتقد اعتقادا جازما ان أحمد حسين قد مات وقتل وانتهت أيامه ، وهاهو يراه يبعث من جديد امامه . لم تكن هذه اول مرة تبلغنى فيه أن الاشاعة السارية فى الشعب هو اننى قتلت بالفعل ، وقد علمت ان هذه الاشاعة بلغت حد التواتر وكان كل من يتصل بى فى هذه الفترة ينقل الى اجماع الناس على هذه الحقيقة .. ولكننى لم اقف امامها طويلا كما وقفت هذه المرة ، فان الانزعاج الذى ظهر على الشيخ جعلنى اشعر بعمق هذه الاشاعة وانها وصلت الى حد اليقين والحقيقة المقررة . ولقد قال الشيخ انه عندما يقسم للناس انه رآنى حيا فلن يصدقه احد . قلت فى نفسى اذن هذا هو الموقف فانا اعتبر عند الشعب ميتا . أى اننى لو كنت قد مت او قتلت بالفعل لما زاد الموقف على ذلك .. مجرد فكرة يتناقلها الناس كخبر من الاخبار . ولم يصل الشعب الى قبول هذه الاشاعة الا لأنه راى الموقف يتقبلها ورآها نتيجة منطقية للحوادث الجارية . ومعنى ذلك أننى اذا كنت لا أزال حيا حتى الآن فما ذلك الا نعمة الله وفضله الذى حمانى حتى هذه الساعة من هذا المصير المقرر والذى اعتقده جازما .

وهكذا تضافرت على حالتى المعنوية عدة عناصر زادت في قلقى ويعلم الله أننى لا أجزع من الموت أبدا ودليل على ذلك أننى ما أويت الى فراشى كل ليلة الا وساءلت نفسى اذا كانت هذه آخر ليلة فى الحياة فلا استيقظ بعدها أبدا فارى الفكرة لا تثير فى نفسى أى اضطراب أو قلق .. فما يجزعنى فى الحقيقة بما يدور او يحاك لى الا الخوف من ان يكون الله سبحانه وتعالى قد تخلى عنى وسوف يسلمنى بيد هؤلاء الظلمة وأن حياتى ستنتهى على هذه الصورة ، هذا هو مبعث الهم والقلق .. فالمسألة عندى هى مسألة رضاء الله أو عدم رضاه ، ولقد عودنى دائما الجميل عودنى أن ينقذنى من كل هم وضيق وماسرت فى الحياة ولا تحركت حركة الا وانا استلهم الله

عز رجل ، وقد كنت أرى دائما أثار نعمته على .. فاصبح ما أخافه أن أحرم من هذا النعيم .. وهكذا أمضيت ليلة يشوبها القلق .. وكالعادة استغرقت في مطالعة رواية الحرب والسلم التي استولت على كل الاستيلاء خاصـــة وأن آراء الرجل تكاد تتفق في كل شيء من آرائي .

يوم الأربعاء ١٦ ابريل

ذهبت اليوم للتحقيق مقررا ان أقف من التحقيق موقفـــا سلبيا . وقد سألني أبو شنيف عما اذا كنت اريد ان أكمل اجابة الأمس فاجبت بالنفي . ثم وجه الي سؤالا أو بالأحرى عرض على فقرة من فقرات البيان تدور حول وقوف الأغنياء موقفا سلبيا من حركة التحرير فلم يمدوها بالتبرعات أو الاكتتابات فاجبت على ذلك بأن العبارة واضحة لا تحتاج الى تفسير فسألني أليس فيها تحريض فقلت لا وهنا شعر أنني لست في حالتي العادية وأنني غاضب فسألني عن السبب فقلت له لا داعي لذكر الأسباب ، فألح على فانفجرت منددا بالتحقيق وطريقته وأسلوبه وأن المقصود منه هو عمل قضية لي بأي أسلوب من الأساليب ، وقلت له انظر الى سؤال الأمس فأنت تنصبه عبارة بريئة لتجعل منها تحريضـــا على قتل الانجليز حيث كانت مصر كلها وعلى رأسها جلالة الملك يحرض ضد الانجليز بل كان الوزراء رؤساء للكتائب التي تحارب الانجليز .. فلماذا اختص بهذا التحقيق . وقد هدأ من غضبي وراح على عادته يخفف من وقع الموقف ويقسم لي أنه سيحقق دفاعي كلمة كلمة وأنه سيقوم بواجبه على ما يرضي الله .

وانتقل التحقيق الى مذكرة قدمتها للنائب العام مصورا فيها حوادث ٢٦ يناير وهي توشك أن تكون الأساس الذي استلهمه النائب العام في وضع تقريره عن هذا الحادث .. أو هو الحق

كما انتهيت اليه من تحقيقاتى • وكما انتهى هو اليه من تحقيقاته •
وقد سرنى أن يدور الكلام حول هذه المذكرة التى تثبت كيف كنت أول من حاول أن يصور حوادث هذا اليوم ويحدد أسبابه والمسئولين عنه •

وقد انتهى التحقيق فى ساعة مبكرة لاتمكن من الاطلاع على محاضر جلسات محكمة الجنايات وذلك لاعداد أسباب النقض •
وتأجل التحقيق الى يوم السبت وهكذا أتيح لى يومان للراحة ••
بالأمس شغلت فى وضع مذكرة عن تطورات التحقيق وموقف الحزب الاشتراكى منه واثبت فى هذه المذكرة براءتنا بما لا زيادة بعده لمستزيد عسى ان يكون لها أثر فى ايقاف هذا التيار المعادى لنا •

موضـــوع بسيم

وقد تلقيت فى السجن صورة فوتوغرافية من تقارير بسيم التى كتبها بعد هربه من يد البوليس وسجل فيها كيف كان البوليس يغريه على تلفيق التهم الخطيرة لنا •• ولقد عرض هذا التقرير على النيابة بواسطة ادارة السجن قبل تسليم الخطاب الى، ولابد أنه وقع من النيابة والبوليس موقع الصاعقة فهو الشهادة الناطقة على التلفيق • حقا أن النيابة والبوليس بعد هروب بسيم كانا قد بدآ يفقدان الأمل فى هذا الدليل ومع ذلك فقد كانت أقوال بسيم لاتزال قائمة •• فجاء هذا التقرير الموقع عليه بخط بسيم يهـــدم هذه الأقوال بل ويثبت الغش والتلفيق والتزوير على رجال البوليس •

وليس لى ما أقوله الآن الا أن أواصل تضرعى وابتهالى الى الله عز وجل أن يظهر براءتنا وأن ينجينا من الهم والضيق ويفند التهمة الشنيعة •

الاثنين ٢١ من ابريل سنة ١٩٥٢ ثم التسليم

استؤنف التحقيق يوم السبت ١٩ من أبريل كما كان مقررا وكان أحد الضباط الذين جاءوا لاصطحابى هو برتى مرقص الذى كان يشرف على سجنى فى سجن الأجانب ، وقد تحدثت عن شخصيته فيما سبق ولولا انشغال بالى بالتحقيق المقبل لكان استمتاعى (بتهريجه) أضعاف ما استمتعت به .

لم يكن فى الأسئلة التى وجهت الى شىء له قيمة الا سؤالا عن البيت الذى نزلنا فيه فى الاسكندرية وعما اذا كان هذا البيت يقع فى محطة بولكلى بشارع الن وقد نفيت ذلك نفيا قاطعا ، فالبيت الذى نزلنا فيه لم يكن يقيم فيه أحد وهو يقع فى سيدى بشر ، ويظهر ان البوليس السياسى قد نسج قصة حول اقامتنا فى الاسكندرية ولكن النيابة لم تر أهمية لهذه القصة فاكتفت بهذا السؤال الذى نفيته .

وبعد ذلك جىء بما تصورت النيابة أنه احدى خطبى التى ألقيتها فى الدار قبل حوادث ٢٦ من يناير فلما عرضها على المحقق لم أعرف الشخص الذى كتبها ولما طالعتها وجدت فيها كثيرا من المعانى التى أنادى بها فى كل خطبى وفى كل كتاباتى من التزام الحزب الاشتراكى بالقانون واتباع الأساليب القانونية فى جهاده .. وبالجملة فقد سررت بأن تكون هذه الوثيقة التى تكشف عن روح الحزب وجهاده القانونى فى يد النيابة . وقد سألنى المحقق عما اذا كانت هذه خطبتى فأجبته بالرد الطبيعى فى هذه الحالة وهو أننى لا يمكن أن أقبل نسبة أقوال مكتوبة بخط انسان آخر وليس لها تاريخ فأجعلها خطبة من خطبى أحاسب على كل حرف فيها .

ومع ذلك فقد أظهرت استعدادي لتحمل كل ما تضمنته هذه الأوراق من معان وقد رحت أشرح هذه المعاني باسهاب من كراهيتي للعنف فضلا عن الجريمة وكيف أنني أبشر وأدعو للمحبة والسلام والتآخي وأومن بمبادىء غاندى وتولستوى والمسيح والاسلام في دعوته للمحبة والاخاء بل ذكرت خطبي في الكنائس وشرحي لآية « الله محبة » • وانتهى التحقيق عند هذا القدر بعد اثبات تقريع بسيم وطلبي الشروع في تحقيقه فورا • وقدمت للمحقق مذكرة طويلة كتبتها في ١٧ صفحة وفيها استعراض لموقف الحزب الاشتراكي وموقفنا من حوادث ٢٦ من يناير وعدم جدوى توجيه أى اتهام لنا مع براءتنا براءة الذئب من دم ابن يعقوب •

وقد تأجل التحقيق بناء على طلبي الى يوم الثلاثاء للراحة والاستجمام • وطلبت تصريحا للدكتور حلمي مراد لمقابلتي بخصوص أسباب النقض واعدادها •

يوم الأحد ٢٠/٤

لم يحضر الدكتور محمد حلمي مراد ولكنه أرسل أسباب النقض في القضايا الثلاث كما وضعها الدكتور على راشد وبعد الاطلاع على هذه الأسباب غمرتني موجة من الوجاء لن يتم الله نعمته وتحدث المعجزة الكبرى فتنقض محكمة النقض هذه الأحكام وتقضي بالبراءة فقد كتبت بطريقة رائعة ، وتمسكت بالتناقض الوارد في هذه الأحكام التي تثبت لي الولاء والاخلاص من ناحية وتعاقبني في ذات الوقت حيث يتطلب القانون للعقاب ثبوت القصد الجنائي الذي يتعارض مع الولاء والاخلاص وقد دخلت المسجد القائم بالسجن ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذه الأسباب وأن يملأ قلوب القضاة عند مطالعتها خشية منه وخوفا ورغبة في احقاق الحق •

وقد قابلني في السجن أحد رؤساء أقلام الشهر العقاري والذى جاء بنفسه لاثبات توكيل صادر مني للمحامين عني ... وقد كان الرجل في أشد الشوق لرؤيتي ، وقد أبدى دهشته لأن يراني — كما قال — في حالة معنوية عالية ، وذلك يعكس الصورة التي ترددها الاشاعات ، والتي تذهب كما ذكرت من قبل، الى حد القول بأنني قتلت .

يوم الاثنين ١٩٥٢/٤/٢١

وهاأنذا اكتب هذه السطور في يوم الاثنين يوم شم النسيم ، وهو يوم عطلة في السجن فلا يسمح لنا بأى طوابير أو نزول الى ساحة السجن وتظل الحجرة مغلقة طول اليوم . ويخيل الى ان وكيل السجن يفتش الآن حجرات المسجونين . وهو ضابط جديد جاء بالأمس بدلا من الوكيل السابق الذى كان يسمى عبد الرؤوف جودة ، والذى كان شابا ممتازا من حيث الاستقامة ودماثة الخلق بحيث أسف الجميع على فراقه ولكن الوكيل الجديد يبدو كذلك انه رضى الأخلاق كريم النفس .

وكالعادة اتطلع الى الغد حيث يستانف التحقيق راجيا الله سبحانه وتعالى الا يحمل في طياته مفاجآت منغصة أو شيئا يزيد في همومي وهواجسي .

يوم الأحد ٢٧ من ابريل سنة ١٩٥٢

لم أستطع ان اكتب شيئا قبل انقضاء هذا الأسبوع فاليوم فقط أي بعد انقضاء ستة أيام على استئناف التحقيق أجد في نفسي قدرة على كتابة شيء يقابلها من فترة من اقسى الفترات التي مرت على في هذه الثلاثة اشهر على قسوتها في حد ذاتها ،

ويرجع عامل تسـوتها الى المفاجأة التى فوجئت بها فبعد ان كان الأمل قد بدأ يداعبنى فى امكان تمخض التحقيق عن شىء جاءت هذه المفاجأة لتدلنى على ان العكس هو الصـحيح ، وأن النية قد بيتت على الاسراع بتقديمى للمحاكمة بل والمحاكمة العسكرية على ارجح الظروف .

كنت قد ذهبت الى المحقق يوم الاربعاء بنية الا امضى فى التحقيق الا بعد أن يحقق دفاعى أو بالاحرى اقوالى فلم يكن فى التحقيق حتى الآن ســوى اقوال .. وعندما واجهت عبد الحميد ابو شنيف المحقق وجدت مجلدات الاشتراكية وقصـــايا مكدسة امامه فاعلنت أننى متعب ولن اسـتطيع المضى فى التحقيق على هذه الوتيرة وانى فى حاجة الى راحة طويلة الأمد يحقق فيهـا أقوالى فاذا به يقول لى وهو كذلك وكل ما ارجو أن اعرض عليك بعض الوقائع لترد عليها ولن يستغرق ذلك منا ســوى بضع كلمات .. وهنا كانت المفاجأة الكبرى والتى تؤثر دائما لمجرد كونها مفاجأة غير متوقعة . ذكر لى ان شخصا سماه لى وهو مهندس ومن عجب اننى لم اسـتطع ان اذكر اســـمه على الرغم من تكرره أمامى وعلى الرغم من ان الرجل جاء وواجهنى فى التحقيق .. هذا المهندس شهد أنه رآنى فى ســـيارة ستروين امام بار الانجلو المحترق فى الســاعة الرابعة مساء السبت ٢٦ من يناير ، وأن السـيارة كان يقف فوقها شـخص يمسـك علما اخضـر وانها جاءت أمام بار الانجلو حيث كانت مهماته وأدواته تحترق فى عــرض الطــريق ثم وقفت السيارة ونزل منها شـخص ممســـك بعلم فوقف امام هذه الانقاض المحترقة ورفع العلم ثم مضـــت السيارة بعد ذلك .. وأن هذا المهندس قد عرفنى على الفور . وسألت متى قدم هذا البــلاغ وقيلت هذه الأقوال، فقيل لى فى ٥ من فبراير فكانت هذه المعلومات غير ســارة بطبيعة الحال ولكن وقع المفاجأة لم يلبث ان اشـــتد عندما قال المحقق وقد تعرف هذا المهندس على جبر حسن باعتباره

هو الشخص الذى نزل من السيارة ممسكا بالعلم وجبر حسين
هذا على ما تقول النيابة هو الحارس الخاص بي ، وكانت ردودي
على هذه الاقوال كلمات موجزة جدا لا تعدو ان ذلك كله تلفيق
انزه نفسي عن الرد عليه واذا به يزيد الأمر الحاحا فيقول وقد
تعرف على شخص يسمى ممدوح عبد المقصود وهو اشتراكى .
وكانت هذه واحدة . وانتقل عبد الحميد ابو شنيف الى دوسيه
آخر وقال وشهد الدكتور عزيز فهمى بانه سمع من شخص
اسمه جلال لطفى انه رآك فى الساعة الرابعة والنصف امام
محلات هيلمان للسيارات تحرض على حرقها ، وكنت راكبا سيارة
جيب وقد عرفك لهتاف الناس من حولك الزعيم الزعيم ، ولما كان
يعرفك من قبل فقد شهد بانه رآك .. وكانت هذه مفاجاة جديدة
ان يذكر اسم الدكتور عزيز فهمى على انه هو الشاهد ضدى ،
ولم أعلق على الدكتور عزيز فهمى باعتباره يشهد بما سمع ،
ولكنى تساءلت من كيفية وصول ذلك الى علم البوليس او
النيابة فقيل ان تقريرا قدم من اللواء ابراهيم امام يقول فيه انه
علم ان الدكتور عزيز فهمى قد سمع من جلال لطفى هذا القول.
فانفجر غضبى على هذا الابراهيم امام الذى تجعل منه الحكومة
والدولة شيئا مذكورا وهذا هو منتهى جهده فى هذه القضية
الخطرة ان يقدم فى يوم ١٠ من فبراير تقريرا يلخص فيه معلوماته
انه سمع ان شخصا آخر قد سمع ، وعرفت أن يد التلفيق
تعمل عملها ، وان النية قد بيتت على امر ، ولم ازد فى تعليقى
على هذه الوقائع الا بهذه العبارة .

ثم ذكر ان اشخاصا سماهم وعلى راسهم شخص اسمه
تادرس قد شهدوا انه فى الساعة الثالثة والنصف تقريبا مرت
عليهم سيارة فى شارع الملكة كانت الناس تصفق لهم ، ويقولون
أن احمد حسين فى داخلها وسئل الآخرون فقال بعضهم كان يهتف
بحياة أحمد حسين وحياة الاشتراكية ، وقال ثالث كانوا يهتفون

بحياة الوطن ، واجبت من ذلك كله بانه كلام لا يستحق عناء الرد .

وكان أبو شنيف قد أبقى مفاجأته الكبرى حتى النهاية فقد اعد الامر كله ليكون مفاجأة فى الكل والتفاصيل .. استحضر أوراق دوسيه رابع ثم قال وشهد من يسمى سعيد وهو موظف بشركة ميتشل كوتس انه فى تمام الساعة الواحدة والربع رآك امام محطة بنزين شل الملاصقة لنادى التيرف كلوب ، والذى كانت النار تشتعل فيه ومع ذلك فقد اشرت الى شخصين ان يزيداه لهيبا فالقيا عليه كرات ملتهبة فازدادت النار اشتعالا .. ويقول هذا الشخص انه عرفنى لانه كان يرى صورى دائما فى الصحف وقد زاد على ذلك كله ان تعرف على من يسمى خليل عبد المنعم خليل وهو الشخص الذى قام بقيادة السيارة الستروين فى ذلك اليوم .. الله أكبر .. فادى التيرف كلوب حيث حرق الانجليز وماتوا اى ان الاتهام فيه هو لخطر تهم هذا اليوم على الاطلاق فهم يريدون عنقى وحياتى كلها . وسألت المحقق اذا كان لايزال هناك فى جعبته شىء فاجاب بان هذا هو كل شىء فاجبت من هؤلاء الشهود بان النيابة تعرف جيدا اين كنت فى هذا اليوم ، وقد ثبت امامها هذه الواقعة بما لا زيادة بعده لمستزيد ولاحظت ان هذه الاقوال الجديدة قد تاخر عرضها على ، وانها لا تستغرب فقد كان لابد للبوليس ان يلفق . ثم طلبت ان تسرع النيابة فى تحقيق اقوالى السابقة كى اعطى فترة للراحة فوافق أبو شنيف على ذلك ، على أن يستدعينى فى اليوم التالى لمواجهة هؤلاء الشهود .

وعدت الى السجن مغمورا فى غمرة هذه المفاجأة الشديدة التى لم تكن لى فى الحساب ففى الوقت الذى كنت اتهيأ فيه للسماح بموجة من الامل والتفاؤل ان تغمرنى من جديد اذا بهذا

التطور المفاجيء ، وعدت معمورا بالانكار الى السجن فاذا بخطاب النيابة على آثارى بدعونى فى اليوم التالى لاستئناف التحقيق او بالأحرى للمواجهة مع هؤلاء الشهود .. واحسست بشعور الانسان عندما يحس أنه قد غدر به ، لقد غدر بى .. وانتفضت نفسى بالثورة على هذا الظلم وهذا الغدر ، ورايت نفسى فى حالة اشبه ما تكون بالحمى ، ولم أعرف كيف انقضى النهار ولكنه انقضى ، وجاء وقت المغرب وقد كنت صائما فاذا بى لا استطيع ان افكر فى موضوع الطعام فضلا عن ان اقترب منه .. ولم استطع ان اطلع فى شيء او ان اقرا شيئا لقد كنت فى حالة اعياء وصليت المغرب وطلبت من الحارس ان يطفيء النور فى حجرتى فعجب لذلك ، فقد الف الا يطفيء النور الا فى العاشرة مساء .. ولكن النور كان يضغط على اعصابى ، وصليت العشاء واستلقيت اخيرا على الفراش وكنت اعرف ان النوم لن يعرف سبيله الى جفنى فاستسلمت للأرق كشيء طبيعى .. ورحت انقلب كما يتقلب الانسان على الجمر .. الغدر .. الظلم .. الحقد .. كانت هذه هى الأشواك التى انقلب عليهـا والنار التى تحرق صدرى .. انهم يحقدون على .. هم على استعداد للنيل منى ظلما وعدوانا .. حتى التحقيق معى قد اخذ صورة الغدر وكنت من حين لآخر كما تعودت دائما افزع الى الله واهتف فى صوت مسموع من اعماق قلبى الى الله ان يدحض الباطل وان يخلصنى وان يحبط كيد الكائدين وان يرده عليهم .. وقد رحمنى الله فنمت قليلا وقد يكون ذلك ساعة او بضع ساعة واستيقظت وبدات اصلى ولعلى قد شربت كوب ماء .. وعندما طلع الضوء بدات اطالع اى شيء تقع عليه يداى لاقطع الوقت .

الخميس ١٩٥٢/٤/٢٤

وذهبت الى النيابة مصطحبا معى احد اعداد جريدة الأهرام الصادر فى ٤ فبراير وقد نشر فيه خبر اعتقالى وصورتى

وان احدا لم يتعرف على ، وقد رايت فى ذلك النشـــر فى يوم ٤ التفسير لماذا تقدمت هذه البلاغات فى يوم ٥ اى فى اليوم التالى لتكون علاجا لما احدثه هذا النشـــر من تعرئة ساحتى والدفاع عن شخصيتى .

وجاء المهندس وهو شخص يقطر حقدا ، وقال على الفور انه يعرفنى لانه هو الذى يبنى العمارة التى تواجه الحزب طوال العلم المنصـرم .. اذن فهذا هو التفسير لماذا عرف جبر حسن فهو يعرفه من الحزب ويعرف انه يصاحبنى فى عربتى فمن يريد ان يلفق على يحســن التلفيق ســيما بالزج بجبر حســن وهكذا عـر ما بدا لى مصــادفة غريبة ، وهى ليســت سوى تدبير كما اجبت على المحقق عندما قال وقد تعرف على جبر حسن فقلت له ، امسان فى التلفيق ، وهكذا كان . وكرر امامى اقواله الســمجة الملتوية من انه رآنى وكنت فى داخل الســيارة التى وقفت امام كومة الاشياء المحترقة ونزل منها جبر حسن فرفع فوقها العلم لمدة خمس دقائق ثم انصــرفت الســيارة .. رواية فجة سخيفة لا معنى لها ، وسألته كيف وصــلت هذه المعلومات الى البوليس والنيابة فاجاب بانه يبنى بيتا لطه عزت مســاعد الحكمدار وانه قص عليه هذه الرواية فكلفه بالبلاغ فبلغ ، وهكذا عرف طريق التلفيق وانتهى امر هذا الشخص الذى اكله الى الله ســبحانه وتعالى ، اما بالنســبة لجلال لطفى فقد قيل انه مســافر فى فرنسا فلم يحضــر ، فجىء بالشــاب الســودانى او النوبى الذى يعمل فى ميتشــل كوتسى ، والذى قيل انه رآنى أمام التيرف كلوب . وقد تعرف على من خلال ثلاثة اشخاص ، وقال انه كان يرانى دائما فى الصــور . وبدأ يقص قصــته ولفت نظرى فيها انه يقول انه نزل من مكتبه فى الشــركة الســاعة الواحدة بعد الظهر فكانت النار تشــتعل فى جروبى وفى الدولتز ، وفى علمى أن اشــتعال النار فى الدولتز كان فى ساعة متأخرة وكذلك جروبى

وان كنت لا اعرفه بالضبط .. وتتابع اقواله فنكر انه سار حتى وصل الى محطة البنزين فى الســـاعة الواحدة والربع بالضبط فرأى الســـيارة التى كنت فيها ، وكان هناك مخزن خمور قد بدأ يشـــتعل ، وطلبت منه ان يكرر هذه الاقـــوال فيحصى الحرائق التى مر بها منذ خروجه من المكتب حتى وصـــل الى بيته فأعاد ذكر ذلك . ولما سألته عن كيف وصـــلت هذه المعلومات للنيابة اتضـــح من اقواله انه كان يدردش بهذه الاقوال فى بيته لاحـــد ضـــيوفه فذهب هذا الاخير وابلغ محمد يوسف فى وزارة الداخلية، فاستدعى هذا الشـــاهد بدليل الى الوزارة وطلب ان يكرر ما قاله لهذا الشـــخص فاضـــطر أن يكرر هذه الاقوال ، وأن يشهد بها لينجو بنفســـه .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لما كان هناك ما اخذه على النيابة أو بالاحرى على المحقق ، ولكنه فاجأنى بقوله تعقيبا على هذه الشهادات ان الشـــهود الذين اســـتشهدت بهم وقلت انهم خاطبونى أو اتصلوا بى فى البيت لا تتعارض شـــهادتهم مع شـــهود الاثبات فالاتهام قائم وليس هناك ما ينفيه ، وقد ذهلت لتلخيص الموقف هذا التلخيص العجيب المستنكر ، ولذلك فقد رددت عليه بقولى « هذه مهاترة لا أرد عليها » ، فلما زاد المحقق على ذلك سؤالا آخر فيه معنى الاتهام قلت له « وهو كذلك » ثم انفجرت فيه وفى المحضر ، واصفا هذا التعسف وهذه المحادثة المنكرة الكيد لى بما تستحق وامتنعت عن المضى فى التحقيق بعد ذلك الا أن يسأل جميع اعضاء الحزب المعتقلين والمسجونين اين كنت فى هذا اليوم وأن يســـأل بوليس الروضـــة جميع الناس فى منطقة الروضـــة فان البوليس اذا كان قد جاء بمأمورين أو ثلاثة يقولون انهم رأونى فان مئات والوفا يشهدون فوق كبار رجالات مصر الذين شـــهدوا اننى كنت فى بيتى فى تلك الوقت .. وكان من العجيب أن المحقق وهو يعدد شهودى قال ان علي ماهر قد شهد أنك كنت فى البيت الساعة

الثالثة وأن على الغاياتي قال انه خاطبك في الرابعة . ولكنني لم أذكر اســم الغاياتي الا في مرحلة متأخرة من التحقيق وذكرت انه خاطبني الساعة الثانية . ومعنى ادعاء النيابة : انني كنت أنزل الى القاهرة بين كل مكالمتين تليفونيتين فأحرق بعض الأماكن ثم أعود الى المنزل لأتلقى المكالمة الثانية أو لأخاطب شخصا وليس وراء ذلك سوى أو عبث كما ذكرت في التحقيق بالذات .

وانفض مجلس التحقيق في جو عاصــف ، وقد وصل بي الغضب الى مداه ، ووجدت لذلك راحة في نفسي ووجدتني مستعدا لاسوأ الاحتمالات وأنا في هذه الحالة .. وهذا هو شأن النفس البشــرية عندما تستفز وتتحدى فان كل قواها الغاضــبة تثور فتستهين بكل شيء .. لقد وجدتني وأنــا أتحدى عبد الحميـد أبو شنيف أو بالأحرى أتحدى القوى الظالمـة التي يمثلها والتي ترغب في الكيد لي وجدتني أشعر بأنني أقوى منها وأنها أحقر من أن تنال مني ، وأنني مستعد لكل الاحتمالات بعزيمة ثابتة بما في ذلك الموت نفســه . وقد ذكرت ذلك لأبو شنيف وأعلنتــه انني سأرد على هذا التحدي بالتحدي مسلحا بايماني بالله معتمدا على قوة الحق التي أمثلها والتي تملأ نفسي ».

وعدت الى الســجن أحســن حالا من اليوم السابق فقد كان عنصر المفاجأة قد زال وكان أسوأ ما في الموقف قد حدث ولم أكد علمت أنها ستكون قضية وسيكون اتهـام ، وقد يحدث ذلك بأسرع مما كنت أتوقع في أكثر الأوقات تشاؤما ، وعندما يوطد الانســان نفســه على وضــع معين فانه يكون أهدأ بالا حتى لقد قيل ان اليأس احدى الراحتين ، وذلك حق فليس هناك ما يعذب الانســان أكثر من الأمل ، فاذا لم يكن ثمة أمل فليس هناك عذاب وانما استسلام وتبلد ، وكان قد انقضى لي قرابة ثلاثة أيام بغير طعام ويومين بغير نوم ، فكنت في منتهى التوتر والاعياء ولكن

كان من الواضح أنه سيكون بمقدرتى أن آكل عندما تغرب الشمس وبحين وقت الفطور ، وكان ذلك فى حد ذاته هو علامة التحسن .

وهرعت الى صحفى ابحث فيها عن مواعيد حرق جروبى والدوللز والتيرف كلوب فوجدت تقرير النائب العام يحدد مواعيد الحوادث ، كان حريق جروبى بعد الساعة الثالثة والنصف .. وطريق الدوللز بعد ذلك ، وحريق نادى التيرف كلوب فى الساعة الثانية والنصف .. الله اكبر اذن فالولد كذاب فى صورة غريبة فهو يقرر اقوالا تخالف الوقائع المادية الثابتة ، فى الساعة الواحدة التى يزعم ان النار كانت تشتعل فيها فى جروبى والدوللز لم تكن قد اشتعلت اى نيران فى مصر كلها الا فى كازينو أوبرا واذن فالولد كاذب فى كل ما يقول .. وهذا تفسير أن النيابة لم تقم لاقواله اى وزن عندما ادلى بها منذ ذلك الوقت المبكر للتحقيق . فلو كان لاقواله قيمة لواجهتنى بها النيابة منذ اللحظة الأولى ولاعتبرتنى فاعلا أصليا فى حرق التيرف كلوب ولم يؤخرها عن ذلك الا مخالفة اقوال هذا الولد للواقع المادى والحقيقة المقررة عندها .. وعلى هذه الوتيرة لابد ان يكون لاقوال المهندس المزور الآخر شىء من الواقع المادى يكذب اقواله ، ولكن لا أعرفه .. لا قيمة اذن لهؤلاء الشهود والنيابة تعرف ذلك من غير شك .. ولكن من غير شك ايضا أن تصرفها على هذه الوتيرة معى معناه انها فى طريقها الى انهاء التحقيق وتقديم القضية الى المحكمة على اى صورة من الصور فقد اصبحت النيابة ترى نفسها فى اشد الحرج بعد هؤلاء الشهود الثلاثة فى تحقيق متصل عن المحرضين والتحريض ان تخرج على الملأ فتقول انه ليس هناك محرضون .. واذن فانا الضحية وانا كبش الفداء ، وبهذا التصور بدات اعد مرافعتى عن نفسى واعددت نفسى لمرارة الاتهام الظالم الذى سيظل معلقا على عنقى حتى تكون المحاكمة

ومرارة المحاكمة ومرارة انتظار الحكم ثم مرارة الظلم الذى قد حيق بى فى نهاية الأمر ..

وعلى عكس اليوم السابق لم تثر هذه المخاوف آلامى .. لقد دخلت فى مرحلة الاستسلام التى يهون عندها كل شىء ..

يوم السبت ٢٦ من ابريل

كان اليوم محددا لأن تزورنى زوجتى ، ولم يكن هنــــاك ما يؤلمنى اكثر من وقع هذه الأخبار عليها . ولقد ساورتنى نفسى بالا اذكر لها شيئا مما حدث ، ولكن ذلك كان مستحيلا فليس لى شريك الآن فى الحياة غيرها .. وهى كجزء من نفسى وما أعانيه لا يمكن الا أن تعانيه معى ، مسكينة « حسنية » .. لقد احتملت معى كثيرا جدا ، ويظهر أن كل الذى عانته فى الماضى لا يقــاس بما سوف تعانيه هذه المرة .

وبدا اليوم عاصفا شديد العصف كانت الشمس محجوبة عن الانظار لا نتيجة السحب او الغمام ، ولكن نتيجة امتلاء الجو بالرمال والتراب .. انها ريح الخماسين فى أسوأ صورها ، وكان الحر والقيظ يهدم الأجســاد والنفوس .. وحاولت أن اتباطأ فى ارتداء ملابسى حتى يأتينى النبأ السعيد انها جاءت ، ولكنها تأخرت ثم تأخرت وبدأت الهواجس تنتابنى .. لقد خشيت بعد هذا التطور الجديد فى التحقيق أن تمنعها النيابة من الزيارة ليظل هذا الذى حدث مكتوما ، ولكن ادارة السجن لم تكن لديهـا أية فكرة عن ذلك ..

وعندما تأخرت اضطررت لارتداء ملابسى والنزول فى طابور الصباح ، ولم أكد انزل الى حوش السجن حتى فوجئت المفاجأة

الأولى في هذا اليوم . وكانت المفاجأة في صورة اعلان قدمه لي احد الموظفين ادعى فيه لجلسة محكمة الجنايات في ٥ من مايو لأحاكم عن الجناية رقم ٨٤٠٠ . وليس لى جناية احاكم فيها سوى هذه التي طلبت النيابة تأجيلها في ٦ من ابريل ، والخاصة بقلب نظام الحكم فهل عادت النيابة لتحديد جلسة لها ؟ اسرعت مع الموظف المختص لاتأكد من هذه الحقيقة قبل أن اتعرف على مدلولها او اسمح لفكرى بالاستنتاج .. وتأكدنا انها هي الجناية المقصودة . وهكذا بعد أن طلبت النيابة في الشهر الماضي تأجيل هذه القضية لدور مقبل لتقديم تحقيقات تربطها بحوادث ٢٦ من يناير ، تعود قبل انتهاء هذه التحقيقات لاعادة القضية الى المحكمة . فما معنى هذا ؟ ! أما أن يكون معناه ان النيابة أدركت أنه لا علاقة لهذه القضية بحوادث ٢٦ من يناير فرات أن تعدل عن خطتها وأن تعود القضية الى سيرها الطبيعي ، وأما أن يكون معناه – وهو المعنى الأرجح الذى غلبته على المعنى الآخر – أن النيابة رأت أن ارتباط هاتين القضيتين سيجعل محكمة الجنايات هي المختصة ، ولما كانت تريد عرض قضيتي على المحكمة العسكرية فورا فقد رأت فصل القضيتين . ومعنى هذا الاجراء الجديد انه نذير شؤم يدل على أن الفكرة قد استقرت على تقديمي للمحاكمة العسكرية ، على أن شعاعا من الرضا نفذ الى نفسي على الرغم من ذلك كله ، اذا كانت النيابة عدلت عن تصور ارتباط القضيتين ، وهو ما لن اعرفه الا في يوم ٥ من مايو بالذات عندما اواجه النيابة واعرف ماذا ستقول .. لقد تقدم هذه التحقيقات التي تمت معي بالفعل ، ولكن على أى أساس تقدمها لم اكن اعرف ... كيفما كان الأمر لقد ادخلت هذه الحركة على نفسي شيئا من الراحة رغم رغبتي في التشاؤم ، ورغم

انها كما قدمت قد تكون نذير شؤم وهى اننى ذاهب الى المحكمة العسكرية حتما وسريعا وقد رحت ابحث عن اسباب هذا الرضا فلم اجده ينبع الا من فكرة واحدة وهى اننى تاصمت فى ٦ من ابريل لكى لا تضم قضية « الثورة » .. الثورة » الى تحقيقات ٢٦ من يناير فتحدتنى النيابة وقالت انها ستقدم للمحكمة ما يثبت الارتباط فاذا عدلت عن ذلك الآن فهو مظهر من مظاهر الفشل ، وهو مظهر جديد من مظاهر تخبطها وانها تضع فى كل يوم خطة جديدة للنيل منى فاذا وجدتها لا تؤدى الى ذلك بحثت عن خطة جديدة وأسلوب جديد .. على اية حال لن أستطيع أن اكيف الموقف الا فى يوم ٥ من مايو بالذات ومواجهة اقوال النيابة ٠

وجاءت زوجتى فى النهاية لتضع حدا لهذه الخواطر الجديدة المتزاحمة المضطربة ، جاءت وكانت معها ابنتى الصغيرة (سنة) كان وجهها محتقنا يوشك ان يقطر دما وذلك تحت تأثير الجو العاصف الملتهب ، كانت كأنها وردة حمراء أو حمامة صغيرة تضطرب فى عشها خوفا من الزوابع والاعاصير وتعلقت بى وقدمت لى حلواها التى تحملها من اجلى ٠

وبعد أن اتيلت يد زوجتى جلسنا فى حجرة مأمور السجن الثانى لتتم الزيارة تحت اشرافه ولم يكد يستقر بها المقام حتى قالت لى خبرا مهما لا حد لأهميته ولكنه جاء على غير انتظار ، وفى وقت من أحلك الأوقات على .. وقالته فى هدوء .. كل ذلك جعل أهميته تتبدد فلا اقيم له وزنا مع شدة خطورته ٠

لقد قالت لى ان الدكتور محمد ابراهيم شكرى قد اتصل بالدكتور حلمى وأخبره أن حافظ باشا عفيفى قد اتصل بشكرى

باشا وطلب مقابلته فلما ذهب اليه شكرى باشا اذا به يطمئنه على ابراهيم شكرى وانه يخبره ابنه وان قضية ٢٦ من يناير فى طريقها الى الحفظ ، لو أن هذا الخبر قيل لى منذ أسبوع واحد لفجر فى قلبى ينابيع من الفرح والابتهاج والشعور بالنصر والتوفيق الالهى ولما وجدت فيه اى غرابة أو شذوذ فلم يكن التحقيق يتجه أو يؤدى الا لهذه النتيجة المحتومة ، ولكن بعد هذه المحاولة الأخيرة المنكرة التي تتضح بالتعسف والكيد ومواجهتي بأشخاص يقولون انهم رأونى يوم ٢٦ من يناير ووصف النيابة لهؤلاء الأشخاص بأنهم شهود اثبات وانهم فيما يقولونه لا يتعارضون مع شهودى ٠٠ كل ذلك جعلنى أستقبل الخبر الخطير ولا اكاد افهمه أو أسيغه ٠

ولقد كانت زوجتى المسكينة فرحة بهذا الخبر سعيدة بأنها جاءت لتزف الى هذه البشرى ولذلك فقد كنت ارى الألم بعد ذلك يرتسم عليها حتى لا تكاد تتمالك انفاسها وانا اقص عليها ما حدث والقسم الأخير من مهزلة التحقيق ٠

ان هذا الألم الذى تألمته فى يومين قد تجرعته هى فى لحظات وكان عليها أن تظل متماسكة القوى أمام الضباط والا يبدو عليها جزع أو فزع وهو ما يحملنى أكبرها الى الحد الذى لم تعد بعده زيادة لمستزيد لو انها كانت تبكى او لو انهارت اعصابها كما تفعل النســـاء فى هذه المواقف لما كان اكبارى لها يبلغ بعض هذا الاكبار والحب الذى أحسه نحوها ، وأنا اراها متجلدة تستمع لهذه الأنباء السيئة ، وعادت تتخبط محاولة الخلاص من هذه الأنباء المنكرة فراحت تكرر القصة التى بلغتها وانه لم يكن هنــاك اى مبرر لأن يستدعى حافظ باشا عفيفى شكرى باشا ليقول له هذه الأقوال .. وعندما سمعت بآخر الأنباء وهو تحديد موعد

ء من مايو لنظر القضية المؤجلة تشبثت بهذا الخبر كدليل يعزز هذه الأنبـاء ، ففجعتها بقولى ان هذا معنـاه انهم سيقدموننى للمحكمة العسكرية وقد يحفظون بالفعل القضية الواسـعة النطاق التى حاولوا أن يزجوا فيها بالحزب كله وأن يقتصر الأمر على بمفردى . لقد كنت فى منتهى القسوة وانا اقول هذه الاقوال بل كنت اتصور أننى شبه متوحش وانا احملها هذه الاكدار .. ولكن ماذا افعل .. ماذا أفعل وليس لى بعد الآن فى هذه الدنياالا هى .. هى وحدهـا التى لا أشـك فى اخلاصـها وانهـا ستقف الى جوارى حتى النهـاية .. هى وحدها التى ربطت حياتها بحياتى ، هى وحدها التى لا اشك لحظة انها تدعو الله من حشاشات قلبها بالليل والنهار أن ينقذنى وينجينى .. كان لابد ان تعـرف الموقف بكل مواجهه ومخاطره وأن تضم قلبها الى قلبى وعواطفها الى عواطفى وصلاتها الى صلاتى وآلامها الى آلامى ..

وانتهت الزيارة وبعد الظهر كانت جريدة الزمان تعلن ان تحقيق التحريض فى طريقه نحو النهاية السريعـة وأن عبد الله اباظة وفكرى اباظة وصادق الملا مدير الشرقية السابق وعبد الغنى باشا مرسى قد سمعت اقوالهم ، وعند الصـباح فى يوم الأحـد تابعت الصـحف اللغط حول التحقيق وانه يوشـك ان يتم فى اسبوع . لا جدال ان هذه تخبطات من الصحف كما هى العادة فلا يزال المفروض أن تستدعينى النيابة ثانيـة لتناقشنى على ضوء هذا الذى سمعته من اقوال ، ولا يزال موضوع النشر فى الجريدة والموضوعات التى تريد النيابة أن تعتبرها تحريضا بغير سؤال .. وأعصابى بلغت من التهدم الى الحد الذى لا أستطيع معه مواصلة التحقيق الا بعد انقضاء فترة . ولقد كشف على الطبيب وقرر ضرورة الراحة التامة لمدة اسبوع لا اخرج فيه الى جلسـات ، فما تقوله الصحف من أن التحقيق سينتهى فى خلال هذا الأسبوع ليس

صحيحا وانما هو دليل على وجود هذه الرغبة ، وهل يراد التحقيق أن ينتهى بهذه السرعة ليقدم قبل جلسة ٥ من مايو يا ترى ، لم ايقدم فى قضية مستقلة امام المحكمة العسكرية قبل ان تنتهى ايام حسين طنطاوى فى المحكمة فقد قيل انها ستنتهى فى آخر مايو .. ؟! كل هذه هواجس جديدة لا اظن ايها ستنكشف بعض الشىء قبل ٥ من مايو موعد نظر القضية .

واني اكتب الآن هذه السطور فى ظهر الاثنين ٢٨ من ابريل ولم يطرأ على الموقف اى تطور . لقد ذكرت صحف الصباح أن عبد الفتاح حسن قد سمعت اقواله فى قضية التحريض ولست اعرف ماذا سيكون موقف عبد الفتاح حسن منى فى التحقيق لقد وضعتنى حكومة الوفد فى وضع سيىء جدا يحتم على ان ادافع عن نفسى ضدها ولقد قلت عن عبد الفتاح حسن بعض الاقوال التى لا تسره والتى سينفيها من غير شك اذا عرضت عليه .. وقد (يلبخ) ضدى ويحاول الاساءة الى مركزى .. وفيما خلا استمرار سماع هؤلاء الاشخاص والحاح الصحف على أن قضية التحريض فى مرحلتها الأخيرة فلم يظهر شىء رسمى بعد ، ولكن كل شىء يصيح ان المصير قد تقرر فى اذهان أولى الشأن وانه سيتقرر بالكتابة بعد ايام او ساعات أو لعله قد تقرر ، ومرة اخرى على الرغم من ذلك كله يدخل الله على نفسى نسائم الأمل فأصرخ :: أصرخ هاتفا انقذنى يارب خلصنى يارب لا تخزنى يارب انصر عبدك المؤمن فأنت وحدك الذى تعلم من اكون وماذا اريد وماذا فعلت وماذا انتوى ان افعل .

يوم الخميس ٧ من مايو ١٩٥٢

قضى الامر ، ووجهت الى النيابة الاتهام المنتظر .. الاتهام محرق مدينة القاهرة من اقصاها لاقصاها .. مدينة القاهرة بدور ملاهيها وسينماتها ومؤسساتها ومتاجرها وعماراتها وفنادقها .. انا المسئول عن حرقها بطريق التحريض بالنشر ، وهؤلاء الذين قتلوا من الانجليز فى التيرف كلوب وبنك باركليز .. انا المسئول عن موتهم بالتحريض بالنشر بل انا الشريك المباشر فى حرق ونهب محلات هيلمان للسيارات وبار الأنجلو .. هذا هو الاتهام الذى ينخلع له القلوب والذى وجهته الى النيابة .. هذه هى التهمة التى لا اظن انها قد وجهت الى مصرى من قبل ، او انها ستوجه الى مصرى واحد من بعد !! هذا هو الكيد الذى يكيدونه له وهذا هو الهدف الذى كانوا يهدفون اليه منذ بداية الامر .. كم كنت ساذجا عندما سمعت هذه الاقوال التى قيلت لى من ان القوم يريدون الوصول الى الحقيقة وانهم لن يترددوا فى اعلان براءتى اذا وضحت لهم .. كم كنت ساذجاً عندما تخيلت ان لهذا النفر من قوة الخلق ، ما يجعلهم ينصرون الحق .

اننى اعيش فى عالم اخر غير هذا العالم الذى يعيشون فيه ولذلك فما اسهل أن اخدع .

قضى الأمر وانا اعيش الآن فى ظل هذا الاتهام وفى ظل اهواله التصورات ويالها من فترة قاسية تلك التى انقضت منذ اخر مرة كتبت فيها هذه المذكرات اى منذ أكثر من عشرة أيام . لم تكن فى اى قوة على الكتابة او بالأحرى اى ميل للكتابة .. اما جدوى الكتابة ولمن اكتب وقد كتبت عشرين عاما لا ابغى سوى الخير، فانقلب كل ذلك ضدى بهذه الصورة المخيفة .. ولست اعرف الآن

أستكون هذه آخر مرة اكتب فيها هذه المذكرات أم انه سيكون فى استطاعتى ان اواصل كتابة هذه المذكرات .

اننى فى حالة لا استطيع أن اسميها يأسا ولكنها نوع من الاستسلام والرضوخ فى غير حمق أو غضب أو ثورة أو شعور بالمرارة ، ذلك أن الحياة عندى كلها لا تساوى النضال فى سبيلها أو الطمع فى الوصول الى شىء منها .. مادام الكائن الحى سيموت .. مادام كل ما نحاول تحقيقه فى هذه الدنيا مصيره الى الزوال أو الفناء .. مادام كل ما نحمله من عواطف من حب من بغض من تسامح أو انتقام من انتصار او انخذال .. مادمنا سنفارق اولادنا حتما ، مادمنا سنفارق أحبابنا حتى مادمنا سنترك مشروعاتنا بغير انجاز او اكمال .. مادمنا لن نحقق ابدا ما نصبو اليه فى هذه الحياة .. نعلم الأسف او الشجن لانتهاء هذه الحياة بهذا الأسلوب او ذاك ، منذ هذا القدر او قبل ذلك أو بعده .

هذا الادراك العميق لنهاية الحياة هو الذى يجعلنى فى حالة الاستسلام التى وصفتها ، والتى تجعلنى افقد كل شعور بالطموح أو الجهاد .

يوم الثلاثاء ٢٩ من ابريل

لقد وصلت الى سجن الاستئناف وانا أشهد منظرا كريها الى قلبى وهو منظر المحكوم عليهم بالاعدام والذين ينتظرون التنفيذ .. وكان على ان اراهم فى كل يوم وفى كل ساعة ، اراهم وانا اذهب الى المصباح لاغسل وجهى واراهم فى الفناء واراهم دائما وافكر فى امرهم ويصور لى الخيال كيف ان مصيرى قد يكون مصير

واحد منهم فيدفعنى ذلك الى دراسة احوالهم اكثر واكثر وعلى تعرف احساسهم ، ولقد جعلنى ذلك أشعر بشناعة هذا النظام .. وهو تعليق المحكوم عليهم بالاعدام فى انتظار الموت يوما بعد يوم .. ان هؤلاء قد قتلوا ضحيتهم على حين غرة ، قتلوها حيث لم تكن تتوقع الموت وليس فى الموت الا توقعه .. وربما لم تتعذب ضحيتهم فى ايديهم الا بضع ثوان . اما هم ففى كل صباح اذا فتح عليهم الباب أحسوا بلدغة الموت حتى يتبينوا أن الساعة لم تحن بعد وفى كل ليلة ينامون ولا يعرفون اذا كان هذا سيكون آخر أيامهم . ويتكرر ذلك كل يوم . ان بعض هؤلاء المحكوم عليهم قد مكث فى هذه الحالة اثنى عشر شهرا والبعض قرابة عامين وقد ذاقوا مرارة الموت واحسوها كلما نفذ على واحد منهم لأنهم لا يعرفون اذا اصبح الصباح وادركوا بأن سيكون فى هذا اليوم اعدام . ليس فيهم من يعرف انه لن يكون المقصود فالكل فى انتظار هذه الساعة . فتصفر الوجوه وتوجف القلوب أن تنشق ويصابون بالساعة أو الصدمة التى تصيب المقبل على الموت . ثم يتبين انه لم يكن المقصود وان جاره هو الذى اعدم وانه لن يلبث ان يلحق به .. ويتجدد هذا من حين لآخر اى عذاب واى الام .. والمحكوم عليهم فوق ذلك يرتدون ملابس حمراء لتذكرهم فى كل لحظة بأنهم سيعلقون على المشنقة . وتذكر كل من يقع بصره عليهم بهذه الحقيقة المؤلمة . يالها من شدة ما بعدها شدة وياله من نظام غريب ..

ان القاتل لا يقتل الا وهو مجنون من غير شك ، الا وقد خرج عن طبيعته البشرية . اما الدولة أو بالاحرى المجموع الذى لا يفقد عقله ولا يفقد رشده فكيف يقتل بهذا البرود وبهذا التدبير ؟!

كان هذا هو الموضوع الذى فرض نفسه على ، فقد اتهمت فى هذه القضية ، وقد زكاه فى نفسى رواية طالعتهـا من تأليف ديستوفسكى الروسى واسمها الأبله ، وقد راح يستعرض هذا الموضوع بشرح واسهاب . وقد كانت مطالعتى لهذا الكتاب فى سجن الأجانب عندما جئت الى سجن الاستئناف واصبحت جارا لهؤلاء المحكوم عليهم بالاعدام ، ووسط هذه الظروف التى تحيط بى .. كل ذلك جعل هذه الأفكار تسيطر على .

وقد كان اليوم هو موعد تنفيذ الاعدام فى بائسين من هؤلاء البؤساء . كان كل من فى السجن يعرف الا هما .. كان الحارس الذى يقف الى جوارهما ويحادثهما كما يحادثهما كل يوم ويقدم لهما السجائر كما يفعل كل يوم .. كان هذا الحارس يعرف انهما سيشنقان فى الصباح وهما لا يعرفان .. ولقد كنت احدق فيهما فى روحتى وايابى فأراهما فى شانهما العادى كباقى الايام .. لقد لمحت عليهما انزعاجا واصفرارا منذ يومين عندما سئلا عن اقاربهما لكى يطلب منهم أن يزورهما ، فرأيا أن هذا الطلب نذير شؤم ولمحت عليهما فزع الموت ، ولكن بعد ان مر يوم وآخر دون ان يطرأ عليهما جديد بدأ ينسيان وعادا الى حياتهما ، فكانا فى امسية اليوم الذى سينفذ الاعدام فى غداته فى حالتهما العادية .. ولم اتمالك نفسى فى استخلاص العبرة من هذا الموقف ، فقلت لكل من يحيطون بى ان شأننا جميعا كشأن هذين الشخصين .. انظروا كيف نسخر فى نفوسنا من جهلهما مما ينتظرهما فى الغد .. فنحن نعلم انهما سيموتان ، وهما أبعد ما يكونان عن هذه الفكرة وربما كانا فى هذه اللحظة بالذات قد انفتحت لهما الآمال العريضة فى أن تلغى احكامهما قد قيل وانهما سينجوان من الموت ، وربما راح احدهما يتخيل عندما يتحول الاعدام الى اشغال

شاقة مؤيدة وكيف انها لن تزيد على عشرين عاما يخرج بعدما في سن الأربعين أو الخمسين أى لا يزال أمامه متسع من الزمن ليعمل وينتج ويصلح احواله .. كل ذلك يدور في نفسه ونحن نعلم أنه سيموت في الغد .. وذلك هو موقف كل انسان فلابد ان هناك من يعرف آجالنا ومتى تحين ، ولابد أن هناك من يرانا يطل علينا ويسخر منا عندما يرانا نتحدى ونأمل ونضع المشاريع ونفكر في الانتقام او في المجد او في الغنى أو في الحرية او في السلطان حيث ينتظرنا الموت بعد لحظات قليلة او بعد ساعات كما هو شأن هذين المحكوم عليهما بالاعدام .

وفتح السجن في ساعة مبكرة وبالرغم من كراهيتى لأن اسمع شيئا او اتتبع هذه المجزرة ، فان حجرتى فى السجن فوق باب السجن مباشرة فكان على أن اسمع رغم انفى فتح الباب في ساعة مبكرة والحركات غير العادية التى بدات تغشى السجن .. والأصوات والتعليمات التى تعطى تمهيدا لتنفيذ اللازم .

وكان اخشى ما اخشاه أن اسمع احد المحكوم عليهما وهو يولول أو يصرخ او يتكلم .. واشنع من ذلك ان اسمع صوت سقطته في المشنقة ولذلك حاولت أن اسد اذانى فلا اسمع شيئا .. ولكن المحكوم عليهما لم ينبسا ببنت شفة ولم اسمعهما وهما يقادان للمشنقة ، واذا كان السجن قد غمره بعض الهدوء والسكينة فان وجودى بحجرتى فوق باب السجن قد شغلنى بحركة السجن الأخرى وفتح البوابة وغلقها ودخول بعض الناس وخروجهم .. حتى اذا انتهى الأمر وعادت للسجن حركته فتحت علينا الأبواب واستأنفنا نشاطنا اليومى كأن لم يكن شىء أو يقع شىء .. ما أسهل العملية وما أسرعها وما اعجبها بل ما اصعب هذا الذى لا يقلم

مشدوها امام سر الموت . هذان شخصان كانا يفيضـــان بالحياة والقوة .. كان فيهما كل ما ينطوى عليه الانســان من شـــعور واحاسيس .. كانا يضحكان ويأكلان ويشامان ويتألمان ويأملان .. كلنا يفكران ويتمتعان .. ثم يوضع على رقبـــة الواحـــد منهما حبل .. وفى اقل من لمح البصر يسقطان متأرجحين فى الهواء فاذا بهما يتحولان الى جثتين هامدتين .. لقد انتهيا .. المقـــ راحا .. (خلاص) ما أعجب هؤلاء الذين يتصورون أن الحياة تنتهى عند هذا الحد والقدر ! ما اعجب هؤلاء الذين يتصورون انهم قد حلوا مشكلة الوجود بمجرد أن يقولوا ان الانسان ينتهى بموته .. ما معنى هذا الانتهـــاء .. اين يذهب هذا الفـــكر وهذه الطاقة التى كانت تعمل ؟! أين يذهب بريق الأعين وحرارة البـــدن وهذا السمع وهذا النطق وهذا الوجود ؟! اين يذهب اين يروح ؟! اما الجسم فها هو امامنا يتحول الى رمة عفنة سرعان ما تتحول الى تراب من نوع التراب الذى نعيش عليه وهذا مفهوم ، ولكن أين ذهبت هذه الابتسامات وهذه الضحكات وهذه الآمال وهـــذه العواطف وهذه الارادة وهذا العقل ؟! .. أين تذهب هذه الحيوية وهذه القدرة وهذه الطاقة ؟ وفيم كانت هذه الفترة التى عاشتها ، والتى اضطربت فيها هذا الاضطراب .. فيم كانت هـــذه الحياة ولماذا . ؟! . فيم كانت ساعات الحزن وساعات الألم وساعات الفرح وساعات الكدح والعمل ؟! فيم كان ذلك كله وما أسبابه وما علته وما غرضه وهدفه ؟! ان هؤلاء الذين يحاولون أن يريحوا انفسهم فلا يشقوا انفسهم بهذا التفكير يصـــبح أمرهم مفهوما ولا يدعو للعجب لو انهم وقفوا عند هذا القدر فقالوا انه لا جدوى من التفكير فيما وراء الموت وانه خير للانسان الا يفكر الا فى هذه الحياة التى هو فيها .. لو انهم وقفوا عند هذا القدر لكان امرهم مفهوما بل ومقبولا .. اما أن يزيدوا على ذلك فيحـــاولوا ان

يسقطوا فكرة الحياة الاخرى بعد هذه الحياة ، وان يعتبروا هذا الموت الظاهرى هو النهاية النهائية لكل انسان .. هنا لا يتمالك الانسان نفسه من الدهشة والعجب ان يكون ذلك هو ما يتصوره انسان وان يزعم هذا الانسان فوق ذلك انه عالم او مفكر أو فيلسوف ٠

لم استطع أن أتمالك نفسى عندما مررت على هذا المحكوم عليه الذى لم ينفذ فيه الاعدام اليوم من أن أسأله عن حالته وشعوره فحدثنى انه استراب منذ الصباح المبكر لفتح السجن قبل موعده وان لديه تعويذة من الاستغفار اقبل عليها ثم راح يتجلد ويحدثنى انه لم يهتم بالامر ولم يقم له اى وزن ٠٠ وكان وجهه يكذبه فقد كان ممتقعا ٠٠ فلما قلت له انه غير قادر على وصف شعوره قال انه شعر بان قلبه قد انسحب وأن نفسه قد غاصت بعض الشىء ٠٠ فتمنيت له السلامة والنجاة وتركته لشأنه .. ولكننى ظللت طوال هذا اليوم تحت تأثير هذه الصدمة .. صدمة ذبح رجلين بهذه البساطة وبهذا البرود وان يتم ذلك بواسطة ، وتحت اشراف هؤلاء الأشخاص الذين يحيطون بى وهم يفيضون جميعا بالطيبة والعطف كأى انسان آخر فى الوجود ٠٠ وكنت أسأل كل ضابط وكل سجان من شعوره فكنت افرح لكل من يقول لى منهم أنه لا يحتمل رؤية هذا المنظر ، ولذلك فقد حرصوا على الابتعاد عنه ، وعندما قال لى شاويش عملاق هذا القول زاد حبى له ، وعندما علمت ان مأمور السجن لم يستطع أن يكمل عمله اليومى من التأثر فاضطر للخروج ، كان ذلك يعيد الطمأنينة الى نفسى ، فهم فى نهاية الأمر لهم أحاسيس وعواطف رقيقة ، واذا كان الواجب قد حتم عليهم الوقوف هذا الموقف فان عواطفهم

وانسانيتهم قد تغلبت على كل شيء فكرهوا ان يشهدوا عملية القتل ونقموا عليها فى اعماق نفوسهم ٠

يوم الاربعاء ٣٠ من ابريل

فوجئت فى هذا اليوم بزيارة عبد الحميد ابو شنيف رئيس النيابة مصحوبا بعبد العزيز على رئيس قوة الحرس التى تصحبنى الى التحقيق او المحاكمة ، وقد تظاهر ابو شنيف بانه جاء ليسأل عن صحتى وليهدىء من روعى وانه بمجرد استلامه خطابى قد جاء لزيارتى ، وان جلسة ٥ من مايو هذه لم تتم بناء على طلبهم وانما هى غلطة وسوف تؤجل القضية ، وانه ليس صحيحا ما جاء فى الصحف من ان التحقيق قد انتهى وانه مستعد لسماع كل اقوالى وتحقيقها .

وقد كان ابو شنيف فى ذلك يموه على ويخدعنى .. وكل ما كان يرجوه من وراء ذلك ان اذهب اليه ولو يوما واحدا لاستئناف التحقيق حتى يستطيع فى هذا اليوم ان يواجه الى التهمة التى اعدها ، والتى يؤثرون ان توجه الى فى وجهى لكى يكون محضرهم من هذه الناحية كاملا . ولكنى كما هى العادة خدعت لانى اريد ان اخدع تماما كهذا المحكوم عليه بالاعدام والذى يتعلق باحبال الرجاء ، ولذلك فانه سريع التصديق لكل من يقول له انه بخير وانه سينجو . خدعت باقوال الرجل وتصورت ان الامر لم يبت فيه بعد وان حبل الرجاء فى عدل القوم ونزاهتهم لايزال ممدودا .

يوم الاحد ٤ من مايو

ذهبت الى النيابة وانا فى منتهى الاعياء لكثرة الضغط والارهاق على اعصابى .. ومنذ اللحظة الاولى كان الجو متغيرا

وان لم ادرك ذلك الا فى النهاية .. وجه الى ابو شـــنيف بعض اسئلة خاصة بالنشر فى الجريدة فقلت له ان موضوع النشر هذا امر يختص به قاضى التحقيق ، فالنشر كان فى شهور سابقة على ٢٦ من يناير فهو من اختصـــاص القاضى لا النيابة العســكرية ، وقاضى التحقيق هو الذى يقرر اذا كان هناك اى ارتباط او صـــلة بين هـــذا النشر وبين ما حدث .. فلم يعبأ ابو شنيف بهـذا القول ومضى فى توجيه عبارات منقولة من الجريدة الى فقلت له اننى لســت كاتبها ولا اسأل عنها ، بل ان بعضها كتب وانا فى السجن او خارج القاهرة .. ولكن ذلك لم يستوقفه ومضى فى طريقه حتى اذا وصـــلنا الى حد معين طلبت ارجاء التحقيق لما اشـــعر به من تعب .. فاذا به يمانع ثم يقذف قذيفته فى النهاية ويقول : دعنا نوجه اليك التهمة اولا لكى تستعد للرد عليها ، وراح يملى على الكاتب التهمة وهى التحريض على حرق واتلاف ونقل كل ما حرق او اتلف او نقل فى هذا اليوم .. وقد كان الاتهام من الضخامة بحيث اننى تلقيته فى هدوء بل باكثر من الهدوء فامسكت بقطعة من الورق ورحت اكتبه وهو يمليه على الكاتب .

وبعد ان فرغ من هذا الاملاء سألنى اذا كنت اريد ان ارد ، فقلت له فيما بعد .

وعدت الى السجن وانا احمل الاتهام الذى يسمون لتحميلى اياه منذ اللحظة الأولى ، وقد تم لهم ما أرادوه اخيرا .

لم اكن فى حالة فزع كما كنت اتخيل .. بل لعلى وجدت نفسى اضحك وكان كابوسا قد أزيح من كاهلى ، ولكنى لم احاول ان اخدع نفسى ولذلك فقد تصــورت اننى كمن يقولون عنه « سارقاه السكينة » او كالطير يرقص مذبوحا من الالم .. اما ضحكى فلا جدال فى انه مما ينطبق على القول « شر البلية ما يضحك » .

ولذلك فقد أمضيت ليلة ليلاء ومرة اخرى اتجهت عواطفى الى زوجتى الحبيبة المسكينة ، ولقد فكرت ان اكتب اليها .. وشعرت ان واجبى هو ان اكتب اليها لاهون عليها هذه الصدمة ولابثها عواطفى وحبى لها ودعائى لها واصبرها واشجعها .

ولكنى حتى الآن لم اكتب هذا الخطاب فقد يكون اقسى عليها من عدم كتابته ، وقد يوحى اليها باننى اودعها .. واذا كان لابد من ذلك فان هذا الاجراء الذى يحرمها من الامل يجب ان يتأخر وحاتلا آكتب ذلك فى هذه المذكرة لتعرف اذا لم تقدر لى الحياة.. انه فى هذه المرحلة من حياتى لم يكن هناك من أفكر فيه واتجه اليه دائما بعواطفى فى هذه الدنيا سواها والا اياها .

يوم الاثنين ٥ من مايو

كان اليوم هو موعد المحاكمة عن قضية قلب نظام الحكم .. وكنت قد فقدت الثقة بالنيابة فلم أعرف باى شىء ستفاجئنى فى هذا اليوم رغم قسم ابو شنيف بشرفه بانه سيؤجل القضية . وقد كان محددا لنفس اليوم نظر قضية ابراهيم شكرى وقد حرصوا على الا نرى بعضنا ولكنى عندما دخلت قاعة الجلسة وجدت اخته واخوته واقاربه فابتسموا لى ابتسامة كريمة خففت بعض ما فى نفسى .. وفوجئت بوجود سليمان زخارى رئيس التحرير الذى كان هاربا حتى الآن والله وحده هو الذى يعلم اذا كان ظهوره فى هذه اللحظة بالذات هو لخيرى ام للاضرار بى .. وعلى كل حال فكل ما يفعله الله خير ولا ضرر فيه . وعندما نظرت الجلسة طلبت النيابة التأجيل لتنفيذ القرار السابق ولم أمانع فى التأجيل على شرط أن تتعهد النيابة الا تعود فى كلامها وان تضم تحقيقاتها الجديدة لهذه القضية .. وهنا ثار رئيس المحكمة واعلن انه من المستحيل على النيابة ان تتراجع وأن محكمة الجنايات لابد ان تنفذ قرارها بضم هذا التحقيق ، فقلت له ان هذا التصريح

يسرنى ولكن ما امنيه هو ان تقدم النيابة التحقيق الآخر للمحكمة العسكرية كقضية منفصلة .. ولذلك فاننى اصر على ضرورة البدء ف نظر هذه القضية وسماع الشهود الذين أخشى من سفرهم بمناسبة الصيف .. وقد صح ما توقعته فلم ترتبط النيابة باى ارتباط وقالت انها لا تعرف حتى الآن ماذا سيكون مصير ما تجريه من التحقيق ، وهل تربطه بهذه الدعوى ام ينظر على سبيل الاستقلال ، وتأجلت القضية لدور مقبل ولم تتصل المحكمة ف موضوع الشهود وعدت الى السجن وقد نال الاعياء مني مناله .. ولذلك فقد نمت نوما عميقا لاول مرة ف الظهر ودلنى ذلك على ان ما كنت فيه قبل ذلك هو حالة توتر اعصاب ، وان ما كان يبدو على من هدوء بل وضحك ومرح كان مظهراً يخفى هذا التوتر والذى كان يزيد فيه انتظار هذا القضية .. فلما انقضت على هذا الوجه وتحدد الموقف والفت فكرة الاتهام .. ارتاحت اعصابى بعض الشىء فكان هذا النوم .

يوم الثلاثاء ٦ من مايو

على الرغم من ان هذا اليوم هو عيد الجلوس .. أى انه أجازة .. فقد استدعانى المحقق ليسمع دفاعى الذى أمسكت عن ابدائه ف الجلسة الماضية .. ومن جديد راح أبو شنيف يسمعنى هذه الطقطوقة التى يخدعنى بها الا وهى ان الامر لم يفصل فيه بعد ، وان المسألة لا تعدو أنهم يثبتون ما هو ضدى وما هو معى حتى تكون الظروف كلها أمام من سيفصل فى هذا التحقيق ، وانه على استعداد لان يثبت لى كل ما اريده من أقوال حتى ولو كان ذلك باتهام النيابة بانها تريد ان تسمع دفاعى لتستعد لافساده وابطاله .

ومرة أخرى قلت له اننى سأنخدع له ورحت ارد على بعض الاسئلة التى وجهها الى والخاصة بسينما ريفولى .. وقد سردت

له من الوقائع المفصلة ما يدل على سلامة موقفنا بصورة كريمة تستحق الثناء والاعجاب .. وقد ابدى دهشته من هذه المعلومات واعلن انه سيحققها ، ثم قلت له : لماذا لم تتيحوا لى الفرصة لاستعراض حالتى المالية ، ثم رحت استعرض ظروف المعيشة وحياتى المالية منذ تخرجت فى الجامعة سنة ١٩٣٢ .. وقد كان التأثر يبدو على نظر الضباط الذين كانوا يسمعون .. وكان التأثر يبدو على أبو شنيفه شخصيا وأنا اسرد الحقائق الخاصة بى وزوجتى واولادى .. وداعبنى الأمل فى ان يكون لاقوالى فى هذه الناحية ما يشعر القوم باخلاصى وتجردى عن الأغراض الشخصية .. ولكن هيهات .. هيهات .

يوم الخميس ٨ من مايو

كان التحقيق قد تأجل لليوم التالى لأرد على الاتهام الخاص بالتحريض ، وقد عدت بالفعل ورحت أعد هذا الرد وهو رد مفحم الى أبعد حد ولكننى عندما استيقظت لصلاة الفجر شعرت بما صرفنى عن فكرة الذهاب الى التحقيق والادلاء بهذا الدفاع ، فالى متى اقول لهم كل ما عندى فلا يعود هناك شىء جديد يقال امام المحكمة .. والى متى اتعلق بالأمل الكاذب انه قد لا تكون هناك محكمة ، ولذلك فقد اعتذرت من الذهاب يوم الأربعاء وعادنى الطبيب الذى قرر حاجتى للهدوء لمدة اربعة أيام .

ولكننى فوجئت بعد الظهر بما ينغص على الحياة من جديد فقد سمعت فى السجن أن النيابة قد استحضرت بعض المسجونين ممن حكم عليهم من المحكمة العسكرية وراحت تغريهم بأن يعترفوا أنهم اشتراكيون لكى تخفف عنهم عقوبتهم ، وهكذا تريد النيابة أن توجد الدليل الذى ينقصها فى ادعائها على بالتحريض عن طريق النشر والذى يشترط فيه ان يكون القاعل الأصلى قد طالع

المقال المنسوب اليه التحريض .. انهم يعملون بجد .. انهم يلفقون ويسعون بكل الطرق للنيل منى ، ولم يكن أمامى الا ان اضرع الى الله أن يرد كيدهم .

وفى هذا الصباح طالعت فى جريدة الاهرام ان رئيس النيابة المحقق مصحوبا بمجاهد بك الأفوكاتو العمومى الذى اشرف على تقديم قضايا ٢٦ يناير الى المحاكم ، والذى اشار فى مرافعته الى ان هذه الحوادث كانت ثمرة التشهير والتحريض بواسطة الصحف، بل وكاد يلمح للاشتراكية بالذات ، ذكرت الاهرام انهما قابلا النائب العام بمناسبة انتهاء التحقيق فى قضية التحريض على حوادث ٢٦ يناير وان تحديد التهمة لكل متهم لن يستغرق سوى يوم أو يومين ، وهكذا اقترب سريعاً من النهاية .. وهذا ما يجعلنى اقرر اننى لا اعرف هل سيكون باستطاعتى ان أعود لكتابة هذه المذكرات قريبا لم سانشغل عنها بتحضير الدفاع من ناحية .. (وبالقرف) والملل من ناحية اخرى ، فما هى جدوى هذه الكتابة ..

يوم السبت ١٠ من مايو

تجمع الصحف على أن قرار الاتهام الخاص بى سيعلن اليوم أو غدا ونحن فى الانتظار . وانى لاتجه فى هذه الساعات بكل روحى الى خالقى ، لا أكاد ادعو دعاء معينا فالأمر قد بات فوق الدعاء .. اننى افكر فى ربى وخالقى وهذا كل ما اعيش فيه الآن .

يوم الأحد ١١ من مايو

بسم الله الرحمن الرحيم وبقوة الله العزيز المتعال لم تنشر الصحف قرار الاتهام المرتقب وانى أتصور انه سيصلنى قبل ان ينشر ، ولذلك فقد يأتى من دقيقة لأخرى . ان الدنيا كلها تعرف الآن ان القرار النهائى قد صدر ومع ذلك فان الله أكبر . الله أعظم ، الله قادر على كل شىء .

كان الدكتور حلمى مراد فى زيارتى عند الظهر وقد اخبرنى انهم كانوا فى النيابة يكتبون قرار الاتهام وانهم قد وجهوا التهمة الى عدد كبير من رؤساء الحزب ومعنى هذا انهم فى آخر لحظة غيروا خطتهم وقرروا ان يضربوا ضــربة واسعة النطاق ولكنى ارجو أن يكون ذلك لخير ان شاء الله .

يوم الاثنين ١٢ من مايو

الصحافة مسلطة على تحطيم اعصــابى وكلما هدات نفسى وارتضت اسوا الأوضاع جاءت الصحف لتعبث بى وتعيدنى الى القلق والاضطراب ، فبينما انتظر اليوم قرار الاتهام اذا بجريدة المصرى تقول ان اجتماعاً تم بين النائب العام وبين رئيس الحكومة ومعه محمد عبد الله وزير العدل وان الحديث تناول قرار الاتهام فى قضية التحريض وان الامر يحتاج لمراجعته الى بعض الوقت . اما جريدة الاهرام فقد ذكرت ان النائب العام قد وقع بالفعل قرار الاتهام وسيبلغ الينا اليوم وستجرى المحاكمة يوم ١٨ من مايو اى بعد ستة ايام .

وهكذا تضطرب افكارى ويتملكنى القلق مرة اخــرى فاللهم يا ارحم الراحمين ، يا غيث المستغيثين يارب يا قوى كن فى عونى وشـــد ازرى . انصــرنى ولا تخذلنى ، اكرمنى ولا تهنى ولا تخزنى يارب المستضعفين انظر الى ضــعفى وقلة حيلتى وهوانى على الحاكمين والطغاة المتجبرين .. ما عشت حتى الآن الا على الايمان بك والاستنجاد بقوتك .. فلا تتخل عنى يارب .. لا تضــيعنى يارب .. ما انا الا عبدك .

يوم الثلاثاء ١٣ من مايو

وجاء قرار الاتهام فى اعظم صورة من الضجيج والتهويل ، جاء منشوراً فى الصحف تحت عناوين ضخمة تتحدث من الاعــدام

الذى طلبته النيابة من اجلى . ولم يأت قرار الاتهام فحسب بل والدعوة الى الجلسة التى تحددت فى يوم ١٨ مايو امام الحسيب النسيب « حسين طنطاوى » وقيل انهم سيعملون بالليل والنهار لنسخ القضية قبل الجلسة ، وهكذا اجراءات « رائعة » تدل على الانفعال واللهفة فى القضاء على بأسرع وقت ، ومع ذلك فانى اشعر بهدوء واطمئنان وانظر الى المستقبل بثقة عميقة .

ان التحدى القوى بهذه الصورة قد رفعنى الى مستواه بل الى ما هو اعلى منه ، ولذلك فاننى أشعر اننى اكثر من ند واكثر من كفء لهذا التدبير الجهنمى .. اننى اشعر الآن بهذه القوة الخفية التى ترتفع بالانسان الى درجات لا حد لها . اهلا وسهلا بالمحاكمة .. اهلا وسهلا بالنتيجة ايا كانت .. بل لست احس الا انها ستكون خيرا لم يسمع مثله من قبل .

يوم الخميس ١٥ من مايو

عادت الصحف كلها تؤكد ان القضية ستنظر يوم ١٨ اى بعد ثلاثة ايام ولست اعرف كيف تنظر قضية لم يطبع «دوسيهها» بعد ولم نطلع عليه او نستعد ، ولكنها الرغبة الجامحة فى ان ينظر حسين طنطاوى القضية قبل احالته الى المعاش ، وهكذا يسجل الرجل على نفسه وتسجل عليه النيابة انه الرجل الوحيد الذى يعلقون عليه الامل فى ان يحكم على .. اى انهم يعترفون أن اى شخص آخر غيره او اى محكمة اخرى لا تحكم على .

ومع اننى ارى هذه المحاولات فان الهدوء يغمر نفسى بل ان الثقة التى اشعر بها الآن لم اشعر بها فى اى لحظة من اللحظات الماضية .

وسأقدم على حسين طنطاوى بل سوف أقدم على الشيطان نفسه وأنا ممتلىء بالعزم والقوة ، وسوف نرى ويرون ، انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ، صدق الله العظيم فسوف يحبط الله كيدهم وسوف يخزيهم وان غدا لناظره قريب .

يوم السبت ١٧ من مايو

لم يبق على المحاكمة سوى يوم واحد فغدا تقع الواقعة وتواجه المحكمة . والعجب انني كنت منذ شهرين اشعر بجزع كلما تصورت موقفي وانا متهم مطلوب الحكم عليه بالاعدام .. اما بعد أن حدث هذا بالفعل فان حياتي تمضي عادية وعادئة . حقا ان فكرى أصبح مشغولا باعداد الدفاع في كل لحظة بالليل والنهار ، وانا في الصلاة وانا اطالع يعمل ذهني على ترتيب اوجه الدفاع واستعراض أقوال الشهود وكيفية مناقشتهم وأوجه البطلان . ولكن فيما عدا ذلك فحالتي النفسية على خير حال ، وأصبحت فكرة الموت نفسها لا تفزعني في قليل او كثير . بل انني أتصورها اشبه الأشياء بعملية جراحية يقدم عليها الانسان ليتخلص من آلام شديدة يعانيها .

وكل ما قد يضايقني فيها هو هذه الفترة التي تسبقها والتي يفرض فيها على المحكوم عليهم لون من الاذلال وارتداء ملابس سخيفة ، ولكني مع ذلك لا ارتعد كلما مرت الفكرة في نفسي ، ولقد زارتني زوجتي يوم الخميس ١٥ من مايو وكان معها شقيقها الدكتور حلمي مراد وقد كانت زوجتي في حالة شديدة من الجزع فبذلت جهدي لأخفف ما بها وحدثتها عن اطمئناني واكدت لها اننا سننتصر . ولقد كانت حيويتي على اشدها ، وذلك لكي أدخل الهدوء على نفسها ولم تنته المقابلة الا بعد ان قلت لها كل المعاني التي اردت

ان اقولها لها لتساعدها على احتمال الشدة ، قلت لها ان تتخيلنى مريضاً باحد الأمراض الخطرة ، وانهم اذا كانوا يريدون اغتيالى فلا حيلة لنا فى دفع الموت ، أما اذا كانت هناك محاكمة عادلة فلها ان تطمئن كل الاطمئنان ، فاذا لم تكن هناك محاكمة عادلة بل كانت هناك مؤامرة لقتلى فليس فى الأمر ما يحزن لأن ذلك كان يمكن ان يتم فى اى مكان وفى اى وقت .

وطلبت منها ان تحتمل الموقف بكل شجاعة فان هذه هى رسالتنا فى الحياة .

ولقد احتملت ولم تتصرف الا وانا ارى فيها المرأة التى افتخر واعتز بها والتى اطمئن كل الاطمئنان اذا انا مت اننى ساتركها اما راعية لأولادى .

يوم الخميس ٢٢ من مايو

أكتب الآن تحت الشعور بأن كل شيء قد انتهى واننى اقترب من نهايتى قد يكون فى علم الله شيء غير ذلك وقد تكون هذه اللحظات فى قمة الأزمة التى لن تلبث ان تنفرج ، ومع ذلك فهذا علمه عند الله اما بالنسبة لشعورى الآن فانا اكاد اتهيأ للآخرة .

لقد بدأت المحاكمة فى يوم ١٨ كما كان مقدرا ولقد ذهبت فى الجلسة وكنت شديد الحيوية مطمئن النفس وكنت اشعر بهدوء غريب ، حيث كان الجميع فى حالة عصبية . ولقد أرادت المحكمة وتأجلت الجلسة لليوم التالى . وعندما كنت اصلى الفجر وفرغت منه شعرت بخاطر يملأ نفسى الا اذهب الى المحكمة بعد اليوم فلست على استعداد أن يحاكمنى هذا الرجل الذى يسمى حسين طنطاوى .. لست على استعداد أن اساعدهم فى تصوير أمر اعدامى فى صورة شرعية . ان كل شيء يصيح بالمؤامرة التى

تدبر لى ، فعلى اى اساس استسلم لهم ، ولذلك فقد قررت عدم الذهاب وانقطعت شهيتى للطعام والشراب وانا اكتب الآن وقد مضت على اربعة ايام كاملة لم اتذوق فيها اى طعام بل لقد مرت الثمانى والاربعون ساعة الاولى دون أن اشرب الماء ، ثم اقبلت على شربه بعد ذلك والحوادث كلها تعزز اصرارى على المضى فيما انا فيه ، فاليوم حكم حسين طنطاوى بأنه مختص بنظر الرد المقدم منى ضد المحكمة وذلك على خلاف القانون ، وكيف يكون هذا الرجل خصما وحكما فى آن واحد ، ولكنه لختار هذا الأمر امعانا فى التحدى وسمى حكمه حضوريا على الرغم من اننى لم اكن موجوداً ويعنى هذا انه سيمضى فى الاجراءات بالرغم من مرضى وتغيبى .. فليمض اذن فى اجراءاته كما يشاء ولكنى لن أكون هناك .. فليمض ولكنى سأضع نفسى بين يدى الله وحده . وهذا ما يخيل الى ان النهاية اقتربت ..

لست اشعر بحزن لمرور هذا الخاطر فى نفسى بل على العكس اننى شديد الترحيب بالخروج من هذا العالم الذى لم ار فيه الا الجحود والكنود والاتهام والانكار ومقابلة حبى واخلاصى بالحقد والغل والحسد ، ليس هناك ما احزن عليه سوى زوجتى الحبيبة التى اعرف كم تتالم وكم ستتالم ولكن هل الدنيا الا الم .. وحتى لو لم اكن فى هذه المحنة هل كنت ساكون خالداً لها ، أم كنت سأفارقها يوماً من الايام ، لها الله اذن .. لها الله هى وأولادى . ولست اعرف اذا كان سيكون باستطاعتى أن اكتب شيئا فى هذه المذكرة بعد اليوم ام لا ، ولذلك فاريد ان اقرر الآن أننى اذا مت فان دمى يقع على رأس الحاكمين فى هذه الفترة وعلى راسهم النائب العام والنيابة وحسين طنطاوى وزملائه ، ومع ذلك فلست اريد من احد أن ينتقم لى فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر بل ويسىء الى القضية اريد ان ياتى هؤلاء امام الله مضرجة ايديهم بدمى وهو وحده صاحب الشأن فى حسابهم .

ان التفكير فى الانتقام والحقد والبغض كل ذلك لا يقدم ولا يؤخر وانما هى عواطف صغيرة ورخيصة وضررها أكثر من نفعها فلندع الامر لصاحب الامر ولتملأ قلوبنا عاطفة واحدة هى الحب والتسامح وان نقول كما قال سيد الخلق رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

بقيت حكمة اخرى وهى ان تضحيتى لن تضيع هباء ، لقد عشت حرا واذا مت فسوف أموت موتة الأحرار .. لقد عشت من اجل الحق واذا مت فسيكون ذلك فى سبيل الحق ورفض الظلم وعدم الاذعان للطغيان . ولست اشك لحظة ان بلادى ستستفيد من هذا النموذج الذى اقدمه لها فى مكافحة الظلم وعدم الرضوخ للأحكام الجائرة .

٢٧ من مايو ١٩٥٢

هانذا اعود للكتابة مرة اخرى وانا طريح الفراش منذ تسعة ايام لم ينزل فيها الى جوف طعام . ان حالتى خطرة حسب تقارير الاطباء ، ان نبضى هو ١٣٥ وانا راقد والضغط ١١٠ واصوات القلب خافتة لا تكاد تسمع واعصابى منهارة ، والجميع ضدى والسلطات متحاملة متحالفة على حتى أن قانون استقلال القضاء يعدل بسرعة ليتمكن حسين طنطاوى من الاستمرار فى نظر قضيتى بعد انتهاء مدته فى الخدمة وادارة السجن لا تريد نقلى الى مستشفى رغم سوء حالتى وانا طريح زنزانتى ، حيث لا سميع ولا مجيب اذا طرأ على أى طارىء .

انى ملقى وطريح الفراش ليس من يسأل عنى او يهتم بشأنى الا القلة من اسرتى وانصارى المعتقلين الذين لا يملكون شيئا . اننى أشعر ان النهاية تقترب بسرعة ومع ذلك فلست آسفا ولا نادما . بل بالعكس انى لفخور بجهادى الذى ان لم يقدر فى

هذا الوقت فستأتى اجيال تقدره حق قدره . انني سعيد ومغتبط ، لقد عشـت حراً واذا مت سأموت حرا . لقد عشت لا أخضع الا لارادتى واذا مت فسيكون ذلك متفقا مع ارادتى .. اننى انظر الى الحياة المقبلة بفرح وابتهاج . لقد حان الوقت لكى استريح بعد ان اديت واجبى .. اننى فرح مسرور .. فرح مسرور والحمد لله من قبل ومن بعد .

٢٨ من مايو ١٩٥٢

حاولت استطيع ان اجلس وانا اخط هذه الحروف . اليوم هو العاشـر منذ بدات هذه الحالة النفسـية التى صـدتنى عن الطعام والعجيب ان صحتى العمومية اليوم خير منها بالامس ، وقد كان الأمس خيرا من اول امس . لا تعليل لذلك فى نظرى الا ان الجسد يمر فى مرحلة اعتياد لهذه الحالة الجديدة .

وهو من ناحية اخـرى يبذل آخر ما عنده للدفاع عن كيانه وهذا هو سـر التحسـن المؤقت والذى لن يلبث ان يعقبه انهيار من غير شك .

ولاتزال المحاكمة مستمرة ويتحدثون عن حالة مرضى ، وهل هو مفتعل أ او غير مفتعل ، ولسـت التى بالى لشىء من ذلك كله لقد وضعت نفسى بين يدى الله ، وانا فى انتظار قراره ، اما ان يدعونى اليه واما ان يبعثنى من جديد والخيرة فيما اختاره الله .

يوم الاثنين ٢ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى ارادة الله تجعلنى اعاود الكتابة ، لقد مضى الآن على مرضى خمسة عشر يوما كاملة ولكن فى هذه الثلاثة الايام الاخيرة طرأ على تغيير ، فقد نقلت الى مستشفى سـجن مصـر بعد ان

ساءت حالتى وانتدب ثلاثة من الأطباء من مصلحة السجون للكشف على من بينهم وكيل القسم والدكتور عزمى مرقص والدكتور كمال قاسم فقرروا نقلى الى المستشفى فورا .

وقد منصر ذلك تأجيل القضية الى يوم ٨ يونيو فأتاح لى ذلك فرصة التنفس ، وخفف ذلك بعض الشىء من أعصابى ومع ذلك فان العمل يجرى على ساق وقدم لاصدار القانون الجديد الذى يعد فى اجل حسين طنطاوى فى العمل وسيعرض اليوم على مجلس الوزراء ونحن الآن فى انتظار هذه الضربة الجديدة والله المستعان .

وقد تناولت كثيرا من السوائل وصحتى اليوم أحسن حالا وهذا ما جعلنى استأنف الكتابة .

يوم الاربعاء ٤ يونيو

الله اكبر ولله الحمد .. كنت اقول دائما لمحدثى وهم يروننى طريح الفراش ضعيف القوى متهوكها ، ان ذلك كله مرجعه الى الله وانه يحيى ويميت وبقدرته اذا شاء أن ينشرنى وان يبعثنى من جديد حيا .

وهاأنذا فى يوم الأربعاء ٤ يونيو اجلس على فراشى فى مستشفى سجن مصر الى جوار نافذة ضخمة اطل منها على فناء السجن الكبير واستمتع بزرقة السماء وجمال النهار وعذوبة الهواء .. هاأنذا وقد بدأت استرد صحتى وعافيتى وان هو الا يوم آخر او يومان حتى اكون اذا شاء الله فى حالتى وصحتى العادية .

وكل ذلك تم بارادة الله وفى غمضة عين وانتباهتها .

ففى غمضة عين جاءنى الخبر الذى أشرت اليه فى مذكراتى السابقة من أن القضية قد تأجلت الى يوم ٩ يونيو أى ثمانية أيام كاملة وهو أجل طويل قد بشرنى بالخير . فقد كانت المحكمة تناضل عند كل تأجيل ولا تسمح به الا بمقدار يوم أو يومين لكى تصدر فى النهاية حكما سخينا قذرا يفيض بكل ألوان السخرية بالقانون وبالحق وبالعدل . فهى تحاكمنى غيابيا وتعتبرنى لست غائبا وهى لا تعترف بقوانين ولا بعرف ولا تهتم بالذوق أو الرأى العام انها تريد أن تنظر القضية بجدع الأنف .

وقد انهال الطرق عليها يوما بعد يوم .. فهذا التأجيل الجديد لهذه المدة الطويلة كان علامة خير .. لقد أشبه فى نظرى عندما يطرق الانسان بشدة على قطعة حديد ليحركها أو قطعة صخر ليفلقها ثم يوالى الطرق ويواليه دون أن تظهر اى نتيجة ولكن فجأة تبدو بادرة أن قطعة الصلب ستتحرك .. ولقد كان هذا التأجيل هو من هذا القبيل فقد أشعرنى أن الصخرة فى طريقها الى التحطيم، صخرة حسين طنطاوى الذى يأبى الا أن ينظر القضية .

وفى اليوم التالى اى أمس (الثلاثاء) فوجئت بما يشبه الانقلاب فى هذا الاتجاه الطيب ، فـ « المصرى » تعلن بخط عريض أن حسين طنطاوى سيحال الى المعاش فى يوم ٧ يونيو وأن دائرة عسكرية أخرى هى التى ستنظر الدعوى ..

الله أكبر لئن صح هذا فهى آية الله الكبرى .. لئن صح هذا فهو بدء الفرج وانقشاع الغمة .

وكانت جريدة الأهرام تشير الى نفس الخبر ولكن فى غير ضجيج جريدة المصرى .. وكانت هناك حقيقة بارزة تضفى على هذا القول شيئا من الأهمية وهى أن وزير العدل لم يعرض قانون

استقلال القضاء على مجلس الوزراء .. ومعنى ذلك هو نجاح هذا الجهاد الذى جاهده القضاة لايقاف هذا التعديل مؤقتا والذى لو تم لظل حسين طنطاوى فى الخدمة خمس سنوات اخرى او لتشبث بنظر القضية لمدة اشهر قادمة على الاقل . الله اكبر .. الله اكبر ولله الحمد وهكذا صدق الله العظيم « انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا » ..

من الذى كان يتصور انه توجد قوة توقف تمام هذا القانون قبل ٧ يونيو فقد كان آخر ما يتصوره القائمون بالأمر أن يكون القضاة هم الذين يحتجون ويعترضون والقانون مليء بالمزايا لصالحهم .. ولكن هكذا أراد الله وغضبت أغلبية القضاة واحتجوا واشار بعضهم من طرف خفى لموضوع حسين طنطاوى .. ويظهر أن وزير العدل غضب لذلك فأجل عرض القانون على مجلس الوزراء يوم الاثنين ، وطالعت اليوم فى الصحف أنه لن يعرضه فى جلسة اليوم (الاربعاء) وهكذا ارجو الله ان يمضى يوم ٧ يونيو دون أن يعدل القانون القديم فيكون حسين طنطاوى محالا الى المعاش فى هذا التاريخ .

ولكن هل يرضخ حسين طنطاوى لهذه الحقيقة .. اغلب ظنى انه سيمارى فيها ، واغلب ظنى انه سيقول انه قد شرع فى نظر القضية وان من حقه أن يمضى فى نظرها .. وهذا ما لم يصدر المرسوم باحالته الى المعاش بالفعل وهذا ما لا اظن ان الحكومة تقدم عليه .. ولهذا فالموقف فى نظرى وان كان قد انقلب الى صالحنا من الناحية المعنوية الا انه لا يزال معلقاً من الناحية المادية .

كيفما كان الامر فقد كسبنا معركة .. واصبح موقف حسين طنطاوى رثا بعد كل هذا الجو الذى احيط به وبعد أن اجمعت الصحف بالخط العريض ان خدمته تنتهى فى ٧ يونيو وبعد ان

رفض جميع القضـــاة قانون اســـتقلال القضاء حتى لا يستفيد منه حسين طنطاوى .

وكل ذلك قد تم بإرادة الله لقد بعثنى الى الحياة من جديد ، وشحذت هذه البارقة فى قواى مرة أخرى .. ولما كان محددا لنظر الدعوى المقامة منى على النائب السلم وعلى « ابو شنيف » يوم ٧ او ٨ فقد اعتزمت ان اخرج الى المحكمة للادلاء بأقوالى فى هذه الدعوى الخطيرة .

ولقد حفزنى ذلك كله على العودة لتناول الطعام والشراب .

ويالهـــا من آلام تلك التى تكبدتهـــا لانتقـــل من حـــالة الخمود والهبوط الى حالة النشاط والحيوية .. ما اعجب شـــان هذه الحياة .. ان الالم الذى نحســه لفقدها هو بعض الالم الذى نعانيه للدخول فى الحياة نفسها .

لقد كنت هادئا وانا راقد فى فراشى تتدهور صحتى يوما بعد يوم فلما بدأت فى تناول الأشربة الســـائلة وبدأ جســـدى يفيض بالحيوية انقلبتنى الآلام وانزعج الطبيب وهو يرى ســـوء حالتى ورد الفعل الذى ظهر على ولذلك فلم أستطع ان اكتب هذه المذكرة بالأمس لما كنت اعانيه من هبوط وليس ســـوى اليوم واليوم فقط حيث اســـتطعت ان اجلس وان اكتب . فالله اكبر الله اكبر ولله الحمد .

١٠ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى الامور تتطور حيثما يشـــاء الله لها ان تتطور ، أحيل حسين طنطاوى الى المعاش ، وأصـــبحت هذه حقيقة فى ذمة

التاريخ ، ومين بدلا منه حسن عبد الوهاب يسن وهو رئيس محكمة الجنايات التى عرضت عليها قضية الثورة وطلبت النيابة تأجيلها وهو رجل يبدو عليه انه طيب ولكنه مريض من غير شك وضعيف ومندفع وقد تجلت لى هذه الصفات كلها عند نظره لقضيتى وهو يؤجلها .

وانا الآن اتناول طعامى بانتظام عند المغرب فقد شرعت من جديد فى صوم رمضان منذ اربعة ايام . وقد كتبت للمحكمة اننى ساحضر امامها يوم السبت المقبل لنستأنف الصراع فاذا كان حسين طنطاوى قد ذهب فان صلاح حسن عضو اليسار ومحمود مرسى عضو اليمين وهما بقايا حسين طنطاوى لايزالان كما لايزال الضابطان ومن الواضح أن هؤلاء الاربعة .

والمهم أننى وقد كنت ظننت أن الامور قد انتهت فها هى تبدأ من جديد .. وهاانذا اعود الى المحكمة بعد ان كنت اتمنى ان لا اذهب ابدا .. ولست افكر فى شىء ولست اؤمل شيئا .. اننى اضع نفسى وتفكيرى تحت رحمة الله يسيرنى كما يشاء .

ابراهيم شكرى الآن سجين فى نفس السجن بعد أن حكم عليه بالحبس لمدة ستة أشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية وهكذا تبدد الامل القريب فى ان يسترد حريته وان يخرج ليكافح عنى فلا امل لى فى الخلاص مما يكيدون الا اذا دخل نشاط حزبى فى الخارج .. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

١٣ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة أخرى اقف على عتبة مرحلة حاسمة فسوف اخرج غدا ان شاء الله لحضور دعوى المخاصمة المرفوعة منى ضد النيابة

ولحضور المحكمة العسكرية للنظر فى موضوع الرد ، لقد اعلنت المحكمة انها ستصدر حكمها فى موضوع الرد غدا بدون سماع مرافعة ، اكتفاء بتقديم المذكرات ولقد احتج الدفاع واحتججت انا وارسلت لرئيس المحكمة أطلب فتح باب المرافعة فاذا لم تفعل المحكمة واصرت على اصدار حكمها بدون سماع مرافعة وسيكون الحكم بالرفض طبعا والمضى فى نظر الدعوى طلبت أحسب الا أن حالتى النفسية ستعاودنى فى مرة اخرى .. ومرة اخرى لا يعلم سوى الله متى تنتهى وكيف تنتهى .

ولقد اذاع حسين طنطاوى فى مجلة آخر ساعة حديثا يفيض بالحقد الدفين ضدى كشف فيه عن خبيئة نفسه وانها لخبيئة مخيفة فما كان هذا الرجل ليحكم على باقل من الاعدام كما لمح فى حديثه فهل تكون ازالته من المحكمة العسكرية ايذانا من الله بتبدل هذا المصير .. الله وحده هو الذى يعلم .

١٦ يونيو سنة ١٩٥٢

اكتب هذه السطور وانا على أبواب دخولى فى مرحلة مرضية لا يعلم سوى الله كيف تنتهى ومتى تنتهى ، لقد عاودتنى حالتى النفسية السيئة وتحيط بى الهموم والاكدار وتوتر الاعصاب و « الترقب » .. لقد خرجت بالأمس واول امس وترافعت فى دعوى الخصومة وترافعت فى رد المحكمة .. اما المحكمة العسكرية فبالرغم من نصاعة الأدلة التى قدمناها على وجوب الرد اصدرت حكمها برفض طلب الرد وحددت لنظر الجلسة يوم ٢٨ من هذا الشهر واما محكمة المخاصمة فقد قررت اصدار حكمها يوم الاربعاء . وهكذا نقف على أبواب غيبة المجهول الذى يستطيع أن يقرر مصيرنا فى هذا الاتجاه او ذاك ، فلو قبلت المخاصمة فقد انهارت القضية ولو رفضت المخاصمة فقد تعززت القضية

واشتد ساعد النيابة .. وقد صاحب هذا الجو من القلق والتوتر ان اتخذ مدير السجن الجوهرى بك اجراءات شاذة لتزيد فى مضايقتى فقد جاء بقفل حديد ليضعه فوق الاقفال القديمة على باب الحجرة وهكذا اصبحت ظلمات تغشاها ظلمات .. وليس لهذا الاجراء من تأثير على الا من حيث دلالته النفسية .. وهكذا تحالفت الظروف لتجعلنى افقد الشهية نحو الطعام من جديد فبالرغم من انى صائم فلم تمتد يدى الى الطعام امس .. واجلس الآن مرة اخرى احدق فى الفضاء مستسلما لأمر الله وما يصدره من احكام وقرارات .. ومرة اخرى يتكاثف الظلام امام وجهى ولا حول ولا قوة الا بالله .

١٧ يونيو سنة ١٩٥٢

لتكن مشيئة الله وليتم قضاؤه .. كلما حاولت ان استرد شيئا من طبيعتى داهمتنى الحوادث .. وانا اليوم فى حالة سيئة فقد جاءت زوجتى لزيارتى فاراد الجوهرى بك مدير السجن ان يفتشها ثم اخذ منها حقيبة يدها ودخلت على وهى مصفرة الوجه لقد ازعجنى ذلك كل الانزعاج وصرفتها محتجا .. وهكذا بدا هذا الرجل يطاردنى وبالرغم من اننى شكوت ذات اليمين وذات اليسار فلم يهتم احد بهذه الشكاوى ..

وكل ذلك يجعل نفسيتى مريضة ومرة اخرى تضعف فى نفسى ارادة الحياة .. وانى اتوجس خيفة اذا رفضت المحكمة دعوى المخاصمة فان ذلك سيجعل النيابة والمحكمة العسكرية تتنمر ضدى .. واليوم طالعت فى الصحف أن رئيس المحكمة العسكرية الجديد قد طلب من النيابة ان تحقق مع عبد المجيد نافع لاهانته المحكمة .. وهكذا يعملون جاهدين على التخلص من عبد المجيد نافع ، كل ذلك يضغط على ..

فلتكن مشيئة الله .. ليتم قضاؤه .. اننى راض ومستسلم فليفعل ما يريد أن يفعل بى .

١٨ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة أخرى لا حول ولا قوة الا بالله .. الساعة الآن الثالثة بعد الظهر أى أن الحكم فى دعوى الخصومة المرفوعة ضد النائب العام وابو شنيف ، لابد وأنه صدر ، ولابد انه صدر برفض دعواى فلو كان لصالحى لأبلغ الى ولحاول الدكتور محمد حلمى أن يوصله الى بأى ثمن ولجاءنى زائرا بتصريح خاص ليبلغنى اياه .

ولم يظهر اى اثر لهذه الشكاوى العديدة التى ارسلتها سواء ما كان منها لمصلحة السجون ، أم النيابة .. وهكذا ارقد على فراشى ناظرا الى سقف الغرفة — لا حول لى ولا قوة — مهددا فى كل دقيقة .. ومع ذلك فلسانى لا يهدأ ينادى يارب ولا حول ولا قوة الا بالله .

بعد الظهر

جاءنى رئيس نيابة جنوب القاهرة الاستاذ عبد الحميد لطفى ليستمع الى أقوالى فيما اشكو منه من معاملة فى السجن ، وقد جاء بناء على تكليف من النائب العام .. فادليت له باقوالى ولا يلوح انه سيترتب على ذلك اية نتيجة ، فلن يرفع القفل الذى وضع على الباب .. ومع ذلك فكل هذه مسائل صغيرة ليست هى فى الواقع التى تشغل فكرى .

١٩ يونيو سنة ١٩٥٢

صح ما توقعته وصدر حكم المخاصمة برفضى ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حكمت على المحكمة بثمانين جنيها غرامة

اى انها لم تهبط بالغرامة الى حدها الادنى ، بل صعدت بها الى حدها الأعلى للتشديد والتغليظ وهذا من أعجب العجب ، ولابد انهم فى الحيثيات سينعون على رفع هذه الدعوى .. وهكذا يسوء الموقف من جديد فلا حول ولا قوة الا بالله .

مازالت حالتى الصحية تتدهور ببطء فانا لا اتناول منذ خمسة ايام الا قليلاً من السوائل عند الافطار وتتناقص شهيتى يوما بعد يوم ، واحسب انه فى نهاية رمضان اى بعد ثلاثة ايام فلن يكون بمقدرتى الا تناول الماء فقط .

ان الكثيرين ممن يتصلون بى يحاولون ان يشرحوا لى الايمان بالله على صورة واحدة وهى ان اتوقع الفرج وهم لا يدركون ان ايمانى بالله أعمق غورا من ذلك فانا مؤمن به فى السراء والضراء مؤمن به مهما تجىء الحوادث .. فهو المدرك من الأمور مالا ندرك .. ما هذه الحياة كلها الا سر مغلق لا يعرفه الا هو .. ولذلك فان ايمانى بالله هذه الأيام يتلخص فى شىء واحد وهو الاستسلام التام المطلق لكل ما يجىء به الغد .

زارتنى زوجتى ومن الواضح انها تعلنى .. ولم يكن عندها ما تقوله لى وقطعنا الوقت فى ترديد اقوال وآراء لا قيمة لها .

الجمعة ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٢

صباح جديد ويوم جديد على وتيرة الايام السابقة ، زارنى الطبيب وقال لى انك تاكل نفسك فقلت له : ان ذلك افضل من ان تختل اعصابى واصاب بالجنون ، وانتهت المناقشة عند هذا الحد . واذيعت حيثيات حكم المحكمة العسكرية الخاص برفض الرد وهو كالعادة ينتهى الى ان يضرب عرض الحائط بكل ما تقول

أو نثير .. ولا سند لهم فيما يقولون الا مجرد القول .. والحكم والتعسف ، ومع ذلك كله ففى نفسى اطمئنان الى النتيجة النهائية .. ولكن ما هى هذه النتيجة لا أعرف ولا متى ستصل وعلى أى وجه ستكون .

ما أنا الا عبد الله وخلقته وسيقضى فى أمرى مكنون حكمته .

الظهـــر

جاءنى عبد الحميد بك لطفى رئيس النيابة والأستاذ عدلى مسيم وكيل النيابة الأول ولست أعرف لماذا جاءا ؟! وقد راحا ينصحانى بقبول الأوضاع القائمة ويهونان من شأنها على .. وقد اضطربت أعصابى فاذا بى أثور وانفجر واحطم كوب ماء وزجاجة حبر واقع فيما يشبه النوبة العصبية فانسحب حضرتهما ثم جاء الطبيب الشرعى وعقد الجميع مؤتمرا فى مكتب المأمور ثم انصرفوا .

فليفعل الله بى ما يشاء .

الأحـد ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب .. يارب ما الذى اعددته فى مكنون علمك ؟ اليوم صدرت الصحف وهى تحمل حكم مجلس الدولة وقد قضى ان ليس من حقه التعرض لقرارات النيابة العسكرية وسقوط الحق فى المطالبة بالغاء الأمر العسكرى رقم ١٠ لسنة ١٩٥١ الخاص بتحديد اختصاصات المحكمة العسكرية لانقضاء اكثر من ٦٠ يوما ، وهكذا انقضى آخر امل فى سلب ولاية المحكمة العسكرية .. وقد قرر مجلس الدولة وهو يقضى فى قضيتى حكما رائعا ضد الحاكم العسكرى وما أصدره من مرسوم بقانون يمنع مجلس الدولة من التعرض لقراراته فقد قضى بعدم دستورية هذا المرسوم بقانون ،

وهكذا سيفيد الشعب المصرى كله من هذا القرار من ناحيته العامة اما ناحيتى الخاصة بالقضية فلم أستفد شيئا .

ونشر فى نفس جريدة الاهرام الصادرة اليوم حيثيات محكمة المخاصمة القاضية برفض دعواى وقد جاءت الحيثيات مخيبة للآمال اكثر من الحكم بالرفض ذاته فقد امتدحت تصرفات النيابة ودافعت عنها ولم تجد عليها اى غبار وسايرت النيابة فى تعسفها من حيث تحديد المسئولية الصحفية .

وفى وسط ذلك كله لا املك الا ان اضع نفسى بين يدى الله منتظراً منه العون والفرج .

ولكن حالتى النفسية تسوء وتضطرب وتتدهور صحتى تبعا لذلك والأمر لله من قبل ومن بعد .

الاثنين ١٣ يونيو سنة ١٩٥٢ — السادسة صباحا

اليوم يوم العيد ولا عيد لى ، ولا عيد لزوجتى وأولادى ، ولا عيد لاصدقائى واخوانى ، ولا عيد للمبادىء التى عشت من أجلها طول عمرى .. ان الدموع تغمر عينى من التأثر ، فكل من يحيط بى قد جاء يهنئنى بالعيد ويتمنى لى التمنيات الطيبة ، انهم أناس طيبون يعيشون فى دنياهم .. أما أنا فلا عيد لى الا ان يأذن الله ويرضى .

وبالرغم من اننى كنت بالامس شديد الالم والشعور بالقهر امام القوات الغاشمة التى تحاول ان تنال منى فاننى اليوم أبعد ما اكون عن التفكير فى هذه الافكار . وهذا هو الدليل على أننا لا نملك لانفسنا خيرا ولا نفعا حتى مجرد (المزاج اليومى) فهو نتيجة

عناصر لا نتحكم ولا نستطيع أن نتحكم فيهـا ، فنحن نتألم ونحن نشقى ، ونحن نسعد بدون أن يكون لنا يد فى ذلك . يخرج الانسان من بيته سـعيدا مبتهجا فيصادف حادثا فى الطريق بل قد يسـمع كلمة عابرة تحوله الى حزن كئيب .

فهؤلاء الذين يتحدثون عن حرية الانسان وارادته وعن قدرته على التصرف هم أشخاص سطحيو التفكير .

عندما تقول الأديان شيئا بمحض الالهام والوحى فان العلم لا يلبث أن يثبت ما تقول الأديان .

فقد قررت الأديان ان كل شىء مكتوب على جبين الانسـان منذ أن يولد ، وهل هو شقى أو سعيد . يقتضينا الايمان أن نقرر ان كل شىء فى هذه الحياة انما يتم بقضاء وقدر ، وان اللوح المحفوظ قد خط فيه منذ الأزل تصرفات الانسان وأفعاله .

وهذه الجبرية المفروضة على الانسـان قد اثارت جدلا كبيرا حول موضوع الحساب والثواب والعقاب ، ولست أريد الآن ان اتحدث فى هذه الناحية ، ولكن أقف عند حد هذه الجـبرية وان الانسـان مدفوع فى تصرفاته بقوة أقوى منه وانه مغلوب على أمره فى كل ما يقول أو يفعل ، مضطر لهذا القول او الفعل .

ان العلم الحديث والمشاهدة بل ان فلاسفة الاجتماع والتاريخ وعلم النفس قد انتهوا جميعا الى هذه النتيجة وهى ان الانسـان ليس سـوى ثمرة البيئة التى تحيط به وافعاله وتصرفاته هى نتيجة الظروف التى احاطت به فلم يعودوا يحرسون شاعرا او بطلا او قاتلا الا بعد أن يدرسوا الظروف والعناصر التى كونت حياته والتى دفعته نحو فعل ما فعل .

انظر الى اى انسان على هذا الكون انه يولد مسلما او مسيحيا او يهوديا او بوذيا او لا دينيا وليس له فى ذلك اى اختيار .

فهو مسلم لان ابويه مسلمان وهو مسيحى لأن ابويه كانا مسيحيين وهكذا .

وهو يرث عن أبويه شكلهما وطولهما ولون عيونهما وشعرهما ، بل ويرث صفاتهما ويرث ما بها من امراض ، وقد يكون والد الطفل عصبيا او دمويا او فتاكا بطبعه فيرث الابن كل ذلك ولا صلة له فى دفع ما ورث .. ويولد الانسان فى بيئة فقيرة او بيئة جاهلة فيتكون مزاجه وشخصيته ويصب قالبه فى هذه البيئة الجاهلة او المريضة او المتحللة .

وقد يتعلم الانسان والانسان متأثر الى حد كبير جدا بما يتعلم فما هو هذا العلم الذى يتلقاه الانسان ، انه ليس من عمله وانما من عمل الانسانية ، ويتكيف الانسان بلون العلم والمعارف التى يلقاها ، وكم من فتى صار مهندسا لأن الظروف ساقت له علم الهندسة وآخر طبيب لان الظروف هيأت له دراسة الطب ، وانى اتقابل الآن حولى فى مصلحة السجون ضباطا حالمين هائمين كانوا يحبون ان يكونوا شعراء او ادباء او فنانين ولكن الظروف جعلت منهم ضباطا وفى مصلحة السجون بالذات .. وعلى هذا الأساس فكل اعمالنا وتصرفاتنا انما هى نتيجة الظروف المحيطة بنا ونحن دائما ابدا منفعلون بالحوادث لا فاعلون لها وهؤلاء الذين يتصورون الانسان فاعلا او متصرفا هم قوم لا يتعمقون فى دراسة الموضوع .

لقد اثبت العلم ان افرازات بعض الغدد هو الذى يكيف مزاج الانسان ومستقبله ، وتغير هذه الافرازات قد يحول الانسان من حال الى حال ومن صورة الى صورة وليس لانسان سلطان على افراز غدده .

كانت البشـــرية الى وقت قريب تتصور أن الأبطال هم الذين يكيفون حياة البشر وليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة من هذا الزعم ، فهم مثلا يتحدثون عن نابليون كخالق هذه النهضـــة التى تمت على يديه ولم يكن نابليون الا تعبيرا عن ارادة الشــــعب الفرنسى الذى تفجرت قواه وحيويته فى الثورة الفرنســية وكان لابد ان ينطلق شـــرقا وغربا حتى يرتطم ويهدا، وحسب الانسان ان يطالع التاريخ لكى يرى كيف ان جيش الثورة قد اســـتطاع فى معركة « فالمى » قبل ظهور نابليون ان يصمد لأعظم الجيوش مع أنه كان عاريا جائعا لا عهد له من قبل بالحروب . بل ان فرنسا الثائرة قبل نابليون هى التى شنت الحرب فى كل الميادين وظفرت بانتصـــارات اذهلت الجميع فليس نابليون الا مظهرا من مظاهر ارادة الشـــعب الفرنسى فى ذلك الوقت .

ومثل ذلك يقال عن محمد على فى مصر فما محمد على الا يقظة مصر التى احدثها الغزو الفرنسى لمصر حيث قـــام الشـــعب يناضل عن حريته وعن كيانه واستقلاله ووجد فى محمد على معبراً عن ارادته .. ولو ظل محمد على فى بلده « قوله » لما زاد أمره عن بائع دخان او عسكرى فى الجيش التركى فالظـــروف والحـــوادث التى لا دخل لارادة محمد على فيها هى التى القت به الى مصـــر فى وقت معين وفى فترة معينة ومصر على اهبة وثبة معينة فكان محمد على ما كان . ويتصـــور اقوام حتى فى عصـــرنا الحديث بعد ان اتضحت هـــذه النظريـــات واصبحت حقـــائق مقررة ان امبراطور المانيا هو الذى اشـــعل الحرب العالمية الاولى وان هتلر هو الذى اشعل الحرب العالمية الثانية مع ان هتلر العسكرى ما كان يستطيع فى بلاد جبابرة العسكرية .. ان يصل الى ما وصـــل اليه لولا ان الشـــعب الالمانى قد وجد فيه ضالته المنشودة والسبيل لتحقيق بغيته وهو الأخذ بالثار واستئناف الحرب .

وما يقال عن حوادث العالم الكبرى وعن الابطال وعن كبار الشخصيات يقال عن اصغر انسان فى اى زاوية من زوايا الكون .. فهذا الذى ولد زنجيا هل يمكن أن يكون الا زنجيا ؟ هل يمكن ان يغير لون جسده وأن يغير من طباعه ؟؟

ومن هنا بدأ اساتذة العلم الجنائى يعيدون النظر فى مسالة العقوبة على ضوء هذه الحقائق التى ثبتت لهم . فالقاتل لا يقتل ، والسارق لا يسرق، والزانى لا يزنى، الا تحت تأثير عوامل اجتماعية وطبيعية لا حيلة للانسان فيها .. فالسارق قد يسرق تحت الحاجة وخوفا من الجوع فلو سددنا حاجة الناس ووصلوا الى درجة الاشباع او ما يقربها لما وجدنا هناك من يسرق .. والقاتل لا يقتل الا بعد أن يفقد عقله ، والزانى لا يزنى الا مقاويا على امره بما اودع فى جسده من هرمونات يكفى أن تزيد على درجة معينة لكى يكون هذا الشخص مغلوبا على امره امام اى امرأة يصادفها .

والخلاصة ان الايمان بالله الذى يفرض علينا التسليم بالقضاء والقدر وأننا لا نملك لأنفسنا خيراً ولا نفعاً ، وان الحوادث تتم وتقع بقوة قاهرة لا قبل لنا فى دفعها هو ما يولده النظر العلمى الحديث عندما يجعل الانسان وكل اعماله هى ثمرة عناصر لا دخل للانسان فى تكوينها ولا حيلة له فى دفعها او تعديلها .

فالجبرية هى التفسير الوحيد الذى لايزال مقبولا لتفسير حوادث هذا الكون فى عمومها وفى تفصيلها .

الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٢

ترى ما الذى يخبئه الغد ، وانى لأقف على بابه فى ظروف لم أكن لأتوقعها ؟! لقد مضت خمسة عشرة يوما من رمضان

صائما ، وامضيت السبعة الايام الاخيرة منه وانا لا اتناول فى الافطار الا بعض السوائل ، التى تقيم الأود ، وكانت تتناقص يوما بعد يوما حتى وصلت الى درجة العدم ، حتى اذا انتهى رمضان ودخلنا فى مرحلة الافطار اذا بنفسى تضيق عن اى طعام او شراب غير الماء فامضيت ايام العيد الثلاثة لا اتناول سوى الماء ، وقد كنت مرتاح النفس والفؤاد لذلك مطمئن الخاطر معتزما ان امضى ما استطعت الى ذلك سبيلا بملازمتى الفراش فى ضعف ووهن ، وهى وحدها التى تهدىء نفسى وتجعلنى اسخر من الظلم والاضطهاد ومن الحياة كلها .

وفجاة استيقظ بعد منتصف ليل الاربعاء ، اى فى صباح الخميس ، وانا فى حالة شديدة من الضيق والألم ، كانت نفسى مضطربة وجسمى كله فى حالة ضيق ، وفى صدرى الم ، ولم اكن اعرف ماذا افعل او كيف اتصرف ؟

وحاولت ان اصبر ، وان اغض عن هذه الحالة ولكنها راحت تتفاقم حتى بلغ بى الضيق مداه ، فطلبت من الحراس ان يفتحوا الباب ، وجاء الضابط المختص ، وجاء « التمرجى » وظننت ان كوبا من شراب الليمون قد يساعدنى ويعيدنى الى طبيعتى ، فطلبت شراب الليمون ، ولكنهم لم يكادوا يجيئون به الى حتى زاد اضطرابى ، وتناولته بصعوبة ، ولم البث ان تقيأته .. وكان ذلك قمة الأزمة ، وكان جسدى ينتفض بالالم والضيق والاضطراب ثم هدات وانصرف الضابط ، ونمت بعض الوقت فيما لا يزيد على ساعة او ساعتين ، وطلع النهار ووجدتنى فى نفس الحالة من جديد ، وعندما جاء الطبيب وجدتنى فى حالة من الألم جعلتنى اقبل كل ما اقترحه من اسعاف وعلاج ، فاعطانى بعض حقن الكورامين والادوية ، وجىء لى بالشاى والعرقسوس كعلاج لما احس به من الم فى امعائى .

وهاندا الآن فى عصر يوم الجمعة ، وقد مدت اتناول بعض الاغذية ، بحيث استطعت ان اجلس واخط هذه الحروف ، وفى نيتى ان اجاهد فى سبيل تناول الغذاء دفعاً عن نفسى لهذه الآلام .

وغدا السبت حيث تعقد المحكمة ، وقد طلبت التاجيل ، وطلب المحامون التاجيل ، فلو رفضت المحكمة التاجيل ، ولو رفضت ما طلبت ضمه من أوراق الى القضية يجب ان تضم اليها بمقتضى القانون لكان ذلك صورة بارزة من التعسف واهدار كل قواعد القانون والعدل .

كيفما كان الامر ، فلست أظن اننى سأذهب غداً ، ولكنى معتزم الذهاب — ان شاء الله — بعد ذلك كى افرغ من هذه المهزلة فان اعصابى لم تعد تحتمل ، ولا يجب ان تحتمل اكثر من ذلك ، فلتأت النتيجة أيا كانت ، ولننته من هذا الضغط المستمر .

وفى هذه اللحظات اتجه بكل ذرة من ذرات جسدى وروحى الى خالقى اسأله ان يكون عونى ونصيرى وان يهيىء لى من أمرى رشداً .

اسأله أن يهدى القضاة ويحملهم غداً على تاجيل القضية اجلا طويلا ، بل اسأله ان يحدث من المفاجآت ما يؤخر نظر هذه القضية الى ان تلغى الاحكام العرفية .

الاحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب السماوات والأرض ، يا من اعبدك بكل ذرة من ذرات جسدى ، يا من اعبدك بكل خفقة من خفقات قلبى وروحى ، يارب يا سر الوجــود . يا سر الأسرار يا من حارت فيك العقول ..

ملاذا تريد بى .. الى اين ستنتهى بى .. هانذا مرة أخرى اقف على قدمى مصليا ، هانذا مرة أخرى وماء الصحة قد بدا يتدفق من شراييني ، هانذا مرة أخرى وقد حلقت ذقني بعد ثلاثة أسابيع تقريبا ، واجلس متحدثا ، هانذا أرى وميض الامل يتسلل رغم انفى الى اعماق نفسى ، وهاندا ادعوك في حرارة وفي قوة من جديد ان تخلصنى ، وان تنقذنى ، وان تدفع عنى السوء والكيد ، وان تخرجنى من هذه المحنة مرفوع الراس موفور الكرامة ، كما عودتنى دائمـا .

لقد تأجلت القضية الى ٨ يوليو ، أى بعد تسعة أيام من اليوم ، والظواهر تدل على ان القضية ماضية فى طريقها ، وانها ستنظر عقب هذه الفترة ، ومع ذلك فانى أرجو من الله الا تنظر هذه القضية امام محكمة عسكرية ، والا تنظر فى هذه الايام .. كيف سيتم ذلك .. كيف يتحقق ذلك ؟ ان الله قادر أن يحدث فى هذه التسعة الأيام احداثا تغير الدنيا من حال الى حال .

وفى نيتى ان احضر الجلسة المقبلة لاطلب من المحكمة التاجيل من جديد .

سرت بالأمس اشاعة فى السجون أن الوزارة قد سقطت ، بل وان على ماهر هو الذى دعى لتاليف الوزارة ، وقد كان هذا الخبر فوق احتمالى لو كان صحيحا ، فذرفت الدموع شكراً لله ، ولكن سرعان ما تبين أن الاشاعة غير صحيحة ، وصدرت الصحف اليوم ، وهى ابعد ما تكون من هذه الناحية .. ومع ذلك فلا يزال الامل يداعب النفوس . ان تغييراً سيقع فى القريب ، والرجاء كل الرجاء الآن أن يكون تغييراً نحو الخير والأحسن لا نحو الأسوأ .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولاول مرة نشرت الصحف اليوم صورة ابنى مصطفى ، الذى حضر الجلسة ، وقد أثر ذلك فى نفسى .. وانقضت أكثر من عشرة ايام دون ان أرى زوجتى وقد بدأ ذلك يضايقنى .

اول يوليو ١٩٥٢ « الثلاثاء »

علمتنى الايام الحذر ، وانها تسير دائماً بين المد والجزر ، بين العسر واليسر ، بين الشدة والرخاء ويوما نساء ويوماً نسر ، وكذلك فلم أكتب هذه المذكرة بالأمس ، وآثرت التريث حتى اليوم حتى تستقر الامور .

لقد قدم « نجيب الهلالى » استقالته منذ يوم السبت الماضى ، واقول قدم استقالته ، ولا أقول سقطت الوزارة ، ولو كنت اكتب هذه المذكرة بالأمس لقلت سقطت وزارة الهلالى ، والف حسين سرى الوزارة ، اما اليوم ، فقد ظهر ان الموقف لا يزال معقدا ، فلم يؤلف حسين سرى وزارته ، بل قيل ان آخر الأخبار انه عدل نهائيا عن تاليفها ، وقيل ان نجيب الهلالى لم يتسلم خطاب قبول استقالته بعد ، اى أن الموقف لا يزال معلقاً ، ولم يحسم بعد .

ولست اشك لحظة فى ان سبب تعثر تاليف الوزارة هو الاختلاف بين القصر وبين حسين سرى على الخطة التى يعتزم انتهاجها ، ولابد أن موضوع الاحكام العرفية قد عرض على بساط البحث ، ولابد ان فكرة التهيئة لانتخابات جديدة قد عرضت على البحث ، بل لا استبعد أن موضوع تضيني ومصيرى ، ومصير الحزب الاشتراكى قد عرض على البحث بالذات ، فالقوم لا يريدون ان يفاجأوا ببعث الحزب الاشتراكى من جديد ، وقد لا يعنى حافظ عفيفى من كل شئون مصر بأكثر من عنايته بمصير أحمد حسين .. على أن هذا الذى حدث هو خير من غير شك ، وكيفما كانت النتيجة

التى ستنتهى اليها هذه الازمة فان قلبى يحدثنى اننا نسير نحو الاحسن لا نحو الاسوا .

ولو قد كتبت هذه الرسالة بالامس لكتبتها فى جو من التفاؤل شديد ، فقد حضرت زوجتى والدكتور حلمى وجميع الأولاد ما عدا مجدى الصغير . وامضينا وقتا طيبا يفيض بالآمال التى خلفتها استقالة الوزارة .. أما اليوم فانا أكثر تحفظا ، ولكنى غير متشائم واردد دائماً : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » .

الجمعة ٤ يوليو سنة ١٩٥٢

ويودى لو كتبت بإسم الله الرحمن الرحيم فى كل صفحة وفى كل سطر ، وقبل كل كلمة ، فباسم الله الرحمن الرحيم خرجت الى هذه الدنيا ، وباسم الله الرحمن الرحيم درجت وترعرعت ، وباسم الله الرحمن الرحيم سارت حياتى ، حيث أراد الله لها أن تسير ، وباسم الله الرحمن الرحيم أقيم الآن فى هذا السجن فى انتظار رحمة الله وفرجه .

اصبحت وزارة حسين سرى حقيقة مقررة ، فهى تلى الحكم منذ يومين ، ولم أشأ أن اكتب يوم تأليفها حتى تستقر الأوضاع ، وينقشع الدخان ، وتتضح النوايا ، وتتجلى الخطط ، وفى تأليف الوزارة حسنة واضحة ، وهى انها خلت من مرتضى المراغى الذى كان قد تخصص فى حربى وعدائى وقيل عند تأليف الوزارة ان حافظ عفيفى بدوره سيترك منصبه فى رئاسة الديوان ، ولو حدث ذلك لكان خيرا عميما ، ولكن الرجل عدل عن الاستقالة على الاقل فى الوقت الحاضر ، كما يقولون ، غير ان نفوذه قد أصيب

بصدمة كبرى عندما كلف يحيى الدين بركات بتأليف الوزارة ، ثم بوجيه بحسين سرى يؤلف الوزارة من وراء ظهره .

كيفما كان الأمر فقد سقطت الوزارة السابقة ، وها نحن ازاء وزارة جديدة ، ويعتبر الوفد ذلك التغيير انتصاراً له ، وسيفرج اليوم عن فؤاد سراج الدين .. اما انا فلا استطيع أن اؤمل من وراء حسين سرى فى خير مباشر ، فوزير الداخلية هو محمد هاشم وهو لم يكن يخفى عداءه الصريح لى وللأستاذ محمد عصفور ، ولقد قيل كلام كثير من أن الغاء الأحكام العرفية سيكون أول ما يفعله حسين سرى ، ولكن الوزارة امسكت عن الخوض فى هذه الناحية ، وعين حسين سرى حاكما عسكريا ومحمد هاشم وزيراً للداخلية ورقيباً عاماً .

ولقد علمتنا الأيام أن الأحكام العرفية لا تلغى فى سهولة ويسر ، ولابد من ضغط شعبى ، ولن تكون هناك احكام عرفية بالنسبة للوفد بطبيعة الحال ، ولكنها ستكون للاشتراكيين ، ولذلك فقد يسكت الوفد عنها ويهتم بالانتخابات ليكون الغاؤها على يده هو ، ومعنى ذلك أن الأحكام العرفية لن تلغى فى القريب .

وفى يوم ٨ يوليو المقبل ، تعرض قضيتى من جديد أمام المحكمة العسكرية العليا ، وسأحاول ن احضر الجلسة ، وسأحاول تأجيل القضية ، فان تأجلت الى اجل واسع فقد انفتح امامنا امل عريض فى الا تنظر القضية امام المحكمة العسكرية ، اما اذا لم تؤجل ، فقد ضاعت آخر فرصة فى حكم كريم ، ولكن الله الرحمن الرحيم ، الله الذى احدث هذا التغيير وهذا الانقلاب فى طرفة عين .. الله الذى فوضت كل أمرى اليه قادر على أن يخلصنى وينقذنى وينصرنى كما نصرنى دائماً فى كل هذه المحن والويلات .

السبت ٥ يوليو سنة ١٩٥٢

افرج بالأمس عن فؤاد سراج الدين ، وبهذا يعود الوفد الى كل قوته ، ويعرف كل الناس انه فى طريقه الى الحكم ، وهذا ما توقعته من طلائع التغيير الجديد ، وانه سيكون للوفد ، ولكنه لن يكون للاشتراكيين .

وهذا قد جعلنى اتصور مقدار هول المعركة التى لا تزال تنتظرنى قبل ان اتخلص من المحكمة العسكرية .. لقد اعتزمت بعد جلسة يوم ٨ يوليو اذا لم تؤجل القضية ان انذر الحاكم العسكرى بالاضراب حتى الموت اذا اصروا على نظر قضيتى امام المحكمة العسكرية .

واعرف أن مثل هذا الانذار سيجعلهم يتشددون علىّ فى بادىء الأمر على الأقل ، واعلم انهم سيحاولون ان يظهروا بمظهر المستخف بهذا الموضوع ، وكل ذلك سيكبدنى مشاق خطرة ، لاننى يجب ان استمر وان اتمسك بقرارى ولا اعدل عنه الا عند تحقيق مطالبى . وهكذا اشعر انه لا تزال امامى آلام وآلام ومعارك تلو معارك ، والله المستعان .

ومن العجيب انه قد فاتنى ان اذكر فى مذكرة اليوم السابق ان مفتشاً من مصلحة السجون ، وهو اللواء فريد شكرى قد جاء الى السجن للبحث فى امر هذه الشكوى التى تقدمت بها منذ اكثر من اسبوعين ضد مدير السجن ، وقد تطور الموقف الى مصلحتى بصفة عامة حتى لقد وصل الأمر الى حد تهديد مدير السجن بالاستقالة ، وكان لغذ ورد وشد وجذب ، وتداخل الضباط لاصلاح ذات البين بينى وبين المامور ، الذى كنت قد عنفته بشدة امام المفتش ، وقد انزعج مامور السجن ، لان المفتش لم ينصفه فى زعمه . لقد ابديت استعدادى - بعد ان ابلغت مامور

السجن — ان استرضيه بكل ما يرضيه ، فلست احب ان ازعج احداً او اسبب لأحد اى الم لا ضرورة له .

وقد طرب كل من فى السجن لما اصاب المأمور ، ولكنى حزنت ، فلست احب ان انتصر فى هذه المعارك الجزئية قدر ما اطمح الى الانتصار فى المعركة الكبرى ، وهذا ما جعلنى انسى هذه الواقعة على ضخامتها وانشغال السجن بها ، فلم اكتبها بمجرد وقوعها فى مذكرة يوم الخميس ، ولا فى يوم الجمعة ، ولم اذكرها الا اليوم فقط ، فرأيت ان اشير اليها باختصار .

مساء الاثنين ٧ يوليو ١٩٥٢

هاأنذا من جديد اقف على ابواب الغد ، ما الذى يخبئه لى هذا الغد ؟ فى مثل هذه الساعة من مساء الغد بعد ان اكون قد رجعت من المحكمة ، واصدرت قرارها ماذا سيكون شعورى ، ماذا سيكون موقفى ؟! انا اليوم اهدأ ما اكون .. هذا الهدوء الذى يسبق العاصفة .. سأذهب غداً تملأنى روح النضال لتأجيل القضية ، وقد اعددت الجزء الاكبر من مرافعة قانونية فى ضرورة ضم أوراق وتحقيقات وقضايا قبل الشروع فى نظر الدعوى .. الله وحده هو الذى يعلم .

ما اعمق اسرار الكون .. ما ابعد الانسان عن الاحاطة بالحوادث الكبرى فى حياته ما عليه الا أن يعمل ، وان يؤمل وان ينتظر .

وهأنذا انتظر .. انتظر النصر والفرج .

الساعة الرابعة بعد الظهر

يوم الثلاثاء ٨ يوليو سنة ١٩٥٢

أنا عائد الآن من المحكمة ، تمني الأمر ، ورفضت المحكمة ضم الأوراق التي يجب أن تضمها ، وأجلت القضية لليوم التالي — أي للغد — وذلك بعد أن ترافعت طويلا ، وبينت للمحكمة ضرورة هذا الضم لتستقيم العدالة .

ولذلك فقد وقعت الواقعة ، وقد كتبت الآن للحاكم العسكري ولرئيس المحكمة العسكرية أنني مضرب عن الطعام حتى الموت ، أو أن تحول القضية الى محكمة عادية .. وسأبدأ منذ الآن هذا الاضراب ، وفي هذه اللحظة اتجه الى الله عز وجل أن يأخذ بيدي ، وأن يقويني وأن ينصرني في هذه المعركة بإحدى الحسنيين .

الأربعاء ٩ يوليو سنة ١٩٥٢

وبدأت عملية الاضراب عن تناول الطعام ، كما أكدت بالأمس ، وأنا اليوم في اليوم التالي ، ولم أذهب الى المحكمة بطبيعة الحال ، وقد رفضت الكلام مع من أرادوا الكلام معي من الضباط . لا شك عندي أن وقع ذلك عند المحكمة سيكون هو الغضب علي وستحرص المحكمة على اظهار غضبها بسرعة السير في الاجراءات ، ولكني لا أشعر بشيء من التردد أو الخوف ، بل أن كل ساعة تمضي تزيد في عزمي ، فليكن الله معي .. عليه توكلت واليه انيب .

بعد الظهر

تطورت الأمور — كما كنت أتوقع — تطوراً عنيفاً ، فقد انسحبت هيئة الدفاع عني ، وهم الأساتذة : محمد عزمي ،

وعبد المجيد نافع ، ومحمد عصفور ، ومحمد العنتلوى ، واحمد كامل الطهه ، ومحمد طاهر الخشاب ، وابراهيم عبد النبى ، وابراهيم الشواربي .

وقد استدعت المحكمة الظاهر حسن أحمد المحلى المنتدب ، وتزوت السير في نظر القضية بالرغم من كل شيء ، وقد بدأت تسمع شهادة شهود الاثبات فسمعت أقوال عبد الله نكرى اباظة ، ثم اجلت القضية لباكر ، وقد زارنى الظاهر حسن احمد في السجن ، وقد أوصيته على عمل اللازم ، ولست أعرف هل سيفى بوعده أم لا ، والغد هو الذى سيكشف عن موقفه .

كيفما كان الامر ، فكل شيء يدل على اننا وصلنا الى قمة الخطر ، فالمحكمة أصبحت تعتبر الأمر قلا شخصيا ضدى ، وقد حرضتها النيابة علىّ وعلى المحامين ، فاصدرت حكمها بالغرامة وقدرها خمسون جنيها على جميع المحامين .

وفى وسط هذه الثورة العاتية بدأت أسوأ الافكار تساورنى ، فالحكم قد يصدر وقد يصدر بالشنق ، ولكن هذا لا يخيفنى ، ولا يزيدنى الا عزة واصرارا على المضى فى طريقى متمسكا بسلاح واحد ، وهو أملى فى ربى وخالقى .

الجمعة ١١ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو رابع الايام فى اضرابى وكالعادة لا يزال يقدرنى ان اجلس واكتب .

لا تزال الازمة فى أوجها فالمحكمة ماضية فى طريقها وقد بدأت تسمع الشهود ، وعلى ذلك فانى ازداد اصرارا على طريقى وسبيلى ، لقد بلغ السخف بالمحكمة أن انتدبت بعض صغار المحامين ليقولوا

الدفاع عنى وهم لم يقرأوا دوسيه القضية ولا يمكن أن يقرأوه فهو أربعة آلاف صفحة . وهكذا تحكم المحكمة مؤامراتها .

وقد زارنى بالسجن بالأمس وأول أمس الظاهر حسن احمد المحامى الأول المنتدب عنى وهو يشعرنى بأنه سيقوم بالواجب وسيعمل على تأجيل القضية ، ولكنى لست منه على حذر فانى اعرفه من قديم واعرف أنه ناعم الملمس ويخفى دائماً خلاف ما يظهر ، وقد رشح نفسه ضدى فى الانتخابات فكرهت اساليبه ولست اعرف ماذا سيكون موقفه الآن .. ولكنى أسلم أمرى لله .

السبت ١٢ يوليو ١٩٥٢

هذا خامس أيام الاضراب ولقد امضيت بالامس ليلة سيئة لم يزرنى فيها النوم الا غرارا ورحت اتقلب ذات اليمين وذات الشمال فلم اكن اجد الراحة على اى وجه من الاوجه ولعلى اكون قد نمت بعض الوقت على فترات متقطعة ولكن احساسى كان يصور لى ان النوم لا يعرف سبيله الى جفنى .

وقد صح ما توقعته من أن الجميع سيضربون عرض الحائط باضرابى فلم يبد له اى صدى أو اهتمام ولكننى سامضى .. سامضى غير متردد أيا كانت الالام التى ساحتملها ، أيا كانت الاضرار الصحية التى سأتعرض لها . لقد قلت ان قضيتى يجب أن تنظر امام محكمة عادية او أن أواصل الاضراب حتى الموت وانى مصر على ذلك الا أن تحدث تطورات ليست فى الحسبان .

وذكرت الصحف ان النيابة استبعدت من وصف التهمة المادة ٤٨ الخاصة بالاتفاق الجنائى وعند المحامى المنتدب الظاهر حسن احمد امل فى ان نستطيع ان نحمل النيابة والمحكمة على استبعاد المادة ٢٥٧ الخاصة بحكم الاعدام وطلب منى وعداً ان هذه المادة

اذا رفضت أن أحضر المحاكمة ، ولما كنت اعرف أن هذا الأمل فى حكم المستحيل فقد وعدته .

الاحد ١٣ يوليو ١٩٥٢

فروة المحنة اكتب وانا راقد على ظهرى . كانت هنا زوجتى والدكتور حلمى ومصطفى ابنى وقد اصروا على ان اقلع من الاضراب اذ لا جدوى منه فالمحكمة ماضية فى طريقها وقد بدأت اليوم تسمع الشهود وهم يرون أن أحداً لن يهتم بى وقد اضر بصحتى بل قد اموت وهو ما يتمناه خصومى جميعا .

ولكن ذلك كله لا يزيدنى الا اصراراً على ايمانى بربى كبير وعميق وانا واثق انه سينجدنى قبل فوات الوقت فان لم يفعل فتكون حكمته قد اقتضت ذلك .

لقد تعبت كثيرا وبالليل لم يغمض لى جفن الا فى الصباح ولو اشتدت هذه الحالة فلست اعرف كيف ساحتملها ، ولكنى اتصور أن هذه الآلام لن تلبث ان تخف تبعاً لضعف الجسد المسلم .

انى ماض فى طريقى وحسبى الله ونعم الوكيل .

الاثنين ١٤ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو سادس أيام الاضراب ويبدو لى ان حالتى من حيث الآلام او المتاعب العامة الجسدية ليست اكثر من الامس ان لم تكن اقل وقد يرجع هذا الى ما اتصوره من اعتياد الجسم ، او الهبوط الذى يجعل الاحساس فى اضعف صوره . اكتب الآن وانا راقد على ظهرى .

زارنى بالأمس فى مباغة متأخرة على غير العادة الظاهر حسن أحمد واطلعنى على مجريات الجلسة ، وقد طالعتها بالتفصيل اليوم فى الصحف وهى كاسوا ما تكون . شهد ضدى وفيق بدر وجلال لطفى وقال عبد المجيد عبد الحق أقوالا سخيفة ، والكلمة الوحيدة الطيبة التى قالها وهى قوله : ان الانجليز هم الذين حرقوا مدينة القاهرة رغم الكلمة لم تنشرها الصحف ، وعلى هذا فقد بدت صحف اليوم فى اسوأ ما تكون ، وكل ذلك لا يزيدنى سوى عزم واصرار على المضى فى طريقى وليكن ما يكون .

اصبح من الواضح ان حكومة سرى لا تفكر فى الغاء الأحكام العرفية وهى بالتالى لن تقيم لحالتى وزنا والمحكمة لا تقيم وزنا ، والراى العام لا يعرف من امرى شيئا فانا احارب فى اسوأ الظروف .. ولكن الايمان الذى فى قلبى هو الذى يدفعنى وهو الذى يزيدنى عزما واصرارا فليفعل الله بى ما يشاء .

الثلاثاء ١٥ يوليو ١٩٥٢

يتطور الموقف من سيىء الى اسوأ المحكمة ماضية فى اجراءاتها بكل سرعة وبالامس القى عبد الفتاح حسن قنبلة اذ زعم أننى قبضت نقوداً من المصاريف السرية وقد طبلت الجرائد لذلك وزمرت وضغطت ضغطا شديداً على هذه النقطة وهذا اسوأ ما قيل فى المحكمة حتى الآن .

وقيل ان الجميع يرون ذهابى الى المحكمة لكى أدافع عن نفسى ولكنى مصمم ان أمضى حتى النهاية .

ان كل ما اخشاه ان يحدث حادث من ناحية قوة احتمالى الجسدية تجعلنى اعدل عما لم يحدث هذا فانى سوف أمضى .. سوف أمضى حتى النهاية .

لقد اوشكت على التعب بالأمس ليلا ولكنى بعد قليل بدلت موضع نومى وفتحت النافذة فاستطعت ان انام وان انام جيداً بل وحلمت حلماً سعيداً ، لقد حلمت فيما اذكر ان الامور المعاكسة لى قد انقلبت الى النقيض وان الذم قد انقلب مدحاً وان الاحـزان قد انقلبت افراحاً .. ولعل هذا يصور كيف كان نومى سعيـداً لاول مرة .

ومادمت استطيع ان انام وان احتمل فسوف امضى .

ان زوجتى المسكينة التى زارتنى اليوم تبكى ولكنى لا استطيع ان افعل من اجلها شيئاً ، انهم يقولون ان احداً لا يهتم بى ولن يحرك احد ساكنا من اجلى وهذا وحده كاف لكى ازداد اصرارا .

لقد خدمت بلادى ثلاثين عاما ولقد وهبت الشعب كل شىء فاذا كان ذلك كله لا يعاون الآن على اعطائى محاكمة عادلة فليس هناك ما يربطنى بهذه الحياة . وثمة زاوية اخرى انظر للموضوع منها . لم يكن لى فى كل حياتى من معين غير الله فهو وحده الذى يعلم حسن طويتى واخلاصى وهو وحده الذى اخرجنى دائماً من الضيق وانا انتظر هذه المرة أيضا ان يخرجنى من الضيق فاذا لم يفعل لسبب يعلمـه فليس هناك ما أبكى عليه فى هذه الدنيا او يربطنى بها .

يوم الاربعاء ١٦ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو ثامن ايام الاضراب وزارنى الدكتور اليوم فتبين ان وزنى ٦١ كيلو وقد كان عند بدء الاضراب ٦٩ كيلو اى اننى نقصت ثمانية كيلو فى هذه الثمانية أيام . وكان وزنى عند دخولى سجن الاستئناف ٧٧ كيلو اى اننى نقصت ١٦ كيلو ، لا شك ان جـبالنى

بدأت تتدهور ومع ذلك فقد استطعت ان اتلم بالأمس جيداً وهو ما أحمد الله عليه .

تأجلت القضية لمدة اسبوع وقررت المحكمة ضم بعض الأوراق التي كنت قد طلبتها وقد شهد امامها محمد الحلو بأن البوليس السياسي هو الذي حمله على تلفيق شهادته .

ظن « الظاهر » وظنت المحكمة لنني سأعدل عن موقفي ولكن هيهات لقد قررت وليس امامي الا المضي والله وليي .

يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٢

تاسع ايام الاضراب واني متعب لا استطيع أن أكتب شيئاً ، زارني زوجتي والدكتور حلمي وحاولا اثنائي عن الاضراب فلم يفلحا وازددت اصراراً ، وجاء محلم منتدب ليزورني فرفضت .

يوم الجمعة ١٨ يوليو ١٩٥٢

عاشر ايام الاضراب .. اتألم الما ماديا ومعنويا .. اذ تمر علي الايام في ظلام دامس ... ليس من يسأل او يهتم .. تكتب التقارير الطبية التي تدل على سوء الحال ولكن لا تحرك لدى المسئولين ساكنا . وكل املي هو في الله .

يوم السبت ١٩ يوليو ١٩٥٢

حادي عشر ايام الاضراب تزداد آلامي . زارني الأستاذ محمد عصفور فلم اتمكن من الحديث معه . وزارني بالليل رغم انفي الظاهر حسن احمد ولم ارد عليه سوى بكلمة واحدة وهي الا يترافع عني وأن ينسحب .

يوم الأحد ٢٠ يوليو ١٩٥٢

ثاني عشر أيام الاضراب . سوف أتحدث عن حالتى الصحية وشعورى وآلامى اذا قدر لى أن أخرج من هذا الاضراب .

. نشأ فى نفسى شعور غامض فحلت العقدة التى فى نفسى .. لم أعد أجد غضاضة فى ان اقلع عن الاضراب .. ولكن ما هو السبيل الى ذلك .. السبيل بطريقة تخرجنى منصوراً .

ولأول مرة قبلت فى الليل ان اتناول نقطا من الكورامين لتقوية القلب وقطعة صغيرة من السكر .

يوم الاثنين ٢١ يوليو ١٩٥٢

بدأت حالتى لا تطلق وانى اصرخ طوال الليل ان يأخذ الله بناصرى ، جوفى يحترق .

استيقظت فى الصباح لأسمع نبأ غريباً ، لقد استقالت وزارة حسين سرى . التى لم تؤلف الا منذ اسبوعين فقط .

وقد انعشنى النبأ الى حد ما وبدأت اتعلق به تعلق الغريق بالقشة .

وزارتنى زوجتى والدكتور حلمى وقد نصا على ان سبب استقالة حسين سرى هو ازمة خاصة بالجيش فقد أصدر الملك أمره باغلاق نادى الضباط وأصر الضباط على فتحه .

كان الدكتور حلمى متحمسا وكان يلح على ان اقلع عن الاضراب ولقد طمأنتهما لأول مرة وألهمتهما ان العقدة التى فى نفسى زالت وانى على استعداد للعدول اذا تأجلت القضية .

للعدول عن الاضراب ولكنني لا اعرف السبيل .

فوجئت بالهلالي يؤلف الوزارة من جديد وعودة مرتضى المراغي وسلطان حافظ عفيفي .

جعلني ذلك في حالة سيئة جداً وعدت الى تشبثي بالاضراب وحاول الاطباء بعد ان رأوا سوء حالتي أن يغذوني بالوسائل الصناعية فتشاجرت مع الجميع وطلبت من الممرضين أن يغادروا الحجرة وان يغلقوا علىّ الباب وقد ملئت بالغيظ . وعاودني الاصرار على مواصلة الاضراب ولذلك فلن اتناول نقط الكورامين هذا المساء . وليكن الله في عوني .

ان كل ما يحيط بي يدعو الى اليأس ولكني انظر دائما الى السماء واهتف بالقادر ان يخلصني وان يخرجني مما انا فيه من ضيق .

في المساء :

طالعت في الصحف اقوال شهود النفي وهم على ماهر وادجار جلاد وجلال ندا وعلى الغاياتي فرضيت بعض الرضا لشهادة على الغاياتي التي تفيض اخلاصاً ووفاء ، وشهادة جلال ندا الذى شهد بكل ما كنت اتمنى أن يشهد به . اما على ماهر فقد صدمني صدمة شديدة بشهادته الملتوية والتى حاول بها ان ينكر معرفتي بأكثر مما يعرف بعض ابناء شمال افريقيا او ابناء السودان .. ان على ماهر منافق عظيم فلا حول ولا قوة الا بالله .

يوم الاربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢

يافرج الله ويا قوة الله مما هذه الاخبار التى فوجئت بهـا فى الصباح . انها رسالة الهية .. انها لفتة ربانية تصيح بى ايها النائم ثم لقد نظر الله لآلامك وسمع لتضرعاتك .. ها هو يظهر قدرته ، ها هو يضرب .. يضرب بشدة على يد هؤلاء الطغاة الذين ظنوا انهم الهة فى الارض .

فتحت عينى فاذا بى اسمع من الموظفين حديثا يدل على ان شيئا ما يجرى .. ثم تصنوا على انباء مثيرة .. انباء لا تكاد تصدق ولكنها حقائق ، ان الجيش قد قام بحركة واحتل مدينة القـاهرة واذاع اللواء محمد نجيب نداء فى الاذاعة يعلن فيه بوصفه القـائد العام للقوات المسلحة انه قد قام بعملية تطهير فى الجيش .

وكان ذلك يدل على ان شيئا خطيراً سيقع .

واعلنت حالة الطوارىء فى السجن ولم يخرج المسجونـون الى الجلسة .. وهكذا وقع الحادث الذى كنت اتصور دائمـا امكان حدوثه ، ان تؤجل القضية بعمل مادى .. كان يمرض أحد الأعضاء فى المحكمة أو أن يصاب بحادث .. كنت اترقب من الله من لحظة لأخرى ان يحدث شىء من ذلك .

ولكن لم يدر بخلدى ابداً ان يقع انقلاب ليكون هـو سبب التأجيل .

وكانت حالتى الصحية قد وصلت الى اسوأ حالاتها ، هبط ضغط الدم الى ٩٠/٧٠ وهى علامة جعلت الدكتور فى فزع ،وتحالف الاطباء على ان اغذى ولو بالقوة .. وكانت هذه التطورات قـد جعلتنى مستعداً للعدول فعلا عن الاضراب ، ولكنى فى انتظـار

ما يحدث في القضية ، فقد تواصل المحكمة النظر فيها حتى في غياب جميع المتهمين .

وفجأة دخل على الدكتور حلمي مراد وزوجتي وكأنهما هبطا على من السماء فقد كان آخر ما أفكر فيه لمكان ان يزوراني في هذا اليوم العصيب . وسألت عن القضية فقيل انها تأجلت أسبوعا وكان هذا هو آخر ما أريد لكي أعدل عن اضرابي وبدأت استمع الى تفاصيل ما يجري في الخارج وكيف احتل الجيش الداخلية والحدود والاذاعة وهو يرابط في الطرقات واننا بصدد انقلاب شامل .

ولو كان باستطاعتي لسجدت لله شكرا ولكن قلبي كان يسجد وروحي كانت تسبح وتهلل بحمده .. انه شعاع من النور جديد يضيء لي الظلمات ويقوى في معنويتي .

وتناولت كوبا من الشاي وشربت وكان ذلك أشبه بالقنبلة ، لقد سرى البشر والفرح في وجوه الجميع أطباء وممرضين وسجانين واقبل الجميع يهنئون .. ويخبرونني بدعواتهم .

يوم الخميس ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢

انقشع الخطر وبدأت معالم المعركة التي جرت بالامس تتجلى بكل تفاصيلها ونتائجها .

هاأنذا اجلس من جديد على فراشي لاكتب هذه المذكرات منذ يوم ١٧ حتى اليوم .

نجحت حركة الجيش نجاحا كاملا ورائعا . سقطت وزارة نجيب الهلالي وتألفت وزارة علي ماهر بناء على طلب الجيش .

الجيش الآن هو سيد الموقف هو الذي طرد حيدر وعين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة وقد صدر أمر الملك بتعيينه .

هزيمة القصر مباشرة ليس فقط فى هذه الآونة . بل وفى المستقبل فقد كان الجيش هو آخر خطوط الدفاع وقد انهار الآن هذا الخط .

لقد اعلن قائد الجيش الجديد أنه سيكون فى خدمة الدستور وان الجيش سيكون جيش الشعب لم يشر الى الملك من قرب أو بعد .

لا يمكن أن يسلم الملك بهذه السهولة .. على كل حال لقد احنى رأسه هذه المرة للعاصفة ودعى على ماهر لتأليف الوزارة .

المستقبل ملىء بالاحتمالات التى لا أول لها ولا آخر كل الذى ارجوه الآن من الله سبحانه أن يجعل هذا التطور الجديد نقطة تحول فى قضيتى .

عجيب أمر على ماهر .. خاطبته فى التليفون يوم ٢٦ يناير ودعوته لأن يكون رئيسا للحكومة فاصبح رئيسا لها فى ٢٨ يناير ، وكان يشهد فى قضيتى فى يوم ٢٣ يوليو وفى يوم ٢٤ يوليو كان رئيسا للوزارة .. انه لا يمكن أن يفكر فى ذلك بطبيعة الحال .

اننى استقبله فى وزارته فى كثير من التحفظ لقد علمتنى الالام والايام أن اتحفظ .

وانى اشعر اليوم بكثير من التحفظ وسأجعل كل همى منذ الآن متجها نحو القضية .

فليكن الله فى عونى .

الجمعة ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٢

الله أكبر .. الله أكبر ، الى اى طريق نحن سائرون .. ماذا اعد لى الله فى مكنون علمه . ايكون هذا الذى حدث هو الفصل النائم ثم فقد نظر الله لآلامك وسمع لتضرعاتك .. ها هو يظهر أم أن الساعة لم تحن بعد ..

لقد نمت بالأمس لاول مرة منذ ثلاثة اسابيع تقريباً نوماً عميقاً حتى اننى لم اصل الفجر لاول مرة فى وقته ، ولم اسمع الآذان بل لم أسمع اجراس السجن ، وهى تدق ، وعندما فتحت عينى كان نور النهار يغمر المكان فصليت لله .. ودعوته وهو القادر .. دعوته وهو الذى أطعمنى بعد أن اجاعنى وانامنى بعد ان أسهرنى وشفانى بعد أن أسقمنى .. دعوته وهو الذى يردنى الى الحياة .. الى الامل .. دعوته وهو الذى أحدث هذه الاحداث وقلب هذه الانقلابات .

وجاءت الصحف وكانت تحوى اجمل خبر طالعته منذ بدأ الانقلاب كانت تحوى نبأ اعتقال أحمد طلعت وابراهيم امام والجزار ، هؤلاء الذين لفقوا ضدى وعاشوا طوال عمرهم على الكيد لى وهم يتدرجون فى الرتب على حسابى ، جاء الوقت الذى اعتقلوا فيه .. جاء الوقت الذى احسوا فيه بلذعة الخوف والرعب وهمْ يساقون الى الاعتقال .

واذاع منهم محمد نجيب بلاغاً أرى من حقه أن اثبته بنصه :

الى شعب وادى النيل ..

بعد ان تم بحمد الله للقوات المسلحة اقرار الأوضاع والأمن العام فى العاصمة نمى الينا من أوثق المصادر أن بعض ضباط

القلم السياسى والقسم المخصوص بوزارة الداخلية يتآمرون على الاخلال بالامن العام — الذى تضامنا مع هيئات البوليس محافظة عليه — مما دعانا للقبض على الآتين بعد :

اللواء عبد المنصف محمود وكيل وزارة الداخلية .

اللواء احمد بك طلعت حكمدار العاصمة .

اللواء محمد ابراهيم امام رئيس القسم المخصوص .

البكباشى محمد الجزار من القسم المخصوص .

البكباشى محمد الجزار من القسم المخصوص .

ثم تحدث البيان بعد ذلك الى الشعب ، واذا علمت ان ابراهيم امام وان الجزار بالذات هما اللذان عملا على تلفيق هذه القضية ضدى ادركت مقدار رحمة ربى .. مقدار النور الذى يرسله الى حياتى .. يارب .. يارب اجعل ذلك بدء الخير .. اجعل ذلك بدء الفرج .. اجعل ذلك بدء النصر .

ما انا الا عبدك . انت وحدك تعلم من انا .. ماذا فى جوانحى .. انت وحدك الذى تقدر صدق طويتى ونواياى .

السبت ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

فى كل يوم نبأ مثير ، فى كل يوم نبأ خطير ، فى كل يوم وفى كل ساعة وفى كل دقيقة اسجد لله العلى القدير ان جعلنى اعيش حتى ارى تحقق الاحلام .

انشغال بالامن الياس اندراوس وانطونيو بوللى وحلمى حسين ونوبيله رشاد وحسن عاكف وكل هذه الطغمة من حاشية

الملك ، وان من الا لغفلات حتى كانوا يلفقون ؟ وهكذا ما حوكمت
عليه بالامس على انه جريمة عيب كبرى فى حق الملك قد اصبح
هو فضيلة اليوم .

لقد حكم على بالحبس سنة ونصف لهجومى على هذا النفر
وتلقيبهم بالعصـــابة والمناداة بتطهير البلاد منهم وها هم يعتقلون
وها هم يقبض عليهم فالله اكبر الله اكبر الله اكبر .

وقيل ان حافظ عفيفى قد اســتقال واقيلت استقالته ...
وهذا خبر اذيع اكثر من مرة ثم اتضح انه سـابق لاوانه ولا جدال
ان حافظ عفيفى فى طريقه الى الاسـتقالة . وضم الى المعتقلين من
رجال القسم السـياسى محمد يوسف ، وهؤلاء الثلاثة محمد يوسف
والجزار وابراهيم امام هم اصحاب التقارير الثلاثة فى قضيتى .

واعتقل مصطفى امين وعلى امين وكان آخر العهد بهما
محاولتهما استغلال اقوال عبد الفتاح حسن فنشروا فى
الصفحة الاولى ان عبد الفتاح حسن يوجه الى اتهاما خطيرا .

لم افرح لاعتقالهما ولم احزن وان كنت أعتقد أن الشعب فى
منتهى الفرح لاعتقالهما .

وافرج عن الأستاذ فتحى رضوان ويوسف حلمى وكنت أعتبر
ان استمرار اعتقال فتحى رضوان هو مقياس لاستمرار سياسة
القصـــر وعروشهما يدل على أن القصـــر كان الاكثر فى هذه
المشكلات لم يعد له وجود .

ان الشعب فرح جدا بهذا الانقلاب ويشيد به وكعـــادة
المصريين لا يعرفون سوى التعبير بالكلام ، ولذلك فان هذه الموجة

من الفرح والحماسة لمحمد نجيب لن تلبث شيئا اذا بدات العناصر المفسدة تتحرك ضده .

وليس هناك ما اخشاه الآن على حركة محمد نجيب اكثر من خشيتى من على ماهر شخصيا فهو رجل من رجالات القصر ومن رجالات الطبقة الحاكمة ، ولذلك فسيكون هو المعول الذى يهدم حركة الجيش بالتدريج ، انه يقابل الآن رجال الاحزاب ويتحدث عن جمع الصفوف ، والصفوف عنده هى هيكل وابراهيم عبد الهادى والوفد ! وهى ذات الدعوة السمجة التى طالما تحدث عنها ، الصفوف عند على ماهر ليست صفوف الشعب ولكنها صفوف الباشوات والكبراء وهكذا فهذه عقليته ماتى فى خوف منه على هذه النهضة المباركة .

منذ الآن الى تناول الغذاء وما خرجت من حالة الأضطراب فى مرة من المرات الا واحسست بمقدار الهوة التى كنت قد انحدرت اليها ، فانا الآن فى حالة شديدة من الضعف لا اقوى على الحركة الا بصعوبة وبالرغم من أننى اتغذى منذ اربعة أيام فلازلت أذهب الى دورة المياه متحمولا على فخذ متحرك ، ولقد حلقت ذقنى فافزعنى منظرى بعد الحلاقة ! لقد وجدت وجهى اشبه الأشياء بالكاريكاتور فيه فجوات نتوءات من العظام . وساعمل ان شاء الله على الذهاب الى جلسة يوم ٣٠ عسى أن استرد بعض قوتى قبل هذا التاريخ .

انا الآن شديد الثقة .. أريد ان اواجه القضية باى صورة من الصور !

ولست استطيع ان اتخيل كيف ستمضى الامور فى الجلسة المقبلة ، والأمور تتطور هذه التطورات الحادة .

منتصف ليل ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

الراديو يدوى على البعد بانباء لم يكن هناك عقل يتصورها منذ ساعات قلائل .. الملك فاروق يتنازل عن العرش لولى العهد الطفل احمد فؤاد الثانى .. لقد اتانى الخبر منذ نصف ساعة بان محمد نجيب يخطب فى الراديو وهو غاضب حانق والشعب يهتف فليسقط الملك عدو الشعب ، وكان هذا عجيبا من أعجب العجب . وبعد قليل جاء محدثى وهو منفعل ويصيح لقد تنازل الملك عن العرش .. وعلى الرغم من ضخامة هذا الخبر فلم يحرك فى نفسى ساكنا .. انه ككل الانباء الضخمة جدا يتقبلها الانسان بسكينة ، ومضيت أطالع فى احدى القصص كان لم يحدث شىء .. ولكن صوت الراديو ارتفع حتى تخطى جدران السجن وبدأت اسمع نبأ تنازل الملك وصوت فاروق وهو يعلن ذلك وعلى ماهو وهو يعتقد .. والآن فالأمر جد .

وما كان يبدو مستحيلا منذ ساعات قد أصبح حقيقة مقررة ، هكذا تطورت الأمور فى أقل من خمسة أيام من حركة صغيرة محلية فى الجيش الى حركة واسعة شاملة ادت الى نزول الملك عن العرش .

وفى هذه اللحظات .. ترى هل تذكر مصر اننى رهين السجن الآن متهما بهذه التهم الخطيرة لاننى كنت اول من تحدى ساد الملك فاروق . .هل يذكر الشعب ان الاشتراكية هى التى هتكت ستار هذا الملك المشتهر وتحدته حتى لتنتهى الأمر بالتلاعه ؟

ان فاروق نفسه لن ينسى ذلك ما عاش .. وكل مطامته قد اعلمته أن احمد حسين هو الذى كاد له ولذلك فقد اناخ على بكلكله .

والآن ماذا سيكون مصيرى .. ما هو مصير قضيتى ؟ ان ذلك هو الذى يشغل بالى ... وما جدوى كل هذه الاحداث اذا لم تنته بوضع حد لسجنى واتهامى .. ومرة أخرى اتجه ضـويك يارب .. أنت وحدك الذى تعلم من أنا وأين مكانى من هذه الحوادث .. فما تكلمت الا بقوتك وما كنت الا بنعمتك ومانظرتك الا بقدرتك ..

فأما وقد وصلت الامور الى هذا الحد فاتم نعمتك على وانقذنى .. خلصنى .. واخرجنى من هذه النمة مرفوع الراس موفور الكرامة كما عودتنى دائما ..

يوم الاحد ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » .

هكذا راح المقرىء يرتل بصوت جميل هذه الاية فى هذا الصباح والدموع تنحدر من عينى وقلبى مليء بالعواطف ، انها ليست آية ترتل انها تصف هذا الانقلاب الذى تم بالامس والذى أصبح اليوم حقيقة .

نزل فاروق من العرش .. وبالأمس بارح مصر الى ايطاليا فالامر حق .. حق .. يا سبحان الله العظيم .. يا سبحان الله

القدير .. هل كان هناك انســـان يجرؤ على تصور امكان حدوث ذلك منذ اســـبوع واحد فقط والملك فاروق هو ذروة الســـلطان والطغيان والجبروت !

ولكن فاروق ذهب .. ولكن فاروق رحل ورحلت معه الملكية في مصر الى الابد .. حقا لا يزال هناك ملك وهو هذا الطفل فؤاد الثانى ولكن من الذى سيقيم له وزنا .. من الذى سيحافظ له على الملك .. ان الكلمة اليوم هى للشعب ، ان الأمة مصدر السلطان ، السيادة اليوم هى للشعب .. وهو ما جاهدت من اجله ، وتعذبت من اجله وحبست من اجله .. واتهمت هــذا الاتهام من اجله ..

لقد انتصر كفاحى .. لقد تحققت أحلامى .. ولكنى لم أكن اتصـــور ان النهاية تاتى بهذه السرعة وبهذه البســـاطة وبهذه البساطة ، لقد اقتلع فاروق الذى كان يظن انه كالطود .. اقتلع فى بضع ساعات ولم تتحرك فى مصر كلها نملة واحدة لتدافع عنه .. كل من فى مصر انقلب ضده وخذله .. حراســه .. حاشيته النائمة .. لقد وجد فاروق نفســه وحيدا ولم يجد الا أن ينقذ نفســه وينقذ جلدة وهذا هو ما وضع فيه قمة فى آخر لحظة شأن كل جبان رعديد .

واليوم سوف تتفجر كل قرى مصر وخيراتها .. واليوم يسكر الشعب بخمر الانتصار .. ولكن ماذا سيحدث فى المستقبل ؟ ماذا سيجرى ؟ يقع كل ذلك فلنة عند الله .

ونحن .. اين مكاننا وسط هذه الاحداث .. نحن الذين تهفنا لها وحرصـنا عليها ودفعنا اول المضربين ثمنها من حريتنا وسلامنا .. ما الذى ينتظرنا .

لست اشعر بذرة من القلق فالله الذى احدث هذا الذى حدث هو الذى سيخرجنا بسلام ، هو الذى سيخرجنا فائزين .

ولاول مرة تلقيت تحية من بعض الزملاء من خارج السجن تحية الدكتور زكى ، وطالعت فى الصحف اشارة الى مذكرة قدمها الحزب الاشتراكى الى محمد نجيب بعد الانقلاب .. الآن لقد بدا اخواننا يشـــعرون بوجودهم .. فلنؤمل خيرا .. لنسجد لله شكرا .. لنبتهل الى الله .. لنبتهل الى الله .

صدر في هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل في محكمة التاريخ .
د. عبد العظيم رمضان ، ط١ ١٩٨٧ ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

٢ ـ على ماهر .
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧ .

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة .
عبد السلام عبد الحليم عامر ١٩٨٧ .

٤ ـ التيارات الفكرية في مصر المعاصرة .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧ .

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧ .

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١ .
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧ .

٧ ـ صلاح الدين الأيوبي .
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧ .

٨ ـ رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية .
د. علي بركات ، ١٩٨٧ .

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧ .

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية .
محمود فوزي ، ١٩٨٧ .

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية .
شكري القاضي ، ١٩٨٧ .

١٢ ـ هدى الشعراوي وعصر التنوير .
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨ .

١٣ ـ الثنوية الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

١٤ ـ مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية .
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨ .

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامي .
د. علي حسني الخربوطلي ، ١٩٨٨ .

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) •
د• حلمي احمد شلبي ، ١٩٨٨ •

١٧ ـ القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني •
د• محمد نور فرحات ، ١٩٨٨ •

١٨ ـ الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية •
د• علي السيد محمود ، ١٩٨٨ •

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين •
د• أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨ •

٢٠ ـ دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمي •
د• محمد أنيس ، ط٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف في مصر إبان العصر العثماني جـ١ •
• توفيق الطويل ، ١٩٨٨ •

٢٢ ـ نظرات في تاريخ مصر •
جمال بدوي ، ١٩٨٨ •

٢٣ ـ التصوف في مصر إبان العصر العثماني جـ٢ ، إمام التصوف في مصر : الشعراني •
د• توفيق الطويل ، ١٩٨٨ •

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) •
د• نجوى كامل ، ١٩٨٩ •

٢٥ ـ المجتمع الاسلامي والغرب •
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين •
ترجمة • د• أحمد عبدالرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ •

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة •
د• سعيد اسماعيل علي • ١٩٨٩ •

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١ •
تأليف ألفريد • ج بتلر •
ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩ •

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢ •
تأليف : ألفريد ج • بتلر •
ترجمة : محمد فريد أبوحديد ١٩٨٩ •

٢٩ ـ مصر في عهد الاخشيديين •
د• سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ •

٣٠ ـ **الموظفون في مصر في عهد محمد علي .**
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٠ .

٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية .**
شكري القاضي ، ١٩٨٩ .

٣٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ .**
لمعي المطيعي ، ١٩٨٩ .

٣٣ ـ **مصر وقضايا الجنوب الافريقي : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية .**
د. خالد محمود الكومي ، ١٩٨٩ .

٣٤ ـ **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ .**
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠ .

٣٥ ـ **أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة .**
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٠ .

٣٦ ـ **المجتمع الإسلامي والغرب جـ٢ .**
تأليف : هاملتون جيب ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠ .

٣٧ ـ **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن .**
تأليف : د. سليمان صالح ، ١٩٩٠ .

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني .**
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .

٣٩ ـ **قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) .**
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠ .

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ .**
د. عبد المنعم الدسوقي الجميعي ، ١٩٩٠ .

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية .**
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١ .

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصور**
محمد شفيق غربال ، ط٢ ، ١٩٩٠ .

٤٣ ـ **رحلة في عقول مصرية .**
إبراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠ .

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر ، في العصر العثماني .**
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١ .

٤٥ ـ الحروب الصليبية ج١ •
تأليف : وليم الصورى • ترجمة وتقديم د• حسن حبشى • ١٩٩١ •

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩: ١٩٥٧)
ترجمة د• عبد الرؤوف أحمد عمرو • ١٩٩١ •

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث •
د• لطيفة محمد سالم • ١٩٩١ •

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى •
د• زبيدة عطا • ١٩٩١ •

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د• عبد العظيم رمضان • ١٩٩٢ •

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) •
د• سهير إسكندر • ١٩٩٣ •

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية •
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) ؛
أعدها للنشر : د• عبدالعظيم رمضان ، ١٩٩٢ ••

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر •
د• إلهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢ •

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة •
د• محمد كمال الدين عز الدين على • ١٩٩٢ •

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى •
د • محمد عفيفى ، ١٩٩٢ •

٥٥ ـ الحروب الصليبية ج٢ •
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د• حسن حبشى ، ١٩٩٢ •

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن إقليم المنوفية •
د• حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢ •

٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة
د• سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٣ •

٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة •
د• ابراهيم عبد الله المسلمى • ١٩٩٣

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ·
د· عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣ ·

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣ ·

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ·
د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ ·

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣ ·
لمعي المطيعي ، ١٩٩٣ ·

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ·
تأليف : د· سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، اعدها للنشر ·
د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ ·

٦٤ ـ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسة وثائقية ·
د· محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣ ·

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)
د· سهام نصار ، ١٩٩٣ ·

٦٦ ـ المرأة في مصر في العصر الفاطمي ·
د· نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣ ·

٦٧ ـ مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية ·
(ابحاث الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، اعدها للنشر د· عبدالعظيم رمضان ، ١٩٩٣ ·

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٢ ·
تأليف : وليم الصوري
ترجمة وتعليق : د· حسن حبشي ، ١٩٩٣ ·

٦٩ ـ نوبة نوبي ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) ·
د· محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٣ ·

٧٠ ـ أهل الذمة في الاسلام ·
تأليف : أ· س· ترتون ،
ترجمة وتعليق : د· حسن حبشي ، ط٢ ، ١٩٩٤ ·

٧١ ـ مذكـــرات اللورد كليـــرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ٠
اعداد : تريفور ايفـــانز ، ترجمـة : د٠ عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٤ ٠

٧٢ ـ رؤيـة الرحالـة المسـلمين للاحوال المالية والاقتصادية في المصر الفاطمي (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ) ٠
د٠ امينـة احمد امـــام ، ١٩٩٤ ٠

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة ٠
د٠ رؤوف عباس حـــامد ، ١٩٩٤ ٠

٧٤ ـ تاريخ الطب والصـــيدلة المصرية ، ج١ ، في العصر الفرعوني ٠
د٠ سمير يحيى الجمـــال ، ١٩٩٤ ٠

٧٥ ـ اهل الذمة في مصـــر ، في العصر الفاطمي الاول ٠
د٠ سلام شـــافعي محمود ، ١٩٩٥ ٠

٧٦ ـ دور التعليم المصـــري في النضـــال الوطني (زمـــن الاحتلال البريطاني) ٠
د٠ سعيد اســـماعيل علي ، ١٩٩٥ ٠

٧٧ ـ الحروب الصليبية ج٤ ٠
تاليف : وليم الصـــوري ، ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشي ، ١٩٩٤ ٠

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ٠
نعمات احمد عثمان،١٩٩٥ ٠

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصـوفية في مصر ، في القرن التاســـع عشر ٠
تاليف : فريد دى يونـــج ، ترجمة ٠ عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٥ ٠

٨٠ ـ قنـاة الســـويس والتنافس الاستعماري الاوربي (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ٠
د٠ السيد حسين جـــلال ، ١٩٩٥ ٠

٨١ ـ تاريخ السياسة والصـــحافة المصرية من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر ٠
د٠ رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ٠
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤ ٠

٨٣ ـ مذكراتي في نصف قرن ج١
احمد شفيق باشا ، ط٢ ، ١٩٩٤ ٠

٨٤ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ٢ القسم الاول ٠
احمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥ ٠

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ٠
د٠ حلمي احمد شلبي ، ١٩٩٥ ٠

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ٠
د٠ احمد الشربيني ، ١٩٩٥ ٠

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، جـ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ٠
اعداد : تريفور ايفانز ؛ ترجمة وتحقيق . عبدالرؤوف احمد عمرو ١٩٩٥ ٠

٨٨ ـ التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية ٠٠
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥ ٠

٨٩ ـ تاريخ الموانيء المصرية في العصر العثماني ٠
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ١٩٩٥ ٠

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية ٠
د٠ نريمان عبد الكريم احمد ١٩٩٦ ٠

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الاوسط ٠
تاليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٦ ٠

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ، جـ٢ ، د٠ نجوى كامل ؛ ١٩٩٦ ٠

٩٣ ـ قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د٠ نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
د٠سمير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الافريقية المعاصرة (اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة) ،
اعداد أ٠د٠ عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبد الناصر والعرب العربيــة الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) ٤
بعاليف : مالكولم كير ـ ترجمة
د. عبد الرؤف أحمد عمرو •

٩٧ ـ العريــان ودورهـم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر •
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر •

٩٨ ـ هيكل والسياســة الاسبوعية •
د. محمد سيد محمد •

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلية المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ •
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعــة تاريــخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة
أ.د. عبــد العزيز صــالح
أ.د. جمال مختار ، أ.د. محمد ابراهيم بكر ، أ.د. ابراهيم نصحى ، أ.د. فاروق القاضى ، أحمد المنشر ، أ.د. عبد العظيم رمضان •

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير،
اللواء / عبــد المجيــد كفــافى
اللواء / محمد عبــد الحفيظ ،
السفير / جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجــة •

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايــا عصره •
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ الســلطة السياسـية فى مصر وقضية الديموقراطيـة ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ •
د. أحمد فارس عبد المنعم •

١٠٦ ـ الشــيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن) •
د. سليمان صالــح

١٠٧ ـ الاصوليــة الاســلامية •
تأليف : فليب هيرو : ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال •

١٠٨ ـ مصر للمصريين ج ٤ •
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥ •
سليم النقاش

١١٠ ـ مصــادرة الأملاك فى الدولــة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ١ •
د. البيومى اسماعيل الشربيني •

١١١ ـ مصــادرة الأملاك فى الدولــة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ٢ •
د. البيومى اسماعيل الشربيني •

١١٢ ـ اسماعيل باشا صدقي .
د. محمد محمد الجوادي .

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري) .
د. عز الدين اسماعيل .

١١٤ ـ دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي .
تأليف أحمد رشدي صالح .

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ ٢ .
أحمد شفيق باشا .

١١٦ ـ اديب اسحق (عاشق الحرية) .
علاء الدين وحيد .

١١٧ ـ تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) .
عبد الرزاق ابراهيم عيسى .

١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام
د. البيومي اسماعيل الشربيني .

١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف .

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصري الحديث .
لويس جريس .

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) .
د. محمد عبد الحميد الحناوي .

١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ ٦ .
سليم خليل النقاش .

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوي .
د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن .
د. محمد نعمان جلال .

١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ ٧ .
سليم خليل النقاش .

١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨ .
سليم خليل النقاش .

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) .
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢٨ ـ معارك صحفية .
بقلم / جمال بدوي .

١٢٩ ـ الدين العام (واثره في تطور الدين المصري) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) .
د. يحيى محمد محمود .

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) .
سمير فريد .

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢ .
ترجمة / د. عبد الرءوف أحمد عمرو .

١٣٢ ـ دور التعليم المصري في مصر جـ ١ .
د. ماجدة محمد حمود .

١٣٣ ـ دور الشوام السياسي في مصر ج ٢
د. ماجدة محمد حمود .

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي .
بقلم / عزت حسن أفندي الدارندلي ترجمة / جمال سعيد عبد الغني .

١٣٥ ـ اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة. (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق .
تقديم / أ.د. عبد العظيم رمضان .

١٣٧ ـ تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي .
د. محمد عبد الغني الأشقر .

١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر .
السيد يوسف .

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين .
بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥ هـ/ ١٨١١ ـ ١٨٤٨ م .
طارق عبد العاطي غنيم بيومي .

١٤١ ـ وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك .
لطفي أحمد نصار .

١٤٢ ـ مذكراتي في نصف قرن ج ٢
أحمد شفيق باشا ط ٢ ، ١٩٩٩

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق م .
د. منيرة محمد الهمشري .

١٤٤ ـ كشوف مصر الأفريقية في عهد الخديوي إسماعيل .
د. عبد العليم خلاف .

١٤٥ ـ النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) .
د. منيرة محمد الهمشري .

١٤٦ ـ المرأة في مصر المملوكية .
د. أحمد عبد الرازق .

١٤٧ ـ حسن البنا متى .. كيف .. ولماذا ؟
د. رفعت السعيد .

١٤٨ ـ القديس مرقس والقبيس كنيسة الاسكندرية .
تأليف / د. سمير فوزى .
ترجمة / نسيم مجلى .

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر .
حسام محمد عبد المعطى .

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها) .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة .
السيد يوسف .

١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
د. مجاسن محمد الوقاد .

١٥٣ ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) .
د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى .
د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٥ ـ عمر مكرم عز ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر .
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٢ م) .
د. عبد السيد البطريق .

١٥٦ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاسلامى .
الجزء الثالث .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥٧ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاسلامى والحديث .
الجزء الرابع .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥٨ ـ تاريخ السلطنة المملوكية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الأول .
د. محمد فريد حشيش .

١٦٠ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الثانى .
د. محمد فريد حشيش .

١٦١ ـ السيف والنار فى السودان .
تأليف / سلاطين باشا .

١٦٢ ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣ م) .
د. تمام همام تمام .

١٦٣ ـ مصر والحملة الفرنسية .
المستشار / محمد سعيد العشماوى

١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقيـة بجامعة القاهرة ، ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ م ،
اعداد / د، عبد العظيم رمضان

١٦٥ ـ التعليم والتغير الاجتماعي في مصر (في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم ،

١٦٦ ـ مذكرات عتال سياسي (صفحة من تاريخ مصر) ،
السيد يوسف ،

١٦٧ ـ الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي الى نهاية الدولة الاخشيدية ،
د، سامي علي محمد عبد الله ،

١٦٨ ـ مؤرخـون مصريـون من عصر الموسوعات ،
يسري عبد الغني ،

١٦٩ ـ مدن مصر الصناعية في العصر الاسلامي الى نهاية الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١ م) ،
د، سامي علي محمد عبد الله ،

١٧٠ ـ القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) ،
مجدي عبد الرشيد بحر ،

١٧١ ـ تاريخ الجالية الارمنية في مصر القرن التاسع عشر ،
تأليف / محمد رفعت ،

١٧٢ ـ تاريـخ اهـل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي الى نهايـة العصر الفاطمي) الجزء الأول ،
تأليف / فاطمة مصطفى عامر ،

١٧٣ ـ تاريخ اهـل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي الى نهايـة العصر الفاطمي) الجزء الثاني ،
تأليف / فاطمة مصطفى عامر ،

١٧٤ ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق،م ،
د، أحمد عبد الحليم دراز ،

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية ،
عادل ابراهيم الطويل ،

١٧٦ ـ الملاحـة الدوليـة في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م)
د، عبد الحميد حامد سليمان ،

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الاوسط ،
لواء دكتور / صلاح سالم ،

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر ،
د، سمير علي خليل ،

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد.

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس.
بقلم / د. عبد العظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد ج١)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
أ.د. حسن حبشي.

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد ج٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
أ.د. حسن حبشي.

١٨٣ ـ شاهد على العصر.
مذكرات محمد لطفي جمعة.

١٨٤ ـ الصوفية في القرن الثامن عشر.
ياسر عبد المنعم محاريق.

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري.
د. أحمد أحمد سيد أحمد.

١٨٦ ـ العقائد الدينية في مصر الإسلامية (بين الإسلام والتصوف)
د. أحمد صبحي منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م / ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ)
ج ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م / ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ)
ج ٢
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفه عبده علي

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣ م).
د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي

١٩١ ـ اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر ج ١
د. محسن علي شومان

١٩٢ ـ اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر ج ٢
د. محسن علي شومان.

١٩٣ ـ الإمام محمد عبده (بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي)
د. عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية •
د• فتحى الصنفاوى •

١٩٥ ـ مجتمع الريف في عصر الولاة
د• نريمان عبدالكريم احمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ اللانس الخالدة •
د• عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية •
د• عادل عبد الحافظ حمزة

١٩٩ ـ العبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية •
د• بهاء الدين ابراهيم •

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (اعمال الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والاثار بالمجلس الاعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية من ٢٢ـ ٢٣ ابريل ١٩٩٨) اعداد / د• عبد العظيم رمضان

٢٠١ ـ امارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ـ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ ـ المدريون الصاميون فى مصر
د• ماجده محمد حمود •

٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى ابو طالب •

٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت عيسى غالى

٢٠٥ ـ تاريخ القرية واعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد احمد عطا •

٢٠٦ ـ مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس •
د• سعيد عبدالفتاح عاشور

٢٠٨ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت ج ٤
لواء / د• كمال احمد عامر ٩

٢٠٩ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ ٢
لـواء/د· كمال احمد عامر

٢١٠ ـ قبرص والحروب الصليبية
د· سعيد عبدالفتاح عاشور

٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د· عليـه عبد السـميع الجنزورى

٢١٢ ـ العلمة فى مصر فى العصر الايوبى (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م)
شلبى ابراهيم الجعيدى

٢١٣ ـ الازمات الاقتصـادية فى مصر فى العصر المملوكى واثرها السـياسى والاقتصادى والاجتماعى (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
عثمان على محمد عطا

٢١٤ ـ الثغور البرية الاسـلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى
د· عليـه عبد السـميع الجنزورى ·

٢١٥ ـ الفتح الاسـلامى لمدينة كابول (٣١هـ / ٦٥١م)
د· اصـلاح عبد الحميـد ريحان ·

٢١٦ ـ الرأسمالية الاجنبية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٥٧) جـ ١
د· فرغلى تسن هريدى ·

٢١٧ ـ العيب فى الذات الملكيـة (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢)
د· سيد عشماوى

٢١٨ ـ القيم الحربية فى عصـر الايوبيين والمماليك (٥٦٧ ـ ٩٢٣هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧م)
د· السيد محمد احمد عطا

٢١٩ ـ ثورة ١٩١٩ فى ضـوء مذكرات سـعد زغلـول (١٩٥٣ ـ ١٩٦١)
د· عبد العظيم رمضان

٢٢٠ ـ التنظيمات السـياسية لثورة يوليو
د· حمـادة حسنى أحمد محمد

٢٢١ ـ حرب النهر
ونستون تشرشل ·
ترجمة عز الدين محمود

٢٢٢ ـ مصر القديمة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عـام ٣٣٢ ق·م الجزء الاول
د· عبد الحميد زايد

٢٥٠ ـ معاهدة ١٩٣٦ جـ٢
نصوص محاضر المفاوضات
د. محمد فريد حشيش

٢٥١ ـ تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة
(١٨٣٤ ـ ١٩١٤ م)
د. عزت قرني

٢٥٢ ـ إنشاء جامعة الدول العربية جـ ١
سفير أحمد محمود جمعة

٢٥٣ ـ إنشاء جامعة الدول العربية جـ٢
سفير أحمد محمود جمعة

٢٥٤ ـ إنشاء جامعة الدول العربية جـ٣
سفير أحمد محمود جمعة

٢٥٥ ـ العلاقات بين مصر ولبنان في عهد محمد علي
د. عزت أسعد عطاالله

٢٥٦ ـ قناة السويس والأطماع الاستعمارية الدولية
د. السيد حسين جلال

٢٥٧ ـ الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي
(٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١ م)
سمير عبد الله سليمان

٢٥٨ ـ مدينة الإسكندرية
د. محمد صبحي عبد الحكيم

٢٥٩ ـ تاريخ العالم الإسلامي جـ٢
د. حسن حبشي

٢٦٠ ـ رواد تاريخ العصور الوسطى
د. محمد مؤنس عوض

٢٦١ ـ الشرق الخالد جـ١
د. عبد الحميد زايد

٢٦٢ ـ الشرق الخالد جـ ٢
د. عبد الحميد زايد

٢٦٣ ـ مذكرات أحمد حسين
تأليف أحمد حسين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدي: ١١٧٩٤ رمسيس
www.egyptianbook.org
E-mail:info@egyptianbook.org

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٦٤٢/٢٠٠٦

يعد أحمد حسين زعيم الحركة الفاشية فى مصر، وقد لعب دورا مهمًا انطلاقًا من هذا الاتجاه فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية .

وهذه المذكرات ليست هى المذكرات الأولى التى كتبها أحمد حسين، فقد سبق له أن كتب عدداً من الكتب التى تضمنت أطرافًا من حياته من أهمها «إيمانى» ، «من وراء القضبان» وكذلك قصصه الثلاثة «ازهار» ، «واحترقت القاهرة» و «الدكتور خالد».

وأخيرًا يقول الكاتب أن قارىء هذه المذكرات سيدرك بعض الحقائق التاريخية كما استقرت فى ذهن مواطن عاش فى هذا العصر لا كما تصورها الكتب أو المقالات أو الدراسات.

الهيئة المصرية ال